بسم الله الرحمن الرحيم

إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي

الإصلاح الحسيني

مجلة فصلية علمية تعنى بالنهضة الحسينية وآفاقها الفكرية

تصدر عن

موسسة وارث الانبياء للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية

العتبة الحسينية المقدسة

العدد الثالث والثلاثون

السنة التاسعة (١٤٤٢ هـ - ٢٠٢١ م)

الإصلاح الحسيني

مجلة فصلية علمية تعنى بالنهضة الحسينية وآفاقها الفكرية

الهيئة الاستشارية

آية الله الشيخ محمد السند
آية الله الشيخ محمد جواد فاضل اللنكراني
آية الله السيّد رياض الحكيم

آية الله السيّد منير الخباز
العلّامة الدكتور الشيخ محمد باقر المقدسي
العلّامة الشيخ عبد المهدي الكربلائي

رئيس التحرير:
الشيخ صباح عبّاس الساعدي

مدير التحرير:
الشيخ عدنان الطائي

هيئة التحرير:
الشيخ ثناء الدين الدهلكي
د. الشيخ ميثم الربيعي
د. الشيخ أسعد السلمان
د. الشيخ رغدان المنصوري

التدقيق اللغوي:
وحدة المقابلة وتقويم النص

الإخراج الفنّي:
الشيخ حسين المالكي

التصميم والكرافيك:
عبد الزهرة الطائي
السيّد صادق الحيدري

معتمد الترجمة الإنجليزية:
الشيخ حيدر علي البهادلي

الإشراف العام:
سماحة العلّامة الشيخ عبد المهدي الكربلائي

التنسيق العام:
السيّد صالح التنكابني
السيّد مالك البطاط
أ. م. د. علي البديري
زيد فرج الله الأسدي

إدارة المؤسّسة:
الشيخ باقر الساعدي (النجف الأشرف)
الشيخ رافد التميمي (قم المقدّسة)

معاونية المؤسّسة:
الشيخ عبّاس الحمداوي (النجف الأشرف)
الشيخ حيدر الأسدي (قم المقدّسة)

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٩٢٤) لسنة ٢٠١٣م

الترقيم الدولي: ISSN: 978-964-984-240-7

هوية المجلّة

مجلّة فصلية علمية تخصّصية تُعنى بالبحوث المتخصّصة في مجال النهضة الحسينية، تصدر عن مؤسّسة وارث الأنبياء للدراسات التخصّصية في النهضة الحسينية في النجف الأشرف وقم المقدّسة.

اهتمام المجلّة

تهتمُّ المجلّة بنشر معالم وآفاق الفكر الحسيني، وتسليط الضوء على تاريخ النهضة الحسينية وتراثها، وكذا إبراز الجوانب الإنسانية والاجتماعية والفقهية والأدبية في تلك النهضة المباركة.

فالمجلّة تتطلّع لاستيعاب جميع المجالات المهمّة والحسّاسة في أبواب النهضة الحسينية، شريطة أن تكون البحوث والدراسات متضمّنة لجوانب من الإبداع والحداثة والتجديد، مع حفظ روح الأصالة والتأسيس.

ضوابط النشر

تدعو (مجلّة الإصلاح الحسيني) الأساتذةَ والباحثين والمحقّقين الفضلاء، وكلّ مَن لديه اهتمام في مجال الكتابة والبحث العلمي، إلى رفدها بنتاجاتهم القيّمة فيما يرتبط بالإمام الحسين عليه السلام ونهضته المباركة، على أمل ملاحظة الأُمور التالية:

- أن يكون البحث مرتبطاً باختصاص المجلّة وأركانها.
- ألّا يكون منشوراً أو بصدد النشر في كتاب أو مجلّة أو موقع إلكتروني.
- أن يحتوي على المنهجية العلمية المتّبعة (مقدّمة، محتوى، خاتمة، خلاصة، قائمة المصادر).
- أن يراعي الباحث أُصول البحث العلمي والتأليف.
- اعتماد اللغة العلمية الرصينة.
- أن يكون بحثاً مبتكراً فيه نوع من التجديد والإبداع.
- أن يحتوي البحث على نتائج وتطبيقات مهمّة ومثمرة.
- الاعتماد على المصادر الرئيسة في البحث قدر الإمكان.
- ترتيب المصادر المثبّتة في هوامش البحث بالطريقة التالية: (اللقب، الاسم، عنوان الكتاب: الجزء، الصفحة).
- المجلّة غير ملزَمة بنشر ما يقلّ عن (١٥) صفحة ويزيد على (٣٠) صفحة.
- كل (٢٥٠) كلمة تُحتسب صفحة واحدة.

تنويه

- يُسلَّم البحث على قرص ليزري حضورياً أو يُرسَل عن طريق البريد الإلكتروني للمجلّة مع السيرة الذاتية.
- يخضع البحث للتقويم العلمي من قِبل لجنة مختصّة.
- للمجلّة حقّ إعادة نشر البحث في كتاب أو ضمن كتاب منفصل، مع الحفاظ على نصّه الأصلي.
- لا يُعاد البحث إلى صاحبه نُشر أم لم يُنشَر.
- من صلاحيات المجلّة إجراء التعدّيلات اللازمة على المقال.
- يخضع ترتيب البحوث لاعتبارات فنّية.
- المجلّة تتّبع نظام المكافآت لأصحاب البحوث.
- حقوق النشر محفوظة.
- الأفكار المطروحة لا تعبِّر بالضرورة عن رأي المجلّة.

مراكز النشر

* النجف الأشـــرف: شـــارع الرســـول صلى الله عليه وآله ـ المعرض الدائم للعتبة الحســـينية المقدّسة.

* النجف الأشرف: الجديدة الثانية ـ مكتبة دار الهلال.

* النجف الأشرف: سوق الحويش ـ مكتبة دار الغدير.

* النجف الأشرف: سوق الحويش ـ المكتبة العلمية.

* كربلاء المقدّسة: المعرض الدائم في العتبة الحسينية المقدّسة.

* إيران/ قم المقدّســـة: شارع معلم ـ سوق ناشران ـ معرض العتبة الحسينية المقدّسة.

المحتويات

مقال التحرير

دراسة استراتيجية لنشر الفكر الحسيني في مواسم الزيارات.. زيارات الإمام الحسين عليه السلام أُنموذجاً

الشيخ صباح عبّاس الساعدي ١٣

ملف العدد

قراءات في زيارة الإمام الحسين عليه السلام (١)

زيارة الإمام الحسين عليه السلام.. دراسة في المفهوم الشرعي والعرفي للزيارة وآدابها

د. الشيخ أسعد السلمان ٣٧

التجليات العَقدية في زيارةِ الإمام الحسين عليه السلام

الشيخ حيدر العريضي ٧٣

الاعتبار السنَديّ لزيارات الناحية المقدّسة.. القسم الأوّل

محمد إحساني فر لنكرودي/ ترجمة: د. الشيخ ميثم الربيعي ١٠٩

الزيارة في دائرة المعارف الإسلامية.. القسم الأوّل

د. يوسف وليد مرعي/ ترجمة: الشيخ حيدر علي البهادلي ١٣٥

الأبعاد الدلالية والرمزية لزيارة الإمام الحسين عليه السلام

د. الشيخ عبد المجيد فرج الله ١٥٩

فلسفة التأكيد على زيارة الإمام الحسين عليه السلام في المناسبات الدينية

الشيخ عبد الرزاق النداوي ١٩٩

البُعد السنديّ والدلاليّ في زيارة الناحية المقدّسة

د. السيّد زين العابدين المقدّس الغريفي ٢٢٣

التوحيد في الزيارات الحُسينيّة من منظار لغوي

م. م. حسن جميل الرّبيعيّ ٢٦٥

الدعاء في زيارة عاشوراء.. قراءة في ضوء الأُسلوبية الصوتية.. القسم الأوّل

م. م. أحمد موفّق مهدي ٢٨٩

دراسات حسينية

أنماط الصورة الذهنية في المشهد الحسينيّ وأثرها في تشكيل الصورة السمعيّة

د. إسلام فاروق عيسى ٣١٧

مقالات ذات صلة بلمف العدد

مقالات ذات صلة بلمف العدد ٣٥١

خلاصة المقالات

خلاصة المقالات باللغة العربية والإنجليزية ٣٥٧

مقال التحرير

دراسة استراتيجية

لنشر الفكر الحسيني في مواسم الزيارات..

زيارات الإمام الحسين عليه السلام أُنموذجاً

دراسة استراتيجية لنشر الفكر الحسيني في مواسم الزيارات
(زيارات الإمام الحسين عليه السلام أُنموذجاً)

الشيخ صباح عبّاس الساعدي*

مقدّمة

إنّ النصوص الدينية ـ المرتبطة بزيارة المعصومين عليهم السلام ـ تطالعنا بمفردة من المفردات المهمّة، والتي تُعدّ شرطاً من الشروط الأساسية في حصول الزائر على الأجر والثواب في زيارة الأئمّة الأطهار عليهم السلام، وهذه المفردة هي المعرفة، أي: معرفة الإمام، أو ما عُبِّر عنه في بعض النصوص معرفة حقّ الإمام عليه السلام؛ إذ ورد في روايات زيارة أمير المؤمنين والإمام الحسين عليهما السلام التأكيد على التعبير التالي: «**مَن أتاه عارفاً بحقّه...**»[1]، وكذلك عندما نقرأ في نصوص الزيارات ونخاطبهم عليهم السلام بقولنا: «**أتيتك يا حبيب رسول الله وابن رسوله، وإنّي بك عارف، وبحقك مقرّ... عارف بالهدي الذي أنتم عليه...**»[2]، أو قولنا في الزيارة الجامعة: «**عارفاً بحقّكم، مستبصراً بشأنكم...**»[3].

بل هناك نصوص أُخرى كما في الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام: «**مَن أتى الكعبة فعرف من حقّنا وحرمتنا ما عرف من حقّها وحرمتها لم يخرج من مكّة إلّا وقد غُفر له**

---

* رئيس تحرير مجلّة الإصلاح الحسيني.

(١) الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتهجّد: ص٧١٥، وص٧١٦، وص٨٢٠.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٤، ص٥٧٥.

(٣) المفيد، محمد بن محمد، المزار: ص١٨٦. المشهدي، محمد بن جعفر، المزار: ص٥٦٢.

ذنوبه، وكفاه الله ما أهمّه من أمر دنياه وآخرته»[1]، فهذه النصوص وغيرها الكثير قد اشترطت المعرفة بهم وبحقِّهم.

والمراد من المعرفة ـ كما ذُكر في التفريق بينها وبين العلم ـ هو أنّ: «**المعرفة: قد تُقال فيما تُدرك آثاره، وإن لم يُدرك ذاته، والعلم لا يكاد يُقال إلّا فيما أُدرك ذاته. ولذا يُقال: فلان يعرف الله، ولا يُقال: يعلم الله، لما كانت معرفته - سبحانه - ليست إلّا بمعرفة آثاره دون معرفة ذاته...**»[2].

كما أنّ سرّ ارتقاء شهداء واقعة الطفّ إلى هذه المنزلة والمقام هو كونهم عارفين بإمامهم الحسين عليه السلام ومقامه، فمعرفتهم هي التي أوصلتهم إلى هذه المنزلة؛ كما ورد هذا المضمون في بعض الروايات التي تؤكِّد وقوفهم على الحقيقة التي لا تقبل الشك[3]؛ وكما يتجلّى ذلك في جوابهم للإمام الحسين عليه السلام حينما قال لهم: «**وهذا الليل قد غشيكم فاتّخذوه جملاً**»، فكان جواب أصحابه أن قام: «**مسلم بن عوسجة وقال: والله، لو علمت أنّي أُقتل ثمّ أُحيى ثمّ أُحرق ثمّ أُحيى ثمّ أُحرق ثمّ أُذرّى، يُفعل بي ذلك سبعين مرّة ما فارقتك حتّى ألقى حمامي من دونك!! وكيف لا أفعل ذلك؟! وإنّما هي قتلة واحدة ثمّ هي الكرامة التي لا انقضاء لها أبداً. وقام زهير بن القين رضي الله عنه، فقال: والله، لوددت أنّي قُتلت ثمّ نُشرت ثمّ قُتلت، حتّى أُقتل هكذا ألف مرّة، وأنّ الله يدفع بذلك القتل عن نفسك وعن أنفس هؤلاء الفتيان من أهل بيتك لفعلت. وتكلّم بعض أصحابه بكلام يشبه بعضه بعضاً في وجهٍ واحد، فجزّاهم الحسين عليه السلام خيراً**»[4].

---

(١) البرقي، أحمد بن محمد، المحاسن: ج١، ص٦٩.

(٢) أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله، الفروق اللغوية: ص٥٠٢.

(٣) روي عن أبي بصير أنّه قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام: من أين أصاب أصحاب عليّ ما أصابهم مع علمهم بمناياهم وبلاياهم؟ قال: فأجابني - شبه المغضب -: ممّن ذلك إلّا منهم؟! فقلت: ما يمنعك جعلت فداك؟ قال: ذلك باب أغلق إلّا أنّ الحسين بن علي (صلواتٌ عليهما) فتح منه شيئاً يسيراً. ثمّ قال: يا أبا محمد، إنّ أولئك كانت على أفواههم أوكية». الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج١، ص٢٦٥.

(٤) النيسابوري، الفتال، روضة الواعظين: ص١٨٣ـ ١٨٤.

وفي بعض المصادر أنّهم قالوا: «... **والله، لا نخليك حتّى يعلم الله أن قد حفظنا غيبة رسول الله**ﷺ **فيك...**»[1]، وقالوا أيضاً: «**لا والله، يابن رسول الله، لا نخليك أبداً حتّى يعلم الله أنّا قد حفظنا فيك وصية رسوله محمد**ﷺ...»[2]. ما يعني أنهّم أقدموا على القتل واختاروا ذلك عن معرفة ويقين بمنزلة الإمام الحسين عليه السلام ومقامه الإلهي، عارفين بوصية رسول الله ﷺ في حقّ أئمّتهم عليهم السلام. فكانوا يمتازون جميعاً بوقوفهم على الحقيقة الملموسة والمعرفة العميقة؛ كما يدلّنا على ذلك وصف الأعداء لهم بـ: (أهل البصائر)، ذلك التعبير الذي ورد في قول عمرو بن الحجاج الزبيدي حينما خاطب أصحابه قائلاً: «**ويلكم يا حمقى! مهلاً، أتدرون مَن تقاتلون؟! إنّما تقاتلون فرسان المصر، وأهل البصائر، وقوماً مستميتين...**»[3]، ذلك الوصف الذي يحمل في طيّاته دلالات واضحة على المعرفة القلبية واليقين الراسخ الذي حملهم على هذا القرار المصيري[4]، مع تنوعهم قَبَليّاً وجغرافياً.

إذاً؛ فالمعرفة أمر مصيري في تحديد المسير والاتجاه الذي يسلكه الإنسان، والتي من أهمّها الممارسات الدينية والأُمور العبادية التي يقوم بها المؤمنون.

وفي ضوء هذه النقطة المهمة نفهم معنى الروايات التي أكّدت على أفضلية العالم على العابد، وأهمّية العقل في حياة الإنسان ونيله الجزاء الأُخروي، كما في الرواية الواردة عن الإمام الباقر عليه السلام بقوله: «**عالم يُنتفع بعلمه أفضل من سبعين ألف عابد**»[5]، ونظائر هذه الرواية كثير جدّاً تبلغ حدّ التواتر، يجدها القارئ الكريم في أُمهات المصادر الحديثيّة المعتبرة والمهمة لدى المسلمين[6].

---

(١) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص٩٢.

(٢) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص٥٦.

(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص١٩.

(٤) أُنظر: شمس الدين، محمد مهدي، أنصار الحسين عليه السلام: ص١٨٩.

(٥) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج١، ص٣٣.

(٦) أُنظر: الصفار، محمد بن الحسن، بصائر الدرجات: ص٢٧. الكليني محمد بن يعقوب، الكافي:

ومن هنا؛ فإنّنا نرى أنّ من الضروري جدّاً العمل على رفع المستوى المعرفي لدى زائر الإمام الحسين عليه السلام لكي يترتّب الأثر المرجو من الزيارة، فضلاً عن ضرورة الإسهام في تحصينه أمام الشبهات والإشكالات التي تُثار حول نهضة الإمام الحسين عليه السلام وما يرتبط بها من جوانب معرفية وفكرية مهمة، بل كلّ ما يُثار حول الدين عموماً؛ ولأجل ذلك فقد سعينا لإيجاد آلية مقترحة ليتم اعتمادها في نشر الفكر الحسيني خلال موسم الزيارات التي تشهد تجمّعاً واسعاً من قِبل أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام؛ فكانت هذه الورقة التي أضعها بين أيدي الأساتذة الفضلاء والإخوة الباحثين الكرام والقرّاء المحترمين.

الموضوع: بعد أن قمنا بعرض بعض المقدمات التوضيحية ندخل في صلب موضوعنا المتعلّق بورقة العمل المقترحة، وهي تتكون من عدّة نقاط:

النقطة الأُولى: منشأ الفكرة لإقامة المشروع وأهدافه

١ـ منشأ الفكرة لإقامة المشروع

بعد تفكير وتأمّل مستديم ومداولة واسعة مع الأساتذة الفضلاء، ومناقشة معمّقة حول الأسئلة التالية:

١. ما هو الدور الذي يتحتّم على الجهات المعنية بشأن التجمّعات المليونية، والتي لا يمكن أن تتكرر في أي مناسبة أو مكان آخر؟

٢. ما هي الآليات التربوية والتعليمية التي تتناسب مع أجواء الزيارات والظروف التي يعيشها زائر الإمام الحسين عليه السلام؟

ج١، ص٣٠. الإحسائي، محمد بن علي، عوالي اللئالي: ج١، ص٣٥٨. الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن، سنن الدارمي: ج١، ص٨٨. ابن ماجة، محمد بن يزيد، سنن ابن ماجة: ج١، ص٨١. السجستاني، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داوود: ج٢، ص١٧٥. وغيرها من المصادر التي أوردت الروايات الدالّة على فضل العالِم على العابد.

٣. وهل هناك إمكانية لتطبيق الأفكار التي تُطرح من قِبَل العلماء والأساتذة وسائر المهتمين بالشأن الديني؟ أو أنّ الأجواء لا تسمح لنا بتطبيق أيّ محاولة إرشادية وتربوية.

ومن خلال المداولات المستمرّة والتأمّل في جوانب الموضوع، سعينا لكتابة دراسة استراتيجية لنشر الفكر الحسيني تتضمّن آلية نعتقد أنّها ستكون مفيدة ومثمرة في هذا المجال، وفي ضمن هذه الجولة التأمّلية أخذنا بالمقارنة والمقايسة بين بعض النشاطات والمشاريع التي أُعدّت من قِبل بعض الأقسام في العتبة الحسينية المقدّسة وغيرها من المراقد المشرّفة، وبين الفكرة التي عاشت في خلدنا لفترة طويلة من الزمن، وكنموذج للبرامج التي قمنا بمقايسة فكرتنا عليها نذكر البرنامج الذي يتضمّن قراءة القرآن والتوجيهات الدينية التي يتمّ بثّها قُبَيل أوقات الصلاة من العتبتين الحسينية والعباسية المقدّستين ـ والتي قد سارت على هذا النهج في الآونة الأخيرة العتبة العلويّة المقدّسة أيضاً ـ فلاحظنا أثناء سيرنا في مواسم الزيارات المليونيّة خلال السنين المتقدّمة وإلى هذه السنة أنّ كثيراً من المواكب والحسينيّات في طريق الزائرين يعتمدون بالدرجة الأساس على قراءة القرآن الكريم الذي يُبثّ من العتبة الحسينية المقدّسة، وكذلك الأذان الذي يُرفع من هذه البقعة الطاهرة، بل الملاحظ على مدار أيام السنة أنّ كثيراً من الناس في المساجد التي تُعنى ببثّ الأذان والأذكار اليومية تعتمد هذه البرامج التي يتمّ بثّها من العتبات المقدّسة، وكثيراً ما سمعنا من بعض المؤمنين: أنّ التوجيهات الدينية ساهمت في تعرّف الناس على المناسبات التي تمرّ عليهم، وكذلك الأعمال التي يستحب القيام بها في هذه المناسبات.

وخير شاهد على ما ذكرناه آنفاً هو: أنّ وسائل التواصل الاجتماعي تتداول بعض المقاطع الفيديويّة التي أُعدت في قناة كربلاء الفضائية، وتعتمدها في نشر الفكر الديني الهادف، كما في ليالي الجُمع حيث ينتشر المقطع المتضمن لفضل الصلاة على محمد وآل محمد. وغيرها من النماذج الأُخرى التي يطول المقام بذكرها.

فوجدت أنّ بالإمكان اغتنام هذه الفرصة والاستفادة من الأرضية الخصبة واستثمار هذه التجمّعات لتقديم برنامج ثقافي يتسلّح من خلاله الزائر فكريّاً ودينيّاً.

كما أنّ طرح هذه الورقة ضمن الملتقى الفصلي الخامس[1] يعود لعدّة أسباب أيضاً، وأهمّها:

١. إنّ تطبيق محتوى هذه الورقة بحاجة إلى فترة زمنية كافية، تُقدر من ستة إلى تسعة أشهر؛ ولكي نضمن سعة الوقت، فقد سعينا جاهدين إلى تقديم هذه الورقة في هذا الوقت المبكِّر نسبياً؛ تحسبّاً للظروف الطارئة في العمل.

٢. إنّ محتوى هذه الورقة يحتاج إلى تكاتف جهود من قِبَل جهات متعددة، سواء العلمية أم الإعلامية أم الإدارية والتنفيذية، فكلّ جهة من الجهات التي من المقرر أن تشترك في هذا المشروع لها محورية أساسية في إنجاحه، ومن دون هذه الجهود الاستثنائية سوف يُحكم على المشروع بالفشل. كما أنّ إنجاحه ـ في بعض فرضياته ـ بأمس الحاجة إلى تنسيقات موسّعة بين الجهات المعنية وبين أصحاب المواكب والحسينيات في طريق (يا حسين)، فضلاً عن الاجتماعات المكثفة والكثيرة التي يتوقف عليها إبرام التوافقات المسبقة، ناهيك عن الورشات التحضيرية التي نحتاجها مسبقاً.

٣. إنّني شخصياً أعتقد بضرورة الاستماع للآراء ووجهات النظر من قبل الإخوة الحاضرين لكي تكون الفكرة والمشروع أكثر نضجاً وقابلية للتطبيق؛ إذ مهما بلغت هذه الورقة فإنّها تبقى ورقة مقترحةً في بداية طريقها وقابلة للتطوير.

(١) كنا قد طرحنا هذه الورقة في الملتقى الفصلي الخامس ضمن سلسلة ملتقى (آفاق النهضة الحسينية)، والذي تقيمه مؤسّسة وارث الأنبياء للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية، ولذا فقد تمت الإشارة إلى المبررات التي دعتنا للمشاركة فيه لعرض محتوى ورقة العمل المرتبطة بهذه الدراسة.

٢ـ أهداف المشروع

ليس خافياً على أحد منّا ما تقدِّمه الجهات الدينية في داخل العراق وخارجه ـ فضلاً عن الجهود الفردية التي يقدّمها الموالون لأهل البيت عليهم السلام ـ إذ بذل الجميع قصارى جهدهم في سبيل تأمين المستلزمات المهمّة لإنجاح مراسيم زيارة الأربعين المباركة، وهذا الأمر لا يحتاج إلى برهنة ومثبتات للقرّاء الكرام والأساتذة الأفاضل، بعد أن لمسوا ذلك وعاشوا تفاصيل الزيارة المباركة، فتجد المبادرات الجادة من قِبل الجهات المعنية والتنسيقات المسبقة مع الجهات الأمنية لأجل تأمين سلامة الزائرين والمحافظة على أرواحهم وأجسادهم، كما يتمّ العمل على تأمين وسائل النقل من محافظاتهم وإليها ـ ذهاباً وإياباً ـ فضلاً عن المأكل والمشرب والمسكن وغيرها من الأُمور.

وكذلك تمّ العمل على الجانب الفكري والثقافي لتغذية الزائر روحياً من قِبل المؤسسات الدينية، فأُنشئت مشاريع مهمّة بجهود مشكورة من قِبل الحوزة العلمية في النجف الأشرف، فضلاً عن العتبات المقدّسة والمزارات الدينية، بل حتّى مؤسسات المجتمع المدني وغيرها، مهمّتها الأساس الارتقاء بوعي الزائر ورفع مستواه الفكري والثقافي والأخلاقي، وقد اتّبع القائمون على هذه المشاريع آليات وسبل جيدة كتكليف بعض رجال الدين لإقامة صلاة الجماعة في طرق الزائرين، وكذلك التصدّي للإجابة عن الأسئلة الشرعية والشبهات التي تُثار حول المسائل الدينية.

إلّا أنّ هذا لا يمنع من أن تبادر العتبة الحسينية المقدّسة ـ وهي المعنية بالدرجة الأُولى بهذه الزيارة؛ خصوصاً إذا أخذنا بنظر الاعتبار المشاريع العلمية والفكرية والثقافية التابعة لها، بالإضافة إلى كونها مؤسّسة دينية تحت خيمة المرجعية العليا في النجف الأشرف ـ إلى تقديم برنامج ومشروع منتظم يرفع من وعي الزائر وثقافته؛ ولذا نقترح هذا المشروع الذي يهدف إلى الأُمور التالية:

١. اغتنام الفرصة للاستفادة من هذه الجموع الغفيرة لزائري سيد الشهداء عليه السلام؛ للنهوض بالواقع الاجتماعي، ومعالجة المشاكل التي يعاني منها مجتمعنا المسلم بصورة عامة، فإنّ الجمهور الموالي يكون أكثر تقبّلاً فيما لو كان الخطاب مستنداً إلى نهضة الإمام الحسين عليه السلام، وهذا الشيء ملموس بوضوح في المواسم التبليغية؛ حيث يجتمع الناس حول المنبر الحسيني بأعداد ليس لها نظير في سائر التجمّعات، وما ذلك إلّا ببركة سيد الشهداء عليه السلام وانتساب القضايا الفكريّة والدينية التي يتمّ طرحها في المنبر إلى الإمام الحسين عليه السلام، ما يعني إمكانية العمل على نسق ذلك في موسم زيارة الأربعين، ولكن يتوقّف ذلك على كيفيّة توظيف المعلومة وعرضها لهذا الغرض بما يتناسب مع الظروف التي يعيشها أفراد تلك التجمعات.

٢. البرهنة على قابلية خطابات النهضة الحسينية وبياناتها وقدرتها على تغطية جميع جوانب الحياة البشرية، ورفدها بالنصوص التي تعالج المشاكل فيها، كما سوف يأتي في النماذج التي نذكرها للمشروع، على أنّ واحداً من مشاريع مؤسّسة وارث الأنبياء يصلح لأن يغطي جميع الجوانب العملية في هذه الورقة، فضلاً عن المشاريع الأُخرى في هذه المؤسّسة، فلو أخذنا مشروع الموسوعة العلمية من كلمات الإمام الحسين عليه السلام ـ والتي يصل عدد أجزائها إلى خمسين مجلداً ـ لوجدنا أنّه قد تناول العلوم المختلفة والمتنوعة التي تثري الساحة الفكرية بالمعلومات المستندة إلى الإمام الحسين عليه السلام.

٣. سدّ الطريق أمام المغرضين والمهرِّجين الذين يريدون إلغاء هذه المراسيم التي حفظت لنا الدين، وتمكنت في قلوب مجتمعاتنا خلال القرون الماضية؛ إذ نسمع من هنا وهناك بعض الأصوات الناشزة تضج وتهرِّج وتلقي باللوم على الجهات الدينية من جهة، ومن جهة أُخرى تسعى لإلغاء تلك الزيارات المليونيّة بذريعة أنّها تتسبب في أضرار اقتصادية وتعليمية وغير ذلك من

المبررات؛ فإذا قدّمنا البرامج التعليمية والتثقيفية الكافية سوف لا يبقى مجال لأولئك الذين يريدون إلغاءها.

٤. بغضّ النظر عن الإشكالية التي يثيرها المغرضون، والتي تقدّم ذكرها في النقطة السابقة، فإنّ التجمّع الذي يتواجد في هذه الزيارات لا يمكن أن يوجد في أيّ مكان آخر وفي أيّ زمان من الأزمنة؛ فمن الضروري جدّاً أن نستثمر ذلك ونغتنم الفرصة عن طريق تقديم برنامج فكري وثقافي يتناسب مع حجم هذا التواجد، ومن المتّفق عليه أنّ الظروف التي يكون فيها الزائر ـ أثناء سيره ومشيه على الأقدام ـ لا يتناسب معها إلّا تقديم المعلومة المسموعة أو المرئية؛ حيث لا يتمكن الجميع من القراءة، فضلاً عن الذين لا يجيدون القراءة أساساً.

٥. الاستفادة من الطرق العصرية الحديثة المسموعة والمرئية وكافة وسائل التواصل الاجتماعي التي ينجذب إليها الجيل المعاصر الذين يتواجدون في هذه المسيرة المباركة، والسعي جهد الإمكان لأن تكون مواكبة ومتناسبة مع عصرها في كلّ زمن من الأزمنة؛ إذ إنّ الوسائل الحديثة بجميع أنواعها وأشكالها أصبحت محلّ اهتمام الكثير على مدار السنة وفي أوقات كثيرة؛ فإنّ الإحصائيات رصدت أنّ أغلب الشباب ـ بل وكثيراً من غيرهم ـ يتفاعلون مع المسموع أو المرئي أكثر من المقروء والمطبوع بكثير، وهذا الشيء يحتّم علينا أن نستثمر هذا التواجد في المجالات المتاحة لنا، وأن يكون لنا حضور في جميع الأندية الفكرية والميادين الثقافية؛ فضلاً عن ضرورة اعتماد الآلية الملائمة لظروف الزائرين السائرين على الأقدام؛ حيث لا يتيسر له قراءة المكتوب أو مشاهدة المقاطع المرئية أثناء المسير، ويكون حاله يشبه سائقي المركبات؛ إذ إنّ وضعهم لا يسمح لهم بالمطالعة أو مشاهدة المقاطع المرئية، فتجدهم يلتجئون إلى البرامج المسموعة التي لا تؤثر على تركيزهم في مواصلة السير.

النقطة الثانية: عنوان المشروع والمادّة المعتمدة فيه

يمكننا تقديم هذا المشروع المقترح على مستوى التنظير في جهتين:

الجهة الأُولى: عنوان المشروع

أ. العناوين المقترحة

بما أنّ هذا المشروع يعتمد في طرحه بالدرجة الأساس على البيانات والخطابات المرتبطة في النهضة الحسينية، فيمكننا عنوَنة هذا البرنامج بأحد العناوين التالية:

١. في رحاب الإمام الحسين عليه السلام
٢. الخطاب الحسيني
٣. النداء الحسيني
٤. صدى الحسين
٥. الإصلاح الحسيني، وغير ذلك من العناوين التي نأمل أن يقدّمها الأساتذة الكرام.

ب. المادّة المعتمدة في المشروع

لا يختلف اثنان من أصحاب الشأن والإخوة المهتمّين بالقضية الحسينية في وفرة الثراء الفكري ـ في جميع المجالات المعرفية ـ الذي تتضمّنه البيانات والنصوص المرتبطة بالنهضة الحسينية، والتي صدرت عن الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه، بل وجميع ما يمتّ إلى النهضة الحسينية المباركة بصلة. فمن الضروري جدّاً أن نرسِّخ هذه البيانات ومداليلها ونتائجها في أذهان الزائرين الوافدين إلى الإمام الحسين عليه السلام؛ لأنّ العمل على ذلك يُسهم في معالجة كثير من مشاكلنا الاجتماعية ويرفع من وعي الجمهور، ويمكننا العمل في هذا المشروع وفق الآلية التالية:

١. العمل على تهيئة النصوص والأحاديث وجميع المعلومات المروية عن الإمام

الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه الشهداء؛ لغرض توظيفها والاستفادة منها ضمن هذا المشروع، وقد قامت مؤسّسة وارث الأنبياء، وفي جميع مشاريعها بإحصاء كمٍّ هائل من النصوص ضمن المشاريع التالية: (الموسوعة العلميّة من كلمات الإمام الحسين عليه السلام)، و(دائرة المعارف الحسينية)، و(موسوعة المقاتل الحسينية)، و(مجلّة الإصلاح الحسيني)، و(الرصد والإحصاء الحسيني)، فضلاً عن بقية المشاريع الأُخرى التي عملت على هذا الجانب بشكل واسع ضمن مؤلّفات وبحوث رصينة، الأمر الذي يختصر لنا كثيراً من الوقت في هذه النقطة.

٢. اختيار النصوص الواردة في حقِّ الإمام الحسين عليه السلام ونهضته المباركة عن النبي صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام، بل وسائر العلماء ومشاهير الفكر والمعرفة من المسلمين وغيرهم، وهي كثيرة جدّاً، سواء أكانت شعراً أم نثراً، ويطول المقام بذكرها هنا.

٣. اختيار عناوين عامّة للمواد التي يراد طرحها في هذا المشروع، لتكون أكثر تأثيراً؛ كأن نختار للمعلومة القرآنية عنواناً عامّاً (الحسين والقرآن). وللأدعية (المناجاة الحسينية) وهكذا، لكي يتعرّف الزائر على نوع المعلومة التي يتلقّاها في البرنامج، وهل هي من أُصول الدين أو فروعه أو من المسائل الأخلاقية؟

٤. العمل على إجراء لقاءات مع شخصيات علميّة، يتمّ من خلالها تناول المسائل المهمّة والمؤثرة في الساحة الفكريّة؛ ليتمّ بثّ ذلك في أوقات متفرِّقة أيام مواسم الزيارات.

٥. اعتماد آلية ذكر المعلومات الحسينية ضمن نشرة أخبار منتظمة.

٦. اختيار الأناشيد والقصائد الحسينية الهادفة التي تُراعى فيها الموازين الشرعية والسلامة الفكرية، ليتمّ بثّها في الفواصل بين معلومة وأُخرى.

ج ـ نماذج المادّة العلمية للمشروع

إذا أردنا أن نعطي صورة تطبيقية لهذا المشروع فيمكننا أن نذكر بعض النماذج والأمثلة التي يمكن تقديمها ضمن البرنامج المقترح، وهذه النماذج هي:

١ـ الثقة بالله والتوكّل عليه

إذا أردنا الحديث عن التوحيد في الربوبية والذي يتجلّى في بعض جوانبه بمفردة: (الثقة بالله) أو: (التوكّل على الله)، فإنّنا نجد أمامنا نصوصاً كثيرة عن الإمام الحسين عليه السلام وبقية شهداء الطفّ، كما في قوله عليه السلام لعياله عند الوداع: «... **واعلمو أنّ الله تعالى حاميكم وحافظكم، وسينجيكم من شرّ الأعداء، ويجعل عاقبة أمركم إلى خير، ويعذب عدوكم بأنواع العذاب، ويعوضكم عن هذه البلية بأنواع النعم والكرامة، فلا تشكوا، ولا تقولوا بألسنتكم ما يُنقص من قدركم**»[1]، فمع كونه عليه السلام في أحلك الظروف ومع علمه بعدم مراعاة الأعداء للقيم الإنسانية، إلّا أنّ ذلك لم يزعزع ثقته بالله عزّ وجلّ؛ فمن خلال توظيف هذا النصّ وأمثاله يمكننا أن نجعله مادّة نافعة لترسيخ هذا المبدأ في نفوس الناس، وبطرق وآليات مختلفة.

٢ـ مراقبة النفس والورع والتقوى

وهكذا فيما لو اخترنا الحديث عن مفردة أخلاقية مهمّة في حياة الفرد والمجتمع، وهي مفردة: (مراقبة النفس)، أو مفردة (وأما تقوى الله)، فيمثُل أمامنا قوله عليه السلام: «**إِيّاكَ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَخافُ عَلَى الْعِبادِ مِنْ ذُنُوبِهِمْ، وَيَأْمَنُ الْعُقُوبَةَ مِنْ ذَنْبِهِ، فَإِنَّ اللهَ تَبارَكَ وَتَعالى لا يُخْدَعُ عَنْ جَنَّتِهِ وَلا يُنالُ ما عِنْدَهُ إِلّا بِطاعَتِهِ إِنْ شاءَ اللهُ**»[2]. أو قوله عليه السلام: «**أُوصيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ، إِنَّ اللهَ قَدْ ضَمِنَ لِمَنْ اتَّقاهُ أَنْ يُحَوِّلَهُ عَمّا يَكْرَهُ إِلى ما يُحِبّ، وَيَرْزُقَهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ**»[3].

---

(١) المقرّم، عبد الرزاق، مقتل الحسين: ص٢٩٠.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٧٥، ص١٢١.

(٣) المصدر السابق.

٣ـ إقامة الصلاة والمحافظة عليها

ولو أردنا أن نتحدّث عن موضوع من الموضوعات المرتبطة بالفروع الدينية وأخذنا مفردة الصلاة وأهمّيتها في حياة الفرد المسلم ـ كنموذجٍ على ذلك ـ لوجدنا المساحة الكبيرة التي تشغلها هذه المفردة في حياة الإمام الحسين عليه السلام؛ إذ يَمْثُل أمامنا قوله عليه السلام لأخيه أبي الفضل العباس عليه السلام: «**ارجع إليهم، فإن استطعت أن تؤخرهم إلى الغدوة وتدفعهم عنّا العشية، لعلّنا نصلّي لربّنا الليلة وندعوه ونستغفره، فهو يعلم أنّي قد أحبّ الصلاة له وتلاوة كتابه والدعاء والاستغفار**»[١]. ليتمّ الحديث عنه كعيِّنة لمواظبته على الصلاة وحفظها، أو قول أبي ثمامة الصائدي: «**يا أبا عبد الله، نفسي لك الفداء إنّي أرى هؤلاء قد اقتربوا منك، ولا والله، لا تُقتل حتّى أُقتل دونك إن شاء الله، وأحبّ أن ألقى ربّي وقد صلّيت هذه الصلاة التي قد دنا وقتها. قال: فرفع الحسين رأسه، ثمّ قال: ذكرتَ الصلاة! جعلك الله من المصلّين الذاكرين، نعم هذا أوّل وقتها. ثمّ قال: سلوهم أن يكفّوا عنّا حتّى نصلّي**»[٢]. كما أنّ بالإمكان الاستعانة بنصوص الزيارات الواردة في حقِّه لبيان معنى إقامة الصلاة وحقيقتها، كما في قوله عليه السلام: «**أشهد أنّك قد أقمت الصلاة وآتيت الزكاة...**»[٣]، والتي وردت في كثير من النصوص التي خاطبت الإمام الحسين عليه السلام أثناء الزيارة.

٤ـ دور الزيارة في الإثراء المعرفي لدى الزائرين

ولكي نتمكّن من تشجيع الفرد المسلم على زيارة سيد الشهداء ومواصلته في إحياء هذه المراسيم المهمّة، كي يبقى المؤمن سائراً على هذا النهج، منتهلاً من النبع الصافي في رحاب أبي عبد الله عليه السلام.. فلا يسعنا الاستغناء عن النصوص الحسينية التي

(١) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص٩١.
(٢) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري: ج٤، ص٣٣٤.
(٣) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص٣٧٨.

تبيِّن الأثر الذي تتركه هذه الرحلة العبادية في روحية الزائر، كما في الروايات التي تتحدّث عن الأبعاد المعنوية والجوانب الغيبيّة في زيارته عليه السلام[1]، فضلاً عن الأبعاد المعرفية والحقائق الإلهية التي يتلو مضامينها ويرتِّل مفرداتها في نصوص الزيارات، كما في قول الزائر عند قبر الإمام الحسين عليه السلام: «**اللّهم إنّ هذا مقام أكرمتني به وشرفتني به، اللّهم فأعطني فيه رغبتي على حقيقة إيماني بك وبرسلك... سبحان الذي سبّح له الملك والملكوت، وقدّست بأسمائه جميع خلقه، وسبحان الملك القدوس ربّ الملائكة والروح، اللّهم اكتبني في وفدك إلى خير بقاعك...**»[2].

٥ـ نشر علوم أهل البيت عليهم السلام

كما أنّنا لو أردنا الحديث عن أهمّية العلم ونشره فأحد النصوص التي يمكننا توظيفها هي قوله عليه السلام: «**مَن كفل لنا يتيماً قطعتهُ عنّا محنتنا باستتارنا، فواساهُ من علومنا التي سقطتْ إليه حتّى أرشدهُ وهداهُ، قالَ اللهُ عزّ وجلّ له: يا أيّها العبد الكريم المواسي لأخيه، إنّي أوْلى بالكرم منك، اجعلوا له ـ يا ملائكتي في الجنان ـ بعدد كلّ حرف علّمه ألفَ ألفَ قصر، وضمّوا إليها ما يليق بها من سائر النعم**»[3].

٦ـ التكافل الاجتماعي وقضاء حوائج الناس

وفيما يخص قضاء حوائج الإخوان، فعلى سبيل المثال: يمكننا توظيف قوله عليه السلام: «**مَن نفّس كربة مؤمن فرَّج الله عنه كَرْبَ الدنيا والآخرة، ومَن أحسن أحسن الله إليهِ، والله يحبّ المحسنين**»[4].

---

(١) أُنظر: المصدر السابق: ص٣٥٨.
(٢) المصدر السابق.
(٣) الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، الفصول المهمة في معرفة الأئمة: ج١، ص٦٠١.
(٤) الإربلي، علي، كشف الغمة في معرفة الأئمّة: ج٢، ص٢٤٠.

الجهة الثانية: تقسيم المعلومة وتحديد الأوقات اللازمة لها

يفترض أن يتمّ العمل المسبق من قِبَل الإخوة القائمين على المشروع لغرض اختيار المعلومات المهمّة والنافعة والمؤثرة كذلك في نفوس الزائرين، ويراعى في ذلك الأُمور التالية:

١. أن يكون البرنامج عبارة عن ستّ ساعات في كلّ يوم، الثلاثة الأُولى في الساعات الصباحية، والثلاثة الأُخرى في الساعات المسائية.

٢. أن تكون المعلومات قصيرة جدّاً، بأن لا تتجاوز المعلومة الواحدة أكثر من دقيقة أو دقيقتين. مع إمكان أن يتمّ بعد كلّ معلومة ـ مباشرة ـ طرح بعض المعلومات الأُخرى، سواء أكانت تحت عنوانها أو عنوان آخر مختلف عن المعلومة السابقة عليها.

٣. اعتماد الفواصل الزمنية التي تتخلل بين معلومة وأُخرى.

٤. الاستفادة من هذه الفواصل لبثّ القصائد الحسينية الهادفة والأشعار المؤثرة في تشجيع الزائرين على مواصلة هذه المسيرة؛ إذ لهذا الجانب دور كبير في حفظ الجذوة الإيمانية والارتباط الروحي بالإمام الحسين عليه السلام في نفوس المؤمنين.

أُمور مهمة

وفي نهاية هذه الجهة ننوه إلى أُمور مهمة:

١. يتمّ العمل على اختيار لجنة علمية مختصّة لجمع النصوص والبيانات التي يُراد طرحها في هذا المشروع، وتصنيفها إلى أصناف متنوعة تحت عناوين دينية وأخلاقيّة وفكريّة... لكي يتمّ اعتمادها في هذا البرنامج.

٢. السعي إلى صياغة نصوص المادّة المطروحة بأُسلوب يتماشى مع المتطلبات الإعلامية الحديثة، وقد يتطلّب منّا هذا الأمر الاستعانة بكوادر متخصصة في هذا المجال أو إشراكهم في هذا المشروع.

٣. الحرص على أن يكون الأداء والإلقاء بطريقة تتناسب مع المناسبة وأجوائها الحزينة لضمان تأثيرها في نفوس الزائرين.

٤. في حال تمّ التنسيق مع أصحاب المواكب لبثّ هذا المشروع بشكل منتظم ـ كما سوف يأتي في الآليات المقترحة لتنفيذ المشروع ـ فلا بدّ من فسح المجال في بعض الأوقات المحددة لتكون باختيار أصحاب المواكب الحسينية؛ كي لا يشعروا بتقييد حرياتهم في المواد التي يُراد بثّها في أماكنهم الخاصّة.

٥. إعداد ورقة استبيان تتضمّن أهمّ الجوانب الرئيسة في هذا المشروع للتعرّف على وجهات النظر المتعددة، فيطلب من خلالها إبداء الرأي بالمشروع وعنوانه والمعلومة التي يُراد نشرها من خلاله، وآليات العمل التي رُسمت من قِبَل القائمين عليه، ويتمّ توزيع هذه الورقة قبل البدء بالمشروع على النخب والمختصين، كما يتمّ توزيعها على الزائرين أيام المسيرة الحسينية.

النقطة الثالثة: الآليات المقترحة لتنفيذ المشروع

هناك عدّة طروحات ومقترحات لتنفيذ هذا المشروع خلال فترة الزيارات الدينية عموماً، وفي زيارة الأربعين على وجه التحديد، وهي:

الطرح الأول: تبنّي العتبة الحسينية المقدّسة لهذا المشروع بشكل مستقل

لعلّ الأضمن لنجاح هذا المشروع أن تقوم العتبة الحسينية بتولّي هذه المهمّة وتبنّي هذا المشروع على نحو الاستقلال، وهو ليس بالأمر الصعب؛ إذ لا يتطلّب صرفيات كثيرة من جهة، ومن جهة أُخرى فإنّ كوادرها العلميّة والفنّية والإعلامية المتواجدة في أقسام العتبة المقدّسة قادرة على إنجاحه، ومن دون الحاجة إلى الاستعانة بكوادر جديدة. فيستمرّ العمل بهذا المشروع بشكل مستقلّ إلى أن يأخذ أصداءه بشكل تلقائي وعفوي بين أصحاب المواكب والحسينيّات، ويتمّ اعتماده ولو بنسبة ما من قِبَلِهم، كما هو الحال في الأُمور التي تمّت الإشارة إليها فيما سبق ـ أي: قراءة

القرآن الكريم والتوجيهات الدينية والأذان الذي يتمّ بثّه في العتبات المقدّسة ـ وهذا الطرح يتطلّب مراعاة الأُمور التالية:

١. اعتماد البثّ المباشر أو التسجيل المسبق من خلال إذاعة الروضة الحسينية، أو تخصيص غرفة عمليات، يتمّ من خلالها إدارة بثّ المشروع.

٢. تخصيص مبلغ ليس بالكثير لشراء أجهزة المكبرات الصوتية ونصبها على الأعمدة الكائنة في طريق الزائرين. أو في مدينة كربلاء المقدّسة فضلاً عن الأماكن التابعة للعتبة الحسينية المقدّسة في خارج المدينة، على أن يتمّ توزيعها بشكل مدروس ومنتظم.

٣. الاستعانة بكادر فني متخصص في مجال الهندسة الصوتية؛ لغرض دراسة الأُمور اللازمة لتنصيب الأجهزة الصوتية التي نحتاجها في المشروع.

٤. الحرص على عدم تشويش الصوتيات المخصّصة للمشروع على الصوتيات المنصوبة في المواكب والحسينيات.

الطرح الثاني: العمل المشترك بين العتبة الحسينية المقدّسة والمواكب الحسينية

مضافاً إلى ما ذُكر في النقطة الأُولى والطرح السابق ـ أي: البثّ عن طريق إذاعة الروضة الحسينية، أو تخصيص غرفة عمليات لهذا الغرض ـ فيمكننا أن نعتمد التنسيق المسبق مع أصحاب المواكب والحسينيّات الكائنة في طريق الزائرين ليتمّ اعتماد البرنامج آنف الذكر في مكبراتهم الصوتية، مع الأخذ بنظر الاعتبار العمل على الأُمور التالية:

١. إقامة ملتقيات تثقيفيّة متعددة لأصحاب المواكب والحسينيّات، وعرض المشروع عليهم، وبيان أهدافه والنتائج المتوخاة منه؛ ليكون محلّ اهتمامهم، فيجعل من ذلك حافزاً لاعتماد المشروع وبثّه من خلال المكبرات الصوتية في حسينياتهم عن طريق (*FM*).

٢. العمل على كتابة وثيقة عمل بين الجهات المشرِفة على المواكب الحسينية وبين العتبة الحسينية المقدّسة لغرض الاستفادة من هذا المشروع وعدم التسبب فيما يكون عائقاً أمام تنفيذه في مواسم الزيارات.
٣. تأمين الأُمور اللازمة لهذا المشروع، كالترويج المسبق له والإعلان عنه، وعقد اجتماعات متكررة بين الجهات المعنية بهذا الشأن، وغير ذلك من الأُمور.

النقطة الرابعة: الجهات التنفيذية للمشروع

من الواضح أنّ نجاح هذا المشروع في مرحلة التنفيذ ليس بالأمر السهل اليسير؛ إذ يحتاج في هذه المرحلة إلى تضافر جهود استثنائية وجدّية فائقة من قِبَل المتبنّين له، وأنا شخصياً أقترح أن تتبنّى تنفيذ محتوى هذه الورقة الجهات التالية:

الجهة الأُولى: مؤسّسة وارث الأنبياء للدراسات التخصصيّة في النهضة الحسينية

إذ يمكننا الاعتماد على هذه المؤسّسة بشكل أساسي في تهيئة المعلومة وإعدادها؛ لكي يتمّ العمل على نشرها وترويجها في مواسم الزيارات.. ويُناط العمل بهذه المؤسّسة من حيث وفرة المعلومة الحسينية فيها، ووجود الكادر الكفوء لاختيار الشيء المناسب من بين الكم الهائل من المعلومات المتوفرة لديهم، والذي ينسجم مع الأجواء والمتلقي بشكل خاص.

الجهة الثانية: إذاعة الروضة الحسينية المقدّسة

فهذه الإذاعة المباركة هي المعنية بالدرجة الأُولى بتنفيذ هذا المشروع؛ لما لها من أصداء ومعروفية تساهم في الوثوق بالمشروع من قِبَل أكبر عدد ممكن من الزائرين، كما أنّ لديها الكادر الكفوء الذي تُناط بهم الأُمور الفنّية والبرمجية بشكل أساس.

الجهة الثالثة: قسم المواكب والهيئات الحسينية

فإنّ التنسيق مع أصحاب المواكب الحسينية وتعريفهم بالمشروع ـ بل وإشراكهم

في نشره وتسويقه ـ من الأُمور المهمة جدّاً؛ سواء أكانت المواكب متواجدة في مدينة كربلاء المقدّسة أو في خارجها؛ ولا يقتصر هذا التنسيق على الفترة التي تكون قُبيل أو أثناء الزيارة فقط، بل تبدأ هذه المهمّة من فترة زمنية مبكرة، يتمّ من خلالها دعوة أصحاب المواكب والهيئات الحسينية لعقد ملتقيات مسبقة.

ملاحظات مهمة

وفي ختام هذه الورقة المتواضعة نذكر جملة من الملاحظات:

١. لا بدّ لنا من عرض هذه الورقة على سماحة المتولي الشرعي (دام عِزّه)، والأمين العام للعتبة الحسينية المقدّسة (دامت توفيقاته)، وسائر أعضاء مجلس الإدارة الموقرة للحصول على مباركتهم وتأييدهم لهذا المشروع الاستراتيجي.

٢. قد يواجه هذا المشروع في بداياته أو في مواسمه الأُولى بعض الصعوبات، وقد لا يلقى رواجاً لأوّل وهلة، إلّا أنّ المتوقّع ومع مرور الزمن أن تصل أصداؤه لجميع أنحاء العالم، وسوف يُعتمد عليه في جميع مفاصل الزيارات الحسينية، وهذا رهين بحسن تدبير القائمين عليه وكيفيّة تسويقه إلى الزائرين.

٣. أكرر للأساتذة القرّاء الكرام أنّ هذه الورقة قابلة للتطوير من خلال المقترحات البناءة التي يتمّ تقديمها، ولهذا الغرض تمّ طرحها في ملتقى (آفاق النهضة الحسينية)، ونشرها في مجلة الإصلاح الحسيني، والمرجو من الجميع أن يتفضلوا علينا بما تجود به قرائحهم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على محمد وآله الطاهرين.

المصادر والمراجع

١ ـ الإرشاد، محمد بن محمد المفيد (ت٣١٤هـ)، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.

٢ ـ أنصار الحسين عليه السلام، محمد مهدي شمس الدين (ت٢٠٠١م)، الدار الإسلامية، الطبعة الثانية، ١٩٨١م.
٣ ـ بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي (ت١١١١هـ)، مؤسّسة الوفاء، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.
٤ ـ بصائر الدرجات، محمد بن الحسن الصفار (ت٢٩٠هـ)، الأعلمي، طهران ـ إيران، ١٤٠٤هـ.
٥ ـ تاريخ الطبري، محمد بن جرير الطبري (٣١٠هـ)، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.
٦ ـ روضة الواعظين، محمد بن الفتّال النيسابوري (ت٥٠٨هـ)، الشريف الرضي، إيران ـ قم المقدّسة.
٧ ـ سنن ابن ماجة، محمد بن يزيد القزويني المعروف بابن ماجة (ت٢٧٣هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
٨ ـ سنن أبي داوود، سليمان بن الأشعث السجستاني (ت٢٧٥هـ)، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، الطبعة الأُولى، ١٩٩٠م.
٩ ـ سنن الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي (ت٢٥٥هـ)، مطبعة الاعتدال، ١٣٤٩هـ.
١٠ ـ عوالي اللئالي، محمد بن علي المعروف بابن أبي جمهور الإحسائي، مطبعة سيد الشهداء، قم ـ إيران ، الطبعة الثالثة، ١٩٨٣م.
١١ ـ الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري (ت٣٩٥هـ)، مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم ـ إيران، الطبعة الأُولى، ١٤١٢هـ.
١٢ ـ الفصول المهمة في معرفة الأئمة، محمد بن الحسن الحرّ العاملي (ت١١٠٤هـ)، دار الحديث للطباعة والنشر، قم المقدّسة ـ إيران، الطبعة الأُولى، ١٤٢٢هـ.
١٣ ـ الكافي، محمد بن يعقوب الكليني (ت٣٢٩هـ)، دار الكتب الإسلامية، طهران ـ إيران، الطبعة الخامسة، ١٣٦٣هـ ش.

١٤ ـ كامل الزيارات، جعفر بن محمد ابن قولويه (ت٣٦٧هـ)، مؤسّسة نشر الفقاهة، الطبعة الأُولى، ١٤١٧هـ.
١٥ ـ كشف الغمة في معرفة الأئمة، علي الإربلي (ت٦٩٣هـ)، دار الأضواء، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثالثة، ١٩٨٥م.
١٦ ـ اللهوف في قتلى الطفوف، علي بن موسى بن طاووس (ت٦٦٤هـ)، أنوار الهدى، قم، الطبعة الأُولى، ١٤١٧هـ.
١٧ ـ المحاسن، أحمد بن محمد بن خالد البرقي (ت٤٧٢هـ)، دار الكتب الإسلامية، طهران ـ إيران، ١٣٧٠هـ.
١٨ ـ المزار، محمد بن جعفر المشهدي، نشر القيوم، قم ـ إيران، الطبعة الأُولى، ١٤١٩هـ.
١٩ ـ المزار، محمد بن محمد المفيد (ت٤١٣هـ)، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٩٣م. .
٢٠ ـ مصباح المتهجّد، محمد بن الحسن الطوسي (ت٤٦٠هـ)، مؤسّسة فقه الشيعة، الطبعة الأُولى، ١٩٩١م.
٢١ ـ مقتل الحسين، عبد الرزاق المقرم (ت١٣٩١هـ)، مؤسّسة النور للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى، ١٤٢٣هـ.

ملفُ العدد

قراءات في زيارة الإمام الحسين (١)

- زيارة الإمام الحسين ﷺ.. دراسة في المفهوم الشرعي والعرفي للزيارة وآدابها
- التجليَاتُ العقدية في زيارة الإمام الحسين ﷺ
- الاعتبار السنَديّ لزيارات الناحية المقدّسة.. [القسم الأوّل]
- الزيارة في دائرة المعارف الإسلاميّة.. القسم الأوّل
- الأبعاد الدلالية والرمزية لزيارة الإمام الحسين ﷺ
- فلسفة التأكيد على زيارة الإمام الحسين ﷺ في المناسبات الدينية
- البُعد السنديّ والدلاليّ في زيارة الناحية المقدّسة
- التّوحيد في الزّيارات الحُسينيّة من منظار لغويّ
- الدعاء في زيارة عاشوراء.. قراءة في ضوء الأُسلوبية الصوتية.. القسم الأوّل

زيارة الإمام الحسين عليه السلام
دراسة في المفهوم الشرعي والعرفي للزيارة وآدابها

د. الشيخ أسعد السلمان*

مقدّمة

إنّ المنظومة الدينية سواء كانت على مستوى الفكر أو السلوك تحاول في مجالات متعدّدة إيجاد حالة من التلاقي بين عالمين مختلفين، هما: العالم المنظور والعالم الميتافيزيقي؛ فالإنسان الدنيوي قد ينشغل وهو يعيش في غمرة المادّيات عن الالتفات إلى حاجته الفطرية التي تدعوه إلى ضرورة الارتباط بخالقه ومدبّر شؤونه، ومع عدم تلبية هذه الحاجة فإنّ هذا الكائن سيصبح كالآلة التي تعمل بلا مشاعر أو أحاسيس، وإذا ضممنا إلى ذلك الاستعداد التخريبي الذي يحمله بفعل هوى نفسه الأمّارة وإغواء الشيطان له، فإنّه سيكون مصدراً للإفساد وسفك الدماء في هذه الأرض.

إنّ هذه الوظيفة التي يؤدّيها الدين لها عدّة تمظهرات، منها عبادات بدنية تؤدّى بشكل يومي كالصلاة، أو تؤدّى في السَّنة مرّة واحدة كصيام شهر رمضان، ومنها عبادات مالية كالزكاة والخمس، ومنها ربط المسلم بمَن سبقه من الذين حملوا نشر تعاليم هذا الدين الحنيف والمحافظة عليه؛ وذلك ليبقى ـ هذا المسلم ـ متمسّكاً بعرى هذا الدين ومطبّقاً لتعاليمه، ومن المجالات التي اشتملت على هذه الحالة هي زيارة مراقد الأولياء والصالحين، وقد برزت هذه الحالة بشكل جلي في الفكر الشيعي الذي سعى ـ من خلال الاعتماد على النصوص الشرعية ـ إلى ربط أتباعه بالنبي صلى الله عليه وآله وآل بيته البررة عليهم السلام؛

---

* باحث إسلامي وأُستاذ في جامعة المصطفى صلى الله عليه وآله العالمية، من العراق.

بغية تأمين الضمانات التي تمنع من وقوع الانحراف الذي تُمنى به ـ في الأعمّ الأغلب ـ سائر الدعوات الأُخرى، وضعية كانت أو دينية؛ وعليه فجعل هذا الفكر أتباعه يعيشون حالة الامتداد الروحي من زمن حياة أئمتهم عليهم السلام إلى ما يليه من خلال مَعلَم ديني هو تعاهد قبورهم وزيارتها باستمرار، كان من أبرز النجاحات التي حقّقها المذهب الشيعي على مرّ التاريخ، والتي ضمنت له نصرة أتباعه في أحلك الظروف وأشدّها.

ومن أبرز مصاديق الزيارة الذي أكّدته النصوص الروائية هو زيارة مرقد المولى أبي عبد الله الحسين عليه السلام؛ والسبب يعود إلى كون الشخص الذي يعيش أجواء النهضة الحسينية المباركة يعي تماماً أنّ هذه الحركة التغييرية والإصلاحية كانت من أجل الحفاظ على بيضة الدين الإسلامي، ولا يبذل المتابع جهداً للوصول إلى هذه الحقيقة، فبمراجعة بسيطة للنصوص المنقولة عن قائد هذه النهضة (الإمام الحسين عليه السلام) يقف على مدى حرصه وتفانيه من أجل الدفاع عن الإسلام عقيدة وسلوكاً، فقد قال عليه السلام مخاطباً مروان بن الحكم عندما طلب منه البيعة ليزيد: «**إنّا لله وإنّا إليه راجعون، وعلى الإسلام السلام، إذ قد بُليت الأُمّة براعٍ مثل يزيد**»[1]. وقال عليه السلام أيضاً في وصيّته التي كتبها إلى بني هاشم عن طريق أخيه محمد بن الحنفية: «**وأنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً، ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أُمّة جدّي، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدّي وأبي علي بن أبي طالب عليهما السلام**»[2].

ولم يقف الإمام عليه السلام على مستوى طرح الشعارات فقط، بل جسّدها كواقع عملي من خلال التضحيات الجسام التي قدّمها هو ومَن معه على عرصات كربلاء في ذلك اليوم الدموي الذي قلّ نظيره في تاريخ البشرية، والذي يحتّم على كلّ مَن سار على نهج أهل البيت عليهم السلام أو كان محبّاً لهم ومؤمناً بمودّتهم لقربهم من رسول الله صلى الله عليه وآله، أن

(١) البحراني، عبد الله، العوالم (الإمام الحسين عليه السلام): ص١٧٥.
(٢) المصدر السابق: ص١٧٩.

ينصر الإمام، بل ينصر الإسلام. وهذه النصرة لا تتوقّف على معاصرة أحداث واقعة الطفّ، بل تمتدّ ما دام هناك خطر يداهم هذا الدين الحنيف، وما دام هناك أُناس حريصون على بقائه ناصعاً بعيداً عن أيّ أنواع التزييف والتشويه، فالوقوف على قبره الشريف هو بمثابة تجديد البيعة له ولنهجه.

ومن هنا؛ نجد الحثّ الكبير من قبل أئمّة أهل البيت عليهم السلام على ضرورة أداء هذه الزيارة وعدم تركها، وفي مقابل ذلك نرى السعي الحثيث الذي يبذله الطغاة والجبابرة والمغرضون من أجل محَق هذه الشعيرة أو تضعيفها في نفوس الناس بواسطة إثارة الإشكالات حولها. لكن هيهات هيهات من أن يغلب صوت الباطل ما دامت هذه القبّة الذهبية المتلألئة في كربلاء ـ وكذلك سائر القبب الأُخرى لهم عليهم السلام ـ مناراً يضيء دروب السالكين، وسبيلاً أُرغمت وستُرغم فيه أنوف جميع جحدة الحقّ وأعداء إقامة العدالة بين البشر.

هذا، وإنّنا في هذا المقال بصدد تبيين المراد من هذه الشعيرة على المستويين الشرعي والعرفي، ساعين من وراء ذلك إلى إخضاع الأداء الصادر من عامّة الناس عند زيارتهم للأُطر الشرعية المفادة من آيات الكتاب العزيز والروايات الشريفة. وبضميمة ما سنذكره من آداب لهذه الشعيرة المقدّسة، فإنّنا سنبيّن بأنّ الزائر لهذه الروضة المباركة يمتلك حالة روحية معنوية تجعله في مصافّ أنصار الإمام عليه السلام، مضافاً إلى ما يترشّح منها من إرادة قوية تُعينه على تقوية رصيده الديني على المستويين العقدي والسلوكي. والأهمّ من ذلك فإنّ التحديد الشرعي لأُطر الارتباط بالمقدّس والكيفية التي ينبغي أن يكون عليها الإنسان في المقام، لهو الضامن الحقيقي لإيجاد حالة التلاقي ـ المشار إليها ـ بين العالـمَين: المنظور والميتافيزيقي، والتي تبتعد عن كلّ مظاهر الانحراف عن الجادة المستقيمة للوصول إلى الحقّ تعالى اسمه.

هذا، ومع ملاحظة عنوان المقال مورد البحث والتحقيق فإنّ حديثنا سوف يكون في جهتين أساسيتين:

الجهة الأُولى: المفهوم العرفي والشرعي لزيارة الإمام الحسين عليه السلام

أوّلاً: الزيارة لغة

قال الخليل بن أحمد: «**الزور: ميل في وسط الصدر... ومفازة زوراء، أي: مائلة عن القصد والسمت. والأزور: الذي ينظر إليك بمؤخّر عينه**»(١). وقال في الصحاح: «**الزور: الكذب... والزوير: زعيم القوم... والزور بالتحريك: الميل... والإزوار عن الشيء: العدول عنه... وتزاوروا: زار بعضهم بعضاً**»(٢). أمّا ابن فارس فقد أجاد في بيانه لمعنى هذه المادّة وذلك بجمعها في أصل واحد قائلاً: «**الزاء والواو والراء أصل واحد يدلّ على الميل والعدول، من ذلك الزور الكذب؛ لأنّه مائل عن طريقة الحقّ... ومن الباب الزائر لأنّه إذ زارك فقد عدل عن غيرك، ثمّ يحمل على هذا فيقال لرئيس القوم وصاحب أمرهم: الزوير؛ وذلك أنهم يعدلون عن كلّ أحد إليه**»(٣).

إذاً؛ فالميل نحو المزور والعدول عن غيره مأخوذ في المعنى اللغوي لمصطلح الزيارة.

ثانياً: الزيارة عرفاً

إذا كنّا بصدد بيان المراد العرفي من الزيارة بنحو عامّ، فإنّه يقال بشأنه: إنَّ «**الزيارة في العرف: قصد المزور إكراماً له وتعظيماً له واستيناساً به**»(٤). وفصّل بعضٌ بين أن يكون المزور مكاناً أو شخصاً، حيث قال: «**الزيارة: مصدر زار. يزور المكان أو الشخص: أتاه للأنس به أو لإيناسه**»(٥).

---

(١) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين: ج٧، ص٣٧٩.
(٢) الجوهري، إسماعيل بن حمّاد، الصحاح: ج٢، ص٦٧٢ـ ٦٧٤.
(٣) ابن فارس، أحمد بن زكريا، معجم مقاييس اللغة: ج٣، ص٣٦.
(٤) الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين: ج٣، ص٣٢٠. وأُنظر: الفيومي، أحمد بن محمد، المصباح المنير: ج١، ص٢٦٠. المصطفوي، حسن، التحقيق في كلمات القرآن الكريم: ج٤، ص٣٦٤.
(٥) قلعجي، محمد، معجم لغة الفقهاء: ص٢٣٥.

هذا، ولم يبتعد هذا المعنى العرفي عن الأصل الذي ترجع إليه الاستعمالات اللغوية لمادّة (زور)، ذلك الأصل الذي اتّضح جلياً في العبارة المتقدّمة التي نقلناها عن ابن فارس.

أمّا المعنى العرفي الخاص المتعلّق بخصوص زيارة المراقد الطاهرة لأهل البيت عليهم السلام، فهو وإن كان في حقيقته قريباً جدّاً من المعنى اللغوي المتقدّم، إلّا أنّه توجد إضافات تتناسب وشأن المزور، حيث ورد أنّ الزيارة هي: «**نوع ندبة ورثاء، بالإضافة إلى ما تحتويه من التذكير بحقوقهم [عليهم السلام] والشدّ الوجداني بهم**»[1]. وورد أيضاً أنّها: «**صيغة واعية تمارسها الأُمّة لتُعبِّر عن عمق ارتباطها بخطّ الأولياء، وتنطوي على تأصيل حالة الولاء والحبّ لرموز مسيرتها، وتستبطن مزيداً من العطاءات العقائدية والتاريخية والتربوية التي تشدّ الأُمّة إلى عقيدتها وتاريخها وقادتها الرساليين**»[2].

ونحن إذ نتحدّث عن المعنى العرفي لمصطلح زيارة أهل البيت عليهم السلام عموماً أو الإمام أبي عبد الله عليه السلام على وجه الخصوص، ينبغي لنا ألّا نتوقف عند ما ذُكر من عبارات دوّنتها أقلام بعض العلماء والمفكّرين، فهي بما سطّرته تُعتبر قراءة رسمية مستوحاة ـ من دون أدنى شكّ ـ من الأدلّة الشرعية؛ وبالتالي فهي على الرغم من محاكاتها لما هو ممارس في الوسط العرفي، إلّا أنّها لا تكمل لنا الصورة عمّا يراه الشيعي أو المحبّ لأهل البيت عليهم السلام من تفسيرٍ لما يؤدّيه من طقوس الزيارة، ابتداءً من لحظة انطلاقه من بيته، وانتهاءً بآخر لحظات وداعه للإمام عليه السلام. وفي الحقيقة إنّ إجراء دراسة ميدانية لعيِّنة من الزوّار مأخوذة من شرائح متعددة كفيلة بإيضاح هذا المعنى بشكل جلي، إلّا أنّه ونظراً لكون حديثنا في هذا الموضوع يُعدّ جزءاً من البحث النظري الذي نحن بصدده، فلا بأس أن نستعين بتجاربنا وتجارب مَن يحيط بنا لنصل إلى المقصود من مصطلح الزيارة بحسب المنظور العرفي.

(١) السند، محمد، الشعائر الدينية: ص٦٦.

(٢) صائب عبد الحميد، الزيارة والتوسّل: ص٥.

إنّ الزائر عندما يشرع بتهيئة العدّة ناوياً الحركة نحو القباب الطواهر لأهل البيت عليهم السلام، نرى أنّ حركته هذه مسبوقة بانشداد عاطفي قد يغفل الكثير عن دوره المؤثّر والحيوي في هذه الحركة، فالزائر وتحت أيّ نوع من الأغراض التي يروم تحقيقها من خلال الزيارة، والتي قد تكون عبارة عن تقوية الرابطة بينه وبين الإمام المزور، أو طلب حاجة أُخرويّة، أو حتّى طلب حاجة دنيوية، نراه يتحرّك نتيجة انشداد عاطفي، ليس سببه خصوص المظلومية التي عانى منها أهل البيت عليهم السلام وما مرّوا به عليهم السلام من مصائب ومحن من طغاة زمانهم وحسب، وإنّما يوجد في المقام عاملان يعضد كلّ واحد منهما الآخر، يشكّلان باجتماعهما السبب الرئيس وراء هذا التأثّر:

العامل الأوّل: البُعد العقائدي

يمتلك الشيعة مبدأً عقدياً مهمّاً يعدّونه من أُصول الدين وهو منصب الإمامة، الذي حظي به أهل البيت عليهم السلام، فالزائر بحركته نحو أداء الزيارة وسعيه إلى إيجاد حالة الارتباط بينه وبين إمامه ـ خصوصاً وأنّه يعيش في فترة غيبة إمام زمانه عجل الله تعالى فرجه الشريف وعدم القدرة على اللقاء المباشر به ـ سيكون في حالة ميلٍ نحو منصب الإمامة (التولّي) وعدولٍ عن غيره (التبرّي)، وهذا لا يمنع من أنّه خلال زيارته يسعى إلى تحقيق مجموعة من الأغراض الأُخروية أو الدنيوية، فكلّ هذه الأغراض دليل على القناعة الداخلية التي يعيشها الشيعي من أنّ صاحب القبر يمتلك منصباً عند الله تعالى ومنزلة، تجعله يشفع لشيعته ومحبِّيه، ويقضي لهم حوائجهم مهما كانت مستعصية. أمّا إذا كان غرض الشيعي من الزيارة هو مجرّد الارتباط العقدي بإمامه وزيادة المعرفة به فهذه عبادة الأحرار التي لا تضاهيها عبادة. هذه الزاوية العقدية التي تقوم بتفسير السّر الكامن وراء هذا الانشداد والجذب نحو زيارة أهل البيت عليهم السلام.

العامل الثاني: البُعد العاطفي

إنّ المظلومية التي عانوا منها عليهم السلام بسبب تحمّلهم لمنصب هداية الأُمّة وإخراجها من الظلمات إلى النور، وتحمّلهم أعباء حفظ الدين الإسلامي من شتّى أنواع التزييف والتحريف بسبب وقوفهم ضد الظلم، وسعيهم إلى تحقيق العدالة بين الناس.. هذه المظلومية جعلت الشيعي يعيش حالة من الغليان الذي لا يبرد إلّا بذهابه إلى زيارة تلك المراقد المطهّرة؛ ليشعر بحالة الانتصار الذي حقّقه أئمّته عليهم السلام رغم كلّ المعاناة التي كابدوها. فهذه الجموع الغفيرة التي تحفّ بالضريح، والتي تبذل الغالي والنفيس من أجل الوصول إليه دليل على أنّ كلمتهم عليهم السلام كانت هي العليا وكلمة أعدائهم هي السفلى، وهنا يشعر الشيعي بحالة من الاطمئنان والراحة وهو يؤدّي مراسم الزيارة، وأن مظلومية أهل البيت عليهم السلام لم تذهب سدى.

ولعلّ هذه الجنبة العاطفية تكون في أشدّ درجاتها بالنسبة إلى الإمام الحسين عليه السلام، فرغم كلّ المعاناة التي كابدها أهل البيت عليهم السلام عموماً إلّا أنّه «**لا يوم كيومك أبا عبد الله**»[1]، فمظلومية الإمام الحسين عليه السلام ولّدت حالة من الغليان المستمرّ التي لا تبرد وتبقى مستعرة حتّى ظهور الإمام صاحب الزمان وأخذه بالثأر، وبالتالي فإنّ عشّاق الإمام الحسين عليه السلام يبقون متلهّفين لزيارته والوقوف مع الملايين المنحنية أمام قبّته الشريفة.

إذاً؛ فزيارة أيّ واحد من أئمّة أهل البيت عليهم السلام بحسب الأداء العرفي لها هي عبارة عن حالة من الارتباط المعنوي بين الشيعي وبين إمامه، واستشعار ما عاناه صاحب القبر الشريف من المظلومية والمحن، وما حقّقه من نصر معنوي بعد ذلك.

وأمّا بشأن زيارة الإمام الحسين عليه السلام على وجه الخصوص فهي في جنبتها العاطفية أشدّ كما أشرنا، وبالتالي فإنّه يضاف إلى التعريف العرفي المذكور أنّ زيارة المولى أبي عبد الله عليه السلام هي استلهام لحالة الرفض لكلّ أنواع الفساد على جميع الأصعدة، دينية كانت أم بشريّة.

(١) الصدوق، محمد بن علي، الأمالي: ص١٧٧.

وقد يجد المشاهد لسلوكيات الزائر انعكاساً واضحاً لحركته نحو إمامه، وذلك من خلال ما يقوم به الزائر من حالات الخضوع القلبي أو الخضوع الخارجي (الانحناء)، فإن دلّ هذا على شيء فإنّه يدلّ على أنّ الزائر يرى أنّ للمزور حقّ الطاعة عليه، وهذا الحقّ قد حصل عليه أهل البيت عليهم السلام بسبب كونهم ـ بحسب المعتقد الشيعي ـ مصداقاً لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾[1]، أي: إنّهم نالوا شرف الإمامة بعد الرسول العظيم صلى الله عليه وآله. نعم، قد تكون ظاهرة الانحناء موجودة حتّى في زيارة غير الأئمة، والسبب في وجودها هو حالة الاحترام والتعظيم للمزور، إلّا أنّه في الأئمّة عليهم السلام الأمر أكثر من كونه احتراماً، وإنّما شعور متولّد لدى الزائر بلزوم هذا التمظهر، وهذا اللزوم لم يأتِ إلّا من ذلك الاعتقاد الذي أشرنا إليه.

وأمّا حالة استشعار المظلومية والنصر المعنوي للمزور، فإنّها تنعكس بالحزن والبكاء الممزوج بالقوّة والصلابة التي يعيشها الزائر وهو يقف مع تلك الجموع أمام مرقد إمامه، فلا يعيش الشيعي الزائر وغير الزائر حالة الهزيمة والانكسار والذلّة مع كلّ ما يكابده من ألم وحزن جرّاء المظلومية التي عاشها أئمّته عليهم السلام على أيدي طغاة عصورهم.

أمّا بخصوص الإمام الحسين عليه السلام فإنّ شعار **(هيهات منّا الذلّة)** يعيش في ضمير الزائر وهو يُشاهد المرقد الشريف سواء جرى هذا الشعار على لسانه أم لا، كيف لا! وأنّ هذا الشعار أصبح الأنشودة التي يتغنّى بها أجيال الشيعة في كلّ زمان ومكان. وممّا لا يقبل الشكّ أنّ هذا الشعار هو إعلان مستمرّ للثورة ضدّ الظلم والظالمين والمفسدين دائماً.

كلّ هذه البيانات قد لا يجدّها القارئ منضودة في الكتب، وإنّما هي حالات

(١) النساء: آية٥٩.

يعيشها الشيعي قد يغفل عن تفسيرها وعكسها للآخرين، لكنّها في الواقع هي العناصر المؤلّفة لمفهوم الزيارة لديه.

ثالثاً: الزيارة شرعاً

١ـ الزيارة في القرآن

لم ترد مفردة (الزيارة) في القرآن بهذه الصياغة، وإنّما وردت بصياغات أُخرى كـ(تزاور) في قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ ...﴾[١]، ومعنى هذه الكلمة كما ذكر المفسّرون هو أنّ الشمس إذا طلعت عليهم فإنّها تتنحّى وتميل عنهم[٢]؛ حتّى لا تصيبهم أشعتها بضرر أثناء رقودهم في ذلك الكهف. وهذا المعنى المذكور هو عين المعنى اللغوي المتقدّم آنفاً.

ووردت صياغة أُخرى لهذه المفردة في قوله تعالى: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ * حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾[٣]، حيث تردّد المعنى المراد منها في هاتين الآيتين بين قولين ـ بحسب ما ذكره أغلب المفسِّرين ـ هما:

الأوّل: إنّ انشغالكم بالتكاثر في متاع الدنيا وزينتها وتسابقكم في تكثير العدد والعدّة ألهاكم عمّا يهمّكم ـ وهو ذكر الله ـ حتّى لقيتم الموت.

الثاني: إنّ انشغالكم بالتباهي والتباري بكثرة الرجال جعلكم تصيرون إلى القبور وتعدّون الأموات من رجالكم فتتكاثرون بأمواتكم[٤].

---

(١) الكهف: آية١٧.

(٢) أُنظر: الطوسي، محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن: ج٧، ص٢٠. وأيضاً: الفخر الرازي، محمد بن عمر، التفسير الكبير: ج٢١، ص٤٤٣. وأيضاً: الآلوسي، محمود، روح المعاني: ج٨، ص٢١١. وأيضاً: ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير: ج١٥، ص٣٤ . وأيضاً: الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج١٣ ، ص٢٥٥.

(٣) التكاثر: آية١ـ ٢.

(٤) أُنظر: البغوي، الحسين بن مسعود، معالم التنزيل: ج٥، ص٢٩٨. وأيضاً: الطبرسي، الفضل ابن الحسن، مجمع البيان: ج١٠، ص٨١٢ . البيضاوي، عبد الله بن عمر، أنوار التنزيل وأسرار

إنّ زيارة المقابر على الرغم من عدم كونها مقصودة من قبل الزائر على المعنى الأوّل، إلّا أنّ الميل أو التمايل الذي هو جوهر المعنى اللغوي لهذه المفردة محفوظ في المقام، فإنّ المشيّعين قد مالوا بالجنازة إلى مثواها الأخير، وعدلوا بها عن أيّ مكان آخر. وأمّا على المعنى الثاني فالأمر واضح جدّاً. نعم، يمكن أن تحمل المفردة معنى إضافياً نحصل عليه من خلال إضافة هذه المفردة إلى المقابر، فإنّ الزيارة المقصودة ليست هي مجرّد حضور الزائر لدى المزور وحسب، وإنّما هي أخذ العظة والعبرة[1] والتوجّه إلى «**أنّ العاقل ينبغي له أن لا يكون جميع همّه ومعظم سعيه للدنيا؛ فإنّ عاقبة ذلك وبال وحسرة**»[2].

والنتيجة التي ننتهي إليها من خلال هذا الجانب من البحث هي أنّ القرآن وإن لم يوجِد لمفردة الزيارة حقيقة أُخرى غير الحقيقة اللغوية لها، إلّا أنّه عندما أضافها إلى كلمةالقبور ـ التي تتناغم مع موضوعنا في هذا المقال ـ نجده أضاف إلى الميل أو التمايل إلى المزور أخْـذَ العظة والعِبرة كما أسلفنا آنفاً؛ ومن هنا نجدهم لـمّا جُرّد حضورهم عند القبور من هذه الخصوصية أصبحوا محلاً لذمّ المولى وتهكّمه، فقد ورد عن الإمام علي عليه السلام حديثاً طويلاً عقيب هذه الآية كان منه: «**أفبمصارع آبائهم يفخرون؟! أم بعديد الهلكى يتكاثرون؟!... ولأن يكونوا عِبراً أحقّ من أن يكونوا مفتخراً**»[3]. وقد ورد في بعض التفاسير أنّه: «**عُيِّر بذلك عمّا ذكر** [أي ذكر الموتى] **تهكّماً بهم، ووجّهه بعضٌ بأنّه كأنّه قيل: أنتم في فعلكم هذا كمَن يزور القبور من غير غرض صحيح، وبعضٌ آخر بأنّ زيارة القبور للاتّعاظ وتذكّر الموت وهم عكسوا فجعلوها سبباً للغفلة، وهذا أَولى**»[4].

التأويل: ج٥، ص٣٣٤. وأيضاً: الآلوسي، محمود، روح المعاني: ج١٥، ص٤٥٢. وأيضاً: الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج٢٠، ص٣٥١. وآخرون.

(١) أُنظر: الآلوسي، محمود، روح المعاني: ج١٥، ص٤٥٢.

(٢) البيضاوي، عبد الله بن عمر، أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ج٥، ص٣٣٤.

(٣) نهج البلاغة، تحقيق صبحي الصالح: ص٣٣٨.

(٤) الآلوسي، محمود، ورح المعاني: ج١٥، ص٤٥٢.

وبناءً على ما تقدّم؛ فإنّ الزيارة الحقيقية التي يراها القرآن للمقابر ليست هي مطلق الميل نحو مضاجع الأموات وحسب، وإنّما هو نوع خاصّ من الميل لا بدّ أن يكون مصحوباً بأخذ العظة والعبرة من الحالة التي وصل إليها صاحب القبر، من تركه لهذه الدنيا وجميع ملذاتها وعدم انتفاعه منها إلّا بما كان في وجه الخير والصلاح.

٢. الزيارة في الروايات

إنّ قوام مفهوم الزيارة بحسب ما مرّ في معناها اللغوي هو الميل إلى شخص معيّن أو جهة معيّنة، وأمّا بالنسبة إلى مفهوم زيارة الحسين عليه السلام بحسب المعنى العرفي لها، فقد أشرنا هناك إلى أنّها تعني تجديد البيعة بإمامته عليه السلام وإمامة سائر المعصومين عليهم السلام، وكذلك استحضار المصيبة التي جرت عليه عليه السلام ومَن معه، واستلهام روح الثورة من المواقف الخالدة الصادرة منه في مواجهة الظلم والفساد.

أمّا في مقام مطالعتنا للروايات بشأن تحديد المفهوم الشرعي لزيارة الإمام الحسين عليه السلام، فنجد أنّنا أمام مفهوم ذي أبعاد متعدّدة، فالزيارة ليست مجرّد ميل أو تمايل كما مرّ، وكذلك ليست مجرّد تأدية عقيدة معيّنة أو ترسيخ بعدٍ عاطفي معيّن. بل إنّ الزيارة بحسب ما جاء في الروايات يمكن أن نفهمها من خلال النقاط التالية:

النقطة الأُولى: زيارة الإمام الحسين عليه السلام والحضور في ساحة القرب الإلهي

فإنّ الروايات قد تعدّدت بشأن زيارة الإمام الحسين عليه السلام وأنّها بمثابة زيارة لله تعالى، فقد أفرد ابن قولويه باباً بعنوان: (إنّ مَن زار الحسين عليه السلام كان كمَن زار الله في عرشه وكُتب في أعلى عليين)، وجاء تحته مجموعة من الروايات:

منها ما رواه زيد الشحّام أنّه قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: «**ما لـمَن زار قبر الحسين عليه السلام؟ قال: كان كمَن زار الله في عرشه**»[1].

ومنها قول الإمام أبي عبد الله عليه السلام لبشير الدهان: «**يا بشير، ما أبطأك عن الحجّ**

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص٢٧٨.

في عامنا الماضي؟ قال: قلت: جُعلت فداك، مالٌ كان لي على الناس خفت ذهابه، غير أنّي عرفت عند قبر الحسينعليه السلام. **قال: فقال لي: ما فاتك شيء ممّا كان فيه أهل الموقف، يا بشير، مَن زار قبر الحسين**عليه السلام **عارفاً بحقّه كان كمَن زار الله في عرشه»**[1].

وبعض الروايات بالغت في شدّة القرب إلى الله عزّ وجلّ، فقد روى الحسين بن محمد القمّي عن أبي الحسن الرضا عليه السلام، أنّه قال: «**مَن زار قبر أبي عبد الله**عليه السلام **بشطّ الفرات كان كمَن زار الله فوق عرشه**»[2].

ومن المعلوم أنّ هذه التعبيرات ليست من باب التشبيه المكاني المفضي إلى التجسيم، قال الشيخ الصدوق رحمه الله: «**كان كمَن زار الله في عرشه، ليس بتشبيه، لأنّ الملائكة تزور العرش، وتلوذ به، وتطوف حوله، وتقول: نزور الله في عرشه، كما يقول الناس: نحجّ بيت الله، ونزور الله، لا أنّ الله** عزّ وجلّ **موصوف بمكان، تعالى عن ذلك علوّاً كبيراً**»[3].

وبعيداً عن الأخذ والردّ في المقام؛ وذلك لوضوح المقصود وعدم منافاته مع عقيدة الشيعة الإمامية بشأن توحيد الله عزّ وجلّ[4]، نوّد القول: بأنّ زيارة الله تعالى المذكورة في الروايات يمكن أن يكون معناها هو طلب القرب منه عزّ وجلّ وجلب رضاه والزلفى لديه، فإنّه مع امتناع القرب المكاني من المزور في المقام ـ بناءً على المعنى اللغوي لمفردة الزيارة ـ لا يتبقّى إلّا طلب القرب المعنوي والنفسي والرضا المتناسب مع ذلك، والقرب والرضا بهذا المعنى يتحقّقان في المقام بزيارة خليفته في أرضه وحامل

(١) المصدر السابق: ص٢٨٣.

(٢) المصدر السابق: ص٢٧٩. الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ج٦، ص٤٦. المشهدي، محمد بن جعفر، المزار الكبير: ص٣٢٥. النوري، حسين بن محمد تقي، مستدرك الوسائل: ج١٠، ص٢٥٠.

(٣) الصدوق، محمد بن علي، الأمالي: ص١٨٢.

(٤) للتعرّف أكثر على الإشكال المطروح في المقام والإجابة عنه أُنظر: العاملي، جعفر مرتضى، مختصر مفيد: ج١٣، ص١٣٤.

لواء ولاية الله العظمى والمضحّي في سبيله، فإنّ رضا هذا الولي هو رضا الله تعالى، وقربه قربه، وغضبه غضبه، وأسفه أسفه، وطاعته طاعته، ومعصيته معصيته؛ وعليه فإنّ الزيارة وإن كانت في ظاهرها هي عبارة عن التشرّف المكاني في حضرة الإمام الحسين عليه السلام إلّا أنّها في حقيقتها وواقعها هي تشرّف معنوي في حضيرة القدس الإلهي تقدّست أسماؤه.

النقطة الثانية: زيارة الإمام الحسين عليه السلام هي مشاركة في واقعة كربلاء

نقرأ في الروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام ـ في هذا الصدد ـ أنّ الإمام الصادق عليه السلام قال: «**مَن زار قبر الحسين عليه السلام يوم عاشوراء كان كمَن تشحّط بدمه بين يديه**»(١). وورد عنه عليه السلام أيضاً قوله: «**مَن زار قبر الحسين عليه السلام ليوم عاشوراء وبات عنده كان كمَن استشهد بين يديه**»(٢). وورد في العوالي عنه عليه السلام كذلك: «**مَن زاره [يعني الحسين عليه السلام] يوم عاشوراء حتّى يظلّ عنده باكياً حزيناً، كان كمَن استُشهد بين يديه، حتّى يشاركهم في منازلهم في الجنّة**»(٣).

إذاً؛ فزيارة قبر المولى أبي عبد الله عليه السلام هي بمثابة المشاركة في واقعة الطفّ ونيل درجة الشهادة مع المشاركين فيها، فالزيارة ليست مجرّد خطوات يقوم بها الزائر من أجل المثول بين يدي المزور، وتأدية جملة من الطقوس العبادية هناك. بل الزيارة بحسب مفهومها الروائي عبارة عن بصمة فعلية ذات تأثير واقعي في مسار النهضة الحسينية المباركة، وهذا واقع حال لا يمكن إنكاره؛ فإنّ توارد الشيعة والمحبِّين إلى قبره عليه السلام وبذلهم الغالي والنفيس من أجل ذلك هو أهمّ العوامل التي ساهمت في بقاء أثر هذه النهضة المعطاء إلى يومنا هذا؛ ومن هنا نجد أنّ الطغاة في كلّ زمان وبشتّى الوسائل سعوا إلى الحيلولة دون تحقّق هذا الأمر من خلال فرض الضرائب القاسية

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص٣٢٤.
(٢) المصدر السابق: ص٣٢٣.
(٣) الإحسائي، ابن أبي جمهور، عوالي اللآلئ: ج٤، ص٨٢.

على الشيعة أو التهديد بقطع الأطراف، أو القتل، أو ممارسة المنع القسري، أو القيام بعمليات إرهابية في طريق عشّاق زيارة المولى عليه السلام. وهذه الأفعال تنبئ عن إحساس هؤلاء الطغاة بأنّهم في معرض الخطر من استمرار هذه الزيارة، وما ذلك إلّا لكونها إحياءً واضحاً للنهضة التي قام بها عليه السلام هو ومَن معه ضدّ طاغية زمانه يزيد بن معاوية.

وعليه؛ فتعبير الرواية بكون الزائر كالمتشحّط بدمه والمستشهد في معركة الطفّ هو نتيجة التماهي الحاصل بين الدور الذي قام به أبو عبد الله عليه السلام وأتباعه في يوم عاشوراء والدور الذي يقوم به الزائر في الأزمنة التي تلت الواقعة الأليمة على عرصات كربلاء. وهذا الدور قد ركّزه أهل البيت عليهم السلام أنفسهم في أذهان الزائر، وذلك من خلال إدخاله في بعض النصوص التي يقرأها الزائر أثناء تشرّفه بزيارة الإمام الحسين عليه السلام، حيث نقرأ في هذا الجانب قول الزائر في زيارة عاشوراء: «**إنّي سلمٌ لـمَن سالمكم، وحربٌ لـمَن حاربكم، ووليٌّ لـمَن والاكُم، وعدوٌّ لـمَن عاداكم**»[1]. فهذا إعلان واضح وصريح بأنَّ الزائر في حالة حرب مستمرّة ضدّ النهج الفاسد والظالم الذي سار عليه الطغاة الذين واجههم عليه السلام (سنة ٦١ للهجرة)، ففي أيّ وقت وُجد فيه هذا النهج نرى أنّ زوّاره عليه السلام مستعدّون لبذل الغالي والنفيس لصدّه والوقوف بوجهه. وهذا في الحقيقة ما لمسناه جلياً ـ في زماننا الحالي ـ بعد صدور الفتوى الخالدة للمرجعية العليا في النجف الأشرف المتمثلة بآية الله العظمى السيد علي الحسيني السيستاني (دام ظله الوارف)، وذلك بعد تدنيس فلول داعش القذرة أرض المقدّسات في العراق، حيث وجدنا مسارعة الشباب الشيعي المؤمن الغيور الذي طالما تشرّف بزيارة مولاه الحسين عليه السلام للالتحاق بجبهات القتال وتأدية واجب الجهاد الكفائي المقدّس.

(١) القمّي، عباس، مفاتيح الجنان: ص٦٦٧.

النقطة الثالثة: زيارة الإمام الحسين عليه السلام محلاً لاهتمام الملائكة

جاء في روايات متعدّدة أنّه يوجد حول قبر المولى أبي عبد الله عليه السلام ملائكة يبكون على الإمام عليه السلام، وعلاوة على بكائهم فإنّهم موكّلون برعاية الزائر والاهتمام به من أوّل لحظة خروجه من منزله وحتّى عودته إليه سالماً، بل الأكثر من ذلك أنّه حتّى بعد الزيارة فإنّهم يعودونه في مرضه، ويكونون معه بعد موته، ومن هذه الروايات:

ما رواه هارون بن خارجة عن الإمام الصادق عليه السلام: «**وكّل الله بقبر الحسين عليه السلام أربعة آلاف ملك شعثاً غبراً يبكونه إلى يوم القيامة، فمَن زاره عارفاً بحقّه شيّعوه حتّى يبلغوه مأمنه، وإن مرض عادوه غدوة وعشية، وإن مات شهدوا جنازته، واستغفروا له إلى يوم القيامة**»[1].

ومنها ما رواه أبو بصير عن الإمام الباقر عليه السلام: «**أربعة آلاف ملك شعث غُبر يبكون الحسين عليه السلام إلى يوم القيامة، فلا يأتيه أحد إلّا استقبلوه، ولا يرجع أحد من عنده إلّا شيّعوه، ولا يمرض أحد إلّا عادوه، ولا يموت أحد إلّا شهدوه**»[2].

ومنها: ما رواه صفوان الجمّال عن الإمام الصادق عليه السلام: «**إنّ الرجل إذا خرج من منزله يريد زيارة الحسين شيّعه سبعمائة ملك من فوق رأسه ومن تحته، وعن يمينه وعن شماله، ومن بين يديه ومن خلفه، حتّى يبلغونه مأمنه، فإذا زار الحسين عليه السلام ناداه مناد: قد غفر الله لك فاستأنف العمل. ثمّ يرجعون معه مشيّعين له إلى منزله، فإذا صاروا إلى منزله قالوا: نستودعك الله. فلا يزالون يزورونه إلى يوم مماته، ثمّ يزورون قبر الحسين عليه السلام في كلّ يوم، وثواب ذلك للرجل**»[3].

إنّ هذه الأفعال التي تقوم بها الملائكة مع الزائر من المؤكّد أنّها لم تأتِ من فراغ، فإنّ الزائر بعد أن حظي ـ جرّاء ما قام به كأثر طبيعي للزيارة ـ بالقرب المعنوي من

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص٣٥٠.
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق: ص٣٥١.

الله عزّ وجلّ، وكذلك حصوله على شرف درجة المشاركة في واقعة الطفّ والشهادة بين يدي المولى أبي عبد الله عليه السلام، فمن غير المستغرب أن يحصل على هذا الشرف العظيم، فيكون مخدوم الملائكة علاوة على مشاركته إياهم في عبادتهم التي هي بكاؤهم على مصيبة الإمام عليه السلام.

هذا، وإنّنا لو نظرنا إلى لسان بعض الروايات المتقدّمة كرواية صفوان الجمّال لوجدنا أنّ الزائر يكون محلاً لاهتمام الملائكة من لحظة خروجه من منزله وحتّى يعود إليه، وهذا يعني أنّ هذه الخدمة داخلة في مفهوم الزيارة؛ وعليه فلا يرد علينا إشكال بأنّ هذا الأمر هو نتيجة الفعل الذي قام به الزائر. نعم، بعض الأُمور التي وردت في هذه الروايات من قبيل عيادة الزائر في مرضه والمشاركة في تشييع جنازته والصلاة عليه وزيارته المستمرّة ونحو ذلك، هي نتيجة الشرف الذي حصل عليه الشخص بذهابه إلى قبر المولى أبي عبد الله الحسين عليه السلام واستمرار لأثره.

النقطة الرابعة: الزيارة وتدعيم العلاقة بين الزائر والشخصيات القيادية الروحية

من خلال مطالعتنا لبعض النصوص الواردة في الزيارات التي يقرأها الزائر عند تشرّفه وحضوره عند قبر المولى أبي عبد الله عليه السلام نجدها تجعل هذه الظاهرة بمثابة عقد ولاء بين الزائر والمزور، وتعهداً منه بانتهاج سبيله الذي سلكه في حياته؛ وعليه فلا تموت مبادؤه بوفاته أو تنمحي عن الذاكرة تعليماته وإرشاداته. إنّ الزيارة بناءً على هذه النصوص هي عبارة عن توثيق عرى الولاء للشخصيات القيادية والروحية؛ ولذا ترى أنّها تمثّل حالة روحية تضفي على الزائر شيئاً من الروحانية والولاء للمبادئ والقيم الإلهية.

ومن هذه النصوص ما جاء في زيارة وارث: «**السلام عليك يابن أمير المؤمنين، عبدُك وابن عبدِك وابن أَمَتك، المقرّ بالرقّ، والتارك للخلاف عليكم**»[1]. فإنّ هذا الإقرار دليل على عقد الولاء بين الزائر وبين أبي عبد الله عليه السلام.

(١) القمّي، عباس، مفاتيح الجنان: ص٦٢٩.

وأمّا التعهد بانتهاج سبيله عليه السلام فقد أبانه النصّ الوارد في الزيارة ذاتها: «**وأُشهد الله وملائكته وأنبيائه ورسله أنّي بكم مؤمن وبإيابكم، موقن بشرايع ديني وخواتيم عملي، وقلبي لقلبكم سلم، وأمري لأمركم متّبِع**»[1].

هذا، وقد ورد كلا المعنيين في النصّ التالي من زيارة عاشوراء: «**يا أبا عبد الله، إنّي أتقرّب إلى الله، وإلى رسوله، وإلى أمير المؤمنين، وإلى فاطمة، وإلى الحسن وإليك، بموالاتك وبالبراءة ممّن قاتلك ونصب لك الحرب، وبالبراءة ممّن أسّس أساس الظلم والجور عليكم، وأبرأ إلى الله وإلى رسوله ممّن أسّس أساس ذلك وبنى عليه بنيانه، وجرى في ظلمه وجوره عليكم وعلى أشياعكم... إنّي سلم لـمَن سالمكم، وحرب لمن حاربكم، ووليّ لـمَن والاكم، وعدو لـمَن عاداكم**»[2].

ولشدّة عقد الولاء الذي يشعر به الزائر؛ نراه في نصّ واحد من نصوص زيارة الإمام الحسين عليه السلام ـ حينما يطلب من الله تعالى بأن يرزقه الطلب بالثأر لـما وقع في كربلاء مع الإمام صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف ـ تارة يعبر بـ(ثأرك) مخاطباً الإمام الحسين عليه السلام، وتارة أُخرى بـ(ثأري)، أي: إنّه ثأر الزائر نفسه[3].

إذاً؛ فزيارة المولى أبي عبد الله عليه السلام والتشرّف بالوقوف أمام ضريحه المقدّس، وهذا الموقف المتضمّن لتلاوة هذه النصوص المباركة.. كل ذلك بعَقْد الولاء، ومعاهدة الإمام عليه السلام وعموم أهل البيت عليهم السلام بالمضي قدماً على نهجهم الذي خطوه لنجاة البشرية.

ثمّ إنّ هذا العقد لا يتوقّف على زمن حضور الأئمّة عليهم السلام، بل يسري حتّى في زمن غيبتهم؛ وذلك من خلال السير خلف الشخصيات القيادية الروحية التي سارت على خطى أهل البيت عليهم السلام، وأحيت بمواقفها الجهادية النهضة الحسينية المباركة، وممّا

(١) المصدر السابق: ص٦٣١.
(٢) المصدر السابق: ص٦٦٧.
(٣) أُنظر: المصدر السابق: ص٦٦٦ ـ ٦٦٧.

يشهد بهذه النتيجة هي قول الزائر في النصوص المتقدّمة بأنّه: «**وليّ لـمَن والاكم**»، والدليل قد لمسناه بأنفسنا في زماننا الحالي، فإنّ الشباب الذين هبّوا لمقاتلة أعداء الدين والإنسانية (داعش) في العراق كانوا من الذين يقطعون المسافات الطويلة من أجل الوصول إلى كربلاء المقدّسة في زيارة الأربعين، كما أنّ أكثرهم كان من الذين يتعاهدون الزيارة في أوقات متعدّدة من السَّنة أيضاً.

هذا، وإنّ النقاط الأربع المتقدّمة هي من الأُمور التي تضفي على المفهوم اللغوي والعرفي للزيارة بُعداً روحياً ومعنوياً يجعل الزائر ـ في حال وعيه ومعرفته لهذه الأُمور ـ عندما يتهيأ لزيارة المولى أبي عبد الله الحسين عليه السلام ألّا يكون في مقام انعطاف نحو مرقد المولى في كربلاء المقدّسة وحسب، وإنّما هو في مقام الحضور إلى محضرٍ لطالما سعى إليه الكثيرون مجهِدين أنفسهم بأنواع العبادات والرياضات للوصول إليه، وهو القرب الإلهي، وهل من مقام أرفع وأعظم من ذلك؟! كما أنّ الزيارة تهيئ للزائر فرصة لطالما كان يحلم بها ويتمنّاها وهي الكون مع الإمام عليه السلام وأصحابه في واقعة الطفّ الأليمة؛ وهذا الشوق هو ما تعكسه كلمات الخطباء دوماً حيث يقولون في مطلع حديثهم: يا ليتنا كنّا معكم فنفوز فوزاً عظيماً. في زيارة الإمام الحسين عليه السلام تتهيّأ هذه الفرصة كما أسلفنا فيحصل الزائر على ثواب المشاركة في واقعة عاشوراء، وهو سليم البدن معافى في نفسه وفي أهله وماله.

أمّا الأمر الآخر الذي يتحقّق بالزيارة فهو البغية التي يتمنّاها أي واحد من المؤمنين بأن يكون في رعاية وكنف جهة فوقية متّصلة بالمولى عزّ وجلّ تحفظه في هذه الدنيا وتخفّف من آلامه حتّى نهاية حياته، فتوصله إلى ملحودة قبره آمناً مطمئناً.

وأخيراً، كلّ واحد منّا يحتاج إلى البصيرة بشأن مَن يمضي خلفه كقائد روحي ومعنوي يصل به إلى برّ الأمان في هذه الفترة القصيرة التي نعيشها. إنّ الزيارة توجد لنا هذه الحالة، وذلك من خلال ربطنا بالقيادة الروحية التي سعت جاهدة منذ رحلة النبي صلى الله عليه وآله إلى وضع الأُمّة على الجادّة الصحيحة، باذلة في ذلك الغالي والنفيس، وهذه

القيادة هي أهل البيت عليهم السلام، والنهضة الحسينية كانت أبرز مصداق للتضحية الكبيرة التي يمكن تقديمها من قبلهم عليهم السلام في سبيل إحياء الدين الإسلامي وإقامة العدل الإلهي بين الناس. إنّ الزيارة تقوي هذه الرابطة وتجعل الفرد الشيعي على معرفة تامّة بهذه القيادة، أضف إلى ذلك إنّنا نعيش في زمان الغيبة الكبرى وعدم حضور الإمام عليه السلام بشكل مباشر بين الناس؛ لذلك فلا بدّ من الوعي الكامل بالشخصية القيادية التي تنوب عنه عليه السلام وتتسلّم زمام الأُمور سواء، على مستوى الفتيا، أو على مستوى الحضور الفاعل في حال هدّد خطر ما الكيان الإسلامي، وهذا ما حصل بالفعل من خلال التفاف الشيعة حول مرجعياتها الرشيدة دوماً.

فيا لها من عظمة ورفعة ينالها الزائر الشيعي! قال الإمام الباقر عليه السلام: «**لو يعلم الناس ما في زيارة الحسين عليه السلام من الفضل لماتوا شوقاً، وتقطّعت أنفسهم عليه حسرات...**»[1].

نستخلص ممّا تقدّم أنّ الروايات الشريفة في مقام تحديد معنى زيارة المولى أبي عبد الله الحسين عليه السلام وإن لم تخرج عن المفهوم اللغوي والعرفي لها، إلّا أنّها في الوقت نفسه منحته مجموعة أبعاد تجعله أكثر عمقاً، فالزيارة من جهة هي حضور إلى ساحة القرب الإلهي، ومن جهة أُخرى هي مشاركة الزائر في أحداث واقعة كربلاء، ومن جهة ثالثة هي الكون في كنف رعاية الملائكة واهتمامهم، ومن جهة رابعة هي عقد ولاء بين الزائر والمزور، وتعهّد منه بالسير على نهجه وهداه.

الجهة الثانية: آداب الزيارة

إنّ زيارة المولى أبي عبد الله عليه السلام مع ما توفّرت عليه من أبعاد ـ تمّ الحديث عنها سابقاً ـ فهي تحتوي أيضاً على مجموعة من الوظائف والآداب الشرعية التي تجعل زيارته ذات صبغة دينية، مضافاً إلى كونها تُهيّئ للزائر ـ لكي يعيش من أوّل لحظة من لحظات حركته صوب كربلاء ـ الجو الإيماني الذي يليق بمقام القرب الإلهي الذي

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص٢٧٠.

يفتح أمام الزائر آفاقاً متعدّدة، سواء على مستوى المعرفة أو السلوك، وكذلك أبواباً إلى الرحمة والمغفرة والرزق ونحو ذلك.

يمكننا تقسيم الآداب التي ينبغي أن يتحلّى بها الزائر لقبر المولى أبي عبد الله عليه السلام إلى قسمين رئيسين:

القسم الأوّل: الآداب الظاهرية (الخارجية)

تندرج تحت هذا القسم الآداب التالية:

أوّلاً: الصيام

لقد ورد التأكيد على استحباب الصيام قبل زيارة المولى أبي عبد الله عليه السلام في عدّة روايات منها:

ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام مخاطباً أبا بصير: «**أفلا أُخبرك عن أبي عن جدّي علي بن الحسين عليه السلام كيف كان يصنع في ذلك؟ قال: قلت: بلى، جعلت فداك. قال: إذا أردت الخروج إلى أبي عبد الله عليه السلام فصّم قبل أن تخرج ثلاثة أيام: يوم الأربعاء ويوم الخميس ويوم الجمعة...**»[1].

ومنها ما رُوي عن صفوان بن مهران الجمّال قال: «**استأذنت الصادق عليه السلام لزيارة مولانا الحسين عليه السلام، فسألته أن يعرّفني ما أعمل عليه، فقال: يا صفوان، صم ثلاثة أيام قبل خروجك واغتسل في اليوم الثالث...**»[2].

إنّ الحضور في مقام القرب الإلهي الذي يتماهى مع زيارة أبي عبد الله عليه السلام، يحتاج أن يكون الزائر مؤهّلاً لهذا المقام المعنوي الرفيع، وهذا التأهّل يكون من خلال تلبّسه بلباس العبودية لله عزّ وجلّ والتقوى منه، فإذا لم يكن كذلك، وبقي في وحل

(١) الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ج٦، ص٧٦. وأُنظر: المجلسي، محمد تقي، روضة المتقين: ج٥، ص٣٧٩.

(٢) الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتهجّد: ص٧١٧.

التمرّد والعصيان لمولاه، لم يطأ حضيرة القدس الإلهي، وكانت زيارته خالية من هذه الخصوصية الجليلة. وبما أنّ الصوم بنصّ القرآن الكريم هو من مناشىء تحقّق التقوى، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾[1]؛ لذا نجد الحثّ في الروايات على هذه الشعيرة قبل التوجّه لزيارة المولى أبي عبد الله عليه السلام؛ لأنّها من المقدّمات الإعدادية لتحقّق الزيارة الحقيقية المشتملة على البُعد المتقدّم وكذا سائر الأبعاد الأُخرى.

ثانياً: الطهارة من الحدث والخَبَث

لقد وردت روايات متعدّدة في المقام تدلّ على ضرورة الإتيان بالغسل قبل زيارة المولى أبي عبد الله عليه السلام، نورد منها:

ما عن يونس بن عمّار عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: «**إذا كنتَ منه قريباً ـ يعني الحسين عليه السلام ـ فإن أصبت غسلاً فاغتسل وإلّا فتوضأ ثم آته**»[2].

ومنها ما عن الحرث بن المغيرة عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «**إنّ لله ملائكة موكّلين بقبر الحسين عليه السلام، فإذا همّ الرجل بزيارته فاغتسل ناداه محمد صلى الله عليه وآله: يا وفد الله، أبشروا بمرافقتي في الجنّة. وناداه أمير المؤمنين عليه السلام: أنا ضامن لقضاء حوائجكم، ودفع البلاء عنكم في الدنيا والآخرة...**»[3].

ومنها ما عن أبي بصير عن الإمام الصادق عليه السلام أيضاً في رواية نقتصر منها على ذكر محلّ الشاهد: «... **فإذا أردت المشي إليه فاغتسل، ولا تطيّب ولا تدهن ولا تكتحل حتّى تأتي القبر**»[4].

---

(١) البقرة: آية١٨٣.

(٢) الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج١٤، ص٤٨٩.

(٣) الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ج٦، ص٥٣.

(٤) المصدر السابق: ص٧٦.

ومن الجدير في المقام إلفات نظر القارئ إلى أنّه توجد روايات أُخرى متعدّدة قيّدت الغسل بكونه بماء الفرات ـ النهر الذي وقعت بجنبه واقعة الطفّ الأليمة ـ منها:

ما عن صفوان الجمّال عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**إذا اغتسل من ماء الفرات وهو يريده تساقطت عنه خطاياه كيوم ولدته أُمّه**»(١).

ومنها ما عن الحسين بن سعيد عن الإمام جعفر بن محمد عليه السلام، قال: «**مَن اغتسل في الفرات ثمّ مشى إلى قبر الحسين عليه السلام كان له بكلّ قدم يرفعها ويضعها حجّة متقبّلة بمناسكها**»(٢).

ومنها ما عن رفاعة بن موسى النحّاس عن الإمام الصادق عليه السلام: «**إنّ مَن خرج إلى قبر الحسين عليه السلام عارفاً بحقّه وبلغ الفرات واغتسل فيه وخرج من الماء كان كمثل الذي خرج من الذنوب، فإذا مشى إلى الحائر لم يرفع قدماً ولم يضع أُخرى إلّا كتب الله له عشر حسنات ومحا عنه عشر سيئات**»(٣).

إنّ الحديث عن تقييد الغسل للزيارة بكونه بخصوص ماء نهر الفرات يحتاج إلى بحث فقهي استدلالي يتمّ التطرق فيه ـ أوّلاً ـ إلى أسناد الروايات ومدى اعتبارها، ومن ثمّ يتمّ التطرّق فيه إلى الجمع الدلالي بينها. نعم، نحن في المقام يمكننا أن نخرج بنتيجة بدوية مفادها أنّ رفع الحدث قبل الزيارة من الأُمور المندوبة والراجحة، خصوصاً مع ملاحظة الرواية الصحيحة(٤) المنقولة عن يونس بن عمّار التي ذكرت كفاية الوضوء مع عدم تمكّن الغسل؛ إذاً فالغرض والغاية من هذا التشريع المندوب هو إيجاد الطهارة الرافعة للحدث.

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص٢٤٨.
(٢) الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ج٦، ص٥٣.
(٣) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص٣٤٦.
(٤) القول بصحّة هذه الرواية استندنا فيه إلى مباني السيد موسى الزنجاني. اُنظر: برنامج دراية النور (قرص ليزري).

ومن الجدير بالذكر أن نلفت عناية القارئ الكريم إلى وجود روايات قد نفت ثبوت الغسل من قبيل:

ما رواه العيص بن القاسم البجلي قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: «**مَن زار الحسين ابن علي عليه السلام عليه غسل؟ قال: فقال [عليه السلام]: لا**»[1].

وما رواه أبو اليسع، قال: «**سأل رجل أبا عبد الله عليه السلام ـ وأنا أسمع ـ عن الغسل إذا أتى قبر الحسين عليه السلام. فقال [عليه السلام]: لا**»[2].

وما عن الحسن بن عطية أبي ناب، قال: «**سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الغسل إذا أتيت قبر الحسين عليه السلام. قال: ليس عليك غسل**»[3].

وفي مقام علاج هذا التعارض بين هذه الأخبار وبين ما تقدّم أشار بعض العلماء إلى أنّ الروايات الأخيرة كانت في مقام نفي اللزوم والوجوب للغسل، فلا يستحقّ تاركه الذمّ والعقاب، وإنّما يحصل على الثواب الكثير لو تحقّق منه الغسل، فإنّه من الأفعال التي ندب لها الشرع ورغّب بالإتيان بها[4].

كما دلّت الروايات أيضاً على نظافة الثياب وضرورة أن يلبس الزائر أطهر ثيابه، حيث جاء في رواية طويلة رواها أبو حمزة الثمالي، قال فيها: قال الإمام الصادق عليه السلام: «**إذا أردت المسير إلى قبر الحسين عليه السلام فصم يوم الأربعاء والخميس والجمعة... واغتسل قبل خروجك... ثمّ البس أطهر ثيابك**»[5].

ومنها ما ورد عن محمد بن مسلم في سؤالٍ له من الإمام الصادق عليه السلام عن الأُمور التي تلزم زائر الإمام الحسين عليه السلام، حيث قال الإمام عليه السلام: «**يلزمك حسن الصحابة**

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص٣٤٧.
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق: ص٣٤٨.
(٤) أُنظر: الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ج٦، ص٥٣ـ ٥٤.
(٥) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص٣٩٣ـ٣٩٨.

لـمَن يصحبك، ويلزمك قلّة الكلام إلّا بخير، ويلزمك كثرة ذكر الله، ويلزمك نظافة الثياب، ويلزمك الغسل قبل أن تأتي الحائر...»[1].

ثالثاً: أن يكون الزائر أشعث أغبر

من الآداب الأُخرى التي ينبغي أن يأتي بها الزائر لقبر الإمام الحسين عليه السلام هي أن يكون أشعث[2] أغبر حزيناً كئيباً، وقد جاءت مجموعة روايات تنصّ على ذلك:

منها ما رواه بعض الأصحاب عن الإمام الصادق عليه السلام: «**إذا أردت زيارة الحسين عليه السلام فزره وأنت حزين مكروب، شعث مغبر، جائع عطشان، وسَلْه الحوائج وانصرف عنه، ولا تتخذه وطناً**»[3].

ومنها ما عن المفضل بن عمر، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «**تزورون خير من أن لا تزورون، ولا تزورون خير من أن تزورون. قال: قلت: قطعت ظهري. قال: تالله، إنّ أحدكم ليذهب إلى قبر أبيه كئيباً حزيناً، وتأتونه أنتم بالسُّفر**[4]**، كلا حتّى تأتونه شُعثاً غُبراً**»[5].

إنّ زيارة المولى أبي عبد الله عليه السلام التي تحقّق للزائر شرف المشاركة المعنوية في واقعة الطفّ الخالدة، ينبغي ألّا تكون خالية من السنخية بين حال المقاتلين في يوم عاشوراء

---

(١) المصدر السابق: ص٢٥٠ـ٢٥١.

(٢) قال الزمخشري: «رجل أشعث وامرأة شعثاء، وبه شعث وهو انتشار الشعر وتغيره لقلّة التعهّد». الزمخشري، أساس البلاغة: ص٤٩٣. وقال ابن منظور: «الشعث المغبرُّ الرأس، المنتف الشعر، الحافُّ الذي لم يدهن. والتشعّث؛ التفرّق والتنكّث، كما يتشعّث رأس المسواك». ابن منظور، محمد ابن مكرم، لسان العرب: ج٢، ص١٦٠.

(٣) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٤، ص٥٨٧. وأُنظر: الصدوق، محمد بن علي، ثواب الأعمال: ص٨٨ـ٨٩. وأيضاً: ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص٢٥٢. وأيضاً: المفيد، محمد بن محمد، كتاب المزار: ص٩٦ـ٩٧.

(٤) السُّفَر هنا جمع سفرة، أي: مائدة الطعام.

(٥) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص٢٥٠. المشهدي، محمد بن جعفر، المزار: ص٣٦٩ـ٣٧٠.

وبين حال الزائرين في زماننا أو في أيّ زمان آخر، إنّ الإمام عليه السلام ومَن معه في تلك الواقعة لم يكونوا يعيشون في رفاهية مادية أو سعادة دنيوية، فهم من جهة كانوا يعانون من العطش والجوع، ومن جهة أُخرى كانوا في أشدّ الحزن والكرب بسبب عدم إدراك الأُمّة لما فيه منفعتها، وعدم حرصها على دينها الذي بذل الرسول الكريم صلى الله عليه وآله كلّ ما في وسعه لترسيخ دعائمه، وعانى من أجل ذلك أشدّ المعاناة، مضافاً إلى ذلك فإنّ حزن أصحاب الإمام قد يكون منشؤه أيضاً هو عدم قدرتهم عن دفع الضرر عن مولاهم؛ وعليه فالزائر ينبغي له أن يتأسّى بهم وتنعكس عليه معاناتهم، لا أن يجعل من زيارته سفرة ترفيهية تقلّ فيها معاني التوجّه إلى الله واستشعار أجواء النهضة الحسينية؛ ومن هنا ورد النهي عن حمل أنواع الأطعمة اللذيذة في سفر الزيارة، حيث رُوي عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: «**بلغني أنّ قوماً زاروا الحسين عليه السلام فحملوا معهم السُّفَر فيها الجداء**[1]**، والأخبصة**[2]**، وأشباهه، ولو زاروا قبور أحبائهم ما حملوا معهم هذا**»[3].

إذاً؛ ينبغي للزائر أن يعيش حالة المواساة لما جرى على إمامه في حركته الإصلاحية من أجل إنقاذ الأُمّة من براثن الظلم والاضطهاد والفساد، فهو عليه السلام على الرغم من الأهداف السامية التي سعى إلى تحقيقها من وراء نهضته المباركة، نجد أن ردّة فعل الأُمّة كانت مخيِّبة للآمال، فبدل أن تقف معه وتشدّ على أزره من أجل استئصال الغدة السرطانية المتمثّلة بطاغية بني أُميّة يزيد بن معاوية، رأيناها قد خذلته، بل وحاربته وشاركت بسفك دمه والتنكيل به ومَن معه. فهذه الأوضاع ألا تستدعي من الزائر

(١) الجدي هو: «الذَّكر من أولاد المعز، ويُجمع على: أجد وجداء». الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين: ج٦، ص١٧٦.

(٢) الخبيص هو: «المعمول من التمر والسمن، حلواء معروف يخبص بعضه في بعض». الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس: ج٩، ص٢٦٥.

(٣) المفيد، محمد بن محمد، كتاب المزار: ص٩٧.

وهو يعيش أجواء هذه الواقعة الأليمة أن يكون حزيناً كئيباً غير راغب باللذيذ من الطعام والشراب، غير مهتم بحالة التجمّل الظاهري؟

نعم، لا يُفهم من هذا الكلام أنّ الزائر ينبغي أن تغلب عليه حالة الجوع من خلال ترك الأكل الذي تضعف معه العبادة والزيارة، فإنّ المطلوب هو استشعار حالة الجوع وأكل الأطعمة العادية التي لا يجد فيها الزائر اللذّة الكثيرة الشاغلة عن الذكر وحالة الخشوع؛ ولهذا ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في جوابه عن سؤال لبعض أصحابه عن طبيعة الأكل الذي يتمّ تناوله في سفر الزيارة، قال عليه السلام: «**الخبز باللبن**»[1].

كما أنّه لا يُفهم من ضرورة كون الزائر (أشعث أغبر) أنّه ينافي النظافة والاغتسال اللذين مرّ ذكرهما، فإنّ الأشعث صفة تُطلق عادة على الإنسان ويراد منها غير المصفّف الشعر، فإنّ العادة جرت على أنّ المصاب بأمر عظيم وخطير يكون مشغولاً أمور كهذه، وأمّا الأغبر فالمراد منه أنّ الزائر بعد إتيانه بالغسل عليه ألّا يزيل الغبار وهو في طريقه إلى ضريح المولى أبي عبد الله عليه السلام، حتّى يزوره وهو على تلك الحالة، فإنّ التلبس بهيئة السفر وظهور حالة التعب عليه يجعل حاله أكثر وقعاً وتأثيراً في كيفيّة أدائه للزيارة، وبالتالي تكون العناية به من قبل المضيِّف أكثر[2].

هذا، وتوجد آداب ظاهرية أُخرى كثيرة وردت في الروايات كرواية محمد بن مسلم المتقدّمة[3]، نقتصر في المقام على مجرّد سردها للقارئ العزيز، وهي:

١ ـ حسن الصحبة.

٢ ـ كثرة ذكر الله وبالخصوص التكبير والتحميد والتهليل والتسبيح.

٣ ـ الصلاة على محمد وآل محمد.

٤ ـ غضّ البصر.

٥ ـ عيادة أهل الفقر والحاجة ومساعدتهم.

---

(١) الصدوق، محمد بن علي، مَن لا يحضره الفقيه: ج٢، ص٨٩.

(٢) أُنظر: الحداد، حافظ، عجائب زيارة سيد الشهداء: ص١٤٣.

(٣) أُنظر: ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص٢٥٠ـ ٢٥١.

٦ ـ التقية.
٧ ـ الورع عن المحارم.
٨ ـ ترك الجدال والخصومة والقسم.
٩ ـ المشي إليه بوقار وسكينة.
١٠ ـ التحلّي بالملابس الجديدة.
١١ ـ التكبير عند الدخول وعند الرأس الشريف.
١٢ ـ صلاة ركعتين.
١٣ ـ تعليق النعلين (أي عدم الانتعال عند الزيارة).

القسم الثاني: الآداب الباطنية (المعنوية)

أوّلاً: حضور القلب

إنّ زيارة المولى أبي عبد الله عليه السلام وكذا سائر المعصومين عليهم السلام بسبب كونها في مقام ربط الزائر بالله عزّ وجلّ، فهي إذاً بحاجة إلى حضور قلب وارتباط خالص بالإمام عليه السلام الذي هو خليفة الله تعالى في أرضه، فإنّ كلّ ارتباط به عليه السلام يعكس مدى العلاقة الحقيقية بين العبد وبين الله عزّ وجلّ؛ ومن هنا فإنّ حضور القلب المنشود في المقام يستدعي من الزائر أن يكون ذا وعي وتفكّر كاملين بأُمور ثلاثة:

الأوّل: التفكّر بعظمة صاحب القبر، وأنّه يسمع كلام الزائر ويردّ سلامه.

الثاني: التفكّر بلطفهم عليهم السلام وحبّهم لشيعتهم وزائريهم.

الثالث: التأمّل في فساد حال الزائر وجفائه لهم وتقصيره في مقام العمل بوظائفه الدينية والشرعية.

فإنّ هذه الأُمور متى ما حصلت للزائر فإنّه سوف ينشدّ عاطفياً نحو صاحب المرقد المقدّس، وتحصل لديه حالة الرقّة التي تتمظهر بالدموع والبكاء الشديد أحياناً، وهذا هو المراد من حضور القلب؛ قال صاحب الحدائق في معرض ذكره لآداب زيارة النبيّ وأهل بيته عليهم السلام: «**وثانيها الوقوف على بابه، والاستيذان والدعاء**

بالمأثور، فإن وجد خشوعاً وخضوعاً دخل، وإلّا فالأفضل له تحرّي زمان الرقّة؛ لأنّ الغرض الأهمّ حضور القلب لتلقّي الرحمة النازلة من الربّ»[1].

إنّ القلوب التي تكون خالية من التفكّر والتدبّر والتأمّل وقعت مورداً للذمّ في القرآن الكريم، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا ...﴾[2]. فقد ورد عن أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في تفسيره للمقطع المذكور من الآية: «**طبع الله عليها فلا تعقل...**»[3].

ثانياً: الخشوع والخضوع

من الآداب المهمّة التي لا تنفكّ عنها الأعمال التي يقوم بها العبد بداعٍ قربي ـ ومنها زيارة المولى أبي عبد الله عليه السلام ـ هي الخشوع والخضوع والإحساس بذلّ العبودية لله عزّ وجلّ ولخلفائه الذين أوجب على الناس الارتباط بهم وإطاعة أوامرهم، فقد ورد في الروايات بخصوص زيارة الإمام الحسين عليه السلام أنّ الزائر ينبغي له أن يحاكي في مشيه صوب المرقد الشريف مشي العبد الذليل[4]؛ وفي هذا الصدد قال الإمام الصادق عليه السلام في الرواية المروية عن أبي الصامت: «**فإذا أتيت الفرات فاغتسل وعلّق نعليك وامشِ حافياً، وامشِ مشيَ العبد الذليل**»[5].

وهذا الأدب فيه دلالة واضحة على عظم الفعل الذي يقوم به الزائر، ودوره المحوري في إبقاء هذا الصرح المتلألئ وضّاءً يُنير للآخرين دروبهم نحو علاقة مثلى بالله عزّ وجلّ وخلفائه وتشريعاته الدينية، هذا الدور الذي ينبغي أن يُحترز فيه عن الكبر والخيلاء والتبختر على سائر عباد الله وازدرائهم وتحقيرهم.

---

(١) البحراني، يوسف، الحدائق الناضرة: ج١٧، ص٤٢١.
(٢) الأعراف: آية١٧٩.
(٣) البحراني، هاشم، البرهان في تفسير القرآن: ج٢، ص٦١٧.
(٤) أُنظر: القمّي، عباس، مفاتيح الجنان: ص٦١٠. وأيضاً: العاملي (الشهيد الأوّل)، محمد بن مكّي، الدروس الشرعية في فقه الإمامية: ج٢، ص٢٣.
(٥) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص٢٥٥.

إنّ المثول في حضيرة القدس الإلهي أثناء تأدية الزيارة لا يتناسب مع ما ذُكر من صفات ذميمة. أضف إلى ذلك فإنّ الدور الذي تؤدّيه الزيارة في ربط الزائر بالشخصيات الروحية والقيادية مدعاة للمضي على سيرتهم وهديهم، وقد كان أئمّتنا عليهم السلام قمّة في الخشوع والخضوع والتواضع كما هو واضح لأبسط مطالعة في كتب السير؛ وعليه فلا بدّ للزائر وهو يقف بين أيدي أحدهم أن يكون غير مفارق لهذه الصفات الحميدة، بل لا يقتصر الأمر على فترة الزيارة، وإنّما ينبغي أن تكون هذه الصفات ملازمة له في جميع تصرّفاته، وهذا الأمر من المفترض أن يكون نتيجة لما حصل عليه من الرابطة القويّة بينه وبين تلك الشخصيات الفذّة في فترة الزيارة.

ثالثاً: الندم والتوبة

من الأُمور التي ذكرناها أثناء حديثنا عن حضور القلب في زيارة المولى أبي عبد الله عليه السلام، هي أنّ الزائر ينبغي له التأمّل في فساد حاله وجفائه لهم عليهم السلام وتقصيره في مقام العمل بوظائفه الدينية والشرعية. ولعمري، إنّ هذا الاعتراف هو لازم ضروري لجملة الخصائص والأبعاد التي حملها مفهوم الزيارة بحسب المنظور الشرعي المتقدّم، فإنّ مَن يكون في محضر القدس الإلهي، ونال شرف المشاركة المعنوية في واقعة الطفّ، وتشرّفت الملائكة بخدمته، ينبغي له أن يسعى إلى إصلاح أمره وجعل نفسه لائقة بهذه المنازل الرفيعة، وهذا لا يتأتّى إلّا من خلال التأمّل المذكور، فإنّه من خلاله ينفتح أمامه باب التوبة والندم على ما فات منه من ذنب وتقصير، هذه الفضيلة الأخلاقية التي مدحها الله وأثنى عليها في كتابه الحكيم، حيث قال عزّ وجلّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ...﴾[1]. وقال أيضاً: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾[2]. وقال كذلك: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ﴾[3].

(١) التحريم: آية٨.
(٢) النور: آية٣١.
(٣) البقرة: آية٢٢٢.

كما وقعت هذه الفضيلة مورداً للمدح في الروايات، فقد ورد عن الرسول الأكرمﷺ أنّه قال: «**التائب حبيب الله. والتائب من الذنب كمَن لا ذنب له**»(١). كما رُوي عن الإمام الباقرعليه السلام: «**إنّ الله أشدّ فرحاً بتوبة عبده من رجل أضلّ راحلته وزاده في ليلة ظلماء فوجدّها، فالله تعالى أشدّ فرحاً بتوبة عبده من ذلك الرجل براحلته حين وجدّها**»(٢).

هذا الأدب الذي ينبغي أن يتحلّى به الزائر ليقتطف ثمار زيارته، ويحقق الاستقامة المنشودة التي هي أحد الأهداف التي دعت الإمامعليه السلام إلى القيام بنهضته المباركة، حيث صرّح بذلك في وصيته التي كتبها لأخيه محمد بن الحنفية، والتي جاء فيها: «**وأنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً، ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أُمّة جدّي، أُريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدّي وأبي علي بن أبي طالب**عليهما السلام»(٣).

ومن هنا جاء في الروايات أنّ الزائر بعد الانتهاء من زيارته يأتيه النداء بأن يستأنف العمل فقد غُفر له، فقد روى الحسين بن ثوير بن أبي فاختة عن الإمام الصادقعليه السلام أنّه قال: «...**حتّى إذا أراد [الزائر] الانصراف أتاه ملك فقال: إنّ رسول الله**ﷺ **يقرؤك السلام ويقول لك: استأنف العمل فقد غُفر لك ما مضى**»(٤).

نتائج البحث

تلخّص لنا ممّا تقدّم مجموعة نقاط، هي:

١ـ إنّ زيارة المولى أبي عبد اللهعليه السلام هي مدرسة تربوية وظيفتها إعداد الزائر؛ لكي يكون تجسيداً حيّاً لما قام بهعليه السلام من دور خالد كانت مهمّته المحافظة على الجهود

(١) الفيض الكاشاني، المحجّة البيضاء في تهذيب الأحياء: ج٧، ص٧.
(٢) المصدر السابق: ص٨.
(٣) البحراني، عبد الله، العوالم (الإمام الحسينعليه السلام): ص١٧٩.
(٤) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص٢٥٣.

التي بذلها الرسول الكريم صلى الله عليه وآله ومَن جاء بعده من أهل بيته البررة عليهم السلام لإرساء دعائم الشريعة الإسلامية في المجتمع. فالنهضة الحسينية انطلقت في فترة حسّاسة صارت بها الدعوة الإسلامية على المحكّ، وكان من الضروري أن ينبري مَن يبذل الغالي والنفيس من أجل الإبقاء على هذه الدعوة وتقويم مسارها.

٢ـ تنبغي المحافظة على الدين الإسلامي في كلّ زمان أو مكان؛ والسبب يعود في ذلك إلى كون تعاليمه تقف دوماً أمام طموحات الطغاة والمفسدين ورغباتهم في السيطرة على الناس واستعبادهم، فينبرون لمحاربته والإطاحة به؛ ومن هنا نجد التأكيدات الكثيرة الصادرة عن أهل البيت عليهم السلام على خلق وعي حسيني يستشعر مأساة المولى وما جرى عليه هو ومَن معه، ويقف دوماً في خطّ المواجهة للدفاع عن دين الله ونصرة المظلومين والمستضعفين.

٣ـ إنّ هذا الوعي الحسيني يتجسّد على أرض الواقع بالبكاء عليه وإقامة مجالس الذكر والخروج بمسيرات تردّد شعارات هذه النهضة ومفاهيمها الثورية. ومن مظاهره المهمّة هي تعهد مرقد المولى عليه السلام بالزيارة في مواسم متعددة من السَّنة مضافاً إلى الزيارة المطلقة المستحبّة في جميع الأوقات.

٤ـ إنّ المفهوم اللغوي للزيارة هو الميل نحو المزور والعدول عن غيره. أمّا المفهوم العرفي للزيارة بشكل عامّ فهو عبارة عن قصد المزور إكراماً وتعظيماً له واستيناساً به. وفيما يتعلّق بزيارة الإمام الحسين عليه السلام على وجه الخصوص، فهي تُعبّر عن حالة من الارتباط المعنوي بين الشيعي وبين إمامه، واستشعار ما عاناه صاحب القبر الشريف من المظلومية والمحن، وما حقّقه من نصر معنوي بعد ذلك؛ كما أنّها تُعدّ استلهاماً لحالة الرفض لكلّ حالات الفساد على جميع الأصعدة دينيةً كانت أو بشرية.

٥ـ أمّا المفهوم الشرعي للزيارة فلم يبتعد عمّا تقدّم لغة وعرفاً. نعم، عند كون المتعلّق للزيارة هو القبور فقد أضاف القرآن لهذا المفهوم أخذ العِظة والعِبرة وتوجّه الإنسان إلى مآله في هذه الدنيا. أمّا على مستوى الروايات فقد أضافت إلى هذا المفهوم

مجموعة أبعاد جعلته أكثر عمقاً في خصوص زيارة المولى أبي عبد الله عليه السلام، من قبيل كونها تُعدّ حضوراً في ساحة القرب الإلهي، ومشاركة فاعلة للزائر في أحداث واقعة كربلاء، وشموله برعاية الملائكة واهتمامهم، وأخي تعدّ عقد ولاء بينه وبين المزور، وتعهداً منه بالسير على نهجه وهداه.

٦ـ إنّ الزيارة بما تضمّنته من أبعاد متقدّمة، ينبغي أن تكون مشفوعة بجملة آداب تجعل الزائر في كلّ خطوة يخطوها واضعاً قدمه على أُسس شرعية وتربوية. وهذه الآداب من قبيل: الصيام، الطهارة من الحدَث والخبَث، حزن الزائر وكونه أشعث أغبر، حضور القلب، الخشوع والخضوع، وغير ذلك.

والحمد لله ربّ العالمين.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

١ ـ أساس البلاغة، محمود بن عمر الخوارزمي الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، دار ومطابع الشعب، القاهرة، ١٩٦٠م.

٢ ـ الأمالي، محمد بن علي بن بابويه القمّي المعروف بالشيخ الصدوق (ت٣٨١هـ)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية في مؤسّسة البعثة، نشر: مركز الطباعة والنشر في مؤسّسة البعثة، قم المقدّسة، الطبعة الأُولى، ١٤١٧هـ.

٣ ـ أنوار التنزيل وأسرار التأويل، عبد الله بن عمر البيضاوي (ت٦٨٥هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأُولى، ١٤١٨هـ.

٤ ـ البرهان في تفسير القرآن، هاشم البحراني (ت١١٠٧هـ)، تحقيق: مؤسّسة البعثة ـ شعبة التحقيقات الإسلامية، مؤسّسة البعثة ـ قسم الدراسات الإسلامية، قم المقدّسة، الطبعة الأُولى، ١٤١٥هـ.

٥ ـ تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي (ت١٢٠٥هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

٦ ـ التبيان في تفسير القرآن، محمد بن الحسن الطوسي (ت٤٦٠هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأُولى.
٧ ـ التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور (ت١٣٩٤هـ)، مؤسّسة التاريخ العربي، بيروت، الأُولى، ١٤٢٠هـ.
٨ ـ التحقيق في كلمات القرآن الكريم، حسن المصطفوي، مؤسّسة الطباعة والنشر في وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، الطبعة الأُولى، ١٤١٧هـ.
٩ ـ التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، محمد بن عمر الرازي المعروف بالفخر الرازي (ت٦٠٦هـ)، نشر وإعداد: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ.
١٠ ـ تهذيب الأحكام، محمد بن الحسن الطوسي (ت٤٦٠هـ)، حققه وعلّق عليه: السيّد حسن الموسوي الخرسان، دار الكتب الإسلامية، طهران ـ إيران، الطبعة الرابعة، ١٣٦٥ش.
١١ ـ ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، محمد بن علي بن بابويه القمّي المعروف بالشيخ الصدوق (ت٣٨١هـ)، منشورات الرضي، قم المقدّسة، الطبعة الثانية، ١٣٦٨ش.
١٢ ـ الحدائق الناظرة، يوسف البحراني (ت١١٨٦هـ)، مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، قم المشرّفة، ١٤٠٩هـ.
١٣ ـ الدروس الشرعية في فقه الإمامية، محمد بن مكّي العاملي (الشهيد الأوّل) (ت٧٨٦هـ)، تحقيق ونشر: مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، قم المشرّفة، الطبعة الأُولى.
١٤ ـ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، محمود الآلوسي (ت١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، الطبعة الأُولى، ١٤١٥هـ.
١٥ ـ روضة المتّقين في شرح مَن لا يحضره الفقيه، محمد تقي المجلسي المعروف بالمجلسي الأوّل (ت١٠٧٠هـ)، علّق عليه وأشرف على طبعه: السيد حسين الموسوي والشيخ علي پناه الاشتهاردي، بنياد فرهنگ إسلامي ـ حاج محمد حسين كوشانبور.

١٦ ـ الزيـارة والتوسّـل، صائب عبد الحميد، مركز الرسـالة، قم ـ إيـران، الطبعة الأُولى، ١٤٢١هـ.
١٧ ـ الشعائر الدينية بين الأصالة والتجديد، محمد السند، تحقيق: السيد رياض الموسوي، دار الغدير، قم ـ إيران، الطبعة الأُولى، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.
١٨ ـ الصحاح، إسماعيل بن حمّاد الجوهري (ت٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت ـ لبنان، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
١٩ ـ الصـدوق، محمـد بن عـلي بن بابويه، مَـن لا يحضره الفقيـه، محمد بن علي بـن بابويه القمّـي المعـروف بالشـيخ الصـدوق (ت٣٨١هـ)، صحّحـه وعلّق عليـه: علي أكبر الغفاري، منشورات جماعة المدرّسين في الحوزة العلمية، قم المقدّسة.
٢٠ ـ عجائب زيارة سـيد الشـهداء الإمام الحسـين عليه السلام، حافظ الحدّاد، مركز أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه، الطبعة الأُولى، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.
٢١ ـ العوالم (الإمام الحسين عليه السلام)، عبد الله البحراني (ت١١٣٠هـ)، تحقيق ونشر: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، قم المقدّسة، الطبعة الأُولى، ١٤٠٧هـ/ ١٣٦٥ش.
٢٢ ـ عوالي اللآلئ، محمد بن علي الأحسـائي المعروف بابن أبي جمهور (ت نحو ٨٨٠هـ)، تحقيق: مجتبى العراقي، مطبعة سـيد الشـهداء عليه السلام، قم ـ إيران، الطبعة المحققة الأُولى، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
٢٣ ـ العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٥هـ)، الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي، مؤسّسة دار الهجرة، قم ـ إيران، ١٤٠٩هـ.
٢٤ ـ الـكافي، محمـد بن يعقـوب الكلينـي (ت٣٢٩هـ)، صححـه وعلّق عليـه: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران ـ إيران، الطبعة الرابعة، ١٣٦٥ش.
٢٥ ـ كامـل الزيـارات، جعفـر بن محمد بـن قولويه القمّـي (ت٣٦٨هـ)، تحقيق: الشـيخ جواد القيومي، لجنة التحقيق، نشر: مؤسّسة نشر الفقاهة، قم المقدّسة، الطبعة الأُولى، ١٤١٧هـ.
٢٦ ـ كتـاب المـزار، محمد بن محمد بن النعـمان العكبري البغدادي المعروف بالشـيخ المفيد

(ت٤١٣هـ)، تحقيق: السيد محمد باقر الأبطحي، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

٢٧ ـ لسان العرب، محمد بن مكرم الإفريقي المصري المعروف بابن منظور (ت٧١١هـ)، نشر أدب الحوزة، قم ـ إيران، ١٤٠٥هـ/ ١٣٦٣ش.

٢٨ ـ مجمع البحرين، فخر الدين الطريحي (ت١٠٨٥هـ)، تحقيق: السيد أحمد الحسيني، نشر مرتضوي، الطبعة الثانية، ١٣٦٢ش.

٢٩ ـ مجمع البيان في تفسير القرآن، الفضل بن الحسين الطبرسي (ت٥٤٨هـ)، تحقيق: هاشم الرسولي، منشورات ناصر خسرو، طهران، الطبعة الثالثة، ١٤١٣هـ.

٣٠ ـ المحجّة البيضاء في تهذيب الأحياء، محمد بن المرتضى المدعو بالمولى محسن الكاشاني (ت١٠٩١هـ)، صحّحه وعلّق عليه: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم المقدّسة، الطبعة الثانية.

٣١ ـ مختصر مفيد، جعفر مرتضى العاملي، المركز الإسلامي للدراسات، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

٣٢ ـ المزار الكبير، محمد بن جعفر المشهدي (القرن السادس الهجري)، تحقيق: جواد القيومي، المطبعة: مؤسّسة النشر الإسلامي، قم المقدّسة، الطبعة الأُولى، ١٤١٩هـ.

٣٣ ـ مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، حسين بن محمد تقي النوري الطبرسي (ت١٣٢٠هـ)، مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٣٤ ـ مصباح المتهجّد، محمد بن الحسن الطوسي (ت٤٦٠هـ)، مؤسّسة فقه الشيعة، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

٣٥ ـ المصباح المنير، أحمد بن محمد الفيومي (ت٧٧٠هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

٣٦ ـ معالم التنزيل، الحسين بن مسعود البغوي (ت٥١٠هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، بيروت، الطبعة الأُولى، ١٤٢٠هـ.

٣٧ ـ معجم لغة الفقهاء، محمد قلعجي، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
٣٨ ـ معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا (ت٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، نشر: مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤٠٤هـ.
٣٩ ـ مفاتيح الجنان، عباس القمّي (ت١٣٥٩هـ)، تعريب: السيد محمد رضا النوري النجفي، منشورات مكتبة العزيزي، قم المقدّسة، الطبعة الثالثة، ١٣٨٥ش/ ٢٠٠٦م.
٤٠ ـ الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي (ت١٤٠٢هـ)، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٠هـ.
٤١ ـ نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام، تحقيق: صبحي الصالح، الطبعة الأُولى، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.
٤٢ ـ وسائل الشيعة، محمد بن الحسن الحرّ العاملي (ت١١٠٤هـ)، تحقيق ونشر: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم المشرّفة، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.

التجلّيات العقدية في زيارة الإمام الحسين عليه السلام

الشيخ حيدر العريضي*

مقدّمة

حين يستقرئ الناظر في أُفق التأريخ حراك الأُمم والشعوب بعين الناقد البصير، سيكتشف من آثارها مدى الاهتمام البالغ برمزية معتقداتهم، وبتقديس شعائرهم، سواء أكانوا قد اعتنقوا أدياناً سماوية أم تبنّوا أفكاراً مادّية وأُسطورية، وتلك الحقيقة التأريخية هي الحاضرة باستمرار؛ إذ يعتمدها مريدو أغلب نظريات الحداثة المادّية وما بعدها، وأهمّها العلمانية، فضلاً عن الأُصولي المتديِّن؛ لأنّ أهمّ أسباب ديمومة أفكار الأُمم وخلودها هو تقديس رموزها والدفاع عنها.

إنّ النظرية الإسلامية يرتكز بناؤها نظريّاً على محورين، أحدهما متمّم للآخر: فالأوّل يهتمّ بالكمال العلمي والفكري، والآخر يعتني بجهة الكمال الروحي الضامن للخلود الأبدي.

وأمّا الارتكاز العملي في دائرة الدين الإسلامي، فيعتمد في ديمومته على ركنين يكمّل أحدهما الآخر، وهما: الالتزام بالقرآن الكريم، ذلك الكتاب الصامت، والآخر هو اتّباع العترة الطاهرة، وهي الكتاب الناطق بالحقّ إلى يوم القيامة. فأمّا القرآن فقد أُحرز خلوده بإعجازه وانتسابه إلى الله تعالى، سواء على مستوى البيان والفصاحة، أم على غير ذلك من وجوه الإعجاز الأُخرى، وأمّا في مقام الدلالة فلا بدّ له من مفسِّر لآياته ومبيِّن لأحكامه، وهنا يأتي دور النبيّ صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، فهم

---

* باحث إسلامي، من العراق.

عِدله، قد اختارهم الله تعالى بحكمته، بعد أن شرط عليهم الزهد في الدنيا وزُخرفها، وتحقّق الوفاء منهم بأداء هذه الرسالة الكبرى على أتمّ وجه.

إنّ من أولويات مهامّ النبوّة هو التأكيد على كلّ ما يُفضي إلى توحيد الله عزّ وجلّ، والحثّ على ذلك، وفي مقابل ذلك التفنيد لكلّ ما يؤدّي إلى الشرك، والنهي عنه، فقد عمد النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله إلى تحطيم الأصنام يوم فتح مكّة، والنهي عن زيارة قبور المشركين، بعد أن أعرض صلى الله عليه وآله عن القصاص من زعماء قريش، فهذا خيرُ دالٍّ على أهمّية تلك الرموز في نفوس المشركين، ومقدار تأثيرها في ضلالهم عاجلاً وآجلاً، وفي المقابل ورد الحثّ على زيارة قبور المسلمين والتبرّك بالحجر الأسعد، فالفارق بين التعبّد بحجر الصنم وبين التبرّك بالحجر الأسعد، هو أنّ الأوّل من روح الشيطان ووسوسته، أمّا الآخر فمن وحي الله تعالى وأمره؛ لذا كان الرمز الأوّل يدلّ على الشرك، وكان الرمز الثاني يدلّ على التوحيد.

وقد ترتفع دلالة التوحيد درجة إن كان الدالّ عليه هو جسد وليٍّ اصطفاه الله تعالى لحمل أمانة وحيه، بعد أن اصطنعه لنفسه، حتّى صار مزيجاً من روحٍ قدسية، ونفسٍ زكيّة، مع جسدٍ طاهر، وبينهما علقة خفيّة، ورابطة قويّة، تختلف عمّا سواها من الأجسام البشرية.

لقد أولى الإسلام الجانب الروحي عنايةً خاصّة تفوق عنايته بالجانب المادّي، فالبدن محدود القدرة ضمن نطاق (الزمكانية)، أمّا الروح فطاقة حيوية متجدّدة عبر الأجيال، قد اخترقت أسوار المحدودية وكسبت سرّ خلود المبادئ الدينية، وحكمة تشريعاتها؛ ومن هذا المنطلق فقد أضفى الإسلام قدسية على رموزه وشعاراته، وحثّ مريديه على استلهام الدروس والعبر من تلكم الدوال، وأهمّ مصداق لها مراقد الأولياء والصالحين والشهداء، فهم الأحياء بحياة الروح الزاكية، ولهم حقّ الوفاء، وجميل الثناء.

مما تقدّم يمكن أن يقدّم الكاتب جملة التجلّيات العقدية من زيارة مرقد الإمام

الحسين عليه السلام خاصّة كأُنموذجٍ لأهمّ الزيارات التي حثّ عليها الشرع الحنيف، وجعلها محطّ رحال أفئدة المؤمنين، فقد جاء مخطّط هذا المبحث مبتدِئاً بالتمهيد لبيان مفاهيم العنوان، وأهمّية الزيارة، مع الاستدلال على استحبابها، ثمّ الحديث بعد ذلك عن أهمّ التجلّيات العقدية من تلك النصوص الشرعية في ثلاثة مطالب، وهي التوحيد، والنبوّة مع لازمها الخلافة، ثمّ المعاد، معتمدين في دراستنا هذه على أهمّ نصوص الزيارات المعتبرة والمشهورة. هذا، ونسأله تعالى التوفيق والسداد إنّه نعم المولى ونعم النصير.

تمهيد

أوّلاً: بيان معاني مفردات الموضوع

معنى التجلّي: وردت معاني غزيرة ومتعدّدة للفظ (جلا)، سأذكر منها ما يخصُّ البحث كما وردت في لسان العرب، فقد قال ابن منظور: «**والجَلاء (ممدود): الأَمر البَيِّنُ الواضح. والجَلاءُ (بالفتح والمدِّ): الأَمرُ الجَلِيُّ، وتقول منه: جَلا لي الخبرُ، أَي: وَضَح... ويقال: أَخْبرني عن جَلِيَّةِ الأَمر، أَي: حقيقته... والجَلِيَّة: الخبر اليقين... والجَلِيَّة: البَصِيرة... وجَلَوْت، أَي: أَوضحت وكَشَفْتُ، وجَلَّى الشيءَ، أَي: كشفه**»[1].

معنى الزيارة: قال الطريحي: «**زاره يزوره زيارة: قصده، فهو زائر وزور وزوّار، مثل سافر وسفر وسفّار**»[2]، وورد أنّ «**زيارة الله تعالى زيارة أنبيائه وحججه صلى الله عليه وآله، مَن زارهم فقد زار عرش الله عزّ وجلّ. وفي الدعاء اللّهمّ اجعلني من زوّارك**»[3]، أيّ: من القاصدين لك الملتجئين إليك.

من خلال ما تقدّم نحصل على خلاصة مفادها: ظهور حقيقة أُصول الدين وانكشافها من آثار مضمون وطقوس مقاصد المؤمنين لمرقد سيّد الشهداء عليه السلام.

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج١٤، ص١٥.
(٢) الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين: ج٣، ص٣١٩.
(٣) المصدر السابق: ص٣٢٠.

ثانياً: أهمّية الزيارة وشرعيّتها

تكمن أهمّية الزيارة للأماكن المقدّسة ومراقد المعصومين والأولياء عليهم السلام في دلالتها وآثارها؛ فللزيارة أقسام كثيرة، لكلّ واحدة منها فوائد خاصّة، منها زيارة بيت الله الحرام التي تنطوي على فلسفة وآداب خاصّة ذُكرت مفصّلاً في المصادر الفقهية؛ ولا شكّ في أنّ لزيارة قبور المؤمنين ثمرات ذات اتجاهين: منها ما يعود إلى الزائر، ومنها ما يرجع إلى المزور، فبالإضافة إلى الثواب المترتّب على زيارة المؤمن فإنّ الروايات أكّدت أنّ صاحب القبر يفرح بزيارة قبره، وأنّ هذه الزيارة تترتّب عليها أيضاً فوائد مهمّة أُخرى للمؤمنين، هي: تذكّر الموت، والعبرة، والاستعداد لإصلاح النفس وتهذيبها، فقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «**زوروا موتاكم؛ فإنّهم يفرحون بزيارتكم، وليطلب أحدكم حاجته عند قبر أبيه وعند قبر أُمّه بما يدعو لهما**»[1]. وفي الحديث الذي روته صحاح العامّة ومصادرهم عن أبي مويهبة مولى رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «**أُمر رسول الله (صلّى الله عليه [وآله] وسلّم) أن يصلِّي على أهل البقيع، فصلّى عليهم رسول الله (صلّى الله عليه [وآله] وسلّم) ليلةً ثلاث مرّات، فلمّا كانت ليلة الثانية، قال: يا أبا مويهبة، أسرج لي دابتي. قال: فركب فمشيت حتّى انتهى إليهم، فنزل عن دابته وأمسكت الدابة، ووقف عليهم أو قال: قام عليهم، فقال: ليهنئكم ما أنتم فيه ممّا فيه الناس، أتت الفتن كقطع الليل يركب بعضها بعضاً، الآخرة أشدّ من الأُولى...**»[2]، وهذا دليل يُلزِم أتباع مدرسة الحديث والسلفية السماح بزيارة قبور الأولياء والصالحين وإعمارها، لا العكس كما نراه في زماننا، فالموثّق لهذا الحديث ومصحِّحه هو من كبار علماء مذهب السلفية.

إنّ النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله والأئمّة الأطهار عليهم السلام هم المصداق الأمثل للإنسان الكامل،

(١) الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج٣، ص٢٢٣.
(٢) ابن حنبل، أحمد، مسند أحمد بن حنبل: ج٣، ص٤٨٨ ـ ٤٨٩.

وإنّهم أحبّ الخلق إلى الله تعالى؛ لِما اتّسموا به من صفات الكمال تقوى وورعاً وعلماً، وقد عصمهم الله من الذنوب ظاهراً وباطناً، وأمر تعالى بحبّهم وولائهم، وإنّ مَن حاربهم فقد حارب الله تعالى، فلا يصل الإنسان إلى مقام القرب الإلهي إلّا بمحبّتهم وقبول ولايتهم.

إنّ الفضل المترتّب على زيارتهم عليهم السلام واضح العلّة؛ باعتبارها تمثّل أفضل الطرق للتواصل مع أئمّة الهدى المعصومين عليهم السلام، ممّا يوجب فلاح الإنسان، وترسيخ الجانب المعنوي في شخصيته، بالإضافة إلى ما تنطوي عليه الزيارة من الحظوة بكرامة الأئمّة عليهم السلام، وتعزيز الآصرة القلبية بين الزائر والإمام المعصوم عليه السلام؛ تجديداً للعهد باستمرار المسيرة الروحية التي يتحرّك فيها المؤمن استلهاماً منهم، وتأسّياً بهم عليهم السلام.

ومن الآثار المترتّبة أيضاً على زيارة مراقدهم عليهم السلام الشريفة غفران الذنوب، والفوز بشفاعتهم، وإنجاح طلبات الزائرين، وسأحاول هنا الإشارة إلى نماذج من الروايات التي تُشير إلى ثمار الزيارة وما يترتّب عليها:

فقد رُوي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: «**مَن زارني إلى المدينة كنتُ له شهيداً وشفيعاً**»[1].

ورُوي أيضاً: «**مَن زارني بعد وفاتي وسلَّم عليَّ رددت عليه السلام عشراً، وزاره عشرة من الملائكة، كلّهم يسلِّمون عليه...**»[2].

كما أكّد النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله شرعية الزيارة عملياً، فقد نُقِل خبرٌ مفاده: «**أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله حين انصرف من معركة أُحد مرَّ على مصعب بن عمير، وهو مقتول على طريقة، فوقف عليه صلى الله عليه وآله، ودعا له، ثمّ قرأ هذه الآية:** ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾[3]، **ثمّ قال رسول صلى الله عليه وآله: أشهد أنّ هؤلاء**

(١) الأميني، عبد الحسين، الغدير: ج٥، ص١٠٧.
(٢) المصدر السابق.
(٣) الأحزاب: آية٢٣.

شهداء عند الله يوم القيامة، فأتوهم وزوروهم، والذي نفسي بيده، لا يُسلِّم عليهم أحدٌ إلى يوم القيامة إلّا ردّوا عليه»[1]. وعلَّق الحاكم النيسابوري على هذا الحديث بأنّه صحيح على شرط الشيخين (البخاري، ومسلم)، ولكن لم يخرجاه[2]. وما إعراض الشيخين عن إخراج الحديث وغيره من المرويّات الدالة على استحباب الزيارة إلّا لأسباب سياسية عملت عليها الدولة الأُمويّة؛ لغرض إنكار فضل الشهداء، وتقليل شأن الرموز الإسلامية.

وعن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «**مَنْ زار قبرَ الحسين عليه السلام لله وفي الله أعْتَقَهُ من النار، وآمنهُ يومَ الفزع الأكبر، ولم يسأل الله حاجةً من حوائج الدنيا والآخرة إلّا أعطاهُ**»[3].

هذا غيض من فيض المتواترات والروايات المستفيضة والمعتبرة الكثيرة في تأكيد شرعية زيارة المعصومين عليهم السلام والأولياء والصالحين، ذكرتها المصادر الحديثيّة، وأشبعها العلماء بحثاً وتحقيقاً.

وممّا تقدّم يمكن استنتاج أهمّ ثمرات الزيارة وآثارها، مرتبةً في نقاط عديدة، منها ما يلي:

١ ـ تنامي معارف الزائر وعلومه الدينية من خلال المفاهيم والقيم التي تنطوي عليها نصوص الزيارات.

٢ ـ معرفة مقام الأئمّة عليهم السلام، وتحكيم آصرة الولاء بين الزائر والأولياء الربّانيين.

٣ ـ اختيار النموذج الأمثل لمقام قيادة المجتمع.

٤ ـ توفير الأرضية المناسبة لاجتناب المعاصي واقتراف الذنوب، وكسب محاسن الأخلاق.

٥ ـ تعزيز روحية العمل الجمعي، وصيانة هوية التشيّع من الضياع، ومواصلة التعايش مع ثورات الأئمّة وتحرّكاتهم السياسية والاجتماعية.

(١) الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله، المستدرك على الصحيحين: ج٢، ص٦٢٩.
(٢) أُنظر: المصدر السابق.
(٣) الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج١٤، ص٤٩٩.

٦ ـ إشاعة روح الثورة، وتعزيز الشجاعة والفداء في الوسط الاجتماعي، وبثّ روح المطالبة بالحقّ والعدل والتأكيد على إحقاق حقوق الجماهير كأهمّ شعار يرفعه الشيعة.

٧ ـ تقوية روح التصدّي للظالمين، وفضح جرائمهم التي وقعت على مرّ التاريخ بحقّ المسلمين أئمّة ورعايا، وجعل المجتمع يعيش أمل الحكومة النموذجية، ويُمهِّد لتحقّقها على يد المنقذ الحجّة بن الحسن العسكري عجل الله تعالى فرجه الشريف.

٨ ـ تلك الثمار هي بعض ما يظهر من الآثار المعنوية والاجتماعية لدى المتأمِّل في أهمّية الزيارة وفوائدها، وما يخفى من الأُمور المعنوية والأُخروية أكثر، قد لا يتسنّى لنا إدراكه، والله أعلم بأسرار أوليائه وشريعته.

لقد أولى علماء الإمامية تحقيق نصوص الزيارات الواردة عن المعصومين عليهم السلام اهتماماً بالغاً، ووثّقوها في كتبهم، من قبيل (كامل الزيارات) لابن قولويه القمّي، هذا الكتاب الذي يُعدّ من أهمّ الكتب المصنّفة في هذا المجال، ومنها أيضاً: كتاب (المزار) للشيخ المفيد، و(مصباح المتهجّد) للشيخ الطوسي، و(مهج الدعوات) للسيّد ابن طاووس، و(المزار الكبير) للشيخ محمد بن جعفر المشهدي، و(تحفة الزائر) للعلّامة المجلسي، وكتاب (مفاتيح الجنان) المشهور للشيخ عباس القمّي.

وعلى الرغم من الأُصول التأريخية المتينة لشعيرة الزيارة في الفكر الإسلامي عامّة، والشيعي خاصّة، إلّا أنّ هناك طائفة ظهرت في القرن الثالث عشر الهجري تُعرف بالوهابية، رفعت راية المخالفة والرفض لزيارة المراقد المقدّسة وقبور الصالحين، بل وهدمها، بدعوى أنّها من مظاهر الشرك وعبادة الأصنام، وهذا ما لا ينسجم مع السنّة النبوية وسيرتها، مثيرين بذلك الكثير من الشكوك والاستفهامات، فتصدّى للإجابة عنها علماء الفريقين من الشيعة والسنّة بإثبات رجحان الزيارة وشرعيتها.

والملاحِظ لنصوص الزيارات التي وردت عن أهل البيت عليهم السلام يجدّها تتضمّن كمّاً هائلاً من المعارف الإسلامية والعقائدية، وقد اشتهرت من بين تلك الزيارات، بسبب اعتبار أسانيدها وعمق محتواها مجموعة من الزيارات كزيارة (عاشوراء)،

وزيارة (الجامعة الكبيرة)، وزيارة (أمين الله)، بالإضافة إلى زيارة (وارث) المشهورة.

تنقسم الزيارات الواردة عن المعصومين عليهم السلام إلى طائفتين، هما: الأُولى الزيارات الخاصّة ببعض المعصومين، والثانية الزيارات المشتركة التي يصحّ زيارة أكثر من معصوم بها. وسأعتمد في هذه المقالة على جميع الزيارات المخصوصة بالإمام الحسين عليه السلام، بالإضافة إلى بعض الزيارات المشتركة التي يُزار بها جميع المعصومين عليهم السلام كما ذُكِرَ أعلاه، وأستنطق مضامينها؛ لمعرفة أهمّ التجلّيات العقدية من تلك الكلمات النورانية، وهي كما يلي بالترتيب.

المطلب الأوّل: تجلّي دلالة التوحيد

تقرّر في علم الاجتماع أنّ الفعل الإنساني يتّصف بالمعنى، أي: الغاية المقصودة بإرادة جادّة، فكلُّ عمل عقلائي لا بدّ أن يصدر عن دافع وواعز، يدعو الإنسان للتحرّك نحو مراده؛ إشباعاً لحاجة في نفسه، فالمؤمن عندما يقصد زيارة مرقد الإمام الحسين عليه السلام يجد في نفسه واعز الميل نحو صرحٍ ممرّد من الرحمة الربّانية الواسعة، تشفي غليله، وتبرّد لوعته من سقم مكابد الدنيا، وخشية هول الآخرة، ويعتقد المؤمن أنّ مُبدئ هذا الصرح ومُبدعه هو الله سبحانه، الذي اصطنعه بقدرته، وكساه بصبغته بأحسن لونٍ من ألوان جميل صنعه، ومصدر هذا المعتقد معرفته بكمال صفات الإمام الحسين عليه السلام الخَلقية والخُلقية، فقد أدّى حقّ العبودية لمولاه تعالى، وضحّى بنفسه وأهل بيته وصحبه لأجل إنصاف المظلوم، وإعلاء كلمة التوحيد، وإصلاح ما فسد من أُمور المسلمين؛ حفاظاً على الهويّة الإسلامية من مؤامرات بني أُميّة الرامية لطمسها، تمهيداً لعودة شرك الجاهلية بأساليب شيطانية خفية، فالمتتبّع لسيرة سلاطين بني أُميّة وبني العباس وولاتهم يجد بوناً شاسعاً بين سلوكهم وتعاليم الدين الإسلامي المتمثّلة في سيرة نبيّنا الأكرم صلى الله عليه وآله، فقد تمظهروا بلباس الإسلام، وأقاموا بعض شعائره؛ لتسيير أُمور سلطانهم، وخشية من ثورة رعيتهم عليهم، وقد بيّن

الإمام الصادق عليه السلام هذه الحقيقة لأصحابه بقوله: «**إنّ بني أُميّة أطلقوا للناس تعليم الإيمان، ولم يُطلقوا تعليم الشرك؛ لكي إذا حملوهم عليه لم يعرفوه**»[1]. وهو ما يعرف بسياسة التجهيل، وفنّ خداع الرعية بالنكراء والشيطنة.

إنّ عظمة الإمام الحسين عليه السلام، وعلوّ شأنه في النفوس الأبيّة، بالإضافة إلى جليل مصابه وأثره البالغ في نفوس المؤمنين قد يشغل ذهن الزائر بعظمة ذلك الكيان شُغلاً ـ وإن ندر ـ قد يجعله في غفلةٍ تذهله عن خالقه ومبدعه (جلّ جلاله)، فقد يقصد من الزيارة ذات المزور، ويطلب منه بذاته، لا بواسطة اعتباره الوسيلة لربّه؛ لأنّ الطبع البشري يتأثّر بالمحسوس بدرجةٍ أقوى من تأثُّره بالغيب، الأمر الذي قد يؤدّي إلى الغلو بمقام حبيبه ومزوره.

وما كان من أئمّة الهدى عليهم السلام أن تغيب عنهم تلك العلل والأسقام المهلكة إلّا ويضعوا لها اللقاح المناسب للوقاية من ضررها؛ وعليه قد لا يجد الزائر نصّاً وارداً عن المعصوم عليه السلام ممّا يُزار به خالياً من ذكر الله تعالى، من تكبير، وتهليل، وبسملة، وحوقلة.. وفي بعض الزيارات يُستحبّ للزائر قبل وروده الحرم الشريف أن يُكبّر الله مائة مرّة، ويستغفره سبعين مرّة، ثمّ يحمده تعالى لحسن توفيقه بقوله: «**الحمد لله الواحدِ الأحدِ، الفردِ الصمدِ، الذي هداني لولايَتِك، وخصَّني بزيارتك، وسهَّل لي قصدك**»[2].

فهذه مقدّمات لترسيخ معنى التوحيد في نفس المؤمن؛ كيلا تذهب به المذاهب بسابح الغفلة والخيال عن أصل الخير وخالق أئمّة الهدى عليهم السلام، فالزائر يجد نفسه في بيتٍ أذن الله تعالى أن يُرفعَ ذكرُه فيه؛ لذا يقف متصاغراً أمام تلك العظمة، مناجيّاً حضرته بقوله: «**السلام على محالّ معرفة الله، ومساكن بركة الله، ومعادن حكمة**

(١) المازندراني، المولى محمد صالح، شرح أُصول الكافي: ج١٠، ص١٣٤.
(٢) القمّي، عباس، مفاتيح الجنان: ص٤٤٤.

الله، وحفظة سرِّ الله، وحملة كتاب الله...»[1]. حيث تستمرّ تلك السلسة من الذكر التوحيدي تأكيداً لخلوص مراد الزائر في مقصده القربي لله تعالى.

إنّ افتتاح مراسم نصوص الزيارة بالبسملة، وحمد الله تعالى، والثناء عليه، هي السمة الغالبة في تلك النصوص الشريفة، فالزائر يقرأ في نصّ الزيارة وقبل دخول حرم الحائر الحسيني حين يقف مستأذناً للدخول: «**الله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً، وسبحان الله بكرةً وأصيلاً، الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله**»[2]، فالتكبير والحمد والتسبيح قبل الدخول في الحرم غايته هي تأكيد معنى التوحيد الخالص في نفس المؤمن القاصد من زيارته نيّة القربى لله تعالى؛ لأنّ مقصده ومزوره كان عابداً مخلِصاً، لا يرى مؤثّراً خارج قدرة الباري عزّ وجلّ، ولا يشعر بأثرٍ سوى آثار رحمته تعالى، وقد كبُرَ في نفسه مولاه، فصغُرَ ما دونه من المخلوقين. إنّ المتدبِّر في هذا التكبير والثناء يستذكر تلك العقيدة الراسخة بخالقه الذي جعل منه عليه السلام قدوةً للأحرار الذين خافوا الله تعالى، فأخاف منهم كلّ موجود، وأحبّوه سبحانه، فألقى محبّتهم في قلوب الناس.

إنّ التكبير معناه أنّ الله سبحانه هو الواحد المتفرّد بصفات الكمال في هذا الوجود، فهو تعالى أكبر من كلّ شيء في هذا الوجود، وأعظم وأجلّ وأعزّ وأعلى من كلّ ما يخطر بالبال أو يتصوّره الخيال؛ ولذا فإنّ على العبد إذا وقف بين يدي الله تعالى لمناجاته وأداء عبادته وتلفّظ بهذه الكلمات بتدبّر عليه أن يستحضر هذه المعاني الجليلة القدر، والمتوافقة وفطرة النفس التي فطر الله الناس عليها، فقد ورد في الحديث القدسي: «**الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمَن نازعني واحداً منهما ألقيته في ناري**»[3]، فالإنسان المؤمن لا يغفل عن حقيقة التكبير خاشعاً لمولاه، ويسبّحه في

(١) المصدر السابق: ص٧٨٣.
(٢) المصدر السابق: ص٦٢٨.
(٣) البروجردي، حسين، جامع أحاديث الشيعة: ج١٣، ص٤٤٥.

جميع أوقاته، وقد جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾[1]، أي: أيّها العبد تواضع وانسب ربّك إلى الكبرياء والعظمة دوماً اعتقاداً وعملاً في قولك وفعلك، وهو تنزيهه تعالى من أن يعادله أو يفوقه شيء، فلا شيء يشاركه أو يغلبه أو يمانعه، ولا نقص يعرضه، ولا وصف يحدّه؛ ولذا ورد عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام أنّ معنى التكبير هو: أنّ الله أكبر من أن يوصف، فهو تعالى أكبر من كلّ وصف يصفه به خيالنا، حتّى من هذا الوصف، وهذا هو المناسب للتوحيد في الفكر الإسلامي الأصيل الذي يفوق ما نجده من معنى التوحيد في سائر الشرائع السماوية[2].

تجلّي عقيدة التوحيد الإلهي في زيارة الإمام الحسين عليه السلام

إنّ الشهادة لله تعالى بالتوحيد لا تفضّ عن فم المؤمن حال أدائه مراسم زيارة سيّد الشهداء عليه السلام، مستنداً في خطابه وسلامه على النصّ الوارد عن المعصومين عليهم السلام، بما يشتمل عليه من معانٍ جليلة تتسم بشهادة الوحدانية وتعظيم الله تعالى، فالزائر يستقبل القبلة متوجّهاً نحو مرقد المعصوم عليه السلام، في إشارة إلى الخطّ التوحيدي المستقيم، ويتلو هذه الشهادة بقلب خاشع، وعين باكية، قائلاً: «**أشهدُ أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، كما شَهِد الله لنفسه، وشَهِدت له ملائكته، وأُولو العلم من خلقه،** ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ ...»[3].

فهذه الشهادة تزيد من ترسيخ معنى التوحيد الخالص في نفس الزائر، حيث تتجلّى له دلالات أُخرى نافية للصفات التي لا تليق بشأنه سبحانه: كالشريك والتحيُّز والمحدودية، فبعد أن أثبت الزائر لمولاه صفة التفرّد بالعظمة ينتقل بخاطره لنفي كلّ شريك له سبحانه في تلك العظمة والعزّة والعلم، ويسبّح مولاه؛ تنزيهاً له تعالى عن كلّ ما لا يليق بشأنه (جلّ وعلا).

---

(١) الحشر: آية٣.

(٢) أُنظر: الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج٢٠، ص٨٠.

(٣) القمّي، عباس، مفاتيح الجنان: ص٧٨٤.

فالخالق سبحانه غني مطلق، قد تفرّد بصفات الكمال من جميع الوجوه، وحده لا شريك له؛ لأنّ غيره ـ على سبيل الفرض ـ إمّا مثله في الكمال، وإمّا أنقص منه، فليس بعد الكمال المطلق والمنتهي حدّ يُفترض، ولو فُرِضَ جدلاً إمكان وجود الأكمل لما انتهت الفرضيات إلى حدّ، وللزم التسلسل الباطل عقلاً، وإن كان الإله المفترض هو مثله في الكمال، لزم أن يكون نفسه، ولا يتوقّف وجود الشيء على نفسه؛ لحصول الدور الباطل عقلاً، أو لوصلتنا رسله وأنبياؤه، ولرأينا آثاره، وهو غير متحقّق في الوجدان، فالعقل يحكم ببطلان وجود المثل والشبيه، وأمّا فرض الأقلّ من الواجب تعالى كمالاً، فهو مرجوح عقلاً، مغلوب على أمره، فلا حاجة لوجوده، فضلاً عن الاعتقاد به، مع وجود الأرجح في كماله، وهو أحقّ بالعبادة، ولا يستحقّها موجود إلّا الله سبحانه.

لقد أحرز الزائر بشهادة التوحيد هذه الكينونة في مصافّ الملائكة المقرّبين، ومعيّة أهل العلم من الأولياء، وصحبة الأنبياء والمرسلين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، وهم الذين كبّروا الله تعالى، وعظّموه في نفوسهم، وهذا ما يستحضره الزائر حين يقرّ بما يتلوه: «**فَعَظَّمْتُمْ جَلَالَهُ، وَأَكْبَرْتُمْ شَأْنَهُ، وَمَجَّدْتُمْ كَرَمَهُ، وَأَدْمَنْتُمْ ذِكْرَهُ، وَوَكَّدْتُمْ مِيثَاقَهُ، وَأَحْكَمْتُمْ عَقْدَ طَاعَتِهِ**»[1]، فقد أظهروا سوابغ آلائه، وشكروه عليها، فكانوا من الذاكرين له تعالى على الدوام في الليل والنهار، بلا فتور ولا ملل، بل برغبة وشوق، مع أمل الفوز برضوان الله تعالى.

إنّ من أظهر وجوه الشكر هو الدعوة إلى الإسلام بأُسلوب حكيم يطرق قلوب المريدين بلا تنفير ولا إكراه، ومقابلة الصادّين والمعرضين بموعظة تخرج من قلب سليم بألفاظ حسنة، تُثير عواطف قساة القلوب وتستميلهم نحو الهدى والنجاة في الآخرة، وقد ورد في بعض نصوص الزيارة المخصوصة بالإمام الحسين عليه السلام بعد

(١) المصدر السابق: ص٧٨٥.

السلام ترديد التلبية لدعوته بصفته الداعيّة للتوحيد: «**لبيك داعي الله**»، والوجه في التلبية له أنّه عليه السلام الداعي الثاني إلى الله تعالى بعد جدّه المصطفى صلى الله عليه وآله الذي دعا إلى الإسلام والشهادتين.

إذاً؛ ينبغي للمؤمن أن يستوحي من تلك التجلّيات النورانية للزيارة الدروس والعبر، مطبّقاً لما ورد فيها من أوامر إلهية، ومقتدياً بأئمّته في الدعوة لدين التوحيد وفق المنطق السليم، فكما يشهد الزائر لإمامه وقدوته وآبائه بالطهارة والزكاة من دنس الشرك، والسلامة من آثار الجاهلية الأُولى، بقوله: «**أشهد أنّك كنت نوراً في الأصلاب الشّامخة، والأرحام المطهّرة، لم تنجّسك الجاهلية بأنجاسها، ولم تُلبسك من مدلهمّات ثيابها، وأشهد أنّك من دعائم الدّين...**»[1]، لا بدّ له أيضاً أن يقتدي بإمامه في دعم أُصول الدين، وتقويته في نفوس الراغبين، وذلك من خلال التعبّد بآثاره عليه السلام، والآثار العلمية والأخلاقية لسائر الأئمة من أهل البيت عليهم السلام، وأن يقتدي بمَن أشاروا عليه بوجوب اتّباعه في زمن الغيبة من علماء ربّانيين هم امتداد لأصل الإمامة وحصون للأُمّة من غواية الجاهلية الحديثة، فلا يكتفي بالوصول إلى مقام التوحيد، بل يسعى أن يكون سببَ رحمةٍ للآخرين، كما ورد في زيارة عاشوراء: «**اللّهُمَّ اجْعَلْني عِنْدَكَ وَجيهاً بِالْحُسَيْنِ عليه السلام فِي الدُّنْيا وَالآخِرَةِ**»[2]، فإنّ الوجيه هو الذي يُقصَد ويُتوجّه إليه من قِبل مجتمعه لحمايته وصيانته، فإنّه المتحمّل لأعباء مسؤوليته، والمؤمن القوي مثله كمثل الماء الكثير المطلق، يكون طاهراً في نفسه من دنس الشرك، فلا تنجّسه الجاهلية بأنجاس شركها، ولا ينفعل بمغرياتها ولا يأتزر بردائها، بل باتّباع إمامه الحقّ يكون مطهِّراً لغيره من رواسب الجاهلية، ودنس الشرك؛ لكي يحقّق بعض كمالاته ويجعل غيره من الفائزين غداً بجوائز الرحمن، ممّا لا عين رأت، ولا أُذن سمعت.

(١) المصدر السابق: ص٦٣٠.

(٢) المصدر السابق: ص٦٦٦.

وبعد هذا كلّه ورغم جميع ما تقدّم من نصوص شرعية لمراسم الزيارة، نصوص اتّشحت بأُطر التوحيد الإلهي، نرى أنّ قوماً متأسلمين ـ جُلُّ شغلِهم تكفير كلّ مَن يتبرّك بقبور الأولياء بدعوى الشرك والضلال، وهم من شذّاذ آفاق الأرض ـ جمعتهم أرض نجد، يقودهم محمد بن عبد الوهّاب (القرن الثاني عشر الهجري)؛ لإعلان تجديد مذهب التكفير باسم مذهب السلف الصالح، إحياءً لفكر أحمد بن تيميّة الحرّاني (القرن الثامن الهجري)، المعروف بولائه الأُموي، ونسبه اليهودي. لقد ادّعى أنّ تشييد المساجد في مراقد الأنبياء والأولياء يُعتبر من أعظم الكبائر، وهو على حدّ الشرك بحسب عقيدته، فضلاً عن حُرمة طلب الحوائج بالدعاء والتضرّع في تلك المساجد، وأنّها تُعَدّ من الكبائر.

لقد تناسى هؤلاء أنّ مرقد رسول الله صلى الله عليه وآله كان وما زال جزءاً من المسجد النبوي الشريف؛ إذ كان في عهده صلى الله عليه وآله ذلك البيت المتّصل بالمسجد، وقد أوصى صلى الله عليه وآله أن يُدفن في هذا المكان مع علمه باتّصاله بالمسجد، والشواهد كثيرة تدلّ على أنّ عقائد الوهابية تخالف الثقلين من كتاب وعترة، وما وصلنا من آثار وشواهد حيّة لا غبار عليها.

المطلب الثاني: تجلّي دلالة النبوّة والخلافة

بعد أن استأذن الزائر في ولوج حرم وليّ الله وحبيبه، متسربلاً برداء التوحيد، ومتحلّياً بصفات الخاشع الوله، للقاء الذي غيّبه الدهر الخؤون في غياهب رمضاء الكرب والبلاء بلهفة وشوق، وبعد أن تجلّت له صفات خالقه بجمالها وجلالها، عاهده على أن يكون من أهل طاعته، والداعية إلى دينه الحنيف متوكّلاً عليه، صابراً محتسباً؛ لكي يكون من حزبه، ويُؤذن له في الدخول في حرم وليّه بنفس مطمئنة، وقلب خاشع، وعين دامعة على مَن سُفِك دمُه ظلماً، وهُتِك حريمُه عدواناً من غير جرم سوى قول كلمة التوحيد، وإرادة الإصلاح في أُمّة جدّه المصطفى.

تستمرّ نصوص الزيارة في بيان مسيرة العقيدة؛ إذ تتجلّى منها أنوار النبوّة في فواتح نصوصها المباركة، فيبتدئ الزائر قبل السلام على إمامه المعصوم بالاعتراف

بحقيقة مقام الأنبياء، والتصديق برسالاتهم، فيقول: «**لقد جاءت رسل ربّنا بالحقّ**»[1]، ثمّ يشرع بالسلام على أنبياء الله تعالى من أوّلهم إلى خاتمهم، كما ورد في زيارة الناحية المقدّسة، وسأقتصر بالذكر على أُولي العزم من الرسل وبعض الأنبياء ممّن وردوا في الزيارة: «**السَّلامُ عَلى آدمَ صَفْوةِ اللهِ مِن خَليقَتِهِ... السَّلامُ عَلى نُوح المُجَابِ في دَعوَتِهِ... السَّلامُ عَلى إبْراهِيم الَّذي حَبَاهُ اللهُ بِخُلَّتِهِ، السَّلامُ عَلى إسْمَاعيل الَّذي فَداهُ اللهُ بِذِبْحٍ عَظيمٍ مِنَ جَنَّتِهِ... السَّلامُ عَلى مُوسَى الَّذي فَلَقَ اللهُ البَحْرَ لَهُ بِقُدرَتِهِ... السَّلامُ عَلى يَحْيَى الَّذي أزْلَفَهُ اللهُ بِشَهادَتِهِ، السَّلامُ عَلى عِيسَى رُوح اللهِ وَكَلِمَتِهِ. السَّلامُ عَلى مُحَمَّدٍ حَبيبِ اللهِ وصَفْوتِهِ**»[2].

إنّ السلام من أسماء الله (سبحانه)، وهو تحية الإسلام، وإنّ التسليم لقضاء الله وقدره هو المؤدّي من دون أدنى شكّ إلى تعظيمه عزّ وجلّ وتكريمه؛ وقد ورد في الأثر استحباب البدء بالسلام وإفشائه، والسلام هنا يعني البشرى بنصرة الدين، وطلب السلامة في الدنيا، والنعيم في الآخرة، فالسلام يعني أنّه لا شكّ في حياة الأنبياء والأوصياء بعد موتهم، فإنّهم أحياء عند ربّهم في مقام القرب، وعرش القدس، يُرزقون بموائد العلم والمعرفة، ويُرون مقام شيعتهم ومواليهم، فيسمعون كلامهم، ويردّون سلامهم، كما ورد في زيارة الجامعة الكبيرة من الإقرار بحياتهم، والاعتراف بشهادتهم على الخلق: «**أنتم الصراط الأقوم، وشهداء دار الفناء، وشفعاء دار البقاء**»[3][4]، فعلى الزائر أنْ يؤمن بحياتهم وحضورهم، وإحاطة علمهم بأحوال مواليهم، وما يصدر عنهم من حركات وأقوال، فينبغي للزائر التزام الأدب عند زيارتهم،

(١) القمّي، عباس، مفاتيح الجنان: ص٦٢٩.
(٢) المشهدي، محمد بن جعفر، المزار الكبير: ص٤٩٦ ـ ٤٩٧.
(٣) القمّي، عباس، مفاتيح الجنان: ص٧٨٦.
(٤) عن الإمام الصادق والباقر عليهما السلام قالا: «والله، لنشفعنّ في المذنبين من شيعتنا حتّى يقول أعداؤنا إذا رأوا ذلك: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ * وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ * فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾». البحراني، هاشم، البرهان في تفسير القرآن: ج٣، ص١٨٧.

والتواضع في حضرتهم بخشوع، كالعبد الذليل الواقف بين يدي مولاه الجليل، فتلك هي عبودية الطاعة لله تعالى، فمن أطاع أئمّة الهدى فقد أطاع الله (سبحانه)[1].

إنّ وحدة الغاية وهدف الهداية هو الجامع المشترك بين حركة الأنبياء والمرسلين مع حركة الإمام الحسين عليه السلام، وهو جعل إلهي مخصوص بأشخاص قد اصطفاهم الله بحكمته واختارهم بعلمه، وجعلهم نبراساً من نور يهدي إلى الحقّ، وصراطاً مستقيماً كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾[2].

مقصد إثبات النبوّة

هناك مقدّمات عديدة لإثبات ضرورة مبدأ النبوّة، وأهميته في حياة الإنسانية، وهي كما يلي:

الأُولى: أنّ الإنسان اجتماعي بطبعه، ويتعذّر استمرار حياته وديمومة نسله وحده، بل لا بدّ له من عائلة تعيش ضمن محيط يوفّر لها احتياجاتها الضرورية.

الثانية: أنّ اجتماع الناس ضمن محيط واحد يُفضي إلى الخلاف والنزاع؛ لاختلاف الأهواء، وتضارب المصالح، فلا بدّ من قانون ينظّم حياتهم ويحلّ مشاكلهم بعدل وإنصاف.

الثالثة: أنّ هذا القانون لا بدّ أن يكون متقناً وحكيماً، ولا يستطيع الإنسان أن يضعه إلّا أن يكون كاملاً ومعصوماً عن الخطأ، وعالماً بجميع أحوال الناس وطبائعهم وما ينفعهم ويضرّهم.

الرابعة: أنّ شرط العدل والعلم المطلق والكمال في الصفات لا يتحصّل إلّا عند خالق الناس، والعالم بجزئيات أحوالهم ودقائقها.

الخامسة: أنّ الخالق تعالى لا يمكن رؤيته ولا تُدركه حواسّ الناس؛ لمحدودية

(١) أُنظر: الشريف الكاشاني، الملا حبيب الله، جنّة الحوادث في شرح زيارة وارث: ص٢٣ ـ ٢٥.
(٢) الأنبياء: آية٧٣.

قدرة الحواسّ، وقصورها في إدراك اللامحدود واللامتناهي في وجوده وعظمته، فلا يمكن معها التوصّل إلى قانونه المنظِّم لشؤونهم مباشرة وبلا واسطة.

السادسة: لا بدّ أن يخصّ الله (سبحانه) أفضل عباده وأخلصهم بمهمّة حمل أمانة هذا القانون، وإيصاله للناس بتأييد المعجزات؛ لكي يصل لطف الله تعالى إلى عباده، وتسعهم رحمته بسفارة أنبيائه إليهم[1].

وفي ضوء الرؤية القرآنية يمكن التدرّج مع الآيات الكريمة لبيان تلك المقدّمات المنتِجة لضرورة النبوّة في حياة الإنسانية، فقد أفصح القرآن الكريم عن حقيقة تأريخية كانت بمنزلة العلّة لبعثة الأنبياء، وهي سُنّة الاختلاف بين الناس، ووقوع النزاع بينهم حال اجتماعهم، وهو ما نقرأه في قوله تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ...﴾[2].

فهنا اختلافان: يخصّ الأوّل أُمور الدنيا ﴿فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ قبل البعثة، ويتعلّق الثاني بمبدأ أُمور الدين والنبوّة ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ﴾ بعد البعثة[3]، وكانت الحاجة لبعثة أنبياء من جنس البشر، وليس من غيره من ملائكة أو جن؛ لأجل حصول التماهي، ورفع الغرابة والتردّد من معاشرة غير البشر، وكان من خصوصية النبيّ هو تحمّله الوحي الإلهي، وتلقّيه الشريعة المنظِّمة لحياة الناس، فلا يمكن إدراك الحقائق الإلهية إلّا من خلال طرق ثلاثة قد بيّنها الذكر الحكيم في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾[4].

(١) أُنظر: مطهري، مرتضى، النبوّة: ص٨ ـ ١٢. وأيضاً: الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج٢، ص١٤٢ ـ ١٤٣.

(٢) البقرة: آية٢١٣.

(٣) أُنظر: الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج١١، ص٦١.

(٤) الشورى: آية٥١.

إنّ من أعظم دلائل صدق دعوة الأنبياء في أقوامهم هي المعاجز والكرامات الخارقة لما اعتاد فعله البشر، فلكلّ رسول أو نبيّ معجزة خاصّة به تناسب ما اشتُهر به أهل زمانه من علم أو عمل، ومن دلائل صدق الأنبياء وحدة دعوتهم إلى التوحيد الإلهي، مع اختلاف أزمنتهم وأماكنهم، وهذا ما يمنع العقل من الحكم بتواطئهم على وحدة المدّعى، واتّفاقهم عليه، وأنّ مصدر دعوتهم واحدة من لدن الواحد الأحد (جلّ جلاله).

إنّ أهمّ دلائل صدق نبيّنا الخاتمﷺ هي معجزة القرآن الكريم، الذي تحدّى جميع البلغاء والعلماء بالإتيان بسورة من مثله، محكمة في بيانها، عميقة في دلالتها، وهذه المعجزة قد دلّت أيضاً على صدق جميع الأنبياء والمرسلين الذين سبقوا نبيّنا الأكرمﷺ، حيث وثّقت سيرتهم العطرة بقصص الحقّ ومقارعة المستكبرين.

وإذا صحّت نبوّة نبيّنا الخاتمﷺ عقلاً صحّت عقيدة التوحيد الإسلامية، ورجُحت على سائر الأديان السماوية، وإنّ سعادة الدارين والنجاة تكمنان في سلوك سبيل الإسلام لا في سواه[1].

مقصد إثبات الخلافة

إنّ هذا الحرم هو حرم وريث بيت النبوّة، وسليل آل رسالة الله تعالى، من لدُن الأب آدمعليه السلام إلى الخاتم محمدﷺ، وهذا ما يتجلّى في مقدّمة نصّ زيارة وارث المروية عن المعصوم في حقّهعليه السلام: «**اَلسَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا وَارِثَ آدَمَ صِفْوَةِ اللهِ، اَلسَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا وَارِثَ نُوحٍ نَبِيِّ اللهِ، اَلسَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا وَارِثَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ اللهِ، اَلسَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا وَارِثَ مُوسَىٰ كَلِيمِ اللهِ، اَلسَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا وَارِثَ عِيسَىٰ رُوحِ اللهِ، اَلسَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا وَارِثَ مُحَمَّدٍ حَبِيبِ اللهِ**»[2]، فحركة الثورة الحسينية تنطلق من حركة الأنبياء والمرسلين، وتستمدّ فكرها من وحي عقيدتها نصرةً لرسالتها.

(١) أُنظر: السامرائي، فاضل، نبوّة محمد من الشكّ إلى اليقين: ص٨ ـ ٩.
(٢) القمّي، عباس، مفاتيح الجنان: ص٦٣٠.

فأصل معنى الإرث لغة هو الميراث المادّي، يَثبتُ حقيقةً بالتبادر الذهني، وهو انتقال التركة للورثة، وهو بذلك يصدق في الأعيان المادّية، ويُستخدم مجازاً في المجد وغيره[١]، فإذا استُخدم في العلم كان معناه مجازياً، كالاستعارة في المشهور: «**العلماء ورثة الأنبياء**»[٢]، وأمّا معنى الإرث الأعم من الحقيقة والمجاز فيما يتعلّق بما ترك الأنبياء من إرث لأوصيائهم بوجه خاصّ، كما ورد في الشاهد القرآني للتوريث بين أنبياء بني إسرائيل في قوله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾[٣]، والشاهد الآخر حكاية عن النبيّ زكريا عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾[٤]، فقد اختلف فيه علماء جمهور المسلمين فيما بينهم، فالبعض رأى أنّ المراد من الإرث هو إرث المال، معلّلاً ذلك بأنّ النبوّة عطية مبتدأة ولا تُورث[٥]، وتمسّك الأغلب منهم بمعنى المُلك السياسي والخلافة، وذهب الإمامية إلى الجمع بينهما، مع اتفاقهم على أنّ النبوّة لا تُورّث، إنّما هي جعل إلهي.

إنّ أكثر مفسّري جمهور المسلمين يرون أنّ معنى الإرث هو المُلك الذي اختصّ به خليفته دون المال، إذ ورث النبيُّ سليمان عليه السلام مقام المُلك خاصّة من أبيه داوود عليه السلام من بين تسعة عشر ولداً، وكان داوود أكثر تعبّداً لربّه، وسليمان أحكم قضاءً، وأكثر شُكراً[٦]، فلا مانع هنا من الجمع بين المال والملك، مع بيان أهمّية الملك، ولا حجّة لهم في حصر الإرث بالمُلك دون المال سوى ادّعاء وحدة السياق تأويلاً، وخبر آحاد لا

(١) أُنظر: الأزهري، محمد بن أحمد، تهذيب اللغة: ج١٥، ص٨٥. وأيضاً: الزمخشري، محمود بن عمر، أساس البلاغة، ص٦٧١، وغيرهما.

(٢) الطوسي، محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن: ج٨، ص٨٢-٨٣.

(٣) النمل: آية١٦.

(٤) مريم: آية٥-٦.

(٥) الفخر الرازي، محمد بن عمر، مفاتيح الغيب: ج٢٤، ص١٨٦.

(٦) أُنظر: الزمخشري، محمود بن عمر، تفسير الكشّاف، ج٤، ص٤٣٨، وغيره من أغلب مفسّري العامة.

يصلح به التخصيص لما ثبت عمومه بالدليل القطعي، أو القول بالنسخ لشريعة من قبلنا اجتهاداً، دون دليل واضح[1].

إنّ النبيّ زكريا عليه السلام لم يقصد في قوله: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ معنى توريث ولده يحيى عليه السلام المُلكَ، وهو لا مُلك له ولا حُكم وقتها، فكيف أُخِذَ ببعض القرآن تأويلاً وأُعرِضَ عن البعض الآخر، وهذا ما ورد الذمّ فيه صريحاً في كتاب الله المجيد في قوله تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾[2]، وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾[3].

إنّ اختلاف مفسّري العامة في حكم إرث أموال الأنبياء بين قلّةٍ مثبتة له، وبين كثرةٍ مُنكرة له بِلَيّ عُنق النصّ، مقتصرةً على توريث العلم والملك دون المال، دافعُه الانتصار لرأي عقيدتهم بالذي منع حقّ فاطمة الزهراء عليها السلام من إرث أبيها المختار صلى الله عليه وآله برواياتٍ مختلقة، فقد صرّح أكابر مفسّريهم أنّ القول بوراثة مال الأنبياء ومُلكهم معاً هو الأسلم، ولا يُبطله سوى المروي «**نحن معاشر الأنبياء لا نورّث**»[4]، فلقد خالف قناعته المنبثقة عن علم ودراية بخبر آحاد لا يصلح أن يخصّص به عموم القرآن، ولا ينسخه؛ بسبب تعصّبه لمذهبه، بدلَ التجرُّد وعدم الانحياز في منهج بحثه العلمي.

إنّ خلاصة القول، وما يمكن أن يجده المتأمّل فيما تقرّر من تفسير الآية، ما ذكره الشيخ الطوسي: «**واختلفوا فيما وَرِثَ منه، فقال أصحابنا: إنّه وَرِثَ المالَ والحكمَ، وقال مخالفونا: إنّه ورث الحكم، لقوله: نحن معاشر الأنبياء لا نورِّث مالاً... وهو خبر آحاد لا يُخصّص عموماً قد ثبت**»[5]، أي: إنّ الإرث والتوارث بين الآباء والأبناء عموماً ثابت بدليل قطعيّ بلا استثناء للأنبياء بدليل معتبر، سوى خبر واحد لا يصلح

(١) أُنظر: ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير: ج٢٠، ص٢٣٦.
(٢) البقرة: آية٨٥.
(٣) آل عمران: آية٧.
(٤) أُنظر: الفخر الرازي، محمد بن عمر، تفسير مفاتيح الغيب: ج٢٤، ص١٨٦.
(٥) الطوسي، محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن: ج٨، ص٨٣.

لتخصيص أخبار متواترة؛ لسقوطه عن الاعتبار الشرعي عند جميع فقهاء الإسلام، ولا ينسخ حُكماً ثابتاً في الإسلام، فقد تسالموا على رفض خبر الآحاد المعارض للنصّ القرآني الصريح، وما تواتر من الأخبار المعتبرة، وإن كان صحيحاً في سنده، فضلاً عن كونه ضعيفاً.

إنّ آيات توريث الأنبياء مطلقة غير مقيّدة، وإنّ الإرث المقصود في الآية المباركة هو إرث المال والملك، وأمّا وراثة النبوّة والعلم فقد يرد إشكال بثبوتها، خصوصاً بين الأنبياء، وهو أنّ النبوّة لا تقبل الوراثة؛ لأنّها بالتعيين الإلهي لا بالانتقال، والعلم يقبل الانتقال إن كان فكرياً بالاكتساب، والعلم الذي يختصّ به الأنبياء والرسل حضوري، فهو كرامة إلهيّة بالإلهام والهبة، وليس من جنس ما يُكتسب بالفكر، فغير النبيّ كالوصيّ قد يرث العلم من النبيّ لكنّ النبيّ لا يرث علمه من نبيّ آخر، ولا من غير نبيّ[1]، والثابت تاريخياً أنّ نبيّ الله سليمان عليه السلام، إذ ورث مقام الملك من أبيه داوود عليه السلام من بين تسعة عشر ولداً، وكان داوود أكثر تعبّداً لربّه، وسليمان أحكم قضاءً، وأكثر شكراً[2]، فكان سليمان أعلم في مسائل القضاء والحكم بين الناس، وهو ما نقرأه في القرآن الكريم صراحة: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ۚ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾[3]، حيث كان حكم النبيّ سليمان أصوب، وملكه أوسع.

وهنا يمكن القول: إنّ الإمام الحسين عليه السلام بصفته الوصيّ قد ورث العلم والحكم من جدّه النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله، فأمّا العلم فيكون بالوراثة، بصفته الوصي، أو بالتلقين الخاصّ من لدُن جدّه الخاتم صلى الله عليه وآله الذي كان يزقّ أهل بيته العلم زقّاً، فقد ورد عن الإمام الباقر عليه السلام قوله: «**إنّ الله جمع لمحمّد صلى الله عليه وآله علم النبيّين بأسره، وإنّ رسول الله صيّر**

(١) أُنظر: الطباطبائي، محمد حسين ، الميزان في تفسير القرآن: ج١٥، ص٣٤٩.
(٢) أُنظر: الزمخشري، محمود بن عمر، تفسير الكشّاف: ج٣، ص٣٥٣. الفخر الرازي، محمد بن عمر، مفاتيح الغيب: ج٢٤، ص٥٤٧.
(٣) الأنبياء: آية٧٩.

ذلك كلّه عند أمير المؤمنينعليه السلام»[1]. وأمّا الحكم والخلافة، فقد ثبتا بالوصية المتعيّنة بالأمر الإلهي، بجعله عليه السلام حجّة الله على الخلق، فولايته ثابتة بأمر الله تعالى الذي خصّ ذرّية النبيّ إبراهيم عليه السلام بالإمامة، وجعلها في الصالحين من ذرّيته دون الظالمين، كما قال تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[2].

إنّ ما يهمّ الزائر في معنى الإرث هو علمه أنّ صاحب المرقد هو الوصي، والوارث الحقيقي لمقام الحكم، وخلافة جدّه النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسائر الأنبياء الآخرين عليهم السلام، وعليه فمَن اعتقد بسموّ مقام خلافة هذا الإمام في زيارته التزم عقائدياً بثبوت نبوّة جميع الأنبياء والمرسلين، وأنّه عليه السلام وسائر الأئمّة الآخرين عليهم السلام ورثوا علم أُولي العزم من الرسل وجميع الأنبياء، وأنّهم أُمناء الله في أرضه، وعندهم علم البلايا والمنايا وأنساب العرب[3].

إنّ تحمّل ثقل مهام النبوّة بصفة الخلافة الشرعية يقتضي لياقة بدنية، وسعة في العلم، ورحابة صدر، وسموّاً روحيّاً يتناسب وتلك المهام الجسام والخطيرة، فلقد تعرّض الأنبياء والمرسلون لكثير من المخاطر في مسيرتهم الإصلاحية، وكادت تؤدّي بهم إلى القتل، أو أدّت ببعضهم إليه، كالنبيّ يحيى الشهيد عليه السلام، فتلك الخلافة لا يتحمّل مهامها الجسام إلّا مَن كان قد تربّى في حجر النبوّة ورضع من ثدي الإيمان، وتغذّى من كفّ جدّه الأكرم.

لقد كان الإمام الحسين عليه السلام من أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله حقّاً بالنسب، وبسبب الاتّباع المحض لشريعة الإسلام، والانصهار في بوتقته، فالزائر يشهد بكلّ فخر في سلامه أنّ هذا الإمام هو بضعة من نبيّه الأكرم، وصفوته وحبيبه، فيخاطبه في زيارته قائلاً:

(١) الصفّار، محمد بن الحسن، بصائر الدرجات: ص١٣٧.
(٢) البقرة: آية ١٢٤.
(٣) اُنظر: الصفّار، محمد بن الحسن، بصائر الدرجات: ص١٣٧ ـ ١٣٨.

«**السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ بَيْتِ النبوّة، وَمَوْضِعَ الرِّسَالَةِ، وَمُخْتَلَفَ الْمَلَائِكَةِ، وَمَهْبِطَ الْوَحْيِ، وَمَعْدِنَ الرَّحْمَةِ... وَسُلَالَةَ النَّبِيِّينَ، وَصَفْوَةَ الْمُرْسَلِينَ، وَعِتْرَةَ خِيَرَةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ**»[1]، أي: إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله منكم، والرسالة نزلت في بيوتكم، فأنتم أعلم بما أُرسل إليه صلى الله عليه وآله، فإنّ أهل البيت عليهم السلام أعرف بما فيه؛ إذ كان النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله ينفرد بأهل بيته، وهم: الإمام علي، وفاطمة، والحسن والحسين عليهم السلام؛ ليهبهم علوماً جمّة[2].

فلقد اقتضت سنّة الله تعالى بحكمته أن يكون أُمناء شرعه وخلفاء أنبيائه على الأُمّة من ذرّيتهم، وكان تكليفهم هو حفظ بيضة الدين، وتسليتهم بما أخبرهم به جدّهم الأعظم صلى الله عليه وآله الناطق عن وحي السماء من المزايا والمصالح، ولولا التوطين على التضحية لذهب الدين أدراج المنكرات والأضاليل، ولا سبيل إلى معارضتهم فيما أطلعهم الله عليه من السرّ المكنون وعرّفهم تلك الأهمّية الملحوظة لديه (عزّ شأنه)، بل نؤمن بشرعية مواقفهم، وحكمة تضحياتهم، ونسلّم بكلّ ما صدر عنهم تسليماً[3].

لقد ورث الإمام الحسين عليه السلام من النبيّ آدم عليه السلام الاصطفاء الإلهي لحمل أمانة إحياء الدين بعد أن حاول آل أُميّة طمس آثاره، وهو ما سطّرته الزيارة في نصّها الوارد بقول: «**السلام عليك يا وارث آدم صفوة الله**»، وصفوة الله: خيرة الله، أي: مصطفاه ومختاره من خلقه، وفي بعض الأخبار سُمِّي الصفا صفا؛ لأنّ المصطفى آدم عليه السلام هبط عليه، فقطع للجبل اسم من أسماء آدم[4]، وكان الإمام الحسين عليه السلام مصداقاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[5]، فهو عليه السلام الصفوة الباقية من آل إبراهيم، وآخر أصحاب الكساء الخمسة عليهم السلام، وقد ورث عليه السلام

(١) القمّي، عباس، مفاتيح الجنان: ص٧٨٣.
(٢) أُنظر: المجلسي، محمد تقي، شرح زيارة الجامعة الكبيرة: ص٢٠ ـ ٢١.
(٣) أُنظر: المقرّم، عبد الرزاق، مقتل الحسين عليه السلام: ص٥٥.
(٤) أُنظر: الشريف الكاشاني، الملا حبيب، جنّة الحوادث في شرح زيارة وارث: ص٥٥.
(٥) آل عمران: آية٣٣.

حمل رسالة الدعوة النبوية بعزم واقتدار، كما تصدّى لحملها من قبلُ نبيّ الله نوح عليه السلام، كما ورد في الزيارة «**السلام عليك يا وارث نوح نبيّ الله**»، وهو أوّل أُولي العزم من الرسل، وثاني أب للبشرية بعد حدوث الطوفان العظيم، وكان له مقام عظيم عند الله، ووجاهة كبيرة ورثها منه الإمام الحسين عليه السلام، بحيث صار منهجه عليه السلام كسفينة نوح، ينجو مَن ركبها، ويهلك مَن تخلّف عنها، وهو ما صرّح به عليه السلام في قوله: «**مَن لَحِقَ بي منكم استُشهد، ومَن تخلَّف عنّا لم يبلغ مبلغ الفتح**»[1].

ثمّ تصل النوبة إلى مستوى عالٍ في مقام الوراثة، حين تنصّ الزيارة على: «**السلام على وارث إبراهيم خليل الله**»، والخليل: من الخُلَّة، وهي المودّة البالغة في الإخلاص والصداقة، وتعني النبوّة الخاصّة، أو الفقير إلى الله والمحتاج إليه، أو عبداً مصطفى له، وكثير الخلوص والمودّة لله تعالى[2]، فلقد اجتاز الخليل عليه السلام جميع الاختبارات الإلهية بنجاح وطمأنينة، وكان مقام الخُلَّة مقدّمة لتسنّم مقام الإمامة؛ والوراثة هنا تدلّ على عمق العلاقة بين الإمام الحسين عليه السلام وربّه (جلّ جلاله)، فهو عليه السلام الذي ضحّى بنفسه الزكية لأجل ديمومة دين الإسلام حين تقاعس أسياد الجمع عن معارضة طاغوت زمانهم، وكان جُلّ دعائه عليه السلام نيل رضا الله، والاحتباء بخُلَّته، كما ورد عنه عليه السلام: «**اللّهُمَّ، أَنْتَ ثِقَتي في كُلِّ كَرْبٍ، وَرَجائي في كُلِّ شِدَّةٍ، وَأَنْتَ لي في كُلِّ أَمْرٍ نَزَلَ بي ثِقَةٌ وَعُدَّةٌ**»[3].

إنّ سُلّم الكمال الإلهي لا يقنع بمطلق التكامل في قاموس أهل بيت النبوّة عليهم السلام، بل يكون مطلقاً بلا حدٍّ لكمالهم، فقد ورث الإمام الحسين عليه السلام ـ مضافاً إلى الكمالات المتقدّمة ـ نبيّ الله موسى عليه السلام ما بلغه من كرامة التكليم الإلهي، كما ورد في الزيارة «**السلام عليك يا وارث موسى كليم الله**[4]»، فقد رُوي أنّه عليه السلام كان يناجي ربّه عند قبر

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٣٠.
(٢) اُنظر، الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان: ج٣، ص١٤٦.
(٣) المقرّم، عبد الرزّاق، مقتل الإمام الحسين عليه السلام: ص٢٢٦.
(٤) إنّ كونه تعالى متكلِّماً هو أنّه موجِد وخالق للحروف المسموعة المنتظمة في بعض الأجسام كالشجرة ونحوها. اُنظر: العلّامة الحلّي، الحسن بن يوسف، الباب الحادي عشر: ص٣٩.

جدّته خديجة عليها السلام بقوله:

يـا ربِّ يـا ربِّ أنـت مـولاه ... فارحـم عُبيـداً إليـك ملجـاه

يـا ذا المعـالي عليـك معتمـدي ... طوبـى لـمَن كنت أنت مولاه

فنُودي:

لبيـك عبـدي وأنـت في كنفـي ... وكلّـما قلـتَ قـد علمنـاه

صوتُـك تشـتاقه ملائكتـي ... فحسبك الصوت قد سمعناه[1]

لقد حبا الله (سبحانه) الإمام الحسين عليه السلام منزلة عظيمة يغبطه عليها الأوّلون والآخرون، فكان عليه السلام هو الوارث لكرامة أنبيائه ورسله بعد أن أخلص في عبادته وجهاده، ومن هذه الكرامات وراثته للنبيّ عيسى عليه السلام، كما ورد في الزيارة «**السلام عليك يا وارث عيسى روح الله**»، ومعنى الروح أنّه عليه السلام كان مُظهِراً للروح الشريفة التي نفخها فيه، أو أنّه مظهر آثار صفات الله وعجيب صنعه في خلقه، أو أنّه مظهر للروح الأعظم (روح القُدس)، الذي كان يتجلّى لأنبيائه بصورته، ولمحمّد وآله بحقيقته[2]، وهذه المنزلة والكرامة لم تكن لتأتي لولا جهاده عليه السلام وتضحيته بنفسه وأهل بيته وصحبه في سبيل ديمومة الدين الإسلامي.

ثمّ كانت وراثة جدّه الخاتم عليه السلام مسك ختام وراثة جميع الأنبياء والمرسلين، فهو صلى الله عليه وآله حبيب الله، وخالصته من خلقه، والمخصوص بسلام الله وصلاته، وامتثالاً لإرادته عزّ وجلّ يكون السلام على وريثه بمنطق «**السلام عليك يا وارث محمد حبيب الله**»، فكمالات جميع الأنبياء قد ورثها وصي المختار حقّاً، فهو عليه السلام جامع لجميع الكمالات الروحية والجسدية، عدا النبوّة المستعاضة بالولاية والخلافة لخليفة الله في أرضه،

(١) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج٣، ص٢٤٤. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٤، ص١٩٣. البحراني، عبد الله، العوالم (الإمام الحسين عليه السلام): ص٦٨.

(٢) اُنظر: الشريف الكاشاني، الملّا حبيب الله، جنّة الحوادث في شرح زيارة وارث: ص٧١.

وحجّته على عباده[1]، فالخلافة أمرها خطير يكمُن في دورها الريادي الضامن لديمومة الدين الإسلامي، موحِّداً الأُمّة بكلمةٍ سواء، لا طائفية فيها ولا مذهبية، بل كلمة التوحيد ووحدة الكلمة هي السائدة في ساحة فكر المسلمين.

إذاً؛ ينبغي للمؤمن الزائر أن يعترف بفضل أئمّة الهدى من الأوصياء عليهم السلام، والاقتداء بسيرتهم، معلناً ولاءه لهم بكلّ ودّ ومحبّة، وراضياً بقضاء الله وقدره فيهم بتسليم وإذعان، فيخاطبهم في زيارته قائلاً: «**وَبِمُوَالاتِكُمْ تُقْبَلُ الطَّاعَةُ الْمُفْتَرَضَةُ، وَلَكُمُ الموَدّة الْوَاجِبَةُ، وَالدَّرَجَاتُ الرَّفِيعَةُ، وَالْمَقَامُ الْمَحْمُودُ، وَالْمَكانُ الْمَعْلُومُ عِنْدَ اللهِ عزّ وجلّ**»[2].

فإنّ النعم الحقيقية من العلوم والكمالات رشُحت منهم إلى الأُمّة، والنعم الظاهرة نزلت بسببهم، فهم أولياء كلّ نعمة من نعم الله تعالى على العباد، كما روي في الأخبار المتواترة، أنّ بهم تُنزِل السماء المطر، وبهم تُنبت الأرض بركاتها، وإنّه لم يُعرف ولا يُعرف الإيمان إلّا منهم، ولا يحصل بدون ولايتهم، وهذا يدلّ ـ مضافاً إلى آية التطهير ـ على عصمتهم؛ وذلك لأنّه يقبح من الحكيم الأمر بإطاعة غير المعصوم؛ للزوم التغرير، وتوريط العباد بالمخالفة؛ ومن هنا يكون الرادّ عليهم في صغيرة أو كبيرة على حدّ الشرك بالله.

المطلب الثالث: تجلّي عقيدة المعاد الأُخروي

إنّ العدل والإنصاف من أهمّ أُسس التعامل بين الناس في الإسلام، قال تعالى: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ﴾[3]، فلا تسود بلاد ولا تتقدّم، ولا تقوم حضارة أو تخلُد من دون تفشّي العدل والمساواة، وقد أكّد البيان القرآني هذه الدعامة بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ

(١) أُنظر: المصدر السابق: ص٧٩ ـ ٨٠.
(٢) القمّي، عباس، مفاتيح الجنان: ص٧٩٠.
(٣) النساء: آية٥٨.

وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾[1]، فحتّى إذا ضاعت حقوق العباد لفترة، وساد الظالمون، وسُحِقَ المظلومون لحقبة من الزمن، فإنّ من صفات الله الحسنى هو العدل، فلا يظلم أحداً، ويُجازي الظالمين، ويُنصف المظلومين، ولو بعد حين، في يوم لا مفرّ منه، يرجع فيه الحقّ إلى نصابه، وهذا اليوم إمّا أن يكون مقيّداً قبل نهاية الدنيا بقيام دولة الحقّ الإلهي، وإمّا مطلقاً في الآخرة بعد الموت، حيث الحساب الأكبر في يوم القيامة، قال تعالى: ﴿... وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوۡمَئِذٖ يَخۡسَرُ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴾[2]، وهو يوم الوفاء والحصاد من مزرعة الدنيا، الذي ورد فيه قوله تعالى: ﴿... فِيهِ وَوُفِّيَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴾[3].

إنّ من دواعي المعاد الأُخروي هو تطبيق مبدأ العدل الإلهي بين الناس في الآخرة بعد رحلة الدنيا الفانية، وهذا الإيمان يمنحنا السعادة في هذه الدنيا؛ وذلك لأنّه يوقفنا على نتائج أعمالنا وأقوالنا، صغيرها وكبيرها، فهي لا تندثر آثارها في الحياة الدنيا، بل تبقى موثّقة لتحتسب في ميزان يوم الآخرة بحسب نظرية تجسّم الأعمال وخلقها، وأنّها سوف تكون أساس سعادة المؤمنين وشقاء الكافرين في تلك الحياة؛ ومن هنا أكّد القرآن الكريم أنّ الإيمان باليوم الآخر أمرٌ ضروري ولازم لسعادة البشر[4].

تستند عقيدة المعاد إلى الاعتقاد بالمبدأ وأصل التوحيد الإلهي أوّلاً، ثمّ الاعتقاد بأصل النبوّة ولازمها الخلافة أو الإمامة ثانياً، فلا يمكن للعقل بذاته الاستدلال على جزئيات عالم الآخرة وحقيقة المعاد من دون الرجوع إلى الثقلين؛ لأنّ العقل حبيس الحواس الخمس التي تتوسّط في حصول المعارف لدى العقل، والحواس محدودة في قدرة إدراكها بعالم الدنيا ضمن إطار المادّة، فلا يمكنها إدراك ما وراء الطبيعة

(١) النحل: آية ٩٠.
(٢) الجاثية: آية ٢٧.
(٣) آل عمران: آية ٢٥.
(٤) أُنظر: مطهّري، مرتضى، العدل الإلهي: ص ٢٤٥ ـ ٢٤٧.

من المجرّدات، فيقتصر دور العقل الاستدلالي على قراءة النصوص المقدّسة وتحليلها لمعرفة جزئيات عالم الآخرة.

إنّ أثر التديّن يستبين بالتوحيد والنبوّة، وهذا الأثر قد يندثر بالغفلة عن لقاء الله تعالى ونسيان الحساب، كما يظهر باستحضار المعاد ودوام تذكّره[1]. إذاً؛ يرتبط الأثر الديني بعقيدة المعاد ارتباطاً وثيقاً، فلا نفع للدين مع إنكار المعاد، وإن اعتقد المرء بأصلي التوحيد والنبوّة وغيرهما من المعارف الإسلامية.

لقد اتّفق جمهور علماء الإسلام على حقيقة مظلومية الإمام الحسين عليه السلام الذي لم يخرج في نهضته الكبرى طلباً لدنيا أو منصب، إنّما كانت الغاية من خروجه هي رفض تولّي مثل الفاسق يزيد لمنصب إلهيّ لا يتناسب مع حاله جملة وتفصيلاً، مع أنّ البيعة لا تكون إلّا عن طواعية واختيار، لا بالقوة وعن إكراه وإجبار في حال شرعية ولاية الخليفة.

فالإمام الحسين عليه السلام لم يناجز جيش يزيد الحرب، بل طلب منهم أن يتركوه وشأنه يذهب إلى بلاد الله الواسعة، بعيداً عن بيعة سلطانهم الظالم، مع ما له عليه السلام من مكانة عظيمة في الإسلام، ومنزلة خاصّة عند رسول الله صلى الله عليه وآله، فقد حباه الله تعالى بالولاية، واجتباه للخلافة، وجعله حجّة على عباده، فقدّم عليه السلام لأعدائه النصح، وألقى عليهم الحجّة البالغة، ما يمنعهم عن التورّط بسفك دمه الطاهر، وهو ما ذكرته نصوص الزيارة الواردة عن المعصوم بقوله: «**وَأَعْطَيْتَهُ مَوارِيثَ الأَنْبِياءِ، وَجَعَلْتَهُ حجّة على خَلْقِكَ مِنَ الأَوْصِياء، فَأَعْذَرَ فِي الدُّعاءِ، وَمَنَحَ النَّصِيحَةَ، وَبَذَلَ مُهْجَتَهُ فِيكَ، حَتّى اسْتَنْقَذَ عِبادَكَ مِنَ الجَهالَةِ وَحَيْرَةِ الضَّلالَةِ**»[2]، فلقد انطلق الإمام الحسين عليه السلام من موقع مسؤوليته في هداية الأنام، فأعذر إنذاراً، ونصح جهاراً، ولكنّهم أبوا إلّا عدواناً وظلماً، بل وأصرّوا على أن يتخلّى الإمام الحسين عن مبدأه مبايعاً الطاغية، أو يقتلوه

(١) أُنظر: الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج٣، ص٤٨ ـ ٤٩.
(٢) القمّي، عباس، مفاتيح الجنان: ص٦٥٥.

وأهل بيته وأصحابه عتوّاً وطغياناً؛ تجاهلاً لمقامه ونسبه الشريف، وإنكاراً ليوم المعاد، واستخفافاً بالحساب والعقاب.

إنّ المؤمن بحقيقة تلك الظلامة يقف متوجّهاً في زيارته لمرقد الإمام الحسين عليه السلام، مقرّاً بمنزلته، ومتألماً لمصابه، مخاطباً حضرته بمفردات تدلّ على هذا المعنى فيقول: «**لَقَدْ عَظُمَتِ الرَّزِيَّةُ، وَجَلَّتِ الْمُصِيبَةُ بِكَ عَلَيْنَا وَعَلَىٰ جَمِيعِ أَهْلِ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ، فَلَعَنَ اللهُ أُمَّةً أَسْرَجَتْ وَأَلْجَمَتْ وَتَهَيَّأَتْ لِقِتَالِكَ...**»[1]، فإيمان المؤمن بمبدأ المعاد والحساب الأُخروي من أهمّ عوامل تسلية النفس عن جمرة مصابها بإمامها وأهل بيته وأصحابه الكرام، فتراه يكثّف دعاءه وطلبه من الله تعالى متضرّعاً أن ينتقم من تلك الزمرة الظالمة والمجرمة بحقّ أهل بيت النبوّة، ويطلب لعن تلك العصابة التي سفكت تلك الدماء الطاهرة، وطردها من رحمة الله تعالى في الدنيا والآخرة، بإذاقتهم العذاب المقيم خالدين فيها، وهو ما نقرأه في زيارة ليالي القدر المباركة: «**لَعَنَ اللهُ الظّالِمِينَ لَكُمْ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ، وَضاعَفَ عَلَيْهِمُ الْعَذابَ الْأَليمَ**»[2]، فهذه الدعوات تكشف عن رسوخ الاعتقاد بالمعاد، والإيمان بيوم الحساب، ولولا هذا الاعتقاد لكان تلفّظ هذه العبارة إمّا لغواً، وإمّا لا موجب عقلي أو داعي شرعي للنطق به من الأساس، فمَن اقترف هذه الجريمة الكبرى وأحدث تلك الرزية العظمى هم ممّن استولى الشيطان على قلبه، وامتلأ قلبه من حبّ الدنيا وزخرفها، ممّا أنساه عذاب الآخرة وجحيمها، وهو ما يتأمّله الزائر حين يقرأ هذا النصّ من الزيارة: «**وَقَدْ تَوازَرَ عَلَيْهِ مَنْ غَرَّتْهُ الدُّنْيا، وَباعَ حَظَّهُ بِالأَرْذَلِ الأَدْنى، وَشَرى آخِرَتَهُ بِالثَّمَنِ الأَوْكَسِ، وَتَغَطْرَسَ وَتَرَدّى فِي هَواهُ، وَأَسْخَطَكَ وَأَسْخَطَ نَبِيَّكَ، وَأَطاعَ مِنْ عِبادِكَ أَهْلَ الشِّقاقِ وَالنِّفاقِ، وَحَمَلَةَ الأَوْزارِ الْمُسْتَوْجِبِينَ النّارَ**»[3].

(١) المصدر السابق: ص٦٣١.
(٢) المصدر السابق: ص٦٥١.
(٣) المصدر السابق: ص٦٨٢.

إنّ الإمام الحسين عليه السلام منح الناس والمؤمنين النصح، سواء في السرّ أم في العلانية، كما ورد في الزيارة الجامعة: «**ونصحتم له في السرِّ والعلانية**»[1]، والمراد بالسّر : النّصح الخاص الذي ينفرد بأصحابه من دون إعلام الغير، والهداية بما فيه تزكية النفس وتهذيبها في سبيل الله تعالى، والمراد بالعلانية: معاملته مع الناس باعترافهم بالعبودية له تعالى، وتعليمهم سبيل عبوديته، فهو عليه السلام فيما يتعلّق بهذا النوع من النُّصح أرشدهم ونصحهم إلى عبودية الله تعالى، وشرائع دينه، وحثّهم على نفي الأنداد والشرك في مواقف وخطب كثيرة؛ لكي ينقذهم من دخول النار وينجيهم من استحقاق العذاب الأليم، راجياً هدايتهم وتحريضهم على طاعة الله عزّ وجلّ وطاعة رسوله صلى الله عليه وآله، حتّى اللحظات الأخيرة من حياته عليه السلام[2].

كما نجد أنّ المؤمن في مواطن أُخرى من الزيارة يدعو ربّه أن يرزقه صحبة هذه الثلّة الطيبة في دار الآخرة، في ذلك المقام الكريم عنده (جلّ وعلا)، حيث لا عين رأت ولا أُذن سمعت بذلك النعيم المقيم، وقد ورد هذا الدعاء في الزيارة يوم عاشوراء: «**وَأَنْ يَجْعَلَنِي مَعَكُمْ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلآخِرَةِ... وَأَنْ يُثَبِّتَ لي عِنْدَكُمْ قَدَمَ صِدْقٍ فِي الدُّنْيا وَالآخِرَةِ**»[3]، فكما كان المؤمن معهم متشبّهاً بأخلاقه وعقيدته في دار الدنيا يرجو أن يكون معهم وتتجسّم أعماله بأبهى صور الخير في الآخرة، والمؤمن على يقين تام بأنّ هذا الإمام هو السبب في هدايته واستقامته وفي جميع ما يناله ـ بفضل ولائه ـ من خير في الآخرة؛ فلذا يواصل هذا الزائر دعاءه لإمامه بالخير والرفعة، ويدعو على أعدائه بالانتقام والعذاب الأليم، فيقول: «**اللّهمَّ فأجزه خير جزاء الصادقين**

(١) المصدر السابق: ص٧٨٥.
(٢) أُنظر: تاج الدين، مهدي، النور المبين في شرح زيارة الأربعين: ص١٢٨ ـ ١٢٩.
(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٩٨، ص٢٢٥.

الأبرار... ولقاتليه العقاب، فقد قاتل كريماً، وقُتِلَ مظلوماً، ومضى مرحوماً... وارفعه من شرف رحمتك في شرف المقرَّبين»[1].

وثأر الإمام الحسين عليه السلام قد تكفّل به الله تعالى، وأوكله إلى خليفته والقائم بأمره، وهو الحجّة بن الحسن المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف؛ ولذا نجد أنّ نصوص زيارة وارث اشتملت على لقب ثأر الله وابن ثأره، فقد ورد فيها: «**السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ثَارَ اللهِ وَابْنَ ثَارِهِ، وَالْوِتْرَ الْمَوْتُورَ**»[2]، فالثأر هنا بمعنى الدم، ومع نسبته للمولى عز وجل يُعطي مفاد اختصاص الثأر لدمه الشريف بالله تعالى، وأنّ مَن سفك دمه الطاهر كأنّما هزّ عرش الله سبحانه. إنّ معنى (ثأر) لغةً هو: الطلب بدم المقتول[3]، وقد دلّت الروايات المعتبرة على أنّ الإمام الحسين عليه السلام هو (ثأر الله في الأرض)، وقد دعا الله عز وجل الخلق إلى الأخذ بثأر الإمام الحسين عليه السلام، فإنّه هو المنتقم لهذا الدم[4].

وفي دراسة معاصرة يُربَط فيها بين ثأر الله ومفهوم الثورة، ذكر كاتبها أنّ مفهوم (الثورة) و(الثأر) و(الوراثة) هي قصّة بداية التاريخ، يعني أنّ الثأر الأوّل (هابيل)، وفي آخر الزمان بتحقّق الثأر والانتقام العالمي على يد المصلح الأكبر، وهذا ما يُفسِّر (فلسفة تاريخ الإسلام) بالمنظور الشيعي[5]، وأنّ الإمام الحسين عليه السلام هو الوارث لهذا الدم الشريف، فهو بتضحيته يكون سبباً في خلاص الشعوب من الظلم والاستبداد على يد حفيده القائم عجل الله تعالى فرجه الشريف، ويتمّ هذا الأمر ضمن منظور حتمية انتصار دم المظلوم على سيف الظالم، وإن كانت للظالم جولة فيكون للحقّ دولة.

---

(١) المصدر السابق: ج٩٨، ص٢٢٥.

(٢) القمّي، عباس، مفاتيح الجنان: ص٦٣٠.

(٣) أُنظر: الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين: ج٨، ص٢٣٦. وأيضاً: الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس: ج٦، ص١٣٨.

(٤) أُنظر: ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٢١٨.

(٥) أُنظر: شريعتي، علي، الحسين وارث آدم: ص٢٣٧.

الخاتمة

ظهر ممّا تقدّم أنّ أهمّ تجلّ عقديّ يظهر من نصوص الزيارة الحسينية هو انجلاء عقيدة التوحيد الإلهي بأروع صورها وأخلصها نصاعة، فالمتأمّل في نصوصها بعقل واعٍ يجد تطابقاً مع ما قرّرته العقيدة الإسلامية من أصل التوحيد وصفات الذات المقدّسة؛ وهذا إنّما يدلّ على صحّة صدورها، وأنّها مدرسة عقدية غايتها التوحيد، وهداية الناس إلى صراط مستقيم.

ثمّ إنّ ثبوت تحقّق هذا الأصل العقدي الأصيل يمهّد لإثبات بقيّة أُصول الدين الإسلامي: كالعدل الإلهي، والنبوّة المحمدية الخاتمة وملازمتها الإمامة والخلافة الحقّة في الأرض، والمعاد يوم القيامة. وقد تمّ التطرّق في هذا المقال إلى أصل النبوّة وما يلازمها، مع بيان أنّ هذا الأصل قد شغل مساحة كبيرة من نصوص الزيارة الحسينية، وكانت له أهمّية كبيرة تناظر أهمّية ذكر عقيدة التوحيد، كما دلّت تلك النصوص أيضاً على ضرورة الاعتقاد بجميع الأنبياء والمرسلين من خلال خصّهم بالسلام تارة، وتارة بالإشارة إلى وراثة الإمام الحسين عليه السلام المعنوية لمقامهم القربي من الله تعالى، وقيادتهم للناس، وخلافتهم في الأرض بأمر الله تعالى.

وتمّ التطرّق ـ أيضاً ـ إلى إثبات حقيقة المعاد والحساب الأُخروي الأكبر، وما يسبقه من عقيدة الرجعة والاقتصاص من قتلة الإمام الحسين عليه السلام، وممّن رضي بفعلهم، وناصب شيعته العداوة والبغضاء؛ لأجل تحقيق حلم الأنبياء والمرسلين بقيام دولة الحقّ المطلق التي تملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد أن تُملأ ظلماً وجوراً.

ثمّ ختمت دلالة الزيارة على هذا الأصل بتجلّيات عظيمة، أشارت إلى ثمرة الإيمان، ومهجة الاعتقاد بالله تعالى، وحقيقة أنبيائه التي تتمثّل في عقيدة المعاد الذي هو تطبيق مبدأ العدل الإلهي بين الناس في الآخرة، وضرورة تذكّرها من خلال

الانتقام من قاتلي الإمام الحسين عليه السلام بأنواع العذاب الأليم، والتضرّع إلى الله تعالى أن يحشر الزائر مع الصالحين في جنات النعيم بشفاعة أوليائه المنتجبين.

والحمد لله ربّ العالمين والصلاة على نبيّه الأكرم وآله الطاهرين.

المراجع والمصادر

* القرآن الكريم.

١ ـ بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي (ت١١١١هـ)، تحقيق: السيّد إبراهيم الميانجي ومحمد الباقر البهبودي، مؤسّسة الوفاء، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.

٢ ـ بصائر الدرجات، محمد بن الحسن الصفّار (ت٢٩٠هـ)، مكتبة آية الله المرعشي النجفي، قم المقدّسة ـ إيران، ١٤٠٤هـ.

٣ ـ التبيان في تفسير القرآن، محمد بن الحسن الطوسي (ت٤٦٠هـ)، تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان.

٤ ـ التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، محمد بن عمر المعروف بالفخر الرازي (ت٦٠٦هـ)، دار الفكر للطباعة، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى، ١٤٠١هـ.

٥ ـ جامع أحاديث الشيعة، حسين البروجردي (ت١٣٨٣هـ)، طُبع في المطبعة العلمية، قم المقدّسة ـ إيران، ١٣٩٩هـ.

٦ ـ جنّة الحوادث في شرح زيارة وارث، الملّا حبيب الله الشريف الكاشاني (ت١٣٤٠هـ)، تحقيق: نزار الحسن، نشر: شبكة رافد للتنمية الثقافية، قم المقدّسة ـ إيران.

٧ ـ الحسين وارث آدم، علي شريعتي، ترجمة ودراسة وتعليق: إبراهيم دسوقي شتا، مؤسّسة الأمير للثقافة والعلوم، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

٨ ـ شرح أُصول الكافي، محمد صالح المازندراني (ت١٠٨١هـ)، ضبط وتصحيح: السيّد علي عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى، ١٤٢١هـ.

٩ ـ شرح الزيارة الجامعة الكبيرة، محمد تقي المجلسي (ت١٠٧٠هـ)، تحقيق: أحمد

الأحسائي، دار الكرامة للطباعة والنشر، قم المقدّسة ـ إيران، الطبعة الأُولى، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١١م.
١٠ ـ العدل الإلهي، مرتضى مطهّري (ت١٤٠٠هـ)، ترجمة: محمد الخاقاني، شبكة الفكر الإسلامي.
١١ ـ الغدير في الكتاب والسنّة والأدب، عبد الحسين أحمد الأميني النجفي (ت١٣٩٢هـ)، دار إحياء الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.
١٢ ـ كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي(ت١٧٥هـ)، تصحيح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، قم المقدّسة ـ إيران، ١٤١٠هـ.
١٣ ـ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، تحقيق: عادل أحمد وآخرون، مكتبة العبيكان، الرياض ـ السعودية، الطبعة الأُولى، ١٤١٨هـ.
١٤ ـ لسان العرب، محمد بن مكرم الإفريقي المصري المعروف بابن منظور (ت٧١١هـ)، نشر أدب الحوزة، قم المقدّسة ـ إيران، ١٤٠٥هـ.
١٥ ـ مجمع البحرين، فخر الدين بن محمد النجفي الطريحي (ت١٠٨٥هـ)، تحقيق: أحمد الحسيني، مؤسّسة التاريخ العربي للطباعة، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى، ١٤٢٨هـ.
١٦ ـ مجمع البيان في تفسير القرآن، الفضل بن الحسن الطبرسي (ت٥٤٨هـ)، دار المرتضى للطباعة، الطبعة الأُولى، بيروت ـ لبنان، ١٤٢٧هـ.
١٧ ـ المزار الكبير، محمد بن جعفر المشهدي (ت٦١٠هـ)، مؤسّسة النشر الإسلامي، قم المقدّسة ـ إيران، الطبعة الأُولى، ١٤١٩هـ.
١٨ ـ المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (ت٤٠٥هـ)، دار الكتب العلمية.
١٩ ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني الوائلي (ت٢٤١هـ)، دار صادر، بيروت ـ لبنان.

٢٠ ـ مفاتيح الجنان، عباس القمّي (ت١٣٥٩هـ)، تعريب: السيّد محمد رضا النوري النجفي، منشورات مكتبة العزيزي، قم المقدّسة ـ إيران، الطبعة الثالثة، ١٣٨٥ش/ ٢٠٠٦م.

٢١ ـ مقتل الحسين عليه السلام، عبد الرزّاق المقرّم الموسوي (ت١٣٩١هـ)، منشورات الشريف الرضي.

٢٢ ـ الميزان في تفسير القرآن، السيّد محمد حسين الطباطبائي (ت١٤٠٢هـ)، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى، ١٤١٧هـ.

٢٣ ـ نبوّة محمد من الشك إلى اليقين، الدكتور فاضل صالح مهدي السامرائي، مكتبة القدس، بغداد، مكتبة البشائر، عمّان.

٤٢ ـ النبوّة، مرتضى مطهّري (ت١٤٠٠هـ)، ترجمة: جواد علي كسّار، دار الحوراء للطباعة والنشر والتوزيع، مؤسّسة أُمّ القرى.

٢٥ ـ وسائل الشيعة، محمد بن الحسن الحرّ العاملي (ت١١٠٤هـ)، مؤسّسة النشر الإسلامي، قم المقدّسة ـ إيران.

الاعتبار السندي لزيارات الناحية المقدّسة*

القسم الأوّل**

محمد إحساني فر لنكرودي***

ترجمة: د. الشيخ ميثم الربيعي****

أهمّية البحث في زيارة الناحية

تحظى زيارة الناحية ـ وبعبارة أصح زيارات الناحية ـ بأهمّية ملحوظة بلحاظ الجانب المعنوي، وكذلك بلحاظ سندها التاريخي الجدير بالاهتمام، فإنّ هذه الزيارات تعدّ من الزيارات المعروفة لسيّد الشهداء عليه السلام، ومن الآثار القديمة التي تتفرّد أحياناً ببعض الوثائق المرتبطة بتاريخ كربلاء الحسيني، وتقوم بتصوير العديد من الخصائص، والكشف عن عدد من الإبهامات التاريخية المتعلّقة بملحمة عاشوراء الخالدة، إضافة إلى كونها تتضمّن عدداً كبيراً من أسماء الشهداء في كربلاء.

---

* يمثّل هذا المقال نقداً لكتاب: نگاهی به حماسه حسینی استاد مطهری (نظرة إلى الملحمة الحسينية للأُستاذ مطهري)، لمؤلّفه نعمة الله صالحي نجف آبادي: ص١٦٩ـ١٨٠، (عنوان الفصل: مجلس عزاء منسوب لإمام العصر عجل الله فرجه الشريف، مفاده أنّ حُرَم الإمام الحسين عليه السلام خرجن إلى مصرع الإمام عليه السلام ناشرات الشعور).

** المقال أساساً عبارة عن قسم واحد، وبسبب كثرة صفحاته ارتأت المجلّة تقسيمه إلى قسمين، وسوف يتمّ نشر القسم الثاني في العدد اللاحق إن شاء الله تعالى، حيث يتضمّن الحديث فيه عن الزيارة الثانية والثالثة. (هيئة التحرير).

*** أستاذ في كلّية علوم الحديث، ومدير قسم التفسير في مؤسّسة علوم ومعارف الحديث/ إيران.

**** أستاذ في كلية الأديان والمذاهب، من العراق، وعضو هيئة التحرير في مجلّة الإصلاح الحسيني.

بناءً على ذلك، ينبغي تعظيم الزيارة المذكورة؛ لما تمتاز به من خصائص، والتعاطي معها بصفتها كنزاً معنوياً وميراثاً ثقافياً في تاريخ الشيعة.

وقد جرت العادة أن تسعى الأُمم والأقوام للحفاظ على تراثها الثقافي، إلّا أنّ البعض ـ مع الأسف الشديد ـ يعمل بقصد أو دون قصد على تخريب مثل هذا الميراث الثمين، والبعض الآخر يقف أحياناً للدفاع عنه بشدّة وبشكل متطرّف، دون أن يمتلك العدّة اللازمة للقيام بهذه المسؤولية المهمّة.

ومع احترامنا لجميع الجهود المبذولة، فإنّنا لا نعتقد أنّ الخروج عن الاعتدال العلمي مقبول في إضفاء صفة الاعتبار ـ بشكل متكلَّف ـ على الميراث الثقافي، ولا سيّما أنّنا لا نواجه نقصاً في نصوص الزيارات المأثورة، كما أنّنا لا نفتخر بوضع الميراث الثقافي في معرض النهب، معتبرين ذلك علامة على التنوّر الفكري؛ من هنا قد عملنا في هذا المقال على إنجاز بحث علمي يهدف إلى الكشف عن الزوايا الخفية في الزيارة المذكورة، بعيداً عن الأحكام السابقة، أو الجنوح إلى الإفراط أو التفريط.

زيارة الناحية أو زيارات الناحية؟

ما يعرف بزيارة الناحية يتمّ إسناده إلى (الناحية المقدّسة) بثلاثة نصوص وثلاثة أنحاء، وإن كانت الزيارة الثانية هي المشهورة بهذا الاسم، وفيما يلي سنتطرق إلى تعريف إجمالي بهذه الزيارات الثلاثة:

الزيارة الأُولى أو زيارة الشهداء

تبتدئ الزيارة التي تُعرف في بعض المصادر بـ(زيارة الشهداء في يوم عاشوراء) ـ والتي نقلت عن الناحية المقدّسة بواسطة محمد بن غالب الإصفهاني طبقاً لما هو منقول ـ بالسلام على علي الأكبر عليه السلام، وتوجيه الخطاب إليه، وذلك بالنحو الآتي:

«بسم الله الرحمن الرحيم، إذا أردت زيارة الشهداء (رضوان الله عليهم)، فقف عند رجلي الحسين عليه السلام، وهو قبر علي بن الحسين (صلوات الله عليهما)، فاستقبل القبلة

بوجهك، فإنّ هناك حومة الشهداء عليهم السلام، وأومِ وأشر إلى عليّ بن الحسين عليهما السلام، وقل: السلام عليك يا أوّل قتيل، من نسل خير سليل...»[1].

فقد ابتدأت الزيارة ـ كما يلاحظ القارئ الكريم ـ بالسلام على عليّ الأكبر عليه السلام، وبعد ذكر ما يقارب الثلاثين اسماً من أصحاب سيّد الشهداء عليه السلام، والسلام عليهم، مع ذكر نبذة من خصائصهم حين استشهادهم، خُتمت الزيارة بالعبارات الآتية:

«السلام على المرتثّ معه عمرو بن عبد الله الجندعي، السلام عليكم يا خير أنصار، السلام عليكم بما صبرتم، فنعم عقبى الدار، وبوّأكم الله مبوّء الأبرار. أشهد لقد كُشف لكم الغطاء، ومُهّد لكم الوطاء، وأُجزل لكم العطاء، وكنتم عن الحقّ غير بطاء، وأنتم لنا فرط، ونحن لكم خُلَطاء في دار البقاء، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته»[2].

بناءً على ذلك؛ فإنّ الخطاب في هذه الزيارة موجّه ـ بشكل تام ـ إلى شهداء كربلاء وأصحاب سيّد الشهداء عليه السلام من بداية الزيارة إلى ختامها، دون أن تتطرّق لزيارة الإمام عليه السلام نفسه، وهذه النقطة جديرة بالتأمّل، وسنتناولها في سير البحث بشكل مجمل.

الزيارة الثانية أو الزيارة المعروفة بالناحية

هذه الزيارة هي أكثر النصوص المعروفة باسم زيارة الناحية وزيارة عاشوراء الأُخرى، وقد وصلتنا عن الناحية المقدّسة ـ كما نُقل ـ بواسطة أحد الأبواب، والمقصود من زيارة الناحية ـ كما مرّ ذكره ـ هو هذا النص.

تبتدئ هذه الزيارة بعبارة: «**السلام على آدم صفوة الله من خليقته، السلام على شيث ولي الله وخيرته**»، وتستمرّ في أواسطها بالمقطع المعروف: «**فلمّا رأين النساء جوادك مخزيّاً، ونظرن سرجك عليه ملويّاً، برزن من الخدور، ناشرات الشعور...**»، ثمّ

(١) ابن المشهدي، محمد بن جعفر، المزار الكبير: ص٤٨٦ـ٤٨٧، ح٨.
(٢) المصدر السابق: ص٤٩٥، ح٨.

تختم بعبارة: «**زاد الله في شرفكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وادع لنفسك ولوالديك ولـمَن أردت، وانصرف إن شاء الله تعالى**»[1].

الزيارة الثالثة المنقولة عن السيّد المرتضى

وهي الزيارة التي وصلتنا بواسطة السيّد المرتضى، والتي تتضمّن ما يقارب ثلثي النصّ الذي تضمّه الزيارة الثانية، مع إضافات مفصّلة أُخرى، وتوجيهات متعدّدة. وتبتدئ هذه الزيارة بالنحو الآتي: **إذا أردت الخروج من بيتك فقل: اللّهم إليك توجّهت... ثمّ تدخل القبّة الشريفة، وتقف على القبر الشريف، وتقول: السلام على آدم صفوة الله... إنّك ولي ذلك يا أرحم الراحمين.**

ذكر زيارة عليّ بن الحسين عليهما السلام: ثمّ تحوّل إلى عند رجلي الحسين عليه السلام، وقف على عليّ بن الحسين عليهما السلام، وقل: السلام عليك أيّها الصدّيق الطيّب...

زيارة الشهداء (رضوان الله عليهم): ثمّ تتوجّه إلى البيت الذي عند رجلي عليّ بن الحسين عليهما السلام، وتقول: السلام عليك يا أبا عبد الله الحسين، سلاماً لا يفنى أمده...»[2].

دراسة مستوى الاعتبار السندي

وفيما يلي دراسة لمستوى الاعتبار السندي لهذه الزيارات الثلاثة في ثلاثة مباحث:

أ. الزيارة المعروفة بزيارة الشهداء

مصادر الزيارة

جاءت الزيارة المذكورة في المصادر الآتية:

أوّلاً: المزار الكبير، تأليف الشيخ أبي عبد الله محمد بن جعفر الحائري، المعروف بابن المشهدي[3]، وستتمّ دراسة هذه الزيارة بسندين.

---

(١) المصدر السابق: ص٤٩٦ـ٥١٣، ح٩.

(٢) ابن طاووس، علي بن موسى، مصباح الزائر: ص٢٢١ـ٢٣٦.

(٣) ابن المشهدي، محمد بن جعفر، المزار الكبير: ص٤٨٦، ح٨.

ثانياً: إقبال الأعمال، تأليف جمال العارفين، علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن طاووس الحسني، المعروف بالسيّد ابن طاووس[1]، وستتمّ دراستها بأسنادها.

ثالثاً: مصباح الزائر، تأليف السيّد ابن طاووس[2]، الذي أورد الزيارة بحذف السند.

رابعاً: رواية الشيخ المفيد. قال العلّامة المجلسي بعد نقله للزيارة عن كتاب إقبال الأعمال[3] ومصباح الزائر لابن طاووس بإسناد الإقبال المتقدّم: «**هذه الزيارة أوردها المفيد والسيّد في مزاريهما وغيرهما، بحذف الأسناد في زيارة عاشورا**»[4]، ثمّ قال بعد أن ذكر أسناد ابن المشهدي في المزار الكبير: «**وذكر مثله**»[5].

تحليل المصادر والأسانيد

لهذه الزيارة ثلاثة أسانيد متّصلة:

١ـ يقول الشيخ أبو عبد الله، محمد بن جعفر المشهدي: «**أخبرني الشريف الجليل العالم أبو الفتح محمد بن محمد الجعفري (أدام الله عزّه)، قال: أخبرني الشيخ الفقيه عماد الدين محمد بن أبي القاسم الطبري، عن الشيخ أبي علي الحسن بن محمد الطوسي.**

٢ـ وأخبرني عالياً الشيخ الفقيه أبو عبد الله الحسين بن هبة الله بن رطبة (رضي الله عنه)، قال: أخبرني شيخي المفيد الحسن بن محمد الطوسي، عن الشيخ أبي جعفر محمد الطوسي، قال: حدثنا الشيخ أبو عبد الله أحمد بن محمد[6] بن عياش، حدثني الشيخ

---

(١) ابن طاووس، علي بن موسى، إقبال الأعمال: ج٣، ص٧٣ـ٨٠. عنه بحار الأنوار: ج١٠١، ص٢٦٩، ح١، وج٤٥، ص٦٥. النوري، الميرزا حسين، مستدرك الوسائل: ج١٠، ص٤٠٨، ح١٢٢٦٦.

(٢) ابن طاووس، علي بن موسى، مصباح الزائر: ص٢٧٨ـ٢٨٦.

(٣) أُنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج١٠١، ص٢٦٩ـ ٢٧٤، ح١.

(٤) المصدر السابق.

(٥) المصدر السابق.

(٦) جاء في نسخة المصدر: «محمد بن أحمد...»، ولكن هذا الاسم مقلوب بلا شك؛ إذ لم ينقل في

الصالح أبو ميسور بن عبد المنعم بن النعمان المعاديرحمه الله**، قال: خرج من الناحية سنة اثنتين وخمسين ومائتين إليّ على يد الشيخ محمد بن غالب الإصفهاني حين وفاة أبي**رحمه الله**، وكنت حدث السن، فكنت أستأذن في زيارة مولاي أبي عبد الله**عليه السلام**، وزيارة الشهداء (رضوان الله عليهم)، فخرج إليّ منه...»**[1].

٣ـ السيّد علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن طاووس الحسني: «**رويناها بإسنادنا إلى جدّي أبي جعفر، محمد بن الحسن الطوسي (رحمة الله عليه)، قال: حدّثنا الشيخ أبو عبد الله، أحمد بن محمد بن عياش، قال: حدّثني الشيخ الصالح أبو منصور ابن عبد المنعم بن النعمان البغدادي (رحمة الله عليه)، قال: خرج من الناحية المقدّسة سنة اثنتين وخمسين ومائتين على يد الشيخ محمد بن غالب الإصفهاني حين وفاة أبي**رحمه الله**، وكنت حديث السن، وكنت أستأذن في زيارة مولاي أبي عبد الله**عليه السلام** وزيارة الشهداء (رضوان الله عليهم)، فخرج إليّ منه**»[2].

إنّ مستوى الاعتبار السندي للزيارة جدير بالتأمّل من جهتين:

١ـ دراسة اعتبار السند بنحو خاص.

٢ـ دراسة اعتباره اعتماداً على التوثيقات العامة، أي على أساس نظرية اعتبار الرواة والروايات في كتاب المزار الكبير.

مشايخ الشيخ الطوسي مَن يشابه اسمه هذا الاسم، مع أنّ هذا الاسم يتّحد مع ما ذكرناه في جميع الخصوصيات من النسب واللقب، سوى التقديم والتأخير بين اسم (أحمد) و(محمد)، يُضاف إلى ذلك أنّ قلب محمد بن أحمد وأحمد بن محمد قد اتفق للكثير من الرواة، ومن جملتهم ابن عياش نفسه، ففي كتاب الطرائف للسيّد ابن طاووس (ص١٧٢) يقول: «... رأيت تصنيفاً لأبي عبد الله محمد بن عبد بن عياش اسمه كتاب مقتضب الأثر...»، وفي (ص١٥١): «أحمد بن محمد بن عياش...»، ومثل هذه الازدواجية نلحظها في كتاب (الصراط المستقيم) لابن يونس العاملي: ج١، ص٥، وج٢، ص٩٨، وص١٠٠، وص١٤١، وص١٤٦، وص٢٣٨، وكذلك كتاب الأربعين لابن طاهر القمّي: ص٣٥، وص٣٥٦.

(١) ابن المشهدي، علي بن جعفر، المزار الكبير: ص٤٨٥ـ٤٩٥، ح٨.

(٢) ابن طاووس، علي بن موسى، إقبال الأعمال: ج٣، ص٧٣.

اعتبار الرواة والروايات في كتاب المزار الكبير

طبقاً لقاعدة التوثيقات الرجالية العامة للرواة والروايات في كتاب المزار الكبير، فإنّ وجه اعتبار السندين الأوّلين واضح، وسيأتي مزيد من التوضيح فيما يرتبط بهذا المبنى الرجالي في مبحث مصادر الزيارة الثانية وأسنادها.

اعتبار أسانيد كتاب المزار الكبير بنحو خاص

فيما يلي سنتطرّق إلى مستوى اعتبار الأسانيد المذكورة أعلاه بنحو خاص:

لقد عمد ابن المشهدي إلى إيصال الزيارة التي يدور البحث حولها إلى المفيد الثاني، الشيخ حسن بن الشيخ الطوسي، ومنه إلى والده الكبير، وذلك بواسطة فقيهين ومحدّثين مشهورين لدى الشيعة، هما: عماد الدين الطبري، وحسين بن هبة الله.

أمّا ابن طاووس فقد أوصلها إلى الشيخ الطوسي بأسانيده الواضح اعتبارها عند مَن لديهم معرفة بطرق الأسانيد والإجازات.

بيان حال الرواة

لقد قام شيخ الطائفة ـ في أسناد ابن المشهدي وابن طاووس أيضاً ـ بنقل هذه الزيارة بواسطة أحمد بن محمد بن عياش، عن عبد المنعم بن النعمان، على أنّ الزيارة المذكورة قد صدرت عن الناحية المقدّسة على يد الشيخ محمد بن غالب الإصفهاني.

أوّلاً: ابن عياش

كان ابن عياش أبو عبد الله أحمد بن محمد بن عياش من مشايخ الرواة لدى الشيخ الطوسي، وله مصنفات متعدّدة في موضوعات مختلفة، وقد وصفه كلٌّ من المامقاني والوحيد البهبهاني بالحسن[1]. قال الشيخ الطوسي في الفهرست: «**كان سمع**

(١) أُنظر: المامقاني، عبد الله، تنقيح المقال: ج١، ص٨٨.

الحديث وأكثر، واختلّ في آخر عمره... وصنّف كتباً، منها: مقتضب الأثر...[1]**، أخبرنا بسائر كتبه ورواياته جماعة من أصحابنا عنه، ومات سنة (٤٠١)**»[2].

ويقول الشيخ [الطوسي أيضاً] في رجاله: «**كثير الرواية، إلّا أنّه اختلّ في آخر عمره**»[3].

ويقول النجاشي بعد أن ذكر عناوين مصنفاته: «**رأيت هذا الشيخ، وكان صديقاً لي ولوالدي، وسمعت منه شيئاً كثيراً، ورأيت شيوخنا يضعّفونه، فلم أروِ عنه شيئاً، وتجنّبته، وكان من أهل العلم والأدب القوي، وطيّب الشعر، وحسن الخطّ، رحمه الله وسامحه**»[4].

ثمّ إنّه نظراً إلى سلامة مذهبه، وحسن الثناء عليه بكثرة الروايات وسماعها، ووفور علمه وتأليفاته في العلوم والفنون المختلفة، الأمر الذي اعترف به النجاشي وغيره، فإنّ الاختلال في آخر العمر لا يمثّل مانعاً من قبول رواياته التي أُخذت عنه في زمان سلامته، والاعتماد عليها[5]، أمّا تضعيف مشايخ النجاشي فإنّه لم يستتبع تضعيف النجاشي نفسه له، من هنا لم يصرِّح النجاشي ـ بعد مدحه والدعاء له وذكر فضائله ـ بشيء سوى أنّه قد تجنّبه، وأنّه لم يروِ عنه شيئاً، علماً بأنّ النجاشي لم يلتزم عملياً بمبناه في تجنّب رواياته على الرغم من احترازه من الرواية عمّن هناك أدنى خدشة في وثاقته، فقد اعتمد عليه وروى عنه مكرّراً، كما سيأتي بيان ذلك.

---

(١) ومن الكتب الأُخرى التي يمكن ذكرها: الأغسال، كتاب أخبار أبي هاشم الجعفري، كتاب شعر أبي هاشم، كتاب أخبار جابر الجعفي، الاشتمال على معرفة الرجال، كتاب ذكر مَن روى الحديث من بني عامر بن ياسر، ما نزل من القرآن في صاحب الأمر، كتاب في ذكر الشجاج، كتاب عمل رجب، كتاب عمل شعبان، كتاب عمل شهر رمضان، كتاب أخبار السيّد الحميري، كتاب في اللؤلؤ وصنعته وأنواعه، كتاب أخبار وكلاء الأئمّة الأربعة. أُنظر: الطوسي، محمد ابن الحسن، الفهرست: ص٧٩.

(٢) المصدر السابق: ص٧٩.

(٣) الطوسي، محمد بن الحسن، رجال الطوسي: ص٤١٣.

(٤) النجاشي، أحمد بن علي، رجال النجاشي: ص٢٥٥.

(٥) لرجاليي الشيعة وفقهائهم مثل هذا الكلام كذلك في روايات أمثال البطائني.

ويبدو أنّ تضعيف مشايخ النجاشي له لا يعود إلى اختلال ذهنه أو عقله أو أُسلوب تحديثه في آخر عمره؛ فإنّ ذلك لا يستلزم الامتناع عن رواية حديثه في زمان سلامته؛ ثمّ إنّ ذكر النجاشي لفضائله، والدعاء له، واجتنابه عن تضعيفه، والتزامه بعدم الرواية عنه، مع ما كان عليه من تشدّد في نقل الروايات، كلّ ذلك يمثّل قرينة على أنّ ابن عيّاش كان متّهماً بالغلو بين مشايخ النجاشي، وممّا يدعم هذا الوجه ـ إضافة إلى رواج نزعة التضعيف والرمي بالغلو في ذلك العهد، ولا سيّما بين مشايخ النجاشي الذي تأثّر كذلك بهذا المناخ[1] ـ رواياته ومصنفاته[2] التي تعكس عقيدته الشيعية القوية والسامية، وما نقله من روايات ترتبط بالمعاجز والمناقب الرفيعة، وما شابه هذه الأُمور التي يعدّها أمثال هؤلاء نوعاً من الغلو، فمثل هؤلاء الرواة يقعون بسهولة عرضة لسوء الظنّ، والرمي بالغلو، ولذلك تصدّى الكثير من المحقّقين في علم الرجال ـ بالبحث والإنكار ـ لهذا المبنى في جرح الرواة وتضعيفهم.

على كلّ حال، فعلى الرغم من وجود مثل هذا المناخ في تضعيف رواة الحديث، ومع ما يتّصف به النجاشي من تشدّد في نقل الروايات، فإنّ شخصية ابن عياش وما يتّسم به من فضل يقفان مانعاً إزاء قبول هذا التضعيف من قبل النجاشي؛ من هنا نجد النجاشي نفسه يعتمد على ابن عياش، ويروي عنه في موارد كثيرة[3]، وكذلك ينبغي أن تُؤخذ هذه النقطة بنظر الاعتبار، وهي أنّ معاصرة النجاشي لابن عياش، وشهرة هذا الأخير، والصداقة التي تربط بينهما، كلّ ذلك يقف مانعاً دون نسيان

(١) أُنظر: السبحاني، جعفر، كليات في علم الرجال: ص٢٥٥ وما بعدها.

(٢) يكفي في هذا المجال إلقاء نظرة على عناوين كتب ابن عياش، وبخاصّة كتاب (أخبار جابر الجعفي)، و(أخبار أبي هاشم الجعفري عليه السلام)، وكتاب (شعر أبي هاشم)، وأمثال هذه الكتب، بل يشهد لهذا الكلام تضعيف النجاشي لبعض رواة جابر الجعفي في ترجمته، وفي موارد مماثلة.

(٣) من جملتها ما جاء في ترجمة: الحسين بن بسطام، والحسين بن محمد بن الفضل، وبكر بن أحمد، وروميي بن زرارة، وعبيد بن كثير، وعلي بن محمد بن جعفر، ومحمد بن سنان، ومحمد بن الحسن ابن شمون، ومحمد بن جعفر بن عنبسة، ومرازم بن حكيم، ونجيح بن قباء الغافقي.

النجاشي مبناه في الامتناع من نقل الحديث عنه، والظاهر من رجال النجاشي أنّ نقل النجاشي للروايات عن ابن عياش متأخّر عن كتابة ترجمته، وهذا يعني أنّ عمل النجاشي حاكٍ عن تراجعه عن مبناه المتقدم، أو عدم جدّيته فيه على أقلّ تقدير.

والنتيجة: أنّه علاوة على التوثيقات العامّة لابن عياش ـ بسبب نقل ابن المشهدي، وكذلك رواية النجاشي والشيخ الصدوق[1] عنه ـ فإنّ كثرة تخريج الحديث عنه بواسطة الكثير من الثقات[2] يمثّل علامة على كون حديثه مورداً للاعتماد.

ثمّ إنّه إذا لم يتقبّل شخص ما هذه التوثيقات العامة لمعارضتها للتضعيف المذكور، فإنّ نفس هذا التضعيف ليس تامّاً، وإنّ المدح والمحاسن المذكورة يؤدّي إلى الاطمئنان بحسن حاله، إضافة إلى أنّنا قلّما نجد راوياً من الثقات لم تتعلّق به تضعيفات غير تامّة من هذا القبيل.

ثانياً: عبد المنعم بن النعمان

ظاهر عبارة: «**قال: حدّثني الشيخ الصالح أبو منصور... رحمة الله عليه**»، في السند المذكور سابقاً أنّ هذا الوصف والترحّم صادر عن ابن عياش، ومَن قام بنقله كذلك هم من الرجاليين الذين يتحلّون بالخبرة، كالشيخ الطوسي وابن طاووس، ففي المجموع يمثّل التعبير بـ(الشيخ الصالح)، وتقديم الكنية على الاسم، والترحّم عليه، مدحاً جليلاً، إن لم يكن كاشفاً عن وثاقة أبي منصور، فهو معبِّر عن حسن حاله على أقلّ تقدير.

---

(١) لمعرفة المبنى المعروف لوثاقة مشايخ الصدوق والنجاشي. أُنظر: الداوري، مسلم، أُصول علم الرجال: ص٤٥١. السبحاني، جعفر، كليات في علم الرجال: ص٨٠.

(٢) من جملتهم الشيخ المفيد، والشيخ الصدوق، والسيّد المرتضى (أُنظر: البحراني، هاشم بن سليمان، مدينة المعاجز: ج١، ص٢١٨، عن عيون المعاجز للسيّد المرتضى)، والشيخ الطوسي، والنجاشي، وابن إدريس، (أُنظر: ابن إدريس، محمد بن منصور، السرائر: ج٣، ص٥١٨، ما استطرفه من كتاب مسائل الرجال لابن عياش)، ومحمد بن هارون التلعكبري، ومحمد بن شاذان القمّي، والشيخ الدرويستي، والطاهر بن محمد القمّي، والحسين بن عبد الوهاب، وغيرهم.

وينبغي الالتفات إلى أنّ هذا النحو من الاستدلال لإحراز حال الراوي لا يتضمّن دوراً أو مصادرة، فإنّ السير مع السند من الحلقة الدنيا إلى الحلقة العليا، مع مدح كلّ واحد من الرواة وتجليله، يثبت وثاقة الرواة أو حسن حالهم واحداً تلو الآخر، من هنا يكون إثبات اعتبار رواية كلّ حلقة ومقبوليتها مستنداً لنا في الحلقات اللاحقة من السند.

ثالثاً: محمد بن غالب الإصفهاني

أمّا محمد بن غالب الإصفهاني فهو غنيّ عن التوثيق، وليس مصدر هذا الوثوق صرفاً أنّه إذا دلّت رواية معتبرة أنّ شخصاً ما يمثّل رابطاً للناحية المقدّسة فهو يكتسب بذلك صفة الوثوق، بل لأنّ راوياً معتبراً قام بنسبة فعل إلى محمد بن غالب بعبارات تكشف عن إحراز وثاقته، فهذا نظير كلّ مورد آخر يخبر فيه أحد الرواة المعتبرين عن فعل المعصوم أو فعل غيره، ففي مثل هذه الحالة لا حاجة إلى إحراز وثاقة الشخص الذي يُنقَل عنه الفعل، وعلى كلّ حال ستأتي دراسة حال محمد بن غالب الإصفهاني في أواخر المبحث الأوّل.

نتيجة البحث السندي

إنّ الحديث والزيارة المبحوث عنهما هما من الناحية السندية على وفق القاعدة الرجالية في التوثيقات العامة لرواة المزار لابن المشهدي ورواياته، بل يُعدّ كلّ منهما صحيحاً على التحقيق، فإذا كان ثمّة شخص يشكّك في المبنى الرجالي المذكور، فإنّ هذا السند يعدّ حسناً على الأقلّ؛ نظراً إلى التحقيق الخاص عن رواة السند، فإنّ كلّ شخص من رواة الرواية إما ثقّة أو يتمتع بالمدح والتجليل، وممّا يضفي على هذه الزيارة مزيداً من القوّة والتأييد ـ إضافة إلى ذلك ـ تكرار نقلها من قبل العديد من الفقهاء والمحدّثين البارزين.

مجموعة من النقاط المهمّة

تاريخ صدور الزيارة عن الناحية المقدّسة

على الرغم من أنّ لقب (الناحية) أو (الناحية المقدّسة) ينصرف في ثقافة الشيعة ـ بصفته كناية واضحة ـ إلى إمام العصر عجل الله تعالى فرجه الشريف، إلّا أنّ زمان صدور الزيارة طبقاً للأسانيد المذكورة أعلاه يعود إلى زمان سابق على ولادة حضرته عجل الله تعالى فرجه الشريف؛ فإنّ عبارة: «**خرج من الناحية سنة اثنتين وخمسين ومائتين على يد الشيخ محمد بن غالب الإصفهاني**»[1] تكشف أنّ صدور هذه الزيارة عن الناحية المقدّسة على يد محمد بن غالب، قد سبق ولادة إمام العصر (عليه وعلى آبائه السلام) بثلاث سنوات أو أربع.

وفي محاولةٍ لمعالجة هذا الإشكال يطرح المجلسي في (بحار الأنوار) احتمالين، حيث يقول: «**لعلّها كانت اثنتين وستّين ومائتين، ويحتمل أن يكون خروجه عن أبي محمد العسكري** عليه السلام»[2].

ولكن من الوضوح بمكان أنّ التصرّف في ظهور اللفظ وحمل تعبير (الناحية) الكنائي على الإمام العسكري عليه السلام هو أهون بمراتب، وأقرب إلى القبول من التصرّف في التاريخ المذكور في الرواية لمجرّد احتمال سهو الراوي في ذكر التاريخ، أو تعرّضه للتصحيف في مرحلة النسخ؛ فإنّ (أصالة عدم سهو الراوي) حفاظاً على النصّ مقدّمة على (أصالة الظهور).

والقرينة الأُخرى على هذا الكلام هو خروج هذه الزيارة على يد محمد بن غالب، مع أنّ توقيعات الناحية المقدّسة لإمام العصر عجل الله تعالى فرجه الشريف كانت تخرج بأجمعها بواسطة

(١) ابن المشهدي، علي بن جعفر، المزار الكبير: ص٤٨٦، ح٨.
(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج١٠١، ص٢٧٤.

النواب الأربعة، ولربّما تكون هذه المحتملات هي التي دعت بعض العلماء[1] إلى التمسّك بتعيّن هذا القول.

اصطلاح الناحية المقدّسة

مفردة (الناحية) و(الناحية المقدّسة): بمعنى السمت والجهة، إلّا أنّ هذه الكلمة ـ مفردةً كانت أو مركبة بهذا النحو (الناحية المقدّسة) ـ أخذت تطلق في ثقافة الشيعة على إمام العصر عجل الله تعالى فرجه الشريف، وعلى الإمام العسكري عليه السلام، والإمام الهادي عليه السلام، أو أهل بيتهم أحياناً، وذلك من باب التقية المشوبة بالاحترام ورعاية الأدب بعدم ذكر أسمائهم، ويعدّ هذا الكلام في الثقافة الشيعية إجمالاً من الواضحات والمسلّمات، فلم نعهد في نصوصنا التاريخية أن يكنّى بهذه المفردة عن شخص آخر.

لقد عاش الشيعة دائماً حالة من الاحتقان والتهديد بسبب حكّام الجور ومَن يشاركهم الرأي، فعمدوا إلى الاستفادة من الألقاب والكنايات كجزء حتمي من ثقافتهم وأدبياتهم، حتّى أنّهم كانوا يُلقّبون أمير المؤمنين عليه السلام عند ذكره بأبي زينب، والإمام الكاظم عليه السلام بالعبد الصالح، أو العالم، وأمثال ذلك، إلّا أنّ جميع هذه الألقاب لم يكن لها من الشهرة والرواج مثلما كان لمفردة (الناحية) أو (الناحية المقدّسة) في إمام العصر عجل الله تعالى فرجه الشريف.

يمكننا القول: من الناحية التاريخية، إنّ هذا اللقب ـ إضافة إلى اشتماله على أدب عدم التصريح بأسماء المعصومين عليهم السلام ـ كان يمثّل ضرورة ملموسة للتقية والكناية عن الإمام الهادي عليه السلام والإمام العسكري عليه السلام وإمام العصر عجل الله تعالى فرجه الشريف، نظراً إلى أنّهم كانوا يخضعون للمراقبة[2] في مدينة سامراء العسكرية، للحيلولة دون أن تنحدر إلى منازل

(١) من جملتهم العلّامة التستري (الشوشتري)، حيث يقول: «والمراد بالناحية فيه [الخبر] لا بدّ أن يكون العسكري عليه السلام؛ لأنّ الحجّة عليه السلام لم يكن ولد في تلك السنة». التستري (الشوشتري)، محمد تقي، قاموس الرجال: ج٩، ص٥٠٤.

(٢) هكذا الحال بالنسبة إلى القاسم بن محمد بن علي بن إبراهيم النهاوندي، من أصحاب الإمام الهادي عليه السلام، (اُنظر: الصدوق، محمد بن علي، علل الشرائع: ص١٩٣)، وإبراهيم بن محمد الهمداني

هؤلاء العظماء الوجوه الشرعية، أو يرتبط بهم شيعتهم، فمثل هذه الضرورة وتلك الأوضاع أدّت إلى أن يأخذ اللقب المذكور موضعه كمصطلح بين الشيعة، إلّا أنّ قصر مدّة إمامة العسكريين عليهما السلام نسبة إلى مدّة إمامة صاحب العصر عجل الله تعالى فرجه الشريف، إضافة إلى ملاحظات أُخرى، أدّى كلّ ذلك إلى انصراف هذا المصطلح إلى إمام العصر عجل الله تعالى فرجه الشريف.

بناءً على ذلك يكون انصراف مصطلح (الناحية) أو (الناحية المقدّسة) في موارد الاستعمال في النصوص الشرعية والتاريخية عند الشيعة إلى إمام العصر عجل الله تعالى فرجه الشريف، إلّا أن تكون هناك قرينة خاصّة على خلاف ذلك، تقتضي الحمل على الإمام العسكري عليه السلام، أو الإمام الهادي عليه السلام أحياناً.

كيفيّة رواية الشيخ عن ابن عياش

كانت ولادة الشيخ الطوسي في سنة (٣٨٥هـ)، ووفاة ابن عياش في سنة (٤٠١هـ)، فمن الممكن أن تقع كيفيّة رواية الشيخ عن ابن عياش موضعاً للتساؤل؛ نظراً إلى الاختلال الذي أُصيب به ابن عياش في أواخر عمره، وامتناع أمثال الشيخ الطوسي عن نقل الروايات عن الرواة في مثل هذه الحالة، وإن كان من الممكن ـ مع الأخذ بنظر الاعتبار نبوغ الشيخ الطوسي المتفرّد، وانشغاله بالدراسة منذ عهد الطفولة ـ أن يكون قد أخذ الحديث عن ابن عياش في العاشرة أو الحادية عشرة من عمره مثلاً، إلّا أنّ كثرة نقل الشيخ عنه بالواسطة يوجِد اطمئناناً نسبياً أنّ الشيخ قد عمد في موارد معدودة إلى هذا النحو من الرواية بواسطة تلك الأسانيد والوسائط.

من رجال الإمام الرضا والإمام الجواد والإمام الهادي عليهم السلام، (أُنظر: الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج٣٠، ص٣٠٠)، وأبي جعفر محمد بن حفص بن عمرو الملقب بابن العمري المعبّر عن كل واحد منهم بوكيل الناحية (أُنظر: الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج٣٠، ص٤٧٠)، وكذلك العزيز بن زهير(الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج٣٠، ص٤٢١)، والقاسم بن العلاء (أُنظر: الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج٣٠، ص٤٤٩)، ومحمد بن شاذان النيسابوري، الذين قيل فيهم: من وكلاء الناحية، (أُنظر: الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج٣٠، ص٤٧٤).

ثمّ إنّه نظراً إلى قول الشيخ في الفهرست: «**أخبرنا بسائر كتبه ورواياته جماعةٌ من أصحابنا عنه**»[1] ـ وفي هذه الجماعة مَن هو من مشايخ الشيخ، كالشيخ المفيد وابن عبدون وابن أبي جيّد والحسين بن عبيد الله الغضائري[2] ـ فإنّ كلا الفرضين، (أي: نقل الشيخ عن ابن عياش بواسطة وبلا واسطة)، متساوٍ من حيث الاعتبار، وإن كانت هناك قرائن تقوّي احتمال أنّ يكون السبب في حذف وساطة هؤلاء المشايخ في الرواية هو اعتماد الشيخ على الأسانيد المذكورة، وتكرر ذكرها في سائر الروايات، والتصريح بها في مشيخته، فلم يجد حاجة إلى ذكر طريقه إلى كتاب ابن عياش، ومثل هذا التعليق في الأسانيد يعتبر في حكم الاتّصال[3].

سقوط زيارة الإمام عليه السلام من زيارة الشهداء

جاء في المصادر المذكورة: «**عبد المنعم بن النعمان... قال: خرج من الناحية سنة اثنتين وخمسين ومائتين إليّ... فكنت أستأذن في زيارة مولاي أبي عبد الله عليه السلام وزيارة الشهداء (رضوان الله عليهم)، فخرج إليّ منه...**».

إنّ موضوع الطلب والاستئذان الذي تقدّم به عبد المنعم ـ طبقاً لهذه العبارة ـ هو زيارة الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه الشهداء، إلّا أنّ هذه الزيارة ترتبط بالشهداء فقط، فمع الأخذ بنظر الاعتبار مستوى الأهمّية والتأكيد الصادر عن أهل البيت عليهم السلام فيما يرتبط بزيارة سيّد الشهداء عليه السلام، يمكن القول باطمئنانٍ: بأنّ زيارة أبي عبد الله الحسين عليه السلام قد سقطت من صدر هذه الرواية.

---

(١) الطوسي، محمد بن الحسن، الفهرست: ص٨٠، رقم٩٩.

(٢) اُنظر: الأبطحي، محمد علي، تهذيب المقال: ج٣، ص٣٨١.

(٣) بل نظراً لاشتهار كتب ابن عياش ومؤلّفها، فإنّ ذلك يكشف عن أنّ الكتاب الذي نقلت منه الرواية مفروغ منه، كما ننسب اليوم روايات الكتب الأربعة ووسائل الشيعة إلى مؤلّفيها بلا ذكر للأسناد.

نعم، هل كان ذلك المقطع الذي سقط قد نُقل مستقلاً بصفته إحدى زيارات الإمام الحسين عليه السلام دون إسناد إلى المعصوم عليه السلام، أو أنّ هناك حوادث حرمتنا من الوصول إليه.. احتمالات ليس لنا جواب علمي لها يمكن الركون إليه إلى يومنا هذا.

ومن الممكن طبعاً أن يطرح هذا الاحتمال، وهو أن يكون المقطع الساقط من الرواية هو نفس النصّ الذي تتضمّنه الزيارة الثانية، ولكن ممّا يُبعد هذا الاحتمال ـ إضافة إلى فقدان الدليل أو القرينة التي تدعمه ـ ما جاء في سند الزيارة الأُولى من أنّه قد خرج من الناحية المقدّسة على يد محمد بن غالب، بينما الذي جاء في سند الزيارة الثانية: «**مما خرج من الناحية عليه السلام إلى أحد الأبواب...**»، ومن الواضح أنّ التعبير بأحد الأبواب فيما يتداوله الشيعة يعود إلى النواب الخاصّين بإمام العصر عجل الله تعالى فرجه الشريف، وليس هناك أدنى شك في أنّ محمد بن غالب ليس من جملتهم.

النسبة بين زيارة الشهداء والزيارة الرجبية

تمثّل الزيارة الرجبية أحد نصّين روائيين يتضمّنان أكبر عدد من الأسماء المباركة لأصحاب سيّد الشهداء عليه السلام، وهذه الزيارة موسومة بالزيارة الرجبية، فليست هي الزيارة الجامعة.

إنّ الاختلاف في النصّ وعدد الأسماء في كلا الزيارتين يكشف بدقّة أنّها زيارة مستقلّة بمعزل عن الزيارتين الأُوليين، وهي من ناحية السند لا تحظى بسند محرز الاعتبار، بل إنّنا لم نجد مَن ينسب هذه الزيارة إلى المعصومين عليهم السلام[1].

جاءت بداية هذه الزيارة وخاتمتها ـ طبقاً لنقل السيّد ابن طاووس ـ كما يأتي: «**فيما نذكره من لفظ زيارة الحسين عليه السلام في نصف شعبان أقول: إنّ هذه الزيارة ممّا يزار بها**

(١) جاء نصّ هذه الزيارة في كلّ من المصادر الآتية: ابن طاووس، علي بن موسى، إقبال الأعمال: ج٣، ص٣٤١. ابن طاووس، علي بن موسى، مصباح الزائر: ص٢٩١. وأيضاً: العاملي (الشهيد الأوّل)، محمد بن مكي، المزار: ص١٢٤. وأيضاً: الكفعمي، إبراهيم، المصباح: ص٦٥١. وأيضاً: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٩٨، ص٣٣٦، ح١.

الحسين عليه السلام أوّل رجب أيضاً، وإنّما أخّرنا ذكرها في هذه الليلة لأنّها أعظم، فذكرناها في الأشرف من المكان، وهي: إذا أردت ذلك فاغتسل، والبس أطهر ثيابك، وقف على باب قبّته عليه السلام مستقبل القبلة، وسلّم على سيّدنا رسول الله، وعلى أمير المؤمنين، وفاطمة، والحسن، وعليه، وعلى الأئمّة من ذرّيته (صلوات الله عليه وعليهم أجمعين)، ثمّ ادخل، وقف عند ضريحه، وكبّر الله تعالى مائة مرّة، وقل: السلام عليك يابن رسول الله، السلام عليك يابن خاتم النبيين، السلام عليك يابن سيّد المرسلين، السلام عليك يابن سيّد الوصيين، السلام عليك يا أبا عبد الله، السلام عليك يا حسين بن علي، السلام عليك يابن فاطمة سيّدة نساء العالمين...».

وبعد ذكر مجموعة من صفات سيّد الشهداء عليه السلام وفضائله ومظلوميته يوجّه الخطاب إلى شهداء أهل البيت وسائر الشهداء قائلاً: «**السلام على العباس بن أمير المؤمنين، السلام على... السلام على سعيد بن عبد الله الحنفي... لا جعله الله آخر العهد مني لزيارتك، ورزقني الله العود إلى مشهدك، والمقام بفنائك، والقيام في حرمك، وإيّاه أسأل أن يسعدني بكم، ويجعلني معكم في الدنيا والآخرة**»[1].

مَن هو الشيخ محمد بن غالب الإصفهاني؟

الأشخاص المسمّون بمحمد بن غالب

جاء ذكر (ابن غالب) في أسانيد الروايات بالأنحاء المدرجة أدناه:

١ـ الشيخ محمد بن غالب الإصفهاني.

٢ـ محمد بن غالب، بشكل مطلق وفي أسانيد متعددة.

٣ـ محمد بن عبد الله بن غالب، أبو عبد الله الأنصاري البزّاز، وهو حافظ وثقة

(١) ابن طاووس، علي بن موسى، إقبال الأعمال: ج٣، ص٣٤١. ابن طاووس، علي بن موسى، مصباح الزائر: ص٢٩١. العاملي (الشهيد الأوّل)، محمد بن مكي، المزار: ص١٢٤. الكفعمي، إبراهيم، المصباح: ص٦٥١. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج١٠١، ص٣٣٦، ح١.

في الحديث، من كبار الواقفية، ويرد اسمه أحياناً في الأسانيد بالنحو الآتي: محمد بن أبي غالب، أو محمد بن غالب الصيرفي، أو أبو عبد الله بن غالب.

٤ـ أبو جعفر محمد بن غالب بن حرب الضبي التمتامي، المعروف بـالتمتام (١٩٣هـ ـ ٢٨٣هـ)، ساكن بغداد[١]، وهو من رواة العامة.

٥ـ محمد بن غالب بن الحارث، من رواة العامة، وهو من حيث الطبقة ليس قابلاً للانطباق على محمد بن غالب الإصفهاني[٢].

٦ـ محمد بن علي بن غالب، وهو لا يقبل الانطباق على محمد بن غالب الإصفهاني؛ لأنّ الأصل في تعدّد الأسماء واختلافها هو تعدّد المسمّى، إلّا أن يقوم الدليل على خلاف ذلك، أي: على اتحاد المسمّى، ولم نحصل على مثل هذا الدليل[٣].

٧ـ نجيب الدين محمد بن غالب، من المتأخرين[٤]، وهو من حيث الطبقة ليس قابلاً للانطباق على محمد بن غالب الإصفهاني.

٨ـ محمد بن عمر بن المفضل بن غالب، وقد يرد ذكره في الأسانيد باسم محمد بن عمر بن غالب، وقد يُلقّب بالحافظ، وهو من حفّاظ الحديث عند العامة[٥].

وممّا لا شكّ فيه أنّ كلاً من الشخص الرابع وما بعده لا يمكن انطباقهم على محمد بن غالب؛ إمّا لاختلاف أسمائهم أو طبقاتهم عن الشخص المبحوث عنه كما

---

(١) أُنظر: الخطيب البغدادي، أحمد بن علي، تاريخ بغداد: ج٣، ص٣٦١ـ٣٦٣.

(٢) أُنظر: ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق: ج٢٣، ص٦٦.

(٣) بل هناك شواهد على خلاف ذلك، من جملتها أننا لم نعثر إلّا على رواية واحدة قد رويت عن محمد ابن علي بن غالب، وراويها لا يتناسب مع محمد بن غالب على الإطلاق.

(٤) أُنظر: النوري، الميرزا حسين، خاتمة المستدرك: ج٢، ص٤٣٨. وأيضاً: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج١٠٧، ص١٥٨.

(٥) أُنظر: الخطيب البغدادي، أحمد بن علي، تاريخ بغداد: ج٢، ص٤، وص٩٧، وص٢٧٣، وص٤٤٢، وج٤، ص٤٢، وص٢٢٤، وج٥، ص٣٨٨، وج٦، ص٧٦، وص١٠٨، وص١٤٨، وص٣٥٥، وج٧، ص١٦، وص٦١، وج٨، ص٣٣، وموارد أُخرى منه، وفي سائر كتب أهل السنة وأخبارهم.

أشرنا، أو لكونهم من رجال العامة، ممّا لا يعقل معه أن يكونوا من وكلاء الإمام عليه السلام أو أبوابه، مع أنّه قد جاء في سند زيارة الناحية: «**قال: خرج من الناحية سنة اثنتين وخمسين ومائتين على يد الشيخ محمد بن غالب الإصفهاني**»[1]، ومثل هذه العبارة تكشف بوضوح عن تمتّع ابن غالب بمثل هذه المكانة وهذا المنصب.

وقد اتّضح من البيانات السابقة الدليل على عدم الاتحاد بين الشيخ محمد بن غالب الإصفهاني الذي جاء اسمه في سند الزيارة، ومحمد بن عبد الله بن غالب الأنصاري، فلا يمكن القول: إنّ محمد بن غالب هو نفسه محمد بن عبد الله بن غالب الذي ينسب إلى جدّه[2]، وذلك لكون محمد بن عبد الله بن غالب من رجال الواقفية البارزين، هذا أوّلاً، وثانياً: لأنّ الأصل في اختلاف العنوان هو اختلاف المعنون، فإذا اختلفت الأسماء فالأصل هو الاختلاف بين مَن يحملون تلك الأسماء، وليس هناك دليل يكشف عن اتحادهما، ليحول دون التمسّك بالأصل المذكور.

الاختلاف بين محمد بن غالب وأبي عبد الله الأنصاري

ولنلحظ الآن: هل محمد بن غالب الذي يُذكر اسمه مطلقاً هو نفسه أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن غالب الأنصاري، أو هناك اختلاف بينهما؟

إنّ نتيجة التحقيق في هذين الشخصين تؤدّي إلى الاطمئنان بتعدّدهما، وإن كانا متعاصرين[3]، وأنهّما من حيث الطبقة الروائية يندرجان في طبقة واحدة، فإنّ الدقّة في أسانيد رواياتهما ـ إضافة إلى أصل حكاية تعدّد العنوان عن تعدّد المعنون ـ تكشف أنّ هناك اختلافاً في مشايخهما[4] والرواة عنهما، بل هناك اختلاف في مشايخهما

(١) النوري، الميرزا حسين، مستدرك الوسائل: ج١٠، ص٤٠٨.
(٢) بل قد يذكر أحياناً باسم محمد بن غالب. اُنظر: الأردبيلي، محمد علي، جامع الرواة: ج٢، ص١٧١.
(٣) ما سنلحظه قريباً عند ذكر مشايخهما من رواية بعضهما عن الآخر شاهد على تعاصر هاتين الشخصيتين.
(٤) عمدة مشايخ محمد بن غالب هم عبارة عن: علي بن الحسن بن علي بن فضال، (اُنظر: المفيد، محمد

بالواسطة[1]، وكلّ ذلك يكشف عن اختلاف الشجرة الروائية لهذين الشخصين،

ابن محمد، الإرشاد: ج ١، ص ٤٥. المفيد، محمد بن محمد، الأمالي: ص ١٨. وأيضاً: الأردبيلي، محمد علي، جامع الرواة: ج ٢، ص ١٧١). وزيد بن رياح، (اُنظر: الخصيبي، الحسين بن حمدان، الهداية الكبرى: ص٢٥٢)، ومحمد بن عبد الله الأنصاري، (اُنظر: الصدوق، محمد بن علي، ثواب الأعمال: ص٧٢)، ومحمد بن الوليد الخراز، (اُنظر: الطوسي، محمد بن الحسن، اختيار معرفة الرجال: ج٢، ص٦٣١).

أمّا عمدة مشايخ محمد بن عبد الله بن غالب فهم كما يأتي: علي بن الحسن الطاطري، (اُنظر: النجاشي، أحمد بن علي، رجال النجاشي: ص١٥٨)، والحسن بن علي بن يوسف بن بقاح، (اُنظر: النجاشي، أحمد بن علي، رجال النجاشي: ص٢٤٥)، والحسن بن أيوب، (اُنظر: النجاشي، أحمد بن علي، رجال النجاشي: ص٥١)، وصفوان بن يحيى، (اُنظر: الخوئي، أبو القاسم، معجم رجال الحديث: ج١٧، ص٢٤٥)، وعبد الرحمن بن أبي نجران (اُنظر: الخوئي، أبو القاسم، معجم رجال الحديث: ج١٧، ص٢٥٩)، ومحمد بن إسماعيل الزعفراني (اُنظر: النجاشي، أحمد بن علي، رجال النجاشي: ص١٤٢، والحسين بن رباح أو رياح، (اُنظر: الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج٨، ص٣٥٠)، ومحمد بن الوليد، (اُنظر: النجاشي، أحمد بن علي، رجال النجاشي: ص١٧١)، ومحمد بن عبد الحميد العطار، (اُنظر: النجاشي، أحمد بن علي، رجال النجاشي: ص١٤٤)، والحسين بن داوود بن حصين، (اُنظر: النجاشي، أحمد بن علي، رجال النجاشي: ص٣٠٨).

وفي مشايخ محمد بن غالب نلحظ اسم محمد بن عبد الله الأنصاري، (اُنظر: الصدوق، محمد بن علي، ثواب الأعمال: ص٧٢)، وهو نفسه محمد بن عبد الله بن غالب، (اُنظر: الخوئي، أبو القاسم، معجم رجال الحديث: ج١٧، ص٢٤٥)، وهكذا نلحظ اسم محمد بن غالب في مشايخ محمد بن عبد الله بن غالب، إضافة إلى أنّ أكثر روايات محمد بن عبد الله بن غالب هي عن الطاطري الذي لا نلحظه في أسانيد محمد بن غالب، كما أنّ أكثر روايات محمد بن غالب عن علي بن الحسن بن علي بن فضال الذي لا نلحظه في مشايخ أبي عبد الله الأنصاري.

(١) عمدة مشايخ محمد بن عبد الله بن غالب بالواسطة عبارة عن: سيف بن عميرة، (اُنظر: المفيد، محمد بن محمد، الأمالي: ص١٧٣ وص١٩٣. وأيضاً: النجاشي، أحمد بن علي، رجال النجاشي: ص٢٠٧)، ويونس بن يعقوب، (اُنظر: الخوئي، أبو القاسم، معجم رجال الحديث: ج١، ص١٣٣)، ومحمد بن كليب، (اُنظر: النجاشي، أحمد بن علي، رجال النجاشي: ص٢٠٧. وأيضاً: الخوئي، أبو القاسم، معجم رجال الحديث: ج١٠، ص١٧٨)، وعبد السلام بن سالم، (اُنظر: النجاشي، أحمد بن علي، رجال النجاشي: ص٢٤٥)، والعلاء بن يحيى، (اُنظر: النجاشي، أحمد بن علي، رجال النجاشي: ص١٦٤)، ومحمد بن يحيى الخزاز، (اُنظر: النجاشي، أحمد بن علي، رجال النجاشي: ص١٤٤)، وحماد (اُنظر: النجاشي، أحمد بن علي، رجال النجاشي: ص١٤٢).

أمّا مشايخ محمد بن غالب بالواسطة فهم عبارة عن: الحسن بن محبوب، (اُنظر: المفيد، محمد بن

وهناك قرائن أُخرى تؤيّد هذا التعدّد بينهما كذلك، إلّا أنّ وضوح هذا التعدّد يغنينا عن مواصلة الكلام في ذكر هذه القرائن.

التطابق بين محمد بن غالب ومحمد بن غالب الإصفهاني

نظراً إلى انتفاء الاتحاد بين محمد بن غالب الإصفهاني الراوي لزيارة الناحية وجميع الرواة ممّن يحتمل انطباقهم عليه، يبقى فقط احتمال اتحاده مع عنوان محمد بن غالب الذي يُذكر بشكل مطلق في أسانيد متعدّدة، فلنلحظ حالياً هل يمكن الحكم باختلافهما أو اتحادهما؟

نظراً إلى القوّة في سند حديث زيارة الناحية، بل اتّصاف هذا الحديث بالاعتبار إلى محمد بن غالب الإصفهاني، الأمر الذي يكشف عن وجود مثل هذه الشخصية بين الرواة، ومع الأخذ بنظر الاعتبار الملاحظات المذكورة أدناه، فإنّ دعوى التطابق بين هذين الشخصين والاتحاد بينهما تبدو قويّة جدّاً؛ وذلك:

١ـ يتجلّى بوضوح من خلال عبارة: «**خرج من الناحية سنة اثنتين وخمسين ومائتين على يد الشيخ محمد بن غالب**» في سند كلّ من ابن المشهدي والسيّد ابن طاووس أنّ راوي زيارة الناحية ينبغي أن يكون ذا شخصية تستحقّ التعبير عنها بالشيخ، إضافة إلى أنّه كان يقوم بدور الوكيل للإمام العسكري عليه السلام والرابط له بشيعته في فترة التقية الحرجة، ومثل هذا الشخص يُستبعد أن يكون مجهولاً، وأن يكون هذا الحديث هو الوحيد المنقول عنه.

محمد، الإرشاد: ج١، ص٤٥)، وعبد الله بن جبلة، (اُنظر: المفيد، محمد بن محمد، الأمالي: ص١٨. وأيضاً: الأبطحي، محمد علي، تهذيب المقال: ج٤، ص٢٥)، والحسن بن أيوب، (اُنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤، ص١٥، عن معاني الأخبار، وتوحيد الصدوق)، ومحمد بن أبي حمزة، (اُنظر: الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج١٠، ص٢٦٧)، ويحيى الحماني، (اُنظر: الكوفي، محمد بن سليمان، مناقب أمير المؤمنين عليه السلام: ج١، ص٣٢٤)، والخليل البكري، (اُنظر: الصدوق، محمد بن علي، ثواب الأعمال: ص٧٢)، وعبد الله بن سنان، (اُنظر: الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج١١، ص٥٣٥)، وابن بكير، (اُنظر: الطوسي، محمد بن الحسن، اختيار معرفة الرجال: ج٢، ص٦٣١).

٢ـ يمثِّل التطابق الكامل بين الاسمين وطبقتهما الروائية[١]، وكثرة نقل الحديث عن محمد بن غالب بهذا الاسم دون خوف من الالتباس بالشخصية المعاصرة له قرينة أُخرى على اتحاد هذين الاسمين.

٣ـ إنّ هذا المقدار من التفاوت المتمثّل في ذكر لقب (الإصفهاني) في الراوي لزيارة الناحية، خلافاً لمحمد بن غالب الذي يُذكر من دون لقب في سائر الروايات، لا يمكنه أن يكون علامة على تعدّدهما، فإنّ ذكر الرواة بأشكال مختلفة أمر عادي ورائج، ومثاله نفس محمد بن عبد الله بن غالب الذي أشرنا إلى نماذج من الاختلاف في عناوينه.

نتيجة البحث

بناءً على ما تقدّم؛ فإنّ احتمال التطابق بين العنوانين واتحادهما قويّ جدّاً، إلّا أنّ قوّة هذا الاحتمال لم تصل ـ في حدّ ذاتها ـ إلى درجة الاطمئنان، وليست هي ناشئة عن دليل لفظي يتمتع بالاعتبار بلحاظ ظهوره، من هنا يحتاج الحكم باتحادهما إلى مزيد من البحث والتحقيق، ممّا هو خارج عن سعة هذا البحث.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

١ ـ اختيار معرفة الرجال، الشيخ محمد بن الحسن الطوسي (ت٤٦٤هـ)، تصحيح وتعليق: مير داماد الأسترابادي، تحقيق: السيّد مهدي الرجائي، مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ١٤٠٤هـ.

(١) محمد بن غالب هو من رواة علي بن الحسن بن فضال، وكان عُمْر (عليٍّ) في حياة أبيه الحسن بن عليّ بن فضال ـ الذي كان يقابل معه نسخ الكتب الحديثيّة ـ ثماني عشرة سنة، ووفاته سنة (٢٢٤، أو ٢١٢، أو ٢١٠ هـ)، بناءً على ذلك يكون عليّ بن فضال قد أدرك جيداً في زمان كهولته وشيخوخته كلاً من الإمام الهادي والإمام العسكري عليهما السلام، فبإمكان محمد بن غالب أن ينقل عنه روايات الأصحاب. لمزيد من التوضيح عن ترجمة البزنطي وعلي بن الحسن بن علي بن فضال، اُنظر: الخوئي، أبو القاسم، معجم رجال الحديث: ج٣، ص١٩ وص٢١، وج٦، ص٥٠.

٢ ـ الإرشاد، الشيخ محمد بن محمد المشهور بالمفيد (ت٤١٣هـ)، تحقيق: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لتحقيق التراث، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.
٣ ـ أُصول علم الرجال بين النظرية والتطبيق، الشيخ مسلم الداوري.
٤ ـ إقبال الأعمال، علي بن موسى بن طاووس (ت٦٦٤هـ)، تحقيق: جواد القيومي الإصفهاني، مكتب الإعلام الإسلامي، الطبعة الأُولى، ١٤١٤هـ.
٥ ـ الأمالي، الشيخ محمد بن محمد، المشهور بالمفيد (ت٤١٣هـ)، تحقيق: حسين الأُستاد ولي، علي أكبر الغفاري، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.
٦ ـ بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي (ت١١١١هـ)، مؤسّسة الوفاء، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية المصحّحة، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
٧ ـ تاريخ بغداد، أحمد بن علي المعروف بالخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ)، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
٨ ـ تاريخ مدينة دمشق، علي بن الحسن المعروف بابن عساكر (ت٥٧١هـ)، تحقيق: علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، ١٤١٥هـ.
٩ ـ تهذيب المقال في تنقيح كتاب رجال النجاشي (ت٤٥٠هـ)، السيد محمد علي الأبطحي، ابن المؤلّف السيّد محمد ـ قم المقدّسة، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ.
١٠ ـ ثواب الأعمال، الشيخ محمد بن علي بن بابويه القمّي الصدوق (ت٣٨١هـ)، تقديم: السيّد محمد مهدي السيّد حسن الخرسان، منشورات الشريف الرضي، قم المقدّسة ـ إيران، الطبعة الثانية، ١٣٦٨هـ.ش.
١١ ـ جامع الرواة، محمد علي الأردبيلي (ت١١٠١هـ)، مكتبة المحمدي.
١٢ ـ خاتمة المستدرك، الميرزا حسين النوري (ت١٣٢٠هـ)، تحقيق: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام

لإحياء التراث، الطبعة الأُولى، مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم ـ إيران، ١٤١٥هـ.

١٣ ـ رجال الطوسي، محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق: جواد القيومي الإصفهاني، مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرّفة، الطبعة الأُولى، ١٤١٥هـ.

١٤ ـ رجال النجاشي، أحمد بن علي بن أحمد بن العباس النجاشي، مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرّفة، الطبعة الخامسة، ١٤١٦هـ.

١٥ ـ الصراط المستقيم، علي بن يونس العاملي النباطي البياضي (ت٨٧٧هـ)، تحقيق وتصحيح وتعليق: محمد الباقر البهبودي، المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية.

١٦ ـ الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف، ، علي بن موسى بن طاووس، مطبعة خيام ـ قم، الطبعة الأُولى، ١٣٩٩هـ.

١٧ ـ الفهرست، الشيخ محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق: الشيخ جواد القيومي، مؤسّسة نشر الفقاهة، الطبعة الأُولى، ١٤١٧هـ.

١٨ ـ قاموس الرجال، الشيخ محمد تقي التستري، مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرّفة، الطبعة الأُولى، ١٤١٩هـ.

١٩ ـ كتاب الأربعين، محمد طاهر القمّي الشيرازي (ت١٠٩٨هـ)، تحقيق: السيّد مهدي الرجائي، المحقّق، الطبعة الأُولى، ١٤١٨هـ.

٢٠ ـ كتاب السرائر، محمد بن منصور بن أحمد بن إدريس (ت٥٩٨هـ)، تحقيق: لجنة التحقيق، مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرّفة، الطبعة الثانية، ١٤١٠هـ.

٢١ ـ كلّيات في علم الرجال، الشيخ جعفر السبحاني، مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرّفة، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ.

٢٢ ـ مدينة معاجز الأئمة الاثني عشر ودلائل الحجج على البشر، السيد هاشم بن سليمان البحراني (ت١١٠٧هـ)، تحقيق: الشيخ عزة الله المولائي الهمداني، نشر مؤسّسة المعارف الإسلامية، قم المقدّسة، الطبعة الأُولى، ١٤١٣هـ.

٢٣ ـ المزار الكبير، محمد بن جعفر المشهدي (ت القرن السادس الهجري)، تحقيق: جواد القيومي الإصفهاني، مؤسّسة النشر الإسلامي، قم ـ إيران، الطبعة الأُولى، ١٤١٩هـ.
٢٤ ـ مستدرك الوسائل، الميرزا حسين النوري الطبرسي، تحقيق: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم ـ إيران، الطبعة الأُولى المحقّقة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.
٢٥ ـ مصباح الزائر، علي بن موسى بن طاووس، تحقيق: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم ـ إيران، الطبعة الأُولى، ١٤١٧هـ.
٢٦ ـ المصباح، إبراهيم بن علي المعروف بالكفعمي (ت٩٠٥هـ)، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
٢٧ ـ معجم رجال الحديث، السيد أبو القاسم الخوئي (ت١٤١٣هـ)، الطبعة الخامسة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.
٢٨ ـ مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، محمد بن سليمان الكوفي (ت حوالي سنة ٣٠٠هـ)، تحقيق: الشيخ محمد باقر المحمودي، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، قم المقدّسة، الطبعة الأُولى، ١٤١٢هـ.
٢٩ ـ الهداية الكبرى، الحسين بن حمدان الخصيبي (ت٣٣٤هـ)، مؤسّسة البلاغ للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، الطبعة الرابعة، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.
٣٠ ـ وسائل الشيعة، محمد بن الحسن الحرّ العاملي (ت١١٠٤هـ)، تحقيق: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث بقم المشرّفة، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.

الزيارة في دائرة المعارف الإسلامية
القسم الأوّل

د. يوسف وليد مرعي*

ترجمة: الشيخ حيدر علي البهادلي**

مقدّمة المجلّة

تحظى الزيارة بمكانة ملحوظة في كتابات المستشرقين، مكانة انعكست من خلال بحثهم عن هذا الحقل الديني المهم في أكبر مجموعة بحثية أُسست في تاريخهم، ألا وهي دائرة المعارف الإسلامية (ليدن)، ونظراً لكون أحد الأغراض التي تسعى مجلّتنا (مجلّة الإصلاح الحسيني) لتحقيقها هو التفتيش في ثنايا التاريخ عن كلّ ما يرتبط بالإمام الحسين عليه السلام، سواء في نهضته المباركة، أو في ما تلاها من أحداث، أو ما حظي به عليه السلام من كرامات؛ لذا ارتأينا ضرورة ضمّ كتابات المستشرقين حول موضوع الزيارة إلى ما يُطرح في الأوساط الإسلامية في هذا الصدد، وذلك من خلال ترجمة جملة من المقالات المنشورة في هذه المجموعة البحثية، وقد تحدّث القسم الذي نحن بصدده عن تاريخ الزيارة في وسط الأراضي العربية وشرقها خلال فترة ما قبل العصر الحديث. هذا وقد تمّت في هذه الترجمة المحافظة على الأصل قدر الإمكان، والاستفادة من المعقوفتين لتشخيص بعض الإضافات التوضيحية.

---

* بروفسور في كلّية الدراسات الإسلامية، جامعة حمد بن خليفة/ قطر.

** معتمد الترجمة في مؤسّسة وراث الأنبياء للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية/ النجف الأشرف، من العراق.

نص المقال

الزيارة: جمعها (زيارات)، ومعناها: هو الحجّ إلى مكان مقدس، أو قبر، أو ضريح.

[أمّا الحديث عن تاريخ نشأتها وتطوّرها فسيكون ضمن العناوين التالية:]

١. في وسط وشرق الأراضي العربية خلال فترة ما قبل العصر الحديث.

٢. في الأراضي العربية الوسطى من عام (١٨٠٠م) إلى يومنا هذا.

٣. بين الأقباط في مصر.

٤. في المغرب.

٥. في بلاد فارس والأراضي الشيعية الأُخرى.

٦. في الأراضي التركية بما في ذلك البلقان وآسيا الوسطى.

٧. في الهند المسلمة.

٨. في إندونيسيا.

٩. في وسط وغرب أفريقيا.

١٠. في القرن الأفريقي.

[الزيارة] في الأراضي العربية الوسطى والشرقية خلال فترة ما قبل العصر الحديث

على الرغم من تشريع النصوص [الإسلامية] المقدّسة للحجّ، وكذا الحجّ الأصغر (العمرة)، نجد أنّ هذه النصوص قد خلت من الإشارة إلى تشريع للزيارة. هذا، وإنّ المصادر العربية والعبرية في العصور الوسطى كثيراً ما كانت تُشير إلى قيام اليهود والمسيحيين بأداء الزيارة إلى مقابر الأشخاص المقدّسين ومزاراتهم[1]، ويقوم يهود الشرق الأدنى بشكل اعتيادي بالحجّ إلى الأماكن المقدّسة في القدس الشريف، وبلاد الشام والعراق، وبلاد فارس.

(١) للاطلاع على آراء أُخرى عن الموضوع أُنظر:

J.W. Meri‘ Sacred journeys to sacred precincts. The cult of saints among Muslims and Jews in medieval Syria‘ D. Phil‘ thesis‘ Oxford Univ. 1998.

إنّ المعنى المهمّ والأساسي لهذه الكلمة [أي الزيارة] يتجلّى في زيارة قبور الموتى (زيارة القبور)، كما ينعكس ذلك في المجاميع الحديثية المختلفة[1]، ولكن لا في سياق القدّيسين والأنبياء على وجه التحديد.

ومن التعبيرات الأُخرى ذات الصلة التي ظهرت في مصادر العصور الوسطى (السفر) و(السفر إلى زيارة القبور)، وتُشير الأحاديث النبوية عموماً إلى تشدّد النبيّ[صلى الله عليه وآله] في عدم زيارة أماكن العبادة المسيحية، وقلقه من أنّ المسلمين سوف يتّبعون الممارسات الوثنية والشركية، ويرفعون القبور فوق الأرض. نعم، حثّ النبيّ[صلى الله عليه وآله] على زيارة قبور الموتى؛ للصلاة نيابة عنهم، والدعاء لهم.

هذا، وتظهر الزيارة في سياقات أُخرى، من قبيل: توجّه المحبّين لزيارة المساجد والأماكن المقدّسة الأُخرى، التي يرتبط الكثير منها بالأشخاص المقدّسين وأساطيرهم، كعيون الماء، والآبار، والكهوف، والجبال، وما إلى ذلك. وتُؤدّى الزيارة أيضاً للقدّيسين المتوفّين (الأولياء)، والأنبياء، والعرفاء، وغيرهم من الأشخاص المقدّسين. وهناك نوع آخر من (الزيارة) تُؤدّى لبعض الأشياء الجليلة مثل نعل النبي[صلى الله عليه وآله][2].

كما زار المحبّون أيضاً رجالاً مقدّسين أحياء (قدّيسين، صوفيّين)، أو غيرهم من الأفراد الموقّرين؛ لتقواهم وتعاليمهم وبصيرتهم الروحية وبركتهم[3].

---

(١) أُنظر: *Wensinck. Handbook. S.v. graves*.

(٢) للاطلاع على آراء أُخرى عن الموضوع أُنظر: اليونيني، موسى بن محمد، ذيل مرآة الزمان: ج٢، ص٤٥ـ٤٦. وأيضاً:

J.W. Meri‘ Sacred journeys to sacred precincts. The cult of saints among Muslims and Jews in medieval Syria‘ D. Phil‘ thesis‘ Oxford Univ. 1998.123-124.

(٣) للاطلاع على آراء أُخرى عن الموضوع أُنظر:

M.M. *Chamberlain‘ Knowledge and social practice in medieval Damascus 1190-1350‘ Cambridge 1994‘ 132-133; J.W. Meri‘ Sacred journeys to sacred precincts. The cult of saints among Muslims and Jews in medieval Syria‘ D. Phil‘ thesis‘ Oxford Univ. 1998 .Ch. 2.*

أحد أقدم النصوص الموثّقة التي يتحدّث فيها علماء مسلمون عن الأدب المناسب عند زيارة الأضرحة، يعود إلى القرن (الثاني للهجرة/ الثامن للميلاد)؛ يعبِّر الحسن البصري (ت ١١٠هـ/ ٧٢٨م) فيه عن قلقه إزاء الأدب والعرف المناسبين للفرد عند زيارة الأضرحة، ويوبّخ الناس بسبب غفلتهم عن الهدف الأساسي [من الزيارة]، والانشغال في ممارسات غير مقبولة كالأكل[١].

أ ـ الزيارة الشيعية في الأراضي العربية

يُدرك جميع الشيعة ـ أينما استقرّوا ـ أهمّية زيارة ضريح حفيد النبي[صلى الله عليه وآله] (الحسين)، وأئمّة الشيعة الآخرين. وعلى الرغم من أنّ الزيارة لم تكن إلزامية في الواقع كالحجّ، إلّا أنّها تتمتّع باهتمام ومزايا وثواب مماثل، والعتبات الشيعية الكبرى (أو مدن الحجّ) تكاد تكون القبلة الثانية لهم؛ والوعيد بالعقاب الإلهي على ترك الزيارة بارز في التراث المرتبط بالزيارة، كما أنّهم متمسّكون بعقيدة شفاعة الأئمّة لأتباعهم، على عكس السنّة، حيث أنكر علماؤهم المتشدّدون كالغزالي وابن قيّم الجوزية شفاعة الأولياء، ونسبوها فقط إلى النبي[صلى الله عليه وآله]. هذا، وإنّ روايات الزيارة قد ظهرت في سياق النزاع السنّي الشيعي الذي عجّلته مذبحة الحسين وجماعته في كربلاء.

وفي سياق مشابه لكون أداء صلاة الفريضة معادلاً للقيام بفريضة الحجّ الواجبة، وصلاة النافلة معادلة للعمرة المستحبّة؛ تذكر روايات شيعية أنّ أداء فريضة الزيارة إلى كربلاء يوم عرفة تعادل: «... **ألف حجّة مبرورة، وألف عمرة مبرورة، وألف غزوة مع نبيّ مرسل...**»[٢]. وعلى الرغم من أنّ الزيارة لم تمثّل بديلاً شرعياً أو خَلَفاً للحجّ، إلّا أنّ منحها مزايا تفوق مزايا الحجّ كان صريحاً، وقد شبّه أبو عبد الله [الإمام الصادق عليه السلام] متطلّبات الخروج لزيارة الحسين[عليه السلام] بمتطلّبات الخروج

(١) التركماني، إدريس بن بيدكن، اللمع في الحوادث والبدع: ج١، ص٢١٤.
(٢) المفيد، محمد بن محمد، كتاب المزار: ص٢٠.

للحجّ، فـ«**ما يقع على عاتقنا (ما يلزمنا) هو ما يجب القيام به في الحجّ**»[١]، مضافاً إلى وجود روايات عديدة جديرة بالثناء، تتناول مكانة الزيارة[٢].

ومن هنا؛ نجد أنّ الشيعة ركّزوا بشكل أكبر على طقوس الزيارة أكثر من السنّة، وفي الواقع لم يعارض أيّ عالم شيعي إجراء الزيارة، وقد ساهمت مؤسّسة الشعائر في تكوين مراكز للزيارة في مدن العراق وبلداته، وعلى هذه الشاكلة استمرّ الانشداد العاطفي إلى أئمّة الشيعة وآل النبي[عليهم السلام] في مصر الفاطمية، على الرغم من تتابع الحكومات السنّية عليها[٣].

ب. معارضة الزيارة

تبلورت المعارضة تجاه مراسم الزيارة بعد تأسيس المذهب الحنبلي الفقهي في العراق. نعم، لم يكن مؤسّسه ابن حنبل (ت٢٤١هـ/ ٨٥٥م) نفسه من المكترثين لانخراط المسلمين في ممارسات الزيارة التي تنتهك القرآن والسنّة[٤]، بل الأجيال اللاحقة من التلاميذ هم الذين اكترثوا لذلك؛ ومع ذلك فقد نهى ابن حنبل في البداية عن تلاوة القرآن في مراسم الدفن، لكنّه سرعان ما غيّر رأيه بعد ذلك[٥].

أمّا الحنابلة فقد أكّدوا أنّه ما لم توجد سابقة في القرآن أو السنّة على تجليل

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات، ص٢٥٠-٢٥١. ونشير إلى أن النصّ المنقول أعلاه هو مضمون ما ورد في الرواية، وليس هو نصّ الرواية كما موجود في المصدر. المجلّة.

(٢) للاطلاع على آراء أُخرى عن الموضوع أُنظر: ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص١٤١.

(3) C.S. Taylor‘ Reevaluating the Shia role in the development of monumental Islamic funerary architecture: the case of Egypt‘ in Muqarnas. Issue 9 [1992]‘ 3-10; C. Williams‘ The cult of Alid saints in the Fatimid monuments of Cairo‘ in ibid. Issue 1 [1983]‘ 37-52‘ Issue 3 [1985]‘ 39-60.

(٤) الانتهاك المذكور يعبّر عن رأي الحنابلة في الزيارة. المجلّة.

(٥) للاطلاع على آراء أُخرى عن الموضوع أُنظر: الغزالي، أبو حامد، إحياء علوم الدين: ج٤، ص٤٩٢.

القدّيسين، والقيام بزيارة المقابر ـ باستثناء قراءة سورة الفاتحة، والدعاء للموتى، والتأمّل في الموت والآخرة ـ كان من الواجب اعتبار الزيارة بدعة، وتجليل القدّيسين شركاً. كما رفض الحنابلة الزيارة بناء على أنها تُشجِّع على الممارسات الفاسدة، من قبيل الاختلاط بين الجنسين، خاصّة في الأعياد وأيام القدّيسين (المواسم).

هذا، وإنّ واحدة من أقدم الإدانات التي وجِّهت من قِبل الحنابلة للزيارة جاءت على يد الفقيه البغدادي ابن عقيل (ت٥١٣هـ/ ١١١٩م) المقيم بدمشق، حيث انتقد الجهلة والبؤساء (أي: عامّة الناس) على الممارسات «**التي خلقوها لأنفسهم**»، ويعني بذلك قيامهم بتعظيم القبور وملامستها والاحتكاك بها جسدياً، ويرى ابن عقيل أنّ أتباع طائفة الأولياء برّروا زيارة المقابر والأضرحة بالتذرّع برواية عن الصحابي جابر ابن عبد الله (ت٧٨هـ/ ٦٩٧م) جاء فيها أنّ النبي[ﷺ] زار مسجد الأحزاب أيّام الإثنين والثلاثاء والأربعاء[1]؛ وبناءً على هذه الرواية فقد بحث ابن عقيل وأجيال لاحقة من الحنابلة مسألة جواز أداء الزيارة لأضرحة القدّيسين ومشاهدهم، والمساجد التي تحتوي على القبور، أو عدم جواز ذلك من الناحية الشرعية.

كما يوجد زعم غير معقول يدّعي أنّ انشغال المحبّين في ليالٍ من العبادة الدينية تسمّى (إحياء)، يتلون فيها القرآن ويصلّون، يتسبّب في سلوك غير أخلاقي؛ حيث يُشير ابن عقيل إلى أنّ ذلك يؤدّي إلى ارتكاب الرجال والنساء الفاحشة، وإلى إنفاق أموال طائلة في هذا المجال، ويشرح بالتفصيل الطقوس المرفوضة، مثل: إشعال الشموع، وتقبيل القبور وتعطيرها، والتوسّل بالأموات، وكتابة الصيغ على الورق، وأخذ التراب من القبر للبركة، وتعليق الخرق على الأشجار، وما إلى ذلك، ويستدلّ [ابن عقيل] على ذلك بأنّ مثل هذه الممارسات شبيهة بممارسات الجاهلية[2].

---

(1) G. Makdisi‘ Ibn Aqil: Religion and culture in classical Islam‘ Edinburgh 1997‘ 209.

(٢) المصدر السابق: ص٢١٠.

وكان ابن تيمية (ت٧٢٨هـ/ ١٣٢٨م) ـ وهو من أبرز منتقدي طائفة القدّيسين ـ قد أصدر العديد من الفتاوى والأُطروحات المثيرة للجدل المتعلّقة بالزيارة، والتي تُوفِّر نظرة ثاقبة لطقوسٍ مرتبطة بالتفاني مع القدّيسين من المسلمين والمسيحيين في جميع أنحاء الشرق الأدنى، ولا سيّما في دمشق، حيث عاش معظم حياته.

يُميّز ابن تيمية بين الزيارة الهرطقية (الزيارة البدعية) التي يربطها بالوثنيين واليهود والنصارى وبين الزيارة المشروعة (الزيارة الشرعية) التي أمر بها النبي[ﷺ]. [يقول ابن تيمية: إنّ] الأُولى تُعادل الشرك بالله، وهي «**قصد الزائر أن يُستجاب دعاؤه عند القبر، أو أن يدعو الميّت، ويستغيث به، ويطلب منه، أو يُقسم به على الله في طلب حاجاته، وتفريج كرباته**»[١]. ومع ذلك، فإنّ ابن تيمية لا ينكر إمكانية استجابة الدعاء، إلى درجة أنّه قال: «**فهذا القدر إذا وقع يكون كرامة لصاحب القبر**»[٢]. وبينما يقرّ بعض علماء الدين بالطبيعة التكافلية في العلاقة بين الأحياء والأموات، يستدل ابن تيمية قائلاً: «**فليس في الزيارةِ الشرعية حاجَة الحيِّ إلى الميِّت، ولا مسألته، ولا توسّله به؛ بل فيها منفعة الحيِّ لِلميِّت، كالصلاة عليه والله تعالى يَرحم هذا بدعاء هذا وإحسانه إليه**»[٣].

هذا، وقد تابع تلميذ ابن تيمية، ابن قيّم الجوزية المولود سنة (١٢٧٥هـ)، والمتوفّى سنة (١٣٥٠هـ) حملة [أُستاذه] ضدّ ممارسات الزيارة التي شكّلت تهديداً للمألوف، وفي مجادلة محتدمة ضدّ السوريين رأى أنّهم كانوا في العصور الوسطى يمارسون طقوساً (مناسك) عند أداء الزيارة مماثلة لتلك التي كانت في الحجّ[٤].

---

(١) الحرّاني، أحمد بن تيمية، مجموعة الفتاوى: ج٢٧، ص٣١-٣٢.

(٢) الحرّاني، أحمد بن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم: ص٣٧٤.

(٣) الحرّاني، أحمد بن تيمية، مجموعة الفتاوى: ج٢٧، ص٧١.

(٤) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان: ج١، ص٢٢٠-٢٢١ وص٣٠٤. للاطّلاع على موارد أُخرى مشابهة أُنظر كتاب:
Meri‘ The etiquette of devotion in the Islamic cult of saints‘ in The cult of

هذا، وقد دمّرت فرقةُ الوهابية المتزمّتة ـ أتباع تعاليم ابن تيمية ـ الآثار المشيّدة فوق قبور الصحابة في جميع أنحاء الحجاز في أوائل القرن العشرين.

ج. تأكيد الزيارة

في مقام الدفاع عن الزيارة نجد أنّ أبا حامد الغزالي (ت٥٠٥هـ/ ١١١١م) تحدّى في كتابه (إحياء علوم الدين) المعترضين على الزيارة، وأثبت جواز زيارة قبور الأولياء، وجواز زيارة جميع القبور. نعم، حدّد ـ في هذا المجال ـ المعنى الحقيقي للزيارة، مبيّناً أنّه ليس مرتبطاً بالأولياء خاصّة.

إنّ عامل القداسة يصبّ في مصلحة أماكن الزيارة؛ فإنّ المسلمين يمتلكون شعوراً إجمالياً بقداسة الميّت، شعورٌ يتجلّى في حالة الارتباط الجسدي والروحي للمحبّين بالمكان المنشود، ويؤكّد الغزالي على شمولية الارتباط الخاص [لكل زائر] بالميت، يتضمّن هذا الارتباط نوعاً من الخضوع والتوجه إلى الميت بكل المدركات، وهي سمةٌ غالبة في أدب الزيارة[1]؛ وأنّ الزيارة يجب أن تؤدّى طبق سنّة النبي[صلى الله عليه وآله].

إنّ الهدف من الزيارة عند الغزالي هو التفكّر في الموت وتذكّره، والتبرّك، وهو رأيٌ يوافقه فيه حتّى الحنابلة، ولا ينال المحبّ البركة إلّا بسبب تفكّره ودعائه، وليس بسبب القدّيس الميّت باستثناء النبي[صلى الله عليه وآله]. ويذكر الغزالي روايتين، تُثني أحدهما على الزيارة، وهي: «**زيارة القبور مستحبّة على الجملة للتذكّر والاعتبار، وزيارة قبور الصالحين لأجل التبرّك مع الاعتبار. وقد كان رسولُ الله (صلّى الله عليه [وآله] وسلّم) نَهى عن زيارة القبور، ثمّ أذِن في ذلك بعد**»[2]. ثمّ يذكر الغزالي رواية عن عليٍّ [عليه السلام]

---

saints in Late Antiquity and the Middle Ages. Essays on the contribution of Peter Brown' ed. J. Howard-Johnston and P.A. Hayward' Oxford 1999' 263-286; idem' Sacred journeys

(١) الغزالي، أبو حامد، إحياء علوم الدين: ج٤، ص٤٩٢.

(٢) المصدر السابق: ج٤، ص٤٩٠.

تُشير إلى أنّ النبي[صلى الله عليه وآله] قد غيّر رأيه في الإذن للمسلمين في زيارة الميّت.

وعلى عكس الحنابلة، فإنّ الغزالي لم يفرّق بين زيارة قبور الأحبّاء ومقابر الأولياء، فالهدف واحد، وهو التوجّه بالدعاء إلى الله نيابة عن الميّت، وبما أنّ النبيّ[صلى الله عليه وآله] زار قبر أُمّه؛ جاز للمسلمين زيارة جميع القبور وتذكّر الموتى، ولكنّه[صلى الله عليه وآله] لم يقبّل القبور قط، أو ينحني أمامها، أو يدلك جسمه بها.

(د) مؤلّفات حول الزيارة

يُشار غالباً إلى كتب دليل الزيارة بكتب الزيارات، هذه الكتب التي كانت عبارة عن عامل مساعد للزائر الذي يريد تذكّر القدّيس الميّت والصلاة عليه، وزيارة قبره أو ضريحه، وبالرغم من أنّ هذه المؤلّفات تعكس مجموعة متنوعة من الانفعالات والتقاليد الموروثة من العصر الإسلامي المبكّر، إلّا أنّ لها ـ أيضاً ـ لمسة واقعية في مجال تنوّع طقوس الزيارة؛ وبالتالي فهي تُشكّل مصدراً مهمّاً لإدراك قضية تبجيل الأشخاص المقدّسين؛ وتذكر هذه الكتب أحياناً الأماكن المقدّسة اليهودية والمسيحية، والمشتركة بين الجميع.

ساهم عدد من العوامل في ظهور كتب دليل الزيارة كنوع من الكتب الدينية، كما أدّى التوسّع الإقليمي الإسلامي ـ من (القرن الأوّل الهجري/ السابع الميلادي) إلى (القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي) ـ إلى قيام علماء المسلمين بتسجيل مواقع دفن الصحابة الذين أقاموا في المدن التي استقرّت فيها الحامية العسكرية، والذين استُشهدوا في المعارك، كما قاموا أيضاً بذكر روايات مماثلة، بدرجات متفاوتة في صحّة النقل، لها علاقة بالأنبياء وغيرهم من الشخصيات الواردة في النصوص.

إنّ روايات الزيارة علاوة على كونها روايات (فضائل) فإنّها تؤكّد على الصبغة الإسلامية للموقع الذي دُفن فيه نبيّ أو شهيد أو بطل وقدسيته، وهذا نوع من التطوّر والتكامل. كما أنّ مثل هذه الروايات تعظّم فضائل مدن معيّنة وأماكن

مقدّسة وقدّيسين؛ وقد ساهم التجميع المنظّم للروايات في ظهور كتب تاريخ لبعض المناطق، وكتب دليل الزيارة لمدن، مثل: القاهرة ودمشق وحلب والكوفة والنجف، بالإضافة إلى أنواع أُخرى من الكتب الأدبية، غالباً ما تذكر مواقع الزيارة.

النموذج الوحيد المعروف لأدب الزيارة في العالم الإسلامي بأسره، وفي أجزاء من منطقة البحر الأبيض المتوسّط وبيزنطة المسيحية ـ خلال أواخر (القرن السادس للهجرة/ الثاني عشر للميلاد) وأوائل (القرن السابع للهجرة/ الثالث عشر للميلاد) ـ هو كتاب العالم والزاهد السوري علي بن أبي بكر الهروي (ت٦١١هـ/ ١٢١٥م) بعنوان: (كتاب الإشارات إلى معرفة الزيارات)[١].

هذا، وإنّ أغلب معرفتنا بالحجّ إلى المزارات في شبه الجزيرة العربية مستمدّة من هذا المصدر الذي سجّل فيه المؤلّف المواقع، بالإضافة إلى إيراده الأحاديث المتعلِقة بكلّ موقع، سواء عن طريق النقل بلا واسطة أو بالواسطة. وغالباً ما يذكر الهروي أحاديث مشهورة بين الناس مورداً إياها بعبارات، مثل: (قيل)، و(يُقال)، و(كما ذكره)، و (يذكرون)، أو (كما ذكره أهل الموضع)؛ أمّا ما يشكّ فيه من تلك الأحاديث فيعبِّر عنه في أكثر الأحيان بقوله: (والصحيح أنّ...).

ويمثّل كتاب (الإشارات) الأساس لكتب دليل الزيارة في أواخر العصور الوسطى، ولكتب تاريخ البلدان، لا سيّما في الشام. وعلى عكس كتب دليل الزيارة الأُخرى، لا يوجد دليل يشير إلى أنّ كتاب الإشارات تمّت الاستفادة منه للزيارة؛ فإنّ المؤلّف ـ في الواقع ـ قد أهدى هذا العمل للخليفة العبّاسي[٢]، وعلاوة على ذلك، فإنّ

(١) أُنظر: ج. سوردل ثومين، تحرير كتاب الإشارات إلى معرفة الزيارات.

(2) *Y. Raghib‘ Essai d’inventaire chronologique des guides a I›usage des pelerins du Caire‘ in Revue des Études Islamiques (REI)‘ Issue 41 [1973]‘ 272-273.*

الكتاب ليس صريحاً مثل كتب دليل الزيارة المصرية في بيان الجهات [والمسافات]، فكتاب الإشارات يشبه كتب مسار الرحلات، إلّا أنّه لا يذكر المسافات بين الأماكن، أو الوقت الذي يُصرف في موقع معيّن. وفي الواقع إن الدليل هو عبارة عن تجميع من الذاكرة، ومن مصادر موثوقة، بالإضافة إلى احتوائه على مذكّرات ربّما نجت من استيلاء الفرنجة (الصليبيين) عليها عام (٥٨٨هـ/ ١١٩٢م).

وتستخدم كلّ كتب دليل الزيارة لغة مشتركة للإشارة إلى مواقع الزيارة، وهي لغة ليست وصفية بطبيعتها فحسب، وإنّما كانت الكتب تشير أيضاً إلى الطقوس التي يؤدّيها المحبّون، والطبيعة المقدّسة للمواقع.

وفي غياب عرف عالمي لكتب دليل الزيارة، فقد ظهر فيها العديد من التقاليد التي هي انعكاس لمجموعة متنوّعة من الممارسات المحلّية والإقليمية، وهذا يتّضح من تنوّع هذه الكتب في المقام. وتميل كتب دليل الزيارة في جميع أنحاء العالم الإسلامي إلى كونها متأثرة بطبيعتها، أي غالباً ما تعتمد على التقاليد السابقة.

هذا وإنّ أقدم دليل معروف للزيارة هو شيعيّ المنشأ، وهو كتاب الزيارات للفقيه الكوفي الحسن بن علي بن فضّال التيملي الكوفي (ت٢٢٤هـ/ ٨٣٨ ـ ٨٣٩م)، ولا توجد أيّ علاقة بين تطوّر كتب دليل الزيارة الشيعية في العراق وبين تطوّرها في مصر؛ كما أنّ الكتب المصرية أو السورية التي سنذكرها لاحقاً لا تذكر أيّ مصدر شيعي.

يعتمد مؤلّفو كتب الزيارة السنّة والشيعة على أدب (الفضائل) لأجل تمجيد موقعٍ ما، كما تعتمد كتب الشيعة علاوة على ذلك على الروايات المنسوبة إلى عدد من الأئمّة[عليهم السلام]، وأبرزهم الإمام السادس جعفر الصادق[عليه السلام]، والتي تتعلّق إلى حدّ كبير بالحسين[عليه السلام]، وعلي[عليه السلام]، وأفراد آخرين من آل بيت النبي[صلى الله عليه وآله].

هـ. كتب دليل الزيارة الشيعية

تتعلّق هذه الكتب بمناسك الزيارة، وليس بالآداب فقط، كما في كتب الزيارة السنّية، التي تشير من خلال كلمة (مناسك) ـ بحسب طبيعتها ـ إلى شعائر الحجّ وطقوسه، وتؤكّد كتب الزيارة الشيعية على أهمّية السلوك الشعائري أكثر من نظيرتها السنّية، وأقدم كتب الشيعة المعروفة في مجال الزيارات هي للكوفي [صاحب كتاب الزيارات]، وابن قولويه (ت٣٦٨هـ/ ٩٧٨ـ ٩٧٩م) صاحب كتاب كامل الزيارات، وكتاب المزار لتلميذه محمد بن محمد النعمان الحارثي، المعروف بالشيخ المفيد (ت٤١٣هـ/ ١٠٢٢م)، وكتاب المزارات الكبير لابن داوود القمّي (ت٣٦٨هـ/ ٩٧٨م أو ٣٧٩هـ/ ٩٨٩م).

وتذكر هذه الكتب السلوكيات الطقوسية والأدعية التي تُقرأ قبل أداء الزيارة، مثل: أنواع الشعائر والطقوس التي يشير إليها الشيخ المفيد بعنوان مناسك، ويستشهد هو وابن قولويه بروايات تشير إلى أنّ الشيعة ركّزوا بشكل كبير على زيارة قبر علي[عليه السلام] في النجف وقبر الحسين[عليه السلام] في كربلاء. إحدى هذه الروايات تعود لأبي عبد الله بن الحسين[1]، جاء فيها أنّ: «**زِيارة الحسين**عليه السلام **تَعدِلُ عشرين حجّة، وأفضل من عشرين حجّة**»[2]، وهناك حديث مشابه يتعلّق بزيارة الحسين[عليه السلام] في يوم عرفة.

وبما أنّ الشعائر المعتمدة تشكّل جزءاً أساسياً من تكريس الشيعة للزيارة، فقد مارس علماء الشيعة والأئمّة[عليهم السلام] السيطرة على طقوسها، وحثّوا المحبّين على جعل الزيارة تسير وفقاً لروايات الأئمّة[عليهم السلام]، لدرجة أنّ عدم القيام بذلك كان يعتبر

(١) أُنظر: ج. سوردل ثومين، تحرير كتاب الإشارات إلى معرفة الزيارات. هذا ما وجدناه في الأصل، وأمّا المذكور في المصدر فهو: «عن أبي عبد الله عليه السلام». أُنظر: ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات، تحقيق: جواد القيومي: ص٣٠٢. المجلّة.

(٢) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص١٦١.

غير إسلامي، ومن شأنه أن يؤدّي إلى عمر أقصر[1]، وهذا على النقيض من الزيارة السنّية، حيث كان هناك القليل من السيطرة.

وبالنسبة للشيعة، فإنّ أداء الزيارة له فوائد عديدة علاوة على الفوائد المؤقّتة التي ينالها مَن يقوم بأداء الحجّ والعمرة؛ فإنّ الزيارة تؤدّي إلى تبديد الحزن ومحو الذنوب.

وأينما أقام الشيعة فقد كانوا يمارسون نفس الشعائر والطقوس، وكان إضفاء الطابع الرسمي على الشعائر وتوطيدها نتيجة طبيعية ضرورية لنشأة مراكز أساسية للزيارة، والتي لم تكن موجودة عند السنّة.

ولم تكن الطوائف المحلّية عديمة الأهمّية، ولكن لم يتمّ تدوين الممارسات الطقسية لها وحفظها في كتب دليل الزيارة، بل نجدها مدوّنة في التاريخ المحلّي فقط، فحاكم حلب الشيعي، سيف الدولة الحمداني (حكم ما بين ٣٣٣هـ/ ٩٤٤م ـ ٣٥٦هـ/ ٩٦٧م)، كان من محبّي القدّيسين، وممّن يدعمون ويبنون الأضرحة في حلب والقرى المحيطة بها.

كان لزاماً على الزائر الشيعي [أثناء تأدية الزيارة] الامتناع عن الملذّات الدنيوية؛ فمثل زيارة ضريح الحسين[عليه السلام] في كربلاء كانت تجربة خاصّة تستدعي التفاعل التامّ من قبل الموالين مع [حادثة] استشهاد الحسين، والتعبير عن الحزن الشديد جرّاء ذلك، حزنٌ ليس كالذي يعبِّر عنه المرء عند وفاة الأقارب، بل إنّ تجسّده الأعظم يستوجب من الزائر أن يعيش الوهن الجسدي والعاطفي.

وعلى عكس غالبية كتب دليل الزيارة السنّية، كانت الكتب الشيعية مؤلّفة من قبل علماء بارزين، مثل ابن قولويه المذكور آنفاً، وتلميذه الشيخ المفيد، وينقسم كتاب الأخير (المزار) إلى قسمين:

أوّلهما يتعلّق بمزايا (أي فضائل) الكوفة ومسجدها (الجامع) والفرات، إلخ.

(١) المصدر السابق: ص٤٣.

ويتبع ذلك بوصف زيارة قبر علي[عليه السلام]، ومناقشة ضرورة زيارة قبر الحسين[عليه السلام]، ومزايا أداء الزيارة له، خاصّة في مختلف الأيّام المقدّسة.

[وفي هذا الصدد نقول:] إنّ طقوس الزيارة كانت شديدة التطوّر، لدرجة أنّ الشيعة يتلفّظون ببعض التعبيرات ذات الصياغات الخاصّة في كلّ مرحلة [من مراحل الزيارة]، كما أنّ كتب دليل الزيارة لديهم تُعدُّ كتباً إرشادية لعلماء الدين، يوجّهون فيها وبطريقة جماعية الزوّار الأُمّيين والعامّة إلى كيفيّة أداء الزيارة.

وأمّا القسم الثاني من كتاب المزار، فيختص غالباً بزيارة النبيّ محمد وأهل بيته[عليهم السلام] الذين دُفنوا في المدينة، بالإضافة إلى أئمّة الشيعة الآخرين.

ويخصّص الشيخ المفيد أيضاً قسماً آخر للأدعية المختصرة، ممّا يوحي بأنّها كانت مخصّصة للحفظ الآني قبل أداء الزيارة، وليس للقراءة أو الدراسة.

وكان الشيعة أيضاً يصلّون صلاة الزيارة الخاصّة عند قبر الإمام الأوّل علي[عليه السلام]، وهي تتكوّن من سلسلة من الأدعية والتلاوات لسور معيّنة من القرآن، مع وضع الخدّ الأيمن والأيسر على الأرض ولعن أعداء علي[عليه السلام] وكلّ مَن ظلمه.

ولا تذكر هذه الأدلّة الأماكن الموجودة في سوريا، والتي قام الزوّار الشيعة العراقيون بالحجّ إليها؛ إذ لم يتمّ دفن أيّ إمامٍ [أي: من الأئمّة المعصومين عليهم السلام] هناك، ومع ذلك فإنّ شيعة سوريا ولبنان يؤدّون العديد من الطقوس والشعائر المذكورة في هذه الأدلّة، والمماثلة لما يُؤدّى في مزارات الأئمّة في العراق وبلاد فارس.

وعلى الرغم من فقدان هذه الأدلّة لطقوس الزيارة الشيعية في سوريا، إلّا أنّ علماء الدين الشيعة الحلبيين والدمشقيين كانوا يسافرون إلى المدن المقدّسة في العراق، [وكانوا يأتون بالطقوس المعمول بها هناك إلى مزاراتهم المحلّية]؛ وفي المقابل كان علماء الدين الذين ينحدرون من الشرق، ويستقرّون في الشام، ينشرون التعاليم الصحيحة للأئمّة[عليهم السلام]، ويعلّمون الناس الشعائر الصحيحة للزيارة.

إنّ أقدم دليل مصري للزيارة متوفّر بين أيدينا اليوم، وهو بمثابة أساس للأعمال

اللّاحقة، وهذا الدليل هو كتاب (مرشد الزوّار إلى قبور الأبرار) للفقيه الشافعي وعالم الحديث عبد الرحمن بن عثمان (ت٦١٥هـ/ ١٢١٨م)، وعلى غرار كتب الزيارة الأُخرى، يبدأ الكتاب بذكر التضاريس المقدّسة لمركز الزيارة، من قبيل: جبل المقطّم ومقابر القرافة بالتحديد، يلي ذلك: وصف للمساجد وأوقافها، وأخبار تاريخية عن الزيارة، وأحاديث عن سماع الموتى الأحياءَ، ومناقشة مقبولية المشي في المقبرة بالنعل، والأذكار التي تُقرأ عند دخول المقبرة، وآداب الزيارة، والطقوس المختلفة (الأضحية، الصلاة، ونحوهما)، وفي الختام يسرد المؤلّف أسماء الأضرحة وخصائصها المؤثّرة، والطقوس المرتبطة بها، والطرق الدقيقة الموصلة إليها، ولم يتّخذ الكتاب منهجاً وصفياً محضاً، بل كان توجيهياً أيضاً، وفي الواقع، يتميّز الكتاب بكونه مليئاً بالإرشادات والتوجيهات للزائر، وهو يسير من محطّة إلى أُخرى.

وهناك كتاب إرشادي آخر للزيارة تحت عنوان: (مصباح الدياجي وغوث الراجي وكهف اللاجي) لأحد معاصري ابن عثمان، وهو مجد الدين بن محمد بن عبد الله الناسخ (ت٦٩٦هـ/ ١٢٩٦[أو] ١٢٩٧م) الذي كان مسؤولاً مصرياً صغيراً، يعمل في خدمة الوزير ابن حنا.

وفي القرن (التاسع للهجرة/ الخامس عشر للميلاد) ألّف العارف الصوفي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن الزيّات (ت٨١٥هـ/ ١٤١٢م) أثراً بعنوان: (كتاب الكواكب السيارة في ترتيب الزيارة في القرافتين الكبرى والصغرى).

بينما ألّف نور الدين أبو الحسن علي بن أحمد بن عمر بن خلف بن محمود السخاوي الحنفي (ت١٤٨٢[أو]١٤٨٣م) كتاب دليل آخر تحت عنوان (تحفة الأحباب وبغية الطلاب في الخطاط والمزارات والتراجم والبقاع المباركات). هذا، وقد تحوّلت الزيارة القاهرية إلى مؤسّسة متقنة تعتمد على مرشدين متعلّمين عُرفوا بمشايخ الزيارة، وكانوا يرشدون الزوّار في مقابر القرافة في جبل المقطّم.

تطوّرت كتب دليل الزيارة في الشام بعد مصر بمدّة طويلة؛ ومن هنا فإنّ معظم

معرفتنا عن الزيارات السورية في العصور الوسطى مستمدّة من مصادر تاريخية [أُخرى]، على عكس مصر، حيث كان أدب الزيارة معروفاً فيها منذ العصر الفاطمي والمملوكي، فإنّ أقدم دليل زيارة لسوريا متوفّر بين أيدينا يعود إلى الفترة المبكّرة من القرن (العاشر للهجرة/ السادس عشر للميلاد). هذا، وقد أدّى غياب هيمنة مؤسّساتية سنّية على الزيارة إلى بروز مشايخ الزيارة فيما بعد، وفقدان دور علمائي مبكّر في مجال روايات الزيارة، [أدّى كلّ ذلك] إلى ظهور كتب الزيارة.

ثمّ إنّ القصائد الشعرية مثل تلك التي تُنسب إلى المؤرّخ الدمشقي ابن عساكر (ت٥٧٢هـ/ ١١٧٦م) عن جبل قاسيون، أثنت على أداء الزيارة في مواقعها، كما اعتاد المسلمون على كتابة الشعر عن أماكنهم المقدّسة، وقد تمّ العثور على أوصاف موجزة لمواقع الزيارة في المؤلّفات الجغرافية، كما في كتاب (نخبة الدهر) [لأبي طالب الأنصاري] الدمشقي [ت٧٢٧هـ]، وكذلك في التقارير الكاملة في مسارات السفر، مثل كتب (الرحلات) لابن جبير وابن بطوطة، اللذين يذكران دائماً مواقع الزيارة عند توصيفهم لمناطق معيّنة.

وفي نفس الصدد نجد أنّ خليل بن شاهين الظاهري (ت٨٧٣هـ/ ١٤٦٨م) يُعدِّد في كتابه (زبدة كشف الممالك) باستمرار مساجد الجمع، والمدارس الدينية والأضرحة (المشاهد)، ومواقع الحجّ (المزارات)، والمواقع المباركة (الأماكن المباركة)؛ إنّ محورية هذه الأُمور في عمل الظاهري، وتركيزه على (الأماكن المباركة)، يشير إلى الأهمّية المعاصرة في زمانه لأماكن الزيارة.

يتميّز القرنان (السادس والسابع للهجرة/ الثاني عشر والثالث عشر للميلاد) بالنشاط المتزايد في تجميع روايات الزيارة، وأوصاف أماكنها، والطقوس والأساطير المرتبطة بها، وتمثّل هذه الأعمال تحوّلاً من سنّة الزيارة الشفهية إلى الزيارة الكتبيّة بين العلماء والمؤرّخين في الشام.

ويذكر المؤرّخون: كابن عساكر، ومحمد بن علي العظيمي (ت حوالي ٥٥٦هـ/ ١١٦١م)، ويحيى بن أبي طيء (ت حوالي ٦٢٥/ ١٢٢٨م ـ ٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م)، وابن العديم (ت٦٦٠هـ/ ١٢٦٢م)، وابن شدّاد (ت٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م)، وابن الشحنة (ت٨٩٠هـ/ ١٤٨٥م) قوائم مفصّلة للمقابر والأضرحة، وغيرها من الآثار في عصر المرداسيّين، والحمدانيّين، والأيوبيّين، والمماليك، كما تقدّم أعمالهم تفاصيل مهمة تتعلّق بتأسيس الآثار، وتأثيرها [في المجتمع]، والأساطير المرتبطة بها، وممارسات عامّة الناس ومعتقداتهم، واحتكاكهم بـ[قبور] المقدّسين.

إنّ بعض هذه التقاليد مبنيّة على التجارب الشخصية للكتّاب أو معاصريهم، والأمر الجدير بالملاحظة ـ في المقام ـ هو الأهمّية الممنوحة لروايات الزيارة المتعلّقة بمقابر آل النبيّ وصحابته والتابعين في جميع هذه الأعمال.

ثمّ إنّ ابن عساكر قد خصّص عدداً من فصول تاريخه لأماكن الصلاة والمقابر والأضرحة التي تُقصد للزيارة في دمشق وما حولها، ويحتوي أحد الأقسام على تسعة عشر حديثاً يتعلّق بمقابر الأنبياء والصحابة، رواها عدد من الصحابة بالإضافة إلى عدّة روايات للمؤرّخ الدمشقي أبي زرعة (ت٢٧٠هـ/ ٨٩٤م)، الذي ينتقد صحّة عدد من الأضرحة، ويقول على سبيل المثال: «**وأمّا مدرك بن زياد، فلم أجد له ذكراً إلّا على اللوح المكتوب على قبره من وجهٍ لا يثبت مثله**»[1].

وأمّا أعمال ابن العديم وابن شدّاد فهي على غرار كتاب (الإشارات) للهروي، تعكس مستوى شائعاً من الخطاب، كما أنّها تذكر أيضاً أنشطة الناس. وابن العديم الذي كان معاصراً للهروي، والذي سمع منه بنفسه عدداً من الروايات، قد خصّص فصلاً من كتابه (بُغية الطلب في تاريخ حلب) تحدّث فيه عن مواقع الحجّ (المزارات) ومقابر الأنبياء والقدّيسين، والمواقع المشرّفة (المواطن) التي عُرفت باستجابة

(١) ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق: ج٢، ص٤٢١.

الدعاء[1] في حلب ونواحيها؛ حيث يُعدِّد في المقام سبعة وخمسين مكاناً للزيارة في مدينة حلب ونواحيها، ذكر بعضاً منها الهروي ووالد المؤلّف.

أمّا ابن شداد فيخصّص ثلاثة فصول من كتابه (الأعلاق الخطيرة في ذكر أُمراء الشام والجزيرة) للحديث عن مواقع الزيارة في حلب ودمشق والأُردن وفلسطين ولبنان، ويعتمد بشكل كبير على الهروي في حديثه عن زيارة فلسطين والشام، وعلى ابن العديم وابن أبي طيء فيما يتعلّق بمواقع حلب.

وألّف الفقيه الحنبلي محمد بن عبد الهادي (ت٧٤٤هـ/ ١٣٤٣م)، الذي ينتمي إلى عائلة المقدسي، عدداً من الأعمال التي لم تَعُد موجودة بين أيدينا اليوم، بما في ذلك كتيّب عن الزيارة، وآخر عن الأحاديث الواردة في حياة الأنبياء وقبورهم، كما يتضمّن الكتيّب تفاصيل فريدة تتعلّق بمواقع الزيارة الأيّوبية.

وقد كان ابن طولون (ت٩٥٣هـ/ ١٥٤٦م) ـ وهو أحد المؤرّخين غزيري الإنتاج، والمحلّلين للمناخ السياسي والاجتماعي للمماليك، وبدايات العهد العثماني في دمشق ـ من المؤمنين المتديّنين الذين كانوا يؤدّون الزيارة للمقابر والأضرحة بشكل منتظم في مسقط رأسه دمشق؛ وذلك انطلاقاً من أعماله العديدة التي تذكر أماكن الزيارة، ومواقع الأولياء في دمشق، أو التي تمّ تكريسها من أجل ذلك، بما في ذلك (مفاكهة الخلّان في حوادث الزمان)، و(القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية).

وهناك ثلاثة عشر مؤلّفاً آخر تتناول جوانب مختلفة من طائفة القدّيسين هي مفقودة الآن، ولكن يتمّ الاستشهاد بها على نطاق واسع في الأعمال المذكورة أعلاه، وكذلك في كتاب سيرته الذاتية بعنوان: (الفلك المشحون في أحوال محمد بن طولون)، ولا يزال هناك عملان آخران باقيان إلى يومنا هذا، أوّلهما: (تحفة الحبيب فيما ورد في الكثيب)[2]، الذي يتعلّق بمقامات [النبيّ] موسى في دمشق وأريحا؛

(١) أُنظر: ابن العديم، عمر بن أحمد، بغية الطلب في تاريخ حلب: ج١، ص٤٥٩.

(٢) أُنظر:

J. Sadan. Le tombeau de Moi'se d Jericho et d Damas in Revue des Études Islamiques (REI). Issue 49 (xlix) 1981. P. 59-99.

والآخر هو (غاية البيان في ترجمة الشيخ أرسلان) الذي هو سيرة مختصرة لقدّيس دمشقي من (القرن السادس للهجرة/ الثاني عشر للميلاد)، ووصف لمكان دفنه.

وقد دفعت زيارة النساء للأضرحة ابن طولون إلى تأليف كتاب لم يَعُد متوفّراً بين أيدينا اليوم، وهو كتاب (التوجّهات الستّ إلى كفّ النساء عن قبر الستّ)، معترضاً فيه على زيارتهن للضريح المزعوم أنّه لحفيدة الرسول السيدة زينب في قرية بجنوب دمشق.

وفي (القلائد الجوهرية) الذي ألّفه حول تاريخ [منطقة] الصالحية خارج دمشق، يخصّص ابن طولون فصلاً من الكتاب لمواقع الزيارة والأضرحة الشهيرة؛ حيث يبدأ بسرد عدد من المغارات والكهوف والمحاريب والمساجد والمدارس، تليها أهمّ المقامات المزوّدة من قِبل المؤلِّف بتقارير مفصّلة للسيرة الذاتية [لأصحابها]، على نهج عائلة المقدسي وآخرين، كما ألّف المقدسيّون عدداً من أعمال السير الذاتية المهمّة، التي ما زالت أجزاء منها موجودة إلى الآن.

إنّ أوّل كتاب من كُتب الدليل للزيارة الدمشقية المعروفة هو كتاب ابن الحوراني (ت١٠٠٠هـ/ ١٥٩٢م) بعنوان: (كتاب الإشارات إلى أماكن الزيارات) الذي يعتمد على أعمال ابن طولون، بالإضافة إلى كتاب الربعي (فضائل الشام)، وكتاب ابن عساكر (تاريخ مدينة دمشق). هذا، وقد كتبَ ابن الحوراني كتابه المتقدّم (الإشارات) تلبية لإحدى الدعوات، وكان يهدف من ذلك إرشاد (الآخرين) إلى الخير بتقديم العون لـمَن ينطلق إلى الزيارة (طالب الزيارة)، وذلك طاعة لكلام الله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾[1].

وهذا الدليل يضمّ أكثر من مائة موقع للزيارة في دمشق والقرى النائية، وعدداً من المواقع السورية الأُخرى، مثل حلب والقرى المحيطة بها، ومواقع المقابر والأضرحة والمساجد والمآذن والمغارات المقدّسة. يبدأ بمدح دمشق ومسجدها الجامع، وذِكر

(١) آل عمران: آية ١٠٤.

الروايات المرتبطة برأس [النبيّ] يحيى بن زكريا، والمئذنة التي سينزل [النبيّ] عيسى فيها آخر الزمان، وعدد من الأضرحة الفردية، مثل قبر [النبيّ] هود، والسيدة رقية، ونور الدين [زنكي]. وقبل ذكر المكان، يعرض المؤلِّف السيرة الذاتية للقدّيس [المدفون في المكان]. هذا وقد تمّ ترتيب بقيّة الكتاب حسب الموقع [الجغرافي]، بدءاً بالجزء الغربي من المدينة، ثمّ الأجزاء الجنوبية والشرقية والشمالية، ويشمل الفصل السادس مواقع الزيارة في القرى النائية، ثمّ يتبع ذلك بعدد من المحلّات في شمال سوريا.

ويضمّ ابن الحوراني مواقع الزيارة على أساس الروايات الثابتة، مثل تلك الموجودة في أعمال الربعي وابن عساكر وابن طولون، ويخصص الفصل الختامي لآداب الزيارة، ويرى ابن الحوراني أنّ الزيارة تبدأ بذكر الله ونيّة الزيارة، ثمّ يشير إلى أنّ الزائر عليه أن ينظر إلى نفسه وإلى خطاياه التي تمنعه من الاقتراب إلى الله، وأن يعيش حالة شافية يوبّخ فيها نفسه، ويؤنّبها ثمّ يبكي ثمّ يتضرّع إلى الله، ويقرأ ما تيسّر من القرآن [الكريم]، يكون صادقاً في الوصول إلى هدفه، وعليه أن يمتنع عن الكلام البذيء.

وعليه؛ فالزيارة لم تكن مجرّد وسيلة لاستجابة الدعاء الشخصي، وإنّما ينبغي للمحبّ أن يستذكر الله والآخرة، ويصلّي ويقرأ القرآن، هذا هو الهدف العظيم للزيارة.

[ومن الآثار الأُخرى المتعلّقة بالزيارة الدمشقية] (كتاب الزيارات بدمشق)، للقاضي محمود العدوي (ت١٠٣٢هـ/ ١٦٢٣م)، الذي قلّد في كتابه هذا ـ بشكل معترف به ـ نفس الطريقة التي اتّبعها ابن الحوراني في كتابه (الإشارات)، واعتمد على العديد من المصادر الواردة في هذا الكتاب، بالإضافة إلى عدد من المصادر الأدبية والعبادية والتاريخية، ويذكر فيه ثمانية وتسعين قبراً للقدّيسين، ومواقع الزيارة الأُخرى، ويجعل ـ بتركيزه على تفاصيل السيرة الذاتية ـ من العمل سيرة ذاتية، بدلاً من كونه دليلاً للزيارة يتمّ استخدامه أثناء الزيارة. هذا، ولم يفصح العدوي عن

الغرض من استخدام الدليل، ومع ذلك يُفترض أنّه أدّى وظيفةً استذكارية تُماثل ما قام به ابن الحوراني في (الإشارات)، إلّا أنّ كتابه لا يهتمّ بآداب الزيارة.

[ومنها أيضاً] كتاب (النبذة اللطيفة في المزارات الشريفة) لياسين بن مصطفى الجعفي البقاعي الحنفي الماتريدي (ت١٠٩٥هـ/ ١٦٨٤م)، الذي صرّح فيه بكيفية استخدام الزائر لهذا الكتاب، مبيّناً أنّ غرضه هو أنّ يكون هذا الأثر سنداً للزائر أثناء الزيارة في تذكّر القدّيسين الذين دُفنوا في مكان معين، وربّما يقترح أن يزور الزائر أكبر عدد ممكن من مواقع الزيارة.

وفي القرن الثامن عشر قام الصوفي الدمشقي عبد الغني النابلسي (ت١١٤٣هـ/ ١٧٣١م) بعدّة رحلات عبر بلاد الشام، ومصر، والحجاز، قد سجّل فيها بدقّة تفاصيل مواقع المقامات التي زارها؛ وفي أحد أعمال سفره العديدة تحت عنوان: (الحضرة الأُنسية في الرحلة القدسية)، قام برحلة استغرقت أربعة وأربعين يوماً من دمشق إلى القدس، زار خلالها العديد من الأضرحة.

المصادر والمراجع

المصادر العربية

١ ـ إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي (ت٥٠٥هـ).

٢ ـ إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، محمد بن أبي بكر بن القيم الجوزية (ت٧٥١هـ)، بيروت، ١٩٨٦م.

٣ ـ اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، أحمد بن تيمية الحرّاني، القاهرة، ١٩٥٠م.

٤ ـ بغية الطلب في تاريخ حلب، عمر بن أحمد العقيلي الحلبي المعروف بابن العديم (ت٦٦٠هـ)، تحقيق: الدكتور سهيل زكار، بيروت، ١٩٨٨/ ١٩٨٩م.

٥ ـ تاريخ مدينة دمشق، علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر (ت٥٧١هـ)، تحقيق: علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، ١٤١٥هـ.

٦ ـ تحرير كتاب الإشارات إلى معرفة الزيارات، ج. سوردل ثومين، دمشق ١٩٥٣م.

٧ ـ ذيل مرآة الزمان، موسى بن محمد اليونيني (ت٧٢٦هـ/ ١٣٢٦م)، حيدر آباد، ١٩٥٤-١٩٦١م.

٨ ـ كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن قولويه القمّي (ت٣٦٨هـ)، النجف، ١٣٥٦هـ.

٩ ـ كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن قولويه القمّي (ت٣٦٨هـ)، بيروت، ١٩٩٧م.

١٠ ـ كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن قولويه القمّي (ت٣٦٨هـ)، تحقيق: الشيخ جواد القيومي ـ لجنة التحقيق، مؤسّسة نشر الفقاهة، الطبعة الأُولى، ١٤١٧هـ.

١١ ـ كتاب المزار، محمد بن محمد بن النعمان العكبري المعروف بالشيخ المفيد (ت٤١٣هـ)، قم، ١٩٨٨م.

١٢ ـ اللمع في الحوادث والبدع، إدريس بن بيدكن التركماني، (كان حياً سنة ٧١٠هـ/ ١٣١٠م)، تحرير: س. لبيب، القاهرة، ١٩٨٦م.

١٣ ـ مجموعة الفتاوى ابن تيمية، أحمد بن تيمية الحرّاني (ت٧٢٨هـ)، الرياض ١٩٩١م.

المصادر الأجنبية

14. A. Elad. *Medieval Jerusalem and Islamic worship. Holy places, ceremonies*, pilgrimage. Leiden 1995.
15. C.S Taylor. *In the vicinity of the righteous. Ziyara and the veneration of Muslim saints in late medieval Egypt*. Leiden 1999.
16. C. Williams, *The cult of Alid saints in the Fatimid monuments of Cairo*, in ibid. Issue 1 [1983], 37- 52, Issue 3 [1985], 39- 60.
17. C.S. Taylor, *Reevaluating the Shia role in the development of monumental Islamic funerary architecture: the case of Egypt*, in Muqarnas. Issue 9 [1992], 3- 10.

18. G. Makdisi, *Ibn Aqil, religion and culture in classical Islam*, Edinburgh 1997, 209.
19. Goldziher. *Muh. Studien*. Vol. 2 (ii), p. 277- 341. Eng. Tr. Barber and Stern. Muslim Studies. Vol. 2 (ii), p. 255- 341, "*Veneration of Saints in Islam*".
20. J. Gonnella. *Islamische Heiligenverehrung im urbanen Kontext am Beispiel von Aleppo (Syrien)*. Berlin 1995.
21. J. Sourdel-Thomine. *Les anciens lieux de pèlerinages* damascains *d'après les sources arabes*. In Le Bulletin d'études orientales (BEO). Issue 14 (XIV), 1954. P. 65- 85.
22. J.W. Meri. *Aspects of baraka (blessings) and ritual devotion among medieval Muslims and Jews, in Medieval encounters. Jewish, Christian and Muslim culture in confluence and dialogue*, v 1999.
23. J.W. Meri, *Sacred journeys to sacred precincts. The cult of saints among Muslims and Jews in medieval Syria*, D. Phil, thesis, Oxford Univ. 1998.
24. J. Sadan. *Le tombeau de Moi'se d Jericho et d Damas in Revue des Études Islamiques* (REI). Issue 49 (xlix) 1981. P. 59- 99.
25. Lisa Golombek. T*he cult of saints and shrine architecture in the fourteenth century*. In D.K. *Koyumjian (ed.). Near Eastern numismatics, iconography, epigraphy and history*. Studies in honor of George C. Miles. Beirut 1974. P. 419- 430.
26. M.J Kister. "*You shall only set out for three mosques." A study of an early tradition*. In Le Muséon. Issue 82 (lxxxii), 1969. P. 173- 196.
27. M.M. Chamberlain, *Knowledge and social practice in medieval Damascus 1190- 1350*, Cambridge 1994, 132- 133.
28. M.U. Memon. *Ibn Taimiya's struggle against popular religion, with an annotated translation of his Kitab Iqtida al-Sirat al-Mustaqim Mukhalafat Ahl al-Jahim*. The Hague 1976.
29. N.H. Oleson. *Culte des saints et pèlerinages chez Ibn Taymiyya*: 661 (1263) -728 (1328). Paris 1991.

30. R.B Serjeant. *Haram and Hawtah, the sacred enclave in Arabia. In Abd al-Rahman Badawi (ed.). Mélanges Taha Hussein*. Cairo 1962. P. 41 -45.
31. Wensinck. Handbook.
32. Y. Raghib, *Essai d'inventaire chronologique des guides a I'usage des pelerins du Caire*, in Revue des Études Islamiques (REI).

الأبعاد الدلالية والرمزية لزيارة الإمام الحسين عليه السلام

د. الشيخ عبد المجيد فرج الله*

مقدّمة

الحفر المعرفي (دلاليّاً ورمزيّاً) في أيِّ ممارسة (بشريّة مليونيّة) تتكرّر عدّة سنوات، يستحقّ التعمّق في دراستها، والبحث عن جذورها، ومعرفة دوافعها، وسبب تحشيدها ملايين الناس لتستمرّ عدداً من السنين.. فكيف إذا كانت الفترة الزمنية تقترب من ألف وأربعمائة سنة، وتتعاطى معها الأجيال بإكبار وافتخار جيلاً بعد جيل، وعلى امتداد الأزمنة والعصور؟!

لذا يجب أن يكون إعطاء هذا الحفر المعرفي في زيارة الإمام الحسين عليه السلام حقّه من البحث، والدراسة، والتأمّل، والاستنتاج.. وأن لا يقتصر الاهتمام في زيارته عليه السلام على أوّل ما يتبادر إلى الذهنية المسلمة وهي تعيش صراع التمذهبات عن (مشروعية الزيارة)، أو (تكفيرية ممارسيها)، ضمن جهود صدّ العنجهية الوهابية، وردّ الفهم التكفيري، اللذين غرسهما أولئك الحاقدون على أئمّة أهل البيت عليهم السلام، وأتباعهم من شيعتهم ومحبِّيهم؛ بدعوى أنّ زيارة القبور ما هي إلّا عبادة للأموات، وأنّ زائريها هم (عبَدة قبور)!! مما انسحب على طبيعة تناول موضوعة الزيارة.

فبدلاً من أن تكون هذه الموضوعة خارج إطار هذا التحجيم الوهابي والفهم التكفيري، لتأخذ حقّها من السبر الدلالي، والاستكشاف الرمزي، بعيداً عن سرطنة الفهم وفيرسة البحث بالرمد التكفيري الضيق؛ ردّاً ودفعاً لتلك الإشكالات

---

* باحث وكاتب إسلامي، من العراق.

والتوهّمات ؛ إذا بنا نجد أغلب التركيز البحثي منصبّاً على تأكيد المشروعية، ونقض الإيهامات التكفيرية.

ولذا اخترنا أن يكون التركيز البحثي على الأبعاد الدلالية الواسعة، والإشارات الرمزية المعمّقة، المستشفّة من زيارة الإمام الحسين عليه السلام، سواء اقتصرنا في فهم علم الدلالة على دراسة معاني الكلمات، كما ذهب إليه بيار غيرو[1]، أو توسّعنا في فهمه ليكون بحثنا التطبيقي في معاني الكلمات، وأجزاء الجُمل، والجُمَل، باعتماد نظرية معينة لتفسير المعنى، كما يذهب إليه يانسن، ومع الاستفادة من دلالية اللفظ والكلمة، كما يرى إبراهيم أنيس[2]. ومعها دلالية السياق والأُسلوب، كما يُشير إليه محمود السعران[3].

وإذا أردنا الخوض في التفاصيل يأخذنا المطاف إلى دراسة شاملة، قد لا يكفي أن تكون مختصَرة في مجلّد واحد، لكنّنا سنشير هنا إلى أهمّ نقاط الالتقاط المعرفي، والأخذ الدلالي، والفهم الرمزي، لموضوعة زيارة الإمام الحسين عليه السلام، ثمّ نربطها ربطاً عميقاً بمساحة واسعة من الفكر، تنتمي إلى فهم الإسلام، وتثقيف الإيمان، وفتح الدين للذهنية المسلمة المؤمنة الواعية.

علماً أنّنا إذا أردنا مزيداً من التوغّل في البحث الدلالي ليشمل الحقول الدلالية كلّها؛ فإنّنا سنحصل على نتائج مذهلة، تؤكّد ما سنشير إليه في هذا البحث الموجَز.

الزيارة الحسينية والثقافة القرآنية

بداية يمكن لنا ـ وبكلّ وضوح، وبلا تكلّف ـ أن نربط بين زيارةِ الإمام

(١) أُنظر: كلنتن، هيفاء عبد الحميد، نظرية الحقول الدلالية: ص٦- ١٠، مستفيدةً من (علم الدلالة) لبيار غيرو، الذي تتبع اشتقاق مفردة سيمانتك، المشتقة من (*Semaino*) اليونانية بمعنى (دلّ على)، وهي أساساً مشتقة من (*Sema*) بمعنى العلامة.

(٢) أُنظر: أنيس، د. إبراهيم، دلالة الألفاظ: ص٣٨ وما بعدها.

(٣) أُنظر: السعران، د. محمود، علم اللغة: ص٢٦٤.

الحسين عليه السلام دلالياً ورمزياً، وثقافةٍ قرآنيةٍ حثّت على سبر الأغوار، أو على النظر في الآثار، أو حتّى تلك التي تحدّثت عن (السائحين)، أو ما كان قريباً من كلِّ ذلك. نعم، تستوقفنا في القرآن الكريم آيات غير قليلة دعت إلى السير في الأرض[1]، مع الدعوة إلى التأمّل بآثار الماضين[2]؛ من أجل أخذ العبرة، والانطلاق في الحياة برؤية صحيحة[3]، وبروحية فاعلة[4].

ونلحظ في كتاب الله العظيم عدداً من الآيات القرآنية قد ذكرت أشخاصاً ممدوحين، لا بأسمائهم، بل بصفتهم أنّهم (السائحون)[5]، والمعنى اللغوي الأوّل من كلمة السائحين هو الحركة في الأرض، وفي المعنى الديني ضمن الرسالات السابقة هو الحركة الإرشادية والتبشيرية (مجتمعياً)، أو هو السعي التأمّلي العبادي (شخصياً) أو (فردياً) من جهة ثانية. ثمّ خصّصت بعض الأحاديث المنسوبة للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله معنى السائحين، وقد نصّ بعضها على أنّ سياحة أُمّة محمد صلى الله عليه وآله هي الصوم، أو الجهاد[6].

---

(١) الآيات الدالة على ذلك كثيرة، ومنها ـ على سبيل المثال ـ والتوثيق هذا المقطع الذي تكرر مراراً بالنصّ أو بالمضمون، في القرآن المجيد: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ﴾ (الروم: آية٤٢).

(٢) إمّا صراحة كالآية السابقة، أو ضمناً كهذه الآية مثلاً: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ (القصص: آية٥٨).

(٣) ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ * وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (الصافات: آية ١٣٧ـ١٣٨).

(٤) ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾ (السجدة: آية٢٦).

(٥) ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (التوبة: آية١١٢).

(٦) كما في مروية أبي داوود، عن أبي أُمامة: أنّ رجلاً قال: يا رسول الله، ائذن لي في السياحة، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: «إنّ سياحة أُمّتي الجهاد في سبيل الله تعالى». [أبو داوود السجستاني، سليمان، سنن أبي داوود: ج١، ص٥٥٧].

ولا أجد مانعاً أو كثير ضير في إرجاعه إلى المعنى اللغوي الأصلي، وكذا المعنوي الديني المتعارف لدى الرسالات السابقة وحتّى في بدايات دين الإسلام، فيكون إرجاعاً لممارسة الحج، أو العمرة، أو الزيارة، ضمن هذا الفهم المتلخّص بالحركة والسعي في الأرض، إمّا حركة إرشادية وتثقيفية (مجتمعياً) من إحدى الجهات، أو سعياً تأمّلياً عبادياً (شخصياً) أو (فردياً) من جهة غيرها.

ولا نريد أن نصادر آراءً أُخرى فسّرت معنى (السائحين) بـ(الغزاة)، لكنّنا نريد أن نقول: بأنّ هذا الوصف أطلقه القرآن الكريم على بعض النساء، ولا جهاد على المرأة، كما هو معلوم. إذاً؛ وصفهن بـ(سائحات)[1] يفتح المجال أمام معنى آخر، وإن اختلف المفسرون في معانٍ عدّة لهذه الكلمة، سوى (الزائرين والزائرات) أو (الغزاة)، ولا أستبعد أن يكون المعنى المراد يخصّ الحُجّاج والمعتمرين والزُوّار من الرجال والنساء على حد سواء، وإنّه كمصداق من مصاديق (السائحين) على أقلّ تقدير.

وإذا تخطّينا الحالة المسلمة في الثقافة والوعي والممارسة العبادية، وانتقلنا إلى حركة الأنبياء فيما سبق، وخاصّة السيد المسيح كعيّنة نبويّة رسالية لموضوعة السياحة؛ فإنّ السيد المسيح كانت حركته في الأرض هي حركة السياحة، التي تعني ضمن ما تعني

ويمكن أن نناقش في أنّ عدم الترخيص ربما يكون مختصّاً بسنوات الجهاد، وظروف الدفاع عن الإسلام والمسلمين، إبّان تربّص الأعداء بهم. وعلى كلّ حال؛ فإنّ المعنى الأوّل الذي كان يتبادر إلى الذهن من لفظ (السياحة) أو (السائحين) إنّما هو السعي في الأرض، والمشي في الأقطار بدافع ديني، أو عبادي، أو تبشيري. ولا غضاضة في العودة إلى هذا الفهم والتبادر ونحن نقرأ آيات (السياحة) و(السائحين) قبل التخصيص النبوي (على فرض وقوعه، أو تمامه)؛ وبذلك يكون الحج والعمرة والزيارة من مصاديق السياحة الدينية، دون أدنى خفاء.

(١) قال تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبۡدِلَهُۥٓ أَزۡوَٰجًا خَيۡرٗا مِّنكُنَّ مُسۡلِمَٰتٖ مُّؤۡمِنَٰتٖ قَٰنِتَٰتٖ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٖ سَٰٓئِحَٰتٖ ثَيِّبَٰتٖ وَأَبۡكَارٗا﴾ (التحريم: آية: ٥).

العبادة بتمام معناها، وهي تعطي رقياً روحياً للفرد السائح، ورُشداً للمجتمع الذي يحاول أن يغيّره السائحون في خدمة الحقّ والخلق.. وقد انتهى المطاف مع السيد المسيح عليه السلام بنهاية إعجازية في الإنقاذ والمآل[1].

وفي المقابل كانت هناك (السياحة اليونسية)، إذ ذهب مغاضباً في طاعة الله تبارك وتقدّس، لكن لم يكن قد أخذ الإذن من الله بـ(سياحة المغاضبة)، فكانت النتيجة مهولة حين التقمه الحوت[2]، هذا مع أنّ تلك (المغاضبة اليونسية) قد آتت أُكلَها حين تُوِّجَت باستثناءٍ قرآنيٍّ باهر ﴿إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ﴾[3]، مع أنهّم في حسابات ذلك الزمن السحيق كان تعدادهم شعباً كاملاً، ﴿مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾.

وفي هذه السياحة اليونسية يعيش الزائر، (السائح في سبيل الله تبارك وتقدّس) فحوى أن تكون كلّ حركته في مرضاة الله العلي العظيم، بما يشاء، وكيف يشاء، لا أن يتحرّك كما يملي عليه مزاجه الشخصي، ورأيه المجرّد، مسترشداً بقصّة نبي الله يونس وهو يعاني تلك المعاناة؛ إذ ذهب يطوي في الأرض مغاضباً، فظن أن لن يقدر الله عزّ وجلّ عليه، بمعنى ظنّ أن لن يقتِّر عليه رزقه، ولن يضيِّق عليه عيشه، فإذا به يكون طعماً للحوت في البحر الهادر المهول.

وبعد ذلك ربُّنا سبحانه وتعالى يمنّ عليه إذ كان من المسبحين؛ بأن يفرِّج عنه، ويجعل له شجرة من يقطين تظلله، ومن خلال تلك الشجرة يستطيع أن يعاود نشاطيه، البشري في الحياة، والنبويّ في الهداية والإرشاد، بعد أن يتخلّص من آثار ذلك المكث في داخل الحوت الضخم، أو في فمه المخيف.

---

(١) كما في الآية: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ (النساء: آية١٥٧).

(٢) كما في الآيتين: ﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأنبياء: آية٨٧ ـ ٨٨). والمعنى في قوله: ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾، أي: لن نضيّق عليه ونقتِّر.

(٣) يونس: آية٩٨.

هذه القصّة ذكرها القرآن الكريم ببعض التفاصيل الخاطفة، مع تأكيد إلهي بأنّ المؤمنين ينجيهم الله العلي القدير كذلك[1]. وهناك أحاديث شريفة تدلّ على أهّمية هذه القصّة في حياة البشرية، وأنّ مَن يداوم على تلاوة آية منها ينال فضلاً من الله سبحانه وتعالى، حتّى أنّ صلاة الغفيلة بين المغرب والعشاء تضمّنت تلك الآية التي تحدّثت عن هذه القصّة.

فلو أتينا بمجساتنا البيانية الدلالية وما عندنا من استنفار رمزي لوجدنا ما جرى على سيدنا الإمام الحسين عليه السلام من أجل دين الله الحقّ العظيم، ومن أجل الهداية البشرية إلى صراطه المستقيم، ونهجه القويم، نجد ذلك أكبر وأعمق وأكثر تأثيراً من تلك القصّة التي كانت لنبي الله يونس عليه السلام، ونجد حيوية لا تُضاهى في الانشداد المليوني للأجيال المتعاقبة، وهي ترتبط بالإمام الحسين عليه السلام كلّ ذلك الارتباط المقدّس، الذي يقود إلى التغيير الإيجابي (فردياً، ومجتمعياً) باستمرار لا توقّف فيه.

وكذا يكون البهر والبهت في خاتمة قصّة أهل الكهف؛ إذ اتّخذ الذين غُلبوا على أمرهم على قبرهم مسجداً لتتحقّق أهداف الهجرة في الله، والهجرة إليه، والسياحة من أجله، نبذاً للطغاة والكافرين، بالوتيرة العبادية التي ينبغي أن يكون عليها زوّار الإمام الحسين عليه السلام، وقد تشابهت حال الزوّار الحسينيين، مع حال أهل الكهف المؤمنين، خاصّة في عهود الظلم والجور ومنع زيارته، والمعاقبة عليها بأشدّ العقوبات[2].

---

(١) في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ * إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ * فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ * فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ * فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ * فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ * وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ * وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ * فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ (الصافات: آية ١٣٩ـ ١٤٨).

(٢) ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ فَقَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ (الكهف: آية ٢١).

وأمّا سياحة النبيّ إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام فقد كانت أُمّاً رؤوماً لكل السياحات المرتقية بالروح من جهة، كما في هَجْرِهِ قومَه وعمَّه سائحاً مبلِّغاً معلِّماً مرشداً، ولجَئِهِ إلى الله وحده.. أو السياحة المحرِّرة للفكر من جهة ثانية، كما في حركته وحواره مع عبَدة النجوم والقمر والشمس[1]، أو ذهابه إلى أعتى طاغية في زمانه وهو النمرود، وحواره الرصين معه[2]، أو حركته في تحطيم الأصنام، بالإقناع العلمي أوّلاً، وبالتهشيم المادّي ثانياً[3].. أو السياحة المؤسّسة للبناء الحضاري البشري من جهة ثالثة، كما في سياحته إلى بناء الكعبة المشرّفة، وتأسيسه لفكر الإسلام لله جلّ علاه[4].

وفي هذا المضمار يكون الالتقاء العبادي مع حركة أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام، والتثقّف عليها أثناء زيارة المؤمنين إمامهم الحسين عليه السلام؛ بمنظار أنّها سياحة لله تبارك وتقدّس، ومن أجل الوصول إلى رضاه سبحانه وتعالى، من خلال هجر كلّ باطل ومبطل، والحوار الواعي مع كلِّ مخالف ومختلف، والصمود الراسخ أمام كلّ طاغوت ومتجبّر، والبناء الحضاري لكلِّ ما هو إنساني متكامل.

وبهذا يبدو جلياً أنّ زيارة إمامنا الحسين عليه السلام ـ من الناحيتين الدلالية والرمزية ـ تعني ضمن ما تعني ثقافةً إسلاميةً من جهة، ومن جهة ثانية هي ثقافة نبويّة شاملة لكلِّ الإنسانية، ولا تقتصر في تأثيراتها الإيجابية على عالم الفكر الإسلامي وتفاصيل الدين الإسلامي وحسب.

---

(١) كما جاء في آيات قرآنية عديدة، ومنها: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ * وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴾ ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ * وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ...﴾ (الأنعام: آية ٧٤ـ٧٥ وآية ٧٩ـ٨٠).

(٢) البقرة: آية ٢٥٨.

(٣) الأنبياء: آية ٥٧ـ٦٠.

(٤) البقرة: آية ١٢٧ـ١٣٢.

ذكريات يمجدّها القرآن الكريم

وهكذا نجد القرآن الكريم يؤكّد في آياته على أهمّية أن تبقى هذه الذكريات شاخصة أمام الأجيال جميعاً وهي تقرأ القرآن الكريم؛ وذلك من قبيل إدامة السلام على أولئك الذين هم شواخص للهداية الإلهية. أو أنّ القرآن الحكيم يذكر بعض تفاصيل الأدعية الخاصّة، والمناجاة الخفية التي كان يلهج بها بعض الأنبياء الكرام عليهم السلام، من قبيل أنّ نبياً من أُولي العزم المرسلين دعا الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ﴾[1]، أحد أنبيائه: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا﴾[2]. فتكون الاستمرارية في التأثير الإيجابي على البشرية مُراداً من مُرادات الأنبياء، وبذلك لا يكون الموت عائقاً أمام التأثير النبويّ الهادي على امتداد وجود الأجيال.

الزائر الحسيني والمنحى القرآني لأخذ العبرة

لو توغلنا قليلاً داخل منحى القرآن المجيد في أخذ العبرة والموعظة، نجد أنّ هناك ارتباطاً دلالياً حادّاً، ووشائج رمزية واضحة بين موضوع بحثنا وهذا الفيض القرآني الذي يأخذ أكثر من شكل؛ فمن أشكاله أنّه يتحدّث عن أهمّية قصوى للتأمّل في آثار الماضين لأخذ العبرة والعِظة، كما في آيات كثيرة، وفي هذا المجال نجد القرآن الكريم يحثّ على التأمّل والنظر في تلك الآثار المتبقية لأولئك الأشخاص وإن كانوا غير مؤمنين (سلبيين)، بل نجد القرآن الكريم يحثّ الناس على أن يبادروا ليتحركوا سائحين أو زائرين، شادّين الرحال، لا لشيء سوى أخذ العبرة من تلك الآثار المتبقية لأولئك الأقوام المنقرضين، فكيف إذا كانت هذه الآثار هي آثار لأشخاص هم قادة

(١) الشعراء: آية ٨٤.
(٢) مريم: آية ٣٣.

في عالم الهداية، وسادة في مسيرة الإنسانية إلى حيث الهدى والتكامل، أو على الأقل، وبتعبير شبه معاصر لأشخاص إيجابيين؟

إنّنا باستمرار نلاحظ القرآن العظيم يؤكّد على ضرورة الاتّصال بقادة البشرية إلى الهدى من الأنبياء وأبناء الأنبياء، الذين في آثارهم تكون الموعظة، ومن ذلك الآيات التي تحدّثت عن بيت الله الحرام، وعن مقام إبراهيم، وحثّت على أن نتّخذ من مقام إبراهيم مصلى[1]، ربما بلحاظ أنّ المصلى هو المكان الذي تكون فيه أوثق الصِلات بالله سبحانه وتعالى؛ إذ الصلاة هي الصلة الوثيقة بخالق الكون والحياة، وبلحاظ مكان الذكرى، وصاحب الذكرى بالدرجة الأُولى.

ومن زاوية أُخرى نجد القرآن المبين يؤكّد على أنّ حركة القضاء الإلهي والقدَر الرباني تتحرّك في إطار متوازن غاية التوازن، وبها يكون أدقّ إتمام الحجّة في وعظ البشرية، ونصح الإنسانية.. وهذا بحث مستقل ضخم، لكن له مجال يتّصل بموضوع بحثنا؛ إذ القصد أنّنا نأخذ العبرة من الأشخاص الذين كانت لهم تأثيرات في ساحة الصراع بين الهدى الإلهي النبويّ من جهة، والإضلال الشيطاني الطاغوتي من جهة أُخرى، ومن ضمن ذلك: أنّ الله سبحانه وتعالى قد قضى أن ينجي بدن فرعون ليكون آية للناس[2]. وتؤكّد بعض الدراسات المعاصرة أنّنا إلى يومنا هذا نجد جثّة ذلك الفرعون لم تتفسخ، ولا يزال بإمكان الناس أن يطلعوا عليها لأخذ العبرة البالغة والموعظة الشاخصة!

إذاً؛ ربّنا الجليل الهادي سبحانه وتعالى يدلّنا في القرآن الكريم على أنّ جزءاً من الهداية الإلهية والمواعظ الربّانية يكون من خلال الاطّلاع على مآل الماضين؛ فإذا كان هذا المآل مذكّراً بالله وداعياً لأخذ الموعظة والهداية وإن كان من الأشخاص غير

(١) كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ (البقرة: آية ١٢٥).

(٢) ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً﴾ (يونس: آية ٩٠ـ٩٢).

المؤمنين (السلبيين)، فكيف الحال وأنّنا مع زيارة الإمام الحسين عليه السلام نعيش مع المنبع الصافي للهداية الإلهية؛ ذلك أنّ الذين يزورونه عليه السلام ينبغي أن يعيشوا أصدق المواقف التضحوية التي كانت من أجل الله تبارك وتقدّس.. وكلّ زائر يتمثّل تلك التضحية وهو يأتي إلى زيارة سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام، يعيش أرقى حالات التوجّه إلى الله العلي العظيم، أو على الأقل يستفيد كثير استفادة من تلك المواقف الحسينية التضحويّة، التي يندكّ فيها هذا الوجود الحسيني بحبِّ الله الذي لا إله إلّا هو الربّ الحنّان المنّان، فيتواتر العمل على ما يقرِّب البشرية إلى الله خالق الإنسان والأكوان سبحانه وتعالى.

المنحى الرمزي في أخذ العبرة والوصول إلى الهداية

ثمّ إذا أتينا إلى القرآن الكريم من منحى ثالث؛ فإنّنا نجدّه يثقفنا بمجملٍ من الآيات، وجملةٍ من الإشارات؛ على أنّ الحالة الرمزية لها دورها وحضورها وتأثيرها المباشر والفاعل في هداية الناس باتّجاه الصراط المستقيم، وواضحٌ جدّاً مرادُ ربِّنا الجليل العظيم سبحانه وتعالى في قرآنه الكريم، حين يدلّنا على قصص أولئك الأنبياء السابقين، ويؤكّد أنّ في قصصهم لعبرة[1]، وتلك القصص إذا قارنّاها بما جرى على سيدنا ومولانا الإمام الحسين عليه السلام نجد تأثير ما جرى على سيد الشهداء عليه السلام في النفس الإنسانية أكبر بكثير، وأعمق في الضمير من تلك القصص التي ذكرها القرآن الكريم.

ومن هنا علينا أن نلتفت إلى أهمّية إحياء أمر الإمام الحسين عليه السلام باعتباره ضرورياً وحاسماً للاهتداء بسيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله الذي أكّد هذا المعنى مراراً بقوله: «**حسين منّي وأنا من حسين**»[2].

(١) قال الله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (يوسف: آية: ١١١).

(٢) هذا الحديث أشهر من نار الضيافة على الجبَل العلَم في الليل الأليل، وهو حديث مذكور في كتب متون الحديث على اختلاف مؤلفيها في مذاهبهم ومشاربهم ومآربهم ومطالبهم. أُنظر على سبيل المثال: الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين: ج٣، ص١٧٧.

وحين يقف الزائر أمام قبر الإمام متمثِّلاً كلّ تضحيات الأنبياء عليهم السلام، من آدمهم إلى خاتمهم، ويخاطبه بأنّه وارث الأنبياء، ويسترجع في ذاكرته القرآنية قصص أنبياء الله، ثمّ يسلِّط عليها ضوء الوراثة الحسينية لهم، متلونةً بألوان شخب دمائه عليه السلام، وهو يشهد بأنّ هذا الإمام كان نوراً في الأصلاب الشامخة، والأرحام المطهّرة، لم تنجسه الجاهلية بأنجاسها، ولم تلبسه من مدلهمّات ثيابها، وبأنه من دعائم الدين وأركان المؤمنين، وأنه الإمام التقيّ النقيّ الهادي المهديّ.. تتأكّد لنا حينئذٍ انعكاسات كل ذلك على روحية هذا الزائر الحسيني الواعي، وعلى نفسيته المتحركة في الصراط المستقيم، وهو يتابع مشواره مساهماً في مشروع الهداية الإلهية لبني الإنسان على هذه الأرض، وإلى يوم العرض، وحتّى نيل الجنّة التي هي أكبر من كلِّ السماوات في طولها والعرض!

الأحاديث الشريفة والتثقيف الرسالي على الزيارة

وفي صميم البحث أيضاً بُعدٌ آخر، وهو بُعدُ الأحاديث النبوية الشريفة، وأحاديث المعصومين عليهم السلام، التي تحدّثت عن أهمّية أخذ العبرة والعظة من قصص الأنبياء والصالحين الماضين، وهناك طائفة أُخرى تضمّ كمّاً كبيراً جدّاً من الأحاديث والمرويات تحدّثت صراحة عن أهمّية قصوى في زيارة الإمام الحسين وسادتنا المعصومين عليهم السلام من نواحٍ عدّة، ومنها الناحيتان الدلالية والرمزية.

وحتّى لا أُطيل في استقصاء تلك الأحاديث التي يصعب حصرها، سأكتفي بذكر بعض العيّنات، دون التعرض لشرحها واستنطاقها دلالياً ورمزياً، حديثاً حديثاً، بل أكتفي بالتعريج على ذلك في طيّات البحث الآتية.

العيِّنة الأُولى:

«عن معاوية بن وهب قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام وهو في مصلاه، فجلست حتّى قضى صلاته، فسمعته وهو يناجي ربّه، فيقول: يا مَن خصّنا بالكرامة، ووعدنا الشفاعة، وحمّلنا الرسالة، وجعلنا ورثة الأنبياء، وختم بنا الأمم السالفة، وخصّنا بالوصية، وأعطانا علم ما مضى وعلم ما بقي، وجعل أفئدة من الناس تهوي إلينا، اغفر لي ولإخواني وزوار قبر أبي عبد الله الحسين بن علي عليهما السلام، الذين أنفقوا أموالهم وأشخصوا أبدانهم، رغبة في برنا، ورجاء لما عندك في صلتنا، وسروراً أدخلوه على نبيِّك محمد صلى الله عليه وآله، وإجابة منهم لأمرنا، وغيظاً أدخلوه على عدوّنا، أرادوا بذلك رضوانك، فكافِهم عنّا بالرضوان، وأكلأهم بالليل والنهار، واخلف على أهاليهم وأولادهم الذين خُلِّفوا بأحسن الخلف، وأصحبهم، واكفهم شرّ كلِّ جبار عنيد، وكلّ ضعيف من خلقك وشديد، وشرّ شياطين الإنس والجن، وأعطهم أفضل ما أمّلوا منك في غربتهم عن أوطانهم، وما آثروا على أبنائهم وأبدانهم وأهاليهم وقراباتهم، اللّهم إنّ أعداءنا أعابوا عليهم خروجهم فلم ينههم ذلك عن النهوض والشخوص إلينا خلافاً عليهم، فارحم تلك الوجوه التي غيّرتها الشمس، وارحم تلك الخدود التي تقلّبت على قبر أبي عبد الله الحسين عليه السلام، وارحم تلك العيون التي جرت دموعها رحمة لنا، وارحم تلك القلوب التي جزعت واحترقت لنا، وارحم تلك الصرخة التي كانت لنا، اللّهم، إنّي أستودعك تلك الأنفس وتلك الأبدان حتّى ترويهم من الحوض يوم العطش. فما زال صلوات الله عليه يدعو بهذا الدعاء وهو ساجد، فلمّا انصرف قلت له: جُعلت فداك، لو أنّ هذا الذي سمعته منك كان لـمَن ليعرف[1] الله لظننت أنّ النار لا تطعم منه شيئاً أبداً، والله لقد تمنّيت إن كنت زرته ولم أحج. فقال لي: ما أقربك منه، فما الذي يمنعك عن زيارته

(١) كذا في المصدر، والصحيح: (لا يعرف).

يا معاوية ولم تدع الحج ذلك. قلت: جعلت فداك، فلم أدر أن الأمر يبلغ هذا. فقال: يا معاوية، ومَن يدعو لزواره في السماء أكثر ممّن يدعو لهم في الأرض...»[1].

العيِّنة الثانية:

«عن يزيد بن عبد الملك قال: كنت مع أبي عبد الله عليه السلام، فمرّ قوم على حَميرٍ، فقال: أين يريدون هؤلاء؟ فقلت: قبور الشهداء. قال: فما يمنعهم عن زيارة قبر الشهيد الغريب؟! فقال له رجل من أهل العراق: وزيارته واجبة؟ فقال: زيارته خير من حجّة وعمرة، وحجّة وعمرة. حتّى عدّ عشرين حجّة وعمرة، ثمّ قال: مبرورات متقبلات. قال: فوالله، ما قمت حتّى أتاه رجل فقال: إنّي حججت تسع عشرة حجّة، فادع الله لي أن يرزقني تمام العشرين. فقال: هل زرت قبر الحسين عليه السلام؟ قال: لا. قال: زيارته خير من عشرين حجّة»[2].

العيِّنة الثالثة:

«عن أبان بن تغلب قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إنّ أربعة آلاف ملك عند قبر الحسين عليه السلام شعث غبر، يبكون إلى يوم القيامة ـ بينهم ملك يُقال له: منصور ـ فلا يزوره زائر إلّا استقبلوه، ولا يودّعه مودّع إلّا شيّعوه، ولا يمرض إلّا عادوه، ولا يموت إلّا صلّوا على جنازته واستغفروا له بعد موته»[3].

العيِّنة الرابعة:

«عن محمد بن سليمان، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن رجل حجّ حجّة الإسلام

---

(١) رواه كثيرون، ومن أوائلهم: الصدوق، محمد بن علي، ثواب الأعمال وعقاب الأعمال: ص١٢٢ـ١٢٣.

(٢) وهذا الحديث بنصّه ومضمونه شائع في كتب رواة الشيعة، ومنهم: الصدوق، محمد بن علي، ثواب الأعمال وعقاب الأعمال: ص١٢٢، حيث ورد عنه في أكثر من كتاب.

(٣) الصدوق، محمد بن علي، ثواب الأعمال وعقاب الأعمال: ص١١٥، كما روى عدّة أحاديث تشابه هذا الحديث ضمن الأحاديث التي جمعها في الكتاب المذكور تحت عنوان: (ثواب مَن زار قبر الحسين عليه السلام). كما روى هذا الحديث آخرون كثيرون.

فدخل متمتعاً بالعمرة إلى الحج، فأعانه الله على حجّه وعمرته، ثمّ أتى المدينة فسلّم على رسول الله صلى الله عليه وآله، ثمّ أتاك عارفاً بحقّك يعلم أنّك حجّة الله على خلقه، وبابه الذي يؤتى منه، فسلّم عليك، ثمّ أتى أبا عبد الله الحسين عليه السلام فسلّم عليه، ثمّ أتى بغداد فسلّم على أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام، ثمّ انصرف إلى بلاده، فلمّا كان في وقت الحجّ رزقه الله ما يحجّ به، فأيهما أفضل، هذا الذي قد حج حجّة الإسلام يرجع فيحج أيضاً، أو يخرج إلى خراسان إلى أبيك علي بن موسى الرضا عليهما السلام فيسلم عليه؟ قال: بل يأتي خراسان فيسلِّم على أبي الحسن عليه السلام أفضل، وليكن ذلك في رجب، ولكن لا ينبغي أن تفعلوا هذا اليوم، فإنّ علينا وعليكم خوفاً من السلطان وشنعة»[1].

العيِّنة الخامسة:

«عن الحسين بن محمد القمّي، قال: قال أبو الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام: أدنى ما يُثاب به زائر الحسين عليه السلام بشطِّ الفرات إذا عرف حقّه وحرمته وولايته أن يغفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر»[2].

وقد سبقت إشارات، وستأتي أُخريات، كان أساسها هذه العيِّنات الخمس ونظائرها، وفيها من المعاني والدلالات والترميزات ما يجعلنا نفهم روح الإسلام بكلِّ مجده؛ من خلال موشور النور الحسيني المتلألئ في رحاب زيارته، شريطة معرفة حقّه العظيم.

أعمال وممارسات فيها إثمار الزيارة

ويمكننا من جانب آخر أن نقرأ موضوعة زيارة الإمام الحسين عليه السلام دينياً وعقائدياً بسبرٍ دلالي ورمزي؛ من خلال مجموعة أعمال وأفعال وممارسات تسبق

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص٥٠٩. كما روي هذا الحديث في كتب عديدة لأكابر رواة الشيعة.
(٢) المصدر السابق: ص٢٦٣.

الزيارة، وبعض منها يكون في أثناء أداء الزيارة، ولذا حريّ بنا أن لا نغفلها أبداً باعتبارها جزءاً لا يتجزأ من عبادة أو ثقافة السياحة إلى الله تبارك وتعالى، ليكون الزائر كمَن زار الله في عرشه تقدّس مجده، كما صرّحت بذلك أحاديث شريفة[1]. وهذا الوصف الرمزي العاصف (زيارة الله في عرشه) يهزّ الفكر ليستقر عند هدفية العبادة الحقّة، التي هي (قربة إلى الله تعالى)، ويرجّ الروح خشوعاً لتسكن عند مأوى الخالق العظيم الرحيم الكريم الحلّيم، ويذيب القلب حبّاً لله الجليل المُنيل، وهو الذي بذكره تطمئن القلوب[2]. وهذا كلّه يتحقّق بالزيارة الواعي تفاصيلَها مَن كان زائراً حقّاً.

وكان بودّي لو أطنب في التقاط المزيد من استنطاق الآيات المباركة والأحاديث الشريفة، وأتوقف عند باقي الأفعال والممارسات، وأعقِّب بالشرح والتوضيح الدلالي والرمزي على كلِّ فعل وممارسة حتّى تكون دراستنا الدلالية والرمزية بأتمّ متطلبات البحث الموضوعي، ونحن نخوض في الموروث الديني المتّصل بآيات قرآنية وروايات صحيحة.. لكن توخّياً للاختصار المنسجم مع هذه الفسحة من البحث أكتفي بهذا الالتقاط السريع:

(١) وقد أعطت بعض الأحاديث الشريفة شرحاً لمعنى زيارة الله في عرشه، وكذا توضيحاً لمعنى أن تعدل زيارة الإمام المعصوم عليه السلام سبعين ألف حجّة، ومنها ما جاء في كتاب الكافي، للشيخ الكليني، «عن يحيى بن سليمان المازني، عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال: مَن زار قبر ولدي علي كان له عند الله كسبعين حجّة مبرورة. قال: قلت: سبعين حجّة؟ قال: نعم، وسبعين ألف حجّة. قال: قلت: سبعين ألف حجّة؟ قال: رُبّ حجّة لا تُقبل، مَن زاره وبات عنده ليلة كان كمَن زار الله في عرشه؟ قال: نعم، إذا كان يوم القيامة كان على عرش الرحمن أربعة من الأولين وأربعة من الآخرين، فأما الأربعة الذين هم من الأولين فنوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام، وأما الأربعة من الآخرين فمحمد وعلي والحسن والحسين (صلوات الله عليهم)، ثمّ يمدّ المضمار [المطمار]، فيقعد معنا مَن زار قبور الأئمة عليهم السلام إلّا أنّ أعلاهم درجة وأقربهم حبوة زوّار ولدي علي عليه السلام». الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٤، ص٥٨٥.

(٢) قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾ (الرعد: آية٢٨).

أولاً: ما قبل الزيارة

إذا أتينا إلى البُعد الديني العبادي، الذي يعيشه الزائر قبل زيارة الإمام الحسين عليه السلام، فإنّنا نجد بعض الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة تعطيه ثقافة التهيئة للحالة العبادية السياحية. ونستفيد ذلك من عدّة شواهد قرآنية، إذ نقرأ ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ في سياحة النبيّ موسى عليه السلام هذا البُعد الروحي والنفسي والتثقيفي، الذي يسبق تلك الممارسة العبادية، فقد جاء في القرآن الكريم: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ * إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى * فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ * إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى * وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ * إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ * إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ * فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ * وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ * قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ * قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ﴾[1].

ففي هذا النصّ أعماق روحية، ونفسية، وسلوكية، ومعرفية، وعبادية، وتربوية، بل ودراماتيكية فنّية، وكلّها لها أهمّيتها الدلالية والرمزية الفائقة، ولو أردنا بسط القول فيها لخرجنا عن صلب بحثنا هذا، لكن الذي يعنينا هو التعرّف على مشوار ما قبل اللقاء، فقد سبقت هذا اللقاء فترة تتراوح ما بين ثماني سنوات وعشر، حتّى انتهت بهذه الصدمة الهائلة في الوصل، أثناء سكون الصحاري والوديان، ووحشة السرى، وخوف الترقّب، ووجل الحفاظ على النفس والأهل، في عتمة الليل البهيم الذي تتوهّج فيه تلك النار المذهلة. وأوّل ما وصل إلى الوصل، كان النداء الذي يفوق وصفُه وتأثيرُه كلَّ خيال: ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى * وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ * إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ﴾.

(١) طه: آية٩ـ١٩.

بهذه الروعة يعيش المسلم لقاء الله تبارك وتعالى، وقد جاء به نور الحسين عليه السلام، لا نار الكليم. ومن هنا؛ ينبغي أن تُبحث الدلالات والترميزات بحثاً علمياً تخصصياً، بما يعطي تمام الاستحقاق، للوصول إلى دقيق الاستنتاج.

هكذا نفهم ـ بعض الفهم ـ الحالة الروحية للمؤمنين الزائرين السائحين، من خلال الاستعداد الاستثنائي للحركة العبادية القُربيّة التي يقطع فيها الإنسان المؤمن الحسيني المسافات الطويلة مشياً على الأقدام حتّى يصل إلى هذه العبادة في أوقات مخصّصة، يعدّ لها الأيام يوماً بعد يوم، وضمن ترتيب وممارسات معيّنة، تذكرنا بواحدة من أهمّ خمس دعامات بُني عليها الإسلام؛ وهي دعامة الحج.

ومن هنا؛ فإنّ البحث في الجوانب الدلالية والرمزية لزيارة الإمام الحسين عليه السلام وارتباطها بحج بيت الله الحرام والعمرة، ممّا يوسع دائرة الفهم، ويعطي للزيارة بُعداً يتوخّاه الزائر كلّ التوخّي من خلال استفادته الدينية والعبادية والعقيدية من هذه الممارسة التي تتشابه مع ممارستَي الحج والعمرة، بل هناك تصريح في كثير من الروايات بالربط ما بين زيارة الإمام الحسين عليه السلام والحج والعمرة؛ إمّا بتشابه في بعض الممارسات والأفعال العبادية، أو بلحاظ مقارنة زيارة الإمام الحسين عليه السلام بالحج المستحب والعمرة المندوبة[1].

(١) جاء في (باب فضل زيارة أبي عبد الله الحسين عليه السلام) ـ في كتب متون الحديث الشيعية، ومنها كتاب الكافي للشيخ الكليني ـ كمّ كثير من الأحاديث الدالّة، ومنها هذا الحديث: «عن محمد بن يحيى، عن محمد بن الحسين، عن محمد بن إسماعيل، عن صالح بن عقبة، عن بشير الدهان، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ربّما فاتني الحجّ فأعرف عند قبر الحسين عليه السلام؟ فقال: أحسنت يا بشير، أيما مؤمن أتى قبر الحسين عليه السلام عارفاً بحقّه في غير يوم عيد كتب الله له عشرين حجّة، وعشرين عمرة، مبرورات مقبولات، وعشرين حجّة وعمرة مع نبي مرسل أو إمام عدل، ومَن أتاه في يوم عيد كتب الله له مائة حجّة، ومائة عمرة، ومائة غزوة، مع نبي مرسل أو إمام عدل. قال: قلت له: كيف لي بمثل الموقف؟ قال: فنظر إليّ شبه المغضب، ثمّ قال لي: يا بشير، إنّ المؤمن إذا أتى قبر الحسين عليه السلام يوم عرفة، واغتسل من الفرات، ثمّ توجّه إليه، كتب الله له بكلّ خطوة حجّة بمناسكها. ولا أعلمه إلّا قال: وغزوة». الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٤، ص٥٨٠.

فمثلاً؛ تصرِّح بعض الأحاديث بأنّ مَن زار الإمام الحسين عليه السلام عارفاً بحقِّه فقد وجبت له الجنّة، وهذا يدعونا إلى أن نتأمّل في هذا الشرط (عارفاً بحقّه)؛ لنصل إلى معنى دقيق، هو أنّ منظومة أُصول الدين كاملة لا تكون ماثلة لعيان الزائر إلّا إذا كان عارفاً بحقِّ الإمام الحسين عليه السلام، أو بمعنى آخر: إذا عرف الإنسان حقّ الإمام الحسين عليه السلام، وجاءه زائراً بالكيفية التي وصفتها الأحاديثة الشريفة، فإنّنا نخرج بهذه النتيجة: أنّ هذا كلّه يجعل الإنسان أقرب إلى فهم أُصول الدين وفروعه، والتعاطي معها تعاطياً روحياً، وقلبياً، وعقلياً، سليماً وقويّاً؛ وبذلك تأخذ الزيارة الحسينية أمداءها الدلالية والرمزية بما يستعصي على الوصف البسيط، والشرح السريع.

التهيؤ للزيارة والحجّ والعمرة

وحريّ باللحاظ البحثي أنْ تُدرس كيفيّة التهيؤ لزيارته، إذ تكون مُذكرة بما يفعله الحاج، وهو ينطلق إلى أداء مناسك الحجّ والعمرة، كسُنّة الاغتسال، ولا ننسى أنّ هناك غُسلين يرتبطان بالزيارة؛ الغسل الأوّل هو (غسل سفر الزيارة)، والغسل الثاني عند الوصول إلى كربلاء المقدّسة، استعداداً للبدء بالزيارة، وهو المسمّى (غسل الزيارة). وكذلك تُستحبّ صلاة ركعتين، بكلِّ ما للصلاة من أهمّية، ولما لهذه الحركة في الزيارة من معنى يرتبط بالصلاة بشكل مباشر[1].

ومن ذلك أيضاً هذا الترابط بين حفظ الله للزائر ولأهله، وحركة تربويّة رحيمة في الزيارة، بحيث يُستحب للزائر أن يجمع أهله، وأن يدعو بالدعاء الذي فيه الحفظ والأمن والاطمئنان: «**اللّهُمَّ، إِنِّي اسْتَوْدِعُكَ اليَوْمَ نَفْسِي وَأَهْلِي وَمالِي وَوُلْدِي وَمَنْ كانَ مِنِّي بِسَبِيل** [الإيمان]، **الشَّاهِدَ مِنْهُمْ وَالغائِبَ، اللّهُمَّ، احْفَظْنا بِحِفْظِ الإِيْمانِ، وَاحْفَظْ عَلَيْنا، اللّهُمَّ، اجْعَلْنا فِي رَحْمَتِكَ، وَلا تَسْلُبْنا فَضْلَكَ، إِنَّا إِلَيْكَ راغِبُونَ...**»[2].

(١) أُنظر: القمّي، عباس، مفاتيح الجنان: ص٤٧٠ فما بعدها.
(٢) المصدر السابق.

وهناك أيضاً آداب عديدة تجعل الزائر يعيش دورة تأهيلية ليكون أنقى وأرقى وأطهر وأكثر إيجابية؛ من خلال التصدّق، أو مداراة الآخرين، خاصّة الزوّار السائحين إلى الله، ومساعدة المحتاجين للمساعدة في أثناء الطريق، والتأدّب بأرقى الآداب.. فلا جدال، كما أنّ الحجّ لا جدال فيه، ولا فسوق، ولا رفث.. صحيح أنّ ذلك واجب تركه في الحجّ، وغير واجب في الزيارة، لكن التزام الزائرين بذلك المستحب يعطينا تمثّلاً عبادياً وهم يتعاملون مع المستحبّ والأليقِ معاملةَ الواجب.

وكذلك ينبغي أن لا يخطو الزائر خطوة إلّا وهو يسبِّح الله ويقدّسه، حتّى تصبح كلّ خطوة من خطوات زيارته مشروعاً عبادياً، أو ممارسةً عبادية، فعلى امتداد الطريق حتّى الوصول إلى زيارة الإمام الحسين عليه السلام يكون هذا الزائر في عبادة متواصلة بين يدي عظمة الله سبحانه وتعالى، وهو يديم ذِكرَه وتقديسَه وتسبيحَه والثناءَ عليه[1].

ثمّ هناك آداب ترتبط بمعاشرة الزائر مع الناس، ومع كلِّ ما حوله، حيث يكون الإنسان متحلياً بالسكينة والوقار، ولا يكون إلّا إيجابياً وهو يتعاطى مع مَن حوله وما حوله، بكلِّ رفق، فإذا كان مَن حوله إنساناً فهو يعيش أرقى حالات الرفق بالإنسان، وإذا كان ما حوله حيواناً فهو يعيش أرقى حالات الرفق بالحيوان، بل إنّه يعيش حالات الرفق بالبيئة من خلال المحافظة على الأرض وما أنبتت وما حوت، ويكون حريصاً على عدم تلويثها، وما يستلزم الإفساد فيها، عملاً بالنصّ القرآني المبارك ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾[2].

وقد زخرت كتب الزيارات بكثير من تفاصيل السنن والآداب التي تسبق الزيارة، ومن تلك الكتب ما اشتُهر في المائة سنة الأخيرة، حتّى لا يكاد بيت شيعي يخلو منه، وهو كتاب (مفاتيح الجنان) للشيخ عباس القمّي[3].

---

(١) أُنظر: آداب الزيارة في الكتب التي تعرّضت لذلك، ولا سيّما كتب الحديث والزيارات، ومنها في العصور الأخيرة: القمّي، عباس، مفاتيح الجنان: ص٤٧٠ وما بعدها.

(٢) الأعراف: آية٥٦.

(٣) ذكر الشيخ عباس القمّي كثيراً من الآداب والسنن في أكثر من موضع من كتابه المذكور، وقد أشرنا إلى عدد منها فيما سبق من هوامش.

ثانياً: ما يكون أثناء الزيارة

عند حرم الإمام الحسين عليه السلام نجد في كلمات الزيارة تثقيفاً راقياً، ومجالاً واسعاً لحركة الفكر المتحرّر، الذي يتلمّس الحقائق الإلهية، ويعيش الدين بأخذٍ واعٍ ومسؤول، كما في الزيارة المطلقة للإمام الحسين عليه السلام ـ التي يُزار بها في أي وقت من الأوقات ـ وهي المعروفة بـ(زيارة وارث).. فإنّنا نجد الزائر لا يبدأ زيارته إلّا وقد كبّر الله تبارك وتقدّس ثلاثين تكبيرة، بكلِّ ما لهذا التكبير من فهم فكري للدين وللحياة؛ فعندما يكرِّر الزائر قوله: (الله أكبر)، فإنّه يعيش معاني التكبير العظيمة؛ إذ الله أكبر من كلِّ شيء، والله أكبر من أن يصفه الواصفون، والله أكبر من كلِّ تحدٍّ يتحدّى الإنسان.. فلذلك لا يخشى الزائر أيَّ شيء، بكل اطمئنان روحي، وثبات قلبي، وثقة بالنفس، فيخرج الزائر بهذه الثقافة التوعوية، وهذه الرياضة الروحية، والمِران النفسي، وهو يعيش مرتبطاً بالله العظيم، فلا شيء يخيفه؛ لأنّ اللهَ أكبرُ من كلِّ شيءٍ مخيف، الله أكبر من أعداء الله، الله أكبر من الطغاة، الله أكبر من الأمراض، الله أكبر من القلق.. إلى آخر ما يمكن أن يخطر في بال الزائر من معكِّرات.. وهكذا يحيا الإنسان ثقافة التكبير، وهو يقف أمام جِراح الإمام الحسين عليه السلام، يراها بقلبه نازفة ندية حتّى هذه اللحظة، ويتبيّنه مشروعاً إلهياً يرتبط بالاستخلاف المُراد إلهياً رُبوبياً على هذه الأرض؛ تلك المَهمة الكبرى، والأمانة العظمى التي هي في عنق الإنسان، ليكون خليفة لله العلي العظيم في أرضه، ممدوحاً في سماواته، لأنّه مؤهل لهذه الخلافة أكثر من الملائكة؛ لحكمة يعلمها الله تبارك وتعالى[1].

ماذا بعد وعي التكبير؟

بعد التكبير ـ لفظاً ووعياً ـ تبدأ الزيارة على هذا النسق المعرفي: «**الله أكبر كبيراً**،

(١) كما يؤكّد ذلك القرآن الكريم: ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ (البقرة: آية ٣٠).

والحمد لله كثيراً، وسبحان الله بكرة وأصيلاً»[1]. إذاً هو تكبير متواصل، وتحميد دائم، وتهليل مستمر، وتسبيح لا ينقطع، قلباً ولساناً. كما يعيش الزائر حمداً خاصاً لله تبارك وتقدّس؛ إذ هداه لهذا، وما كان ليهتدي لولا أن هداه الله: «**الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله، لقد جاءت رسل ربّنا بالحقِّ**»[2].

هكذا نتلمّس بدلالة كاشفة، ورمزيّة هادفة؛ أنّ هناك ارتباطاً بين الزيارة وحمد الله، أو بتعبير أقرب إلى روح السياق ودلالة الكلمات هو أنّ الولاء للإمام الحسين عليه السلام، ومعرفة حقّه، وأداء واجب التعرّف إليه، يُعدّ كلّ ذلك نعماً من أعظم النِّعم، ولا يهدي اللهُ تبارك وتعالى إليها إلّا مَن كان ذا حظٍ عظيم في الهداية، بل وأنّ هذا هو روح ما جاءت به رسل الله جميعاً، وهو الحقّ من ربّهم.. هذا مع مضاضة فجيعة الزائر بما جرى على إمامه الحسين عليه السلام، وقد عظمت الرزية، وجلّت المصيبة، فينهار بالبكاء وكأنّه يرى الإمام يترجّل الآن شهيداً بين يديه، تشخب دماؤه الشاهدة الشهيدة من كلِّ مكان، لتصبغ وجه الرمل والتاريخ، وترشق قطراتها الحمراء ضمائر الميتين من المجرمين والصامتين على حدّ سواء.. وبهذا يطفح الولاء والبراء في وعيه الـمُثار عاطفياً وعقلياً، وهو يستعرض كلّ حصيلته الدينية أمام نزف سيد الشهداء عليه السلام، ويزنها بميزان تضحيته المستحيلة أو المنقطعة النظير.

كيف يكون السلام على الإمام عليه السلام؟

ثمّ تبدأ الزيارة بالسلام، لكنّه سلام يوصل الزائر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فيكون السلام بدايةً على رسول الله صلى الله عليه وآله، وكأنّ الزائر يرى سيدنا الرسول في مقدّمة مَن يستقبل الزائرين الـمُعزّين، ويستمع منهم الكلام أوّلاً بأوّل: «**السلام عليك يا**

(١) أُنظر: كتب الزيارات، وكذا كُتب متون الأحاديث الشيعية التي تعرّضت لذلك، ومن كتب الزيارات في عصرنا، أُنظر: القمّي، عباس، مفاتيح الجنان: ص٤٨٨، وما بعدها.

(٢) المصدر السابق.

رسول الله، السلام عليك يا نبي الله، السلام عليك يا خاتم النبّيين، السلام عليك يا سيد المرسلين، السلام عليك يا حبيب الله»[1].

وحين نتعمّق في المغزى الدلالي والاستهداف الرمزي لكلِّ تلك الكلمات، وبمثل هذه الهيئة، نصل إلى أنّ الثمرة الأُولى التي يقطفها الزائر هي ارتباطه الوثيق بأُصول دينه؛ فتوجهه لله الأكبر، الذي هو أهل للتكبير والتسبيح والتقديس والتحميد، وبما يجعل الزائر متحسّساً آثار أوّل أصلينِ من أُصول الدين؛ وهما (التوحيد) و(العدل)، ثمّ بعد ذلك عندما يسلِّم على النبيّ الأكرمﷺ فإنّه يعيش معاني الأصل الثالث من أُصول الدين، وهو (النبوّة)، ويتعايش هذا الزائر مع النبوّة، ويتعاطى معها من خلال التأكيد لسيدنا محمدﷺ أنّه هو رسول الله؛ بفهم لمعاني الرسالة ودلالاتها، وأنّه نبي الله؛ بالتفات لمقام النبوّة وإيحاءاتها، وأنّه خاتم النبّيين؛ بتركيز على كمال الرسالة الإسلامية وخاتميتها، وأنّه سيد المرسلين؛ بمعرفةٍ للحقيقة المحمدية وبركاتها، وأنّه حبيب الله؛ بتركيز على أسرار المحبّة الإلهية لحبيبه المصطفى ومكنوناتها، مع ما لهذه جميعاً من آفاق تثقيفية، وآداب تربويّة، تُستمدّ من عالم المعرفة الإلهية، والحقيقة النبوية، حسب ما يُتاح لهذا الزائر من تَعرُّفٍ إلى الله تبارك وتقدّس، وإلى رسول اللهﷺ.

ثمّ بعد ذلك ينتقل الزائر إلى الأصل الرابع من أُصول الدين وهو أصل (الإمامة)، متمثّلةً بالإمام الأوّل بعد النبيّ الأكرمﷺ، وهو سيّدنا أمير المؤمنينعليه السلام؛ حيث لا يدخل الزائر إلى الحرم الحسيني زائراً عارفاً بحقه إلّا بعد أن يسلِّم على سيدنا أمير المؤمنينعليه السلام بقوله: «**السلام عليك يا أمير المؤمنين، السلام عليك يا سيد الوصيين، السلام عليك يا قائد الغرّ المحجلين**»[2]. ثمّ يكون السلام على سيدنا الإمام الحسينعليه السلام بإشارة إلى كونه ابن السيدة فاطمة الزهراءعليها السلام، بعظيم ما لهذه السيدة من قربى للرسولﷺ، وقربى للإمام الشهيد، وكذا ما لها من تأثير في تفهيم دين الإسلام،

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

وتثقيف على رفض غاصبي الخلافة من أهلها الشرعيين، وإذكاء روح الجهاد الواعي بالقول والفعل والموقف، من أجل إحقاق الحق، وتبيين الصراط المستقيم.. وهذا بمجمله يجعل الزائر يتّصل روحياً وشعورياً بالوقفة الزهرائية الفاطمية الكبرى، التي هي وقفة مفصلية في تاريخ الإسلام. ويتواصل السلام على الإمام الحسين عليه السلام وعلى الأئمّة المعصومين من ولده عليهم السلام، ثمّ العودة إلى السلام على الإمام الحسين عليه السلام باعتباره وصياً لأمير المؤمنين، وصديقاً شهيداً، وذلك بقول الزائر: «**السلام عليك يابن فاطمة سيدة نساء العالمين، السلام عليك وعلى الأئمّة من ولدك، السلام عليك يا وصي أمير المؤمنين، السلام عليك أيها الصديق الشهيد...**»[1].

ولا يقف تأمّل الزائر عند هذا الحدّ، بل يعيش مع ارتباط ملكوت السماوات بالإمام الحسين عليه السلام من خلال ارتباط الملائكة به، فهناك ملائكة موكّلون بقبره: «**السلام عليكم يا ملائكة الله المقيمين في هذا المقام الشريف**»[2]، وهؤلاء الملائكة مقيمون منذ وقفته الكبرى في كربلاء واستشهاده، وإلى يوم القيامة؛ كما دلّت على ذلك نصوص من الأحاديث الشريفة. وهناك ملائكة مكرمون آخرون، ينزلون ليحدقوا بقبر الإمام الحسين عليه السلام أفواجاً أفواجاً، وهم غير أولئك المقيمين، لأنّ المقيمين باقون في حرم الإمام الحسين عليه السلام إلى قيام الساعة، أما الصنف الثاني من الملائكة وهم (المحدقون بقبر الإمام الحسين عليه السلام) فهم فوج ينزل وفوج يعرج، كما دلّت على ذلك أحاديث كثيرة أكّدت هذا المضمون[3].

(١) المصدر السابق

(٢) المصدر السابق.

(٣) لقد حفلت كتب متون الحديث الشيعية الخاصّة بالزيارات، أو التي كانت الزيارات قسماً من مادّة جمعها، حفلت بكثير من الأحاديث الدالّة على ذلك، ومنها ما رواه الشيخ الصدوق ونقله الشيخ الحرّ العاملي: «ليس شيء في السماوات إلّا وهم يسألون الله أن يؤذن لهم في زيارة الحسين عليه السلام، ففوج ينزل وفوج يعرج». الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج١٤، ص٤١٤.

الاستئذان في الدخول إلى ضريح الإمام الحسين عليه السلام

وبعد ذلك يستوقفنا الاستئذان في الدخول؛ فلا يدخل الزائر العارف بحقِّ الإمام الحسين عليه السلام إلى حرمه، إلّا بعد أن يعيش حالة الخشوع في طلب الإذن في الورود من هذا المنهل الكوثري الحسيني.

وهناك استئذانان: أحدهما في باب الروضة المطهّرة، وهو استئذان عام يشمل كلّ مرقد من تلك المراقد المقدّسة، باعتبار أنّ هذا هو بيت من بيوت النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله، وقد جاء النهي القرآني عن الدخول إلى بيته إلّا أن يؤذن به[1]. والاستئذان الثاني عند آخر باب مقابل الشبّاك المطهّر.

ومن آداب الزيارة لا يجتاز الزائر الباب المفضي إلى الضريح الطاهر إلّا بعد أن يستشعر أنّه قد أُذِنَ له بالدخول؛ وذلك بدلالة بكائه واستعباره، فلا يدخل إلّا إذا نزلت دموعه، أو خشع قلبه، وهو يقول: «**أأدخل يا رسول الله؟ أأدخل يا نبي الله؟**

---

(١) ويؤكد ذلك أنّ الاستئذان ورد منصوصاً، حيث ذكره العلماء الذين صنّفوا في كتب الأدعية والزيارات، كما في كتب ابن طاووس والكفعمي، وغيرهما، وهم يخاطبون الزائر على هذا النحو أو قريباً منه: «اذا أردت دخول مسجد النبيّ صلى الله عليه وآله أو أحد المشاهد الشريفة لأحد الأئمّة عليهم السلام فقل: اَللّـهُمَّ إنّي وَقَفْتُ عَلى باب مِنْ أَبْوابِ بُيُوتِ نَبِيِّكَ صَلَواتُكَ عَلَيْهِ وَآلِه، وَقَدْ مَنَعْتَ النّاسَ أَنْ يَدْخُلُوا إلّا بِإِذْنِه، فَقُلْتَ: يا أَيُّها الَّذينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إلّا اَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ، اَللّـهُمَّ إنّي أَعْتَقِدُ حُرْمَةَ صاحِبِ هذَا الْمَشْهَدِ الشَّريفِ في غَيْبَتِه كَما أَعْتَقِدُها في حَضْرَتِه، وَأَعْلَمُ أَنَّ رَسُولَكَ وَخُلَفاءَكَ عليهم السلام أَحْياءٌ عِنْدَكَ يُرْزَقُونَ، يَرَوْنَ مَقامي، وَيَسْمَعُونَ كَلامي، وَيَرُدُّونَ سَلامي، وَأَنَّكَ حَجَبْتَ عَنْ سَمْعي كَلامَهُمْ، وَفَتَحْتَ بابَ فَهْمي بِلَذيذِ مُناجاتِهِمْ، وَإِنّي أَسْتَأْذِنُكَ يا رَبِّ أَوَّلاً وَأَسْتَأْذِنُ رَسُولَكَ صلى الله عليه وآله ثانياً، وَأَسْتَأْذِنُ خَليفَتَكَ الْإِمامَ الْمَفْرُوضَ عَلَيَّ طاعَتُهُ (الحسين بن علي) عليه السلام وَالْمَلائِكَةَ الْمُوَكَّلينَ بِهذِهِ الْبُقْعَةِ الْمُبارَكَةِ ثالِثاً، أَأَدْخُلُ يا رَسُولَ اللهِ؟ أَأَدْخُلُ يا حجّة الله؟ أَأَدْخُلُ يا مَلائِكَةَ اللهِ الْمُقَرَّبينَ الْمُقيمينَ في هذَا الْمَشْهَدِ؟ فَأَذَنْ لي يا مَوْلايَ في الدُّخُولِ أَفْضَلَ ما أَذِنْتَ لِأَحَد مِنْ أَوْلِيائِكَ، فَإِنْ لَمْ أَكُنْ أَهْلاً لِذلِكَ فَأَنْتَ أَهْلٌ لِذلِك».

ثمّ تنطلق كلمات الدعاء مع أوّل خطوات الورود إلى جنّة النهل والوصل: «بِسْمِ اللهِ وَبِاللهِ وَفي سَبيلِ اللهِ وَعَلى مِلَّةِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله، اَللّـهُمَّ اغْفِرْ لي وَارْحَمْني وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوّابُ الرَّحيم». القمّي، عباس، مفاتيح الجنان: ص٤٧٥.

أأدخل يا أمير المؤمنين؟ أأدخل يا سيد الوصيين؟ أأدخل يا فاطمة سيدة نساء العالمين؟ أأدخل يا مولاي يا أبا عبد الله؟ أأدخل يا مولاي يابن رسول الله؟»[1].

أجل، لا يدخل الزائر إلى داخل الحرم الطاهر إلّا بعد أن يعيش كلّ تلك المعاني، حتّى يخشع قلبه، وتدمع عينه، فيعلم أنّ في هذه الدموع إذناً بدخوله، فيدخل هامساً مخاطباً الإمام الشهيد عياناً، أو شهوداً أقوى من العيان: «**الحمد لله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي هداني لولايتك، وخصّني بزيارتك، وسهّل لي قصدك**»[2].

التثقيف على حقائق الإيمان

إنّنا في هذا الفهم الناضج للزيارة الحسينية أمام تدفقات بيانية، واكتنازات رمزيّة، تجعلنا نخرج من كلّ حركة وسكون، وكلّ كلمة ودمعة، بحصيلةٍ هائلة الدلالات، تثقّف الزائرين بآلية الدفق الجمعي الموحّد، ليعيشوا حقائق الإيمان بالله سبحانه وتعالى، مذعنين معترفين، بل ويكونون سعيدين في تحصيل هذه الثقافة العميقة، وهذه العقيدة الراسخة، فيعيشون القربة إلى الله تبارك وتعالى، وهو الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي يهديهم إلى ولاية الإمام الحسين وسائر الأئمّة المعصومين عليهم السلام، بل ويشعرون أنّهم قد خصّهم ربُّ العزّة والجلال بنعمة الزيارة من بين مليارات البشر، وسهّل لهم الوصول إلى هذا الإمام، ويسّر لهم قصده وحدهم دون سواهم من المحرومين الذين لم يتعرّفوا هذه النعمة الكبرى، التي تمهد لعلاقة وطيدة بالإمام الشهيد في يوم القيامة وما بعده من دهور الخُلد.

ثمّ بعد ذلك يلهج الزائر بزيارة واحدة أو أكثر، من الزيارات الواردة، ولكلِّ زيارة خصوصية من جهة، والتقاء وتشابه مع زيارات أُخرى من جهة ثانية.

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

زيارة وارث عيِّنة تطبيقية (سريعة) بيانيّاً ورمزيّاً

ليس متاحاً في هذه الفسحة المقتضبة أخذ جميع الزيارات المروية لتحليلها تحليلات بيانيّة ورمزيّة، وحتّى لا ينبتر بحثنا عند هذا الحدّ آثرت اختيار زيارة (وارث) لتكون عيِّنة تطبيقيّة، ولو ببعض الإشارات.

حين يبدأ الزائر بالزيارة يستشعر هذا الزائر الواعي أنه يتعاطى مع جميع الأنبياء في حركاتهم الداعية إلى الله سبحانه وتعالى، ولا سيما سادة الأنبياء وهم أولو العزم؛ لأنّه يتمثّل أمام مقام الإمام الحسين عليه السلام ميراثه لأولئك الأنبياء جميعاً، فيقول: «**السلام عليك يا وارث آدم صفوة الله، السلام عليك يا وارث نوح نبي الله، السلام عليك يا وارث إبراهيم خليل الله، السلام عليك يا وارث موسى كليم الله، السلام عليك يا وارث عيسى روح الله، السلام عليك يا وارث محمد صلى الله عليه وآله حبيب الله**»[1].

فإذاً؛ يعيش الزائر أمام مرقد الإمام الحسين عليه السلام كلّ ذلك الانتماء لكلِّ الأنبياء، ويشعر بأنّه أمام مسؤولية كبرى، وفي عنقه أمانة صون هذا الميراث النبويّ الذي ورثه الإمام الحسين عليه السلام، فأحيا بدمه كلّ رسالات الأنبياء والمرسلين.

وباستعراض أسماء هؤلاء الأنبياء الكرام (على نبينا وآله وعليهم السلام) يستذكر الزائر جهودهم وصبرهم وتضحياتهم نبيّاً نبيّاً، وكأنّ أزمنتهم جميعاً تُختصر الآن في المسافة الفاصلة ما بين وعي الزائر، والضريح الطاهر، فيعي حقيقة وراثة الإمام السبط الشهيد لكلِّ جهد من جهودهم، جهداً جهداً، وكلّ صبر من صبرهم، صبراً صبراً، وكلّ تضحية من تضحياتهم، تضحية تضحية!

وبهذا يتحقّق انتصار جديد لخطِّ رسُل الله ربِّ الأرض والسماء، بهداية إنسان جديد، لم يكن لينال كلّ ذلك الانتماء للأنبياء لولا زيارته سيد الشهداء، فيشعر كأنّه مع أبيه آدم في توبته، ومع شيخ المرسلين ناجياً في سفينته، ومع خليل الرحمن في كلّ

(١) المصدر السابق.

خطوة من خطوات رحلته، ومع كليم الله في مجاهدته، ومع روح الله في روحانيته ورحمته وسياحته، ومع حبيب الله في أحمديته ومحمّديته!!

الزائر وعقيدة الإمامة

بعد ذلك ينطلق إلى الامتداد الطبيعي للنبوّة، وأعني به الإمامة، حين يجعل توجّهه الذهني إلى معنى كون الإمام الحسين عليه السلام وارثاً لأمير المؤمنين ولي الله عليه السلام، لتكتمل الحلقات المتواصلة، وهي تُفعِمُ الزائر بحقيقة الانتماء إلى أُصول دينه؛ وذلك من خلال جعل مسارات شعورية توصله إلى حقائق التوحيد، والعدل، والنبوّة، والإمامة، وكذلك إلى المعاد يوم القيامة، يتوق إلى أشرف خاتمة، وهي الشهادة، من خلال ما سبق من عبارات كتلميح، أو ما يأتي من فقرات الزيارة كتصريح، فإذا بهذا الزائر شعلة حسينيّة متوهّجة، تعكس نور الوجود الطيب لسادتنا محمد وآل محمد: «**اللّهم، اجعل محياي محيا محمد وآل محمد، ومماتي ممات محمد وآل محمد**»[1].

ويتعمّق في تفاصيل عقيدة الإمامة، وكأنّه يستعرض عقيدته أمام الإمام الحسين عليه السلام، ويعاهده على التمسّك بها، بعد أن عاش وعيها، حتّى أنّ بعض التفاصيل لم يلتفت إلى دقيق أهمّيتها كثيرٌ من المسلمين؛ من قبيل الاعتقاد بأنّ العمود النسبي لآباء الأئمّة وأُمهاتهم جميعاً لم يكن فيه إلّا الموحّدون والموحّدات، وهو نقي تماماً من الكفر والشرك، وكلّ رجس وإفك؛ بدلالة هذا المقطع من الزيارة: «**أشهد أنّك كنت نوراً في الأصلاب الشامخة، والأرحام المطهّرة، لم تنجسك الجاهلية بأنجاسها، ولم تلبسك من مدلهمّات ثيابها**»[2]. فأية حقيقة تأكّدت لدى الزائر؟ وبأي درجة من الوثوق في فكره وروحه، حتّى راح يشهد بها شهادة شرعية يقينيّة، عن تمام الاقتناع، وبغاية اليقين؟

(١) المشهدي، محمد بن جعفر، المزار: ص٤٨٣. وغيره من المصادر التي ذكرت ذلك في زيارة عاشوراء.

(٢) الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتهجّد: ص٧٢١. وغيره من المصادر المتقدّم ذكرها.

وقد يمرّ بعضهم على كلمات من الزيارة مروراً عابراً، بينما هي تتضمّن مدلولات غاية في النضج العقدي الـمُوالي؛ من قبيل السلام على الإمام باعتباره ابناً لرسول الله صلى الله عليه وآله، ابناً لعليّ بن أبي طالب عليه السلام، ابناً لفاطمة الزهراء عليها السلام، ابناً لخديجة الكبرى عليها السلام، لكن المسألة ليست مسألة نسب وحسب، بل مسألة أنّه مَظهَرٌ لهم جميعاً، وأنّهم يُختصَرون كلّهم فيه، فوجوده يعني وجودهم، وبالمقابل فإنّ مماته مماتهم، أو قتله قتلهم! فهو (وِترٌ) فرد من الناس، لا شبيه له في زمنه، و(موتور) مفجوع بقتل جدّه المصطفى بالسمّ شخصاً، ومفجوع بقتله صلى الله عليه وآله عند قتله هو عليه السلام؛ باعتباره وريثاً دينيّاً له، وامتداداً رسالياً يترشّح عنه؛ بدلالة: «**حسين منّي وأنا من حسين**»[1]، وإذا كان لله ثأر من قتَلَة رسوله محمد صلى الله عليه وآله، فالحسين وأبوه عليهما السلام هما ثأر الله، وبهما يكون انتقام الله من أعداء الله، وهذا يعني، ضمن ما يعني أنّ قاتل الحسين عليه السلام إنما هو قاتل لرسول الله صلى الله عليه وآله، وقاتل لعلي عليه السلام، وقاتل لفاطمة عليها السلام، وقاتل لخديجة عليها السلام، وقاتل للإسلام كلِّه: «**السلام عليك يابن محمد المصطفى، السلام عليك يابن علي المرتضى، السلام عليك يابن فاطمة الزهراء، السلام عليك يابن خديجة الكبرى، السلام عليك يا ثأر الله وابن ثأره، والوتر الموتور**»[2].

فهنا يعيش الزائر ثقافةَ أنّ الإمام الحسين عليه السلام هو ثأر الله، وكلمة (ثأر الله)، أو برواية أُخرى (ثائر الله)، إنّما تعني أنّ الحركة المتّصلة بالأقدار الإلهية في القضاء والقدر هذه كلّها ضمن نظام دقيق، كان الإمام الحسين عليه السلام محوراً فيه؛ فهو ثائر الله، وابن ثائره، أي: إنّ الإمام الحسين وقبله أباه أمير المؤمنين عليهما السلام هما محوران رئيسان في هذه الحركة للتقدير الإلهي والتدبير الربّاني، فهما (ثائرا الله) أو (ثأرا الله)! ولك أن تتخيل العمق الدلالي، والإيحاء الرمزي لهذين الوصفين العجيبين! إذ بهما تتحقّق إرادة الله تبارك وتقدّس في الانتقام من أعداء الله، وفي إرساء الناصع من شرع الله.

وكذلك يتحسّس الزائر في وصف (الوتر الموتور) تفجُّعاً، ويا له من تفجّع!

(١) ابن حنبل، أحمد، مسند أحمد: ج٤، ص١٧٢.

(٢) الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتهجّد: ص٧٢٠.

وتوجُّعاً ويا لَشجوه من توجّع! لما جرى على الإمام الحسين عليه السلام باعتباره هو الوتر الموتور، فليس كمثله أيٌّ من المضحين المفجوعين، بل قد وُتِرَ وفُجِعَ بما لم يُفجَع به أحد من الأنبياء، فإذا كان خليل الرحمن إبراهيم ـ وهو وريثه ـ قد كاد يُفجَع بولده إسماعيل ذبيحاً، نجد سيّدنا الحسين عليه السلام فُجِع بولده عليّ الأكبر وحتّى بولده الطفل الرضيع، وقد تحقّق الذبح! وتضاف إليهم تلك الكوكبة من الشهداء من أبناء أبيه وإخوته وبني هاشم وأصحابه (عليهم جميعاً أفضل السلام والرضوان)، وهكذا باقي تضحيات الأنبياء عليهم السلام، وما يوازيها، أو ينوف عليها، من تضحيات الإمام سيد الشهداء عليه السلام.

هذا بعضٌ من الفهم الدلالي والرمزي الذي نستفيده من هذا المقطع القصير جداً من الزيارة، وغير هذا كثير، ليس من المتاح استقصاؤه كلّه.

الإمام والصلاة والزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

ثمّ بعد ذلك يعيش الزائر انتماءه إلى الإمام الحسين عليه السلام، وهو يزداد معرفةً به من خلال الشهادة للإمام بأنّه قد أقام الصلاة، وآتى الزكاة، وأمر بالمعروف، ونهى عن المنكر، لكن لا بمعنى أنّه يصلي شأنه شأن الآخرين، فباقي المسلمين أيضاً يصلّون، ولكن بمعنى أنّه لولاه لما بقيت صلاة، فهو الذي أقامها بعد سقوط! وهكذا نفهم أنّه لولاه لما استمرّت زكاة، ولما أُمِر بمعروف، ولا نُهِيَ عن منكر! وهذا يعني أيضاً أنّه شريك في ثواب كلِّ مصلٍّ إلى قيام الساعة، وثواب كلِّ مزكٍّ، وثواب كلِّ آمرٍ بمعروف، وثواب كلِّ ناهٍ عن منكر، وثواب كلِّ عابدٍ لله، وثواب كلِّ مطيع لله ولرسوله إلى يوم القيامة.

هكذا نقرأ الذبذبات الدلالية والرمزيّة لهذا المقطع: «**أشهد أنّك قد أقمتَ الصلاة، وآتيتَ الزكاة، وأمرتَ بالمعروف، ونهيتَ عن المنكر، وعبدتَ الله مخلصاً، وأطعتَ الله ورسوله حتّى أتاك اليقين**»[1].

(١) المصدر السابق: ص٧٢١. وغيره من مصادر الزيارة المذكورة.

زائر الحسين والبراء عقيدةً وتشريعاً

بعد أن يعترف الزائر ويشهد، ويغترف ويتزود من هذا المعين الصافي، يقف ليتبرأ من أعداء الإمام الحسين عليه السلام، حتّى تتمّ لديه عقيدته بالبراء من أعداء الله، وأعداء رسوله، وأعداء الأئمّة، وأعداء الإنسانية، في لحظة إنكاره وتجريمه لأُولئك الإرهابيين الذين قتلوا سيد الشهداء عليه السلام وأهل بيته وأصحابه الصالحين، وهذه البراءة ليست براءة في السرِّ، ولا بألفاظ تصالحية أو تخاذلية ـ أو دبلوماسية ـ بل بأصرح ألفاظ البراءة، وأعني بها اللعن الصريح الصارخ بالرفض في وجوه كلِّ الطغاة والظالمين: «**فلعن الله أُمّةً قتلتك، ولعن الله أُمّةً ظلمتك، ولعن الله أُمّةً سمعت بذلك فرضيت به**»[1].

وهذا الكلام يدلّنا بيانيّاً ورمزيّاً على ثلاثة أصناف من المجرمين قتلوا الإمام الحسين عليه السلام، عبّر عنهم نصّ الزيارة بلفظة (أُمّة)، فهناك أُمّة قتلته مباشرةً، وهناك أُمّة ظلمته، وخاصّة المؤسّسين والممكّنين من قتاله بغصبهم الخلافة من أهلها الشرعيين[2]، وإن لم تقتله مباشرة، وقد سبقت زمنياً وإجرامياً الأُمّة التي قتلت، ثمّ

---

(١) المصدر السابق.

(٢) إذا لم تصرح (زيارة وارث) بهذا نصّاً، فقد صرّحت به زيارتا عاشوراء المشهورة وغير المشهورة مراراً، وهما تعطيان ثقافة للزائر وتنبيهاً قويّاً بخطورة فعل المؤسّسين والممكِّنين: ففي المشهورة: «فَلَعَنَ الله أُمَّةً أَسَّسَتْ أَساسَ الظُّلْمِ وَالجَوْرِ عَلَيْكُمْ أَهْلَ البَيْتِ، وَلَعَنَ الله أُمَّةً دَفَعَتْكُمْ عَنْ مَقامِكُمْ وَأَزالَتْكُمْ عَنْ مَراتِبِكُمُ الَّتِي رَتَّبَكُمُ الله فِيها، وَلَعَنَ الله أُمَّةً قَتَلَتْكُمْ وَلَعَنَ الله المُمَهِّدِينَ لَهُمْ بِالتَّمْكِينِ مِنْ قِتالِكُمْ، بَرِئْتُ إِلى الله وَإِلَيْكُمْ مِنْهُمْ وَمِنْ أَشْياعِهِمْ وَأَتْباعِهِمْ وَأَوْلِيائِهِمْ. يا أَبا عَبْدِ الله إِنِّي سِلْمٌ لِمَنْ سالَمَكُمْ وَحَرْبٌ لِمَنْ حارَبَكُمْ إِلى يَوْمِ القِيامَةِ»، وكذا: «يا أَبا عَبْدِ الله، إِنِّي أَتَقَرَّبُ إِلى الله وَإِلى رَسُولِهِ وَإِلى أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ وَإِلى فاطِمَةَ وَإِلى الحَسَنِ وَإِلَيْكَ بِمُوالاتِكَ وَبِالبَراءةِ مِمَّنْ قاتَلَكَ وَنَصَبَ لَكَ الحَرْبَ وَبِالبَراءةِ مِمَّنْ أَسَّسَ أَساسَ الظُّلْمِ وَالجَوْرِ عَلَيْكُمْ، وَأَبْرَأُ إِلى الله وَإِلى رَسُولِهِ مِمَّنْ أَسَّسَ أَساسَ ذلِكَ وَبَنى عَلَيهِ بُنْيانَهُ وَجَرى في ظُلْمِهِ وَجَوْرِهِ عَلَيْكُمْ وَعَلى أَشْياعِكُمْ، بَرِئْتُ إِلى الله وَإِلَيْكُمْ مِنْهُمْ وَأَتَقَرَّبُ إِلى الله ثُمَّ إِلَيْكُمْ بِمُوالاتِكُمْ وَمُوالاةِ وَلِيِّكُمْ وَالبَراءةِ مِنْ أَعْدائِكُمْ وَالنَّاصِبِينَ لَكُمُ الحَرْبَ وَبِالبَراءةِ مِنْ أَشْياعِهِمْ وَأَتْباعِهِمْ. إِنِّي سِلْمٌ لِمَنْ سالَمَكُمْ وَحَرْبٌ لِمَنْ حارَبَكُمْ

براءة ولعن على أُمّة ثالثة، وهي التي سمعت بمقتل الإمام الحسين عليه السلام وما جرى عليه من ظلم وتعدٍّ وجور وإجرام، فرضيت به!

وهنا فعلاً يكون الزائر ـ إيمانياً ـ على المحكّ، وكأنّه يستعرض كلّ عقيدته أمام

وَوَلِيٌّ لِمَنْ وَالاكُمْ وَعَدُوٌّ لِمَنْ عاداكُمْ، فَأَسْأَلُ الله الَّذي أَكْرَمَني بِمَعْرِفَتِكُمْ وَمَعْرِفَةِ أَوْلِيائِكُمْ وَرَزَقَني البَرَاءَةِ مِنْ أَعْدائِكُمْ أَنْ يَجْعَلَني مَعَكُمْ في الدُّنْيا وَالآخِرةِ وَأَنْ يُثَبِّتَ لي عِنْدَكُمْ قَدَمَ صِدْقٍ في الدُّنْيا وَالآخِرَةِ، وَأَسْأَلُهُ أَنْ يُبَلِّغَني المَقامَ المَحْمُودَ لَكُمْ عِنْدَ الله وَأَنْ يَرْزُقَني طَلَبَ ثأري مَعَ إِمامٍ هُدىً ظاهِرٍ ناطِقٍ بِالحَقِّ مِنْكُمْ...».

وفي زيارة عاشوراء غير المشهورة: «لَعَنَ اللهُ أُمَّةً أَسَّسَتْ أَساسَ الظُّلْمِ لَكُمْ وَمَهَّدَتِ الْجَوْرَ عَلَيْكُمْ، وَطَرَّقَتْ إِلى أَذِيَّتِكُمْ وَتَحَيُّفِكُمْ، وَجارَتْ ذلِكَ في دِيارِكُمْ وَأَشْياعِكُمْ، بَرِئْتُ إِلَى الله عَزَّوَجَلَّ وَإِلَيْكُمْ يا ساداتي وَمَوالِيَّ وَأَئِمَّتي مِنْهُمْ وَمِنْ أَشْياعِهِمْ وَأَتْباعِهِمْ، وَأَسْأَلُ الله الذي أَكْرَمَ يا مَوالِيَّ مَقامَكُمْ وَشَرَّفَ مَنْزِلَتَكُمْ وَشَأْنَكُمْ أَنْ يُكْرِمَني بِوِلايَتِكُمْ وَمَحَبَّتِكُمْ وَالائْتِمامِ بِكُمْ وَبِالْبَراءَةِ مِنْ أَعْدائِكُمْ، وَأَسْأَلُ الله الْبَرَّ الرَّحيمَ أَنْ يَرْزُقَني مَوَدَّتَكُمْ، وَأَنْ يُوَفِّقَني لِلطَّلَبِ بِثَأْرِكُمْ مَعَ الإِمامِ الْمُنْتَظَرِ الْهادي مِنْ آلِ مُحَمَّد، وَأَنْ يَجْعَلَني مَعَكُمْ في الدُّنْيا وَالآخِرَةِ، وَأَنْ يُبَلِّغَني الْمَقامَ المَحْمُودَ لَكُمْ عِنْدَ الله وَأَسْأَلُ الله عَزَّ وَجَلَّ بِحَقِّكُمْ وَبِالشَّأْنِ الَّذي جَعَلَ الله لَكُمْ أَنْ يُعْطِيَني بِمُصابي بِكُمْ أَفْضَلَ ما أَعْطى مُصاباً بِمُصيبَة، إِنّا لله وَإِنّا إِلَيْهِ راجِعون». وكذلك: «اللّـهُمَّ وَهذا يَوْمٌ تُجَدَّدُ فيهِ النِّقْمَةُ وَتُنَزَّلُ فيهِ اللَّعْنَةُ عَلَى اللَّعين يَزيدَ وَعَلى آلِ يَزيدَ وَعَلى آلِ زياد وَعُمَرَ بْنِ سَعْد وَالشِّمرِ، اَللّـهُمَّ الْعَنْهُمْ وَالْعَنْ مَنْ رَضِيَ بِقَوْلِهِمْ وَفِعْلِهِمْ مِنْ أَوَّلٍ وَآخِرٍ لَعْناً كَثيراً وَأَصْلِهِمْ حَرَّ نارِكَ، وَأَسْكِنْهُمْ جَهَنَّمَ وَساءَتْ مَصيراً وَأَوْجِبْ عَلَيْهِمْ وَعَلى كُلِّ مَنْ شايَعَهُمْ وَبايَعَهُمْ وَتابَعَهُمْ وَساعَدَهُمْ وَرَضِيَ بِفِعْلِهِمْ وَافْتَحْ لَهُمْ وَعَلَيْهِمْ وَعَلى كُلِّ مَنْ رَضِيَ بِذلِكَ لَعَناتِكَ الَّتي لَعَنْتَ بِها كُلَّ ظالِمٍ وَكُلَّ غاصِبٍ وَكُلَّ جاحِدٍ وَكُلَّ كافِرٍ وَكُلَّ مُشْرِكٍ وَكُلَّ شَيْطانٍ رَجيمٍ وَكُلَّ جَبّارٍ عَنيد، اَللّـهُمَّ الْعَنْ يَزيدَ وَآلَ يَزيدَ وَبَني مَرْوانَ جَميعاً، اَللّـهُمَّ وَضَعِّفْ غَضَبَكَ وَسَخَطَكَ وَعَذابَكَ وَنَقِمَتَكَ عَلى أَوَّلِ ظالِمٍ ظَلَمَ أَهْلَ بَيْتِ نَبِيِّكَ، اَللّـهُمَّ وَالْعَنْ جَميعَ الظّالِمينَ لَهُمْ وَانْتَقِمْ مِنْهُمْ إِنَّكَ ذُو نِقْمَةٍ مِنَ الْمُجْرِمينَ، اَللّـهُمَّ وَالْعَنْ أَوَّلَ ظالِمٍ ظَلَمَ آلَ بَيْتِ مُحَمَّد، وَالْعَنْ أَرْواحَهُمْ وَدِيارَهُمْ وَقُبُورَهُمْ، وَالْعَنِ اللّـهُمَّ الْعِصابَةَ الَّتي نازَلَتِ الْحُسَيْنَ ابْنَ بِنْتِ نَبِيِّكَ وَحارَبَتْهُ وَقَتَلَتْ أَصْحابَهُ وَأَنْصارَهُ وَأَعْوانَهُ وَأَوْلِياءَهُ وَشيعَتَهُ وَمُحِبّيهِ وَأَهْلَ بَيْتِهِ وَذُرِّيَّتَهُ، وَالْعَنِ اللّـهُمَّ الَّذينَ نَهَبُوا مالَهُ وَسَلَبُوا حَريمَهُ وَلَمْ يَسْمَعُوا كَلامَهُ وَلا مَقالَهُ، اللّـهُمَّ وَالْعَنْ كُلَّ مَنْ بَلَغَهُ ذلِكَ فَرَضِيَ بِهِ مِنَ الأَوَّلينَ وَالآخِرينَ وَالْخَلائِقِ أَجْمَعينَ إِلى يَوْمِ الدّين».

كلّ ذلك لأنّ قتل الإمام الحسين عليه السلام ما كان ليتمّ لولا التأسيس والتمهيد من قِبَل الذين أخذوا الخلافة ظلماً وتعدّياً وجوراً وزوراً، وغصبوها من أهلها الشرعيين.

الإمام الحسين عليه السلام مصرّحاً ومصحّحاً، ومؤكّداً ومُجدّداً، وملتفتاً أو متزمّتاً بما عنده من هذه العقيدة الراسخة التي تجري في روحه مجرى دمه في عروقه.

شهادات أُخرى تعمّق عقيدة الإمامة

وهناك شهادة أُخرى تؤكّد مظهراً آخر من مظاهر الولاء لسادتنا الأئمّة المعصومين عليهم السلام، وكأنّها تعطي تبريراً كاملاً للصراحة المتدفقة التي يعلن فيها الموالي الولاء والانتماء من جانب، واللعن والبراء من جانب آخر؛ إذ الداعي لكلا هذين الجانبين هو أنّ الإمام الحسين عليه السلام دعامة من دعائم الدين، وركن من أركان المؤمنين، وأنّه الإمام البرّ التقي: «**وأشهد أنّك من دعائم الدين، وأركان المؤمنين، وأشهد أنّك الإمام البرّ التقي الرضي الزكي الهادي المهدي، وأشهد أنّ الأئمّة من ولدك كلمة التقوى، وأعلام الهدى، والعروة الوثقى، والحجّة على أهل الدنيا**»[1].

ثمّ تأتي شهادة أُخرى يتثقّف عليها الزائر، ويعيشها قلباً وروحاً وفكراً ووعياً بتمام اليقين، وهو يُشهِد اللهَ تبارك وتعالى وملائكته وأنبياءه ورسله بأنّ الموقف الحسيني لم ينتهِ يوم العاشر من محرّم سنة إحدى وستّين للهجرة، بل المواجهة الفاصلة ستكون في إياب آل محمد، برجعتهم، أو برجعة الأمر إليهم مع التأكيد على أنّ قلب الزائر سِلْمٌ لقلب آل محمد، وأمره متّبعٌ لأمرهم: «**وأُشهِدُ الله وملائكته وأنبيائه ورسله أنّي بكم مؤمن وبإيابكم، موقن بشرائع ديني وخواتيم عملي، وقلبي لقلبكم سِلم، وأمري لأمركم متّبع**»[2]، ففي يقين الزائر أنّ الجولة لم تنته بعد، بما يعني أو يحسّس أنّ معركة الإمام الحسين عليه السلام مع أعداء الله لا تزال مستمرّة، وبأنّه جندي استشهادي في صفوف أنصار الإمام الحسين عليه السلام، وبذلك يتأكّد انتماء الزائر إلى إمامه الشهيد عليه السلام، مع يقين راسخ أنّ نهاية المعركة وخاتمة المطاف سوف تكون بعودة الحقّ وانتصار قيم

(١) الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتهجّد: ص٧٢١.
(٢) المصدر السابق.

الإمام الحسين عليه السلام بكافّة أنواع الانتصارات، بما فيها الانتصار العسكري؛ إذ يكون مآل الأمر وختام المطاف لسيد الشهداء ومَن معه.

كلّ هذا ملحوظ دلاليّاً ورمزيّاً في الارتباط الوثيق بحركة الزائر وهو يؤدّي أعماله حتّى يختمها متطلّعاً إلى الشهادة بين يدَي إمامٍ مهديٍّ منصور من آل محمد عليهم السلام.

إذاً؛ أمام هذه الشهادة بين يدي الله وأمام ملائكته وأنبيائه ورسله يتحقّق لدى الزائر شعور حقيقي، بل وجود عقيدي ديني متكامل، ممّا يعطي ثماراً لهذه الممارسة المتضمّنة كثيراً من المعاني العبادية لفريضة الحج ولمناسك العمرة؛ وبذا يتجلى معنى أنّ قلب الزائر لقلب الإمام الحسين عليه السلام سِلمٌ، وأنّ أمره لأمره متّبع؛ وتكون النتيجة: أنّ كلّ ما يقوله زائر الإمام نابع من القلب، وناطق عن أحاسيس الروح، فليست تلك الكلمات عبارات يقولها اللسان وينتهي الأمر، بل هي عقيدة راسخة يشهد عليها الله والملائكة والرسل، يُعلنها مع موجات من السلام المتواصل على الأرواح والأجساد والأجسام: «**وقلبي لقلبكم سِلم، وأمري لأمركم متّبع، صلوات الله عليكم، وعلى أرواحكم، وعلى أجسادكم، وعلى أجسامكم، وعلى شاهدكم، وعلى غائبكم، وعلى ظاهركم، وعلى باطنكم**»[1].

إنّه الانتماء، وإنّه التثقّف على الارتباط مع خطِّ الأئمّة عليهم السلام وهم يعطون تمام الدين لجميع المؤمنين.

الزائر الحسيني وارتباطه بالإمام المنتظر عجل الله فرجه الشريف

يتأكّد الارتباط أيضاً بالإمام المهدي المنتظر عجل الله فرجه الشريف من خلال هذه الشهادات والسلام حتّى على شاهدهم وغائبهم وظاهرهم وباطنهم.

وعندما يعيش الزائر المؤمن كلّ هذه التفاصيل يأخذه الذوبان بالإمام الحسين عليه السلام فلا يملك إلّا أن يلقي بنفسه على ذلك الثرى الطاهر، أو ما شُيِّد عليه، وأعني به

(١) المصدر السابق.

الشبّاك الذي يرمز إلى دماء طاهرة سالت من أجل الله، وإلى أرواح طيبة نقية عرجت إلى ربّها قرابين من أجل إعلاء كلمة الله تبارك وتقدّس في الأرض.

وتنطلق الكلمات هادرة باليقين، أو مضمخة بالدموع، من زائر يفدي إمامه بأغلى مَن لديه: «**بأبي أنت وأُمّي يا أبا عبد الله، بأبي أنت وأُمّي يابن رسول الله؛ لقد عظمت الرزية وجلت المصيبة بك علينا، وعلى جميع أهل السماوات والأرض**»[1].

يفدي الزائرُ الإمامَ بأبيه، ويفديه بأُمّه، في أرق مشاعر الشجى والحزن والحسرة.. فمعنى (بأبي أنت وأُمّي)، أي: أفديك بأبي وأُمّي يا أبا عبد الله، استشعاراً بعِظَمِ رزية مأساة الإمام الحسين عليه السلام وما جرى عليه في استشهاده.

الرزية عظيمة، والمصيبة جليلة على الكون كلِّه، فكيف يكون حال الزائر المحبّ الموالي الذائب وجداً بريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد قتله المجرمون أبشع قتلة؟!

ولم يكتفوا بذلك، بل أرادوا طحن عظامه بعد لحمه بحوافر الخيول سحقاً سحقاً!: «**لقد عظمت الرزية، وجلّت المصيبة بك علينا، وعلى جميع أهل السموات والأرض**»، ويأتي التأكيد من جديد على لعن أولئك الأعداء الذين ارتكبوا تلك الجريمة النكراء، التي كان لها تأثيرها على أهل الأرض والسماء، على حدّ سواء: «**فلعن الله أُمّة أسرجت وألجمت وتهيّأت وتنقبت لقتالك**»[2]، هي إذاً براءة إلى الله العلي العظيم المنتقم الجبار مِن كلِّ مَن ساهم ولو مساهمة قليلة في حرب الإمام الحسين عليه السلام.

هكذا يتبرّأ الزائر ويلعن الأُمّة التي قتلت سبط رسول الله صلى الله عليه وآله، أو المنهج الذي يؤدِّي إلى قتله، فيعيش الزائر حرّاً أبياً، ملتزماً بكلِّ قيم الخير والحقّ والعدالة، مؤكِّداً مراراً وتكراراً براءته من أيِّ إنسان ظلم الإمام الحسين عليه السلام، فيجعل كلّ مَن ظلمه ضمن نطاق أُمّة مشخّصة بهذا الوصف، وواضح أنّ الذين ظلموا الإمام الشهيد عليه السلام قد يكونون ظلموه قبل استشهاده ـ كما أشرنا ـ أو بعد استشهاده عندما بررروا

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

للمجرمين فعلهم. فالزائر يقف محتجّاً متبرّئاً لاعناً كلّ مَن ظلم الإمام: «**لعن الله أُمّة أسرجت وألجمت وتهيأت وتنقبت لقتالك**». فحتّى الذين أسرجوا الخيول ولم يشتركوا بجريمة قتله مباشرة، وحتّى الذين جعلوا اللجُم في أفواه أفراسهم، إمّا على نحو الحقيقة أو على نحو المجاز ـ بمعنى التهيؤ والخروج وتكثير السواد على الإمام الحسين عليه السلام ـ حتّى ولو لم يشتركوا اشتراكاً فعلياً في قتاله، بل حتّى مَن تنقّب، (أي: جعل النقاب على وجهه اتقاء لغبرة المعركة)، هؤلاء جميعاً يتبرّأ منهم الزائر.

وقبل أن يختم زيارته هذه يتوجّه بطلبٍ أخير إلى إمامه الشهيد، وهو يعتقد أنّه حيٌّ بنصّ القرآن الكريم[1]. فيا ترى ما هو طلبه؟

«**يا مولاي يا أبا عبد الله؛ قصدتُ حرمك، وأتيتُ إلى مشهدك، أسأل الله بالشأن الذي لك عنده، وبالمحلّ الذي لك لديه**»[2].

إذاً؛ هو دعاء لله تبارك وتعالى وتوسّل إليه جلّ علاه، بكل الذي جعل الله العلي العظيم لهذا الإمام الشهيد من شأن عنده سبحانه وتقدس. وهنا يكون الإفصاح عن الطلب: «**أن يصلي على محمّد وآل محمّد، وأن يجعلني معكم في الدنيا والآخرة**»[3].

إذاً؛ عندما نأتي إلى رمزيّة زيارة الإمام الحسين عليه السلام ودلالتها نكتشف أنّ كلّ وعي الزائر وثقافته وفكره وعقيدته وما عنده؛ يتجلّى ويتمظهر بتلك الزيارة، ومن خلالها يصحح الزائر أخطاءه أمام منحر الإمام الحسين عليه السلام، ليبقى محافظاً على عقيدته صافيةً سليمة، وبذلك يتحقّق الغرض من هذه الزيارة، التي يكون مؤدّيها مؤهّلاً لينال ذلك الثواب المدهش الذي ذكرته الأحاديث الشريفة التي سبق ذكر بعضها. كما يكون

(١) هناك تصريحان قرآنيان شديدا اللهجة في هذا الخصوص، الأول في التنبيه وإنارة التفكير، والثاني في النهي والتحذير، هما: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (آل عمران: آية١٦٩)، ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ (البقرة: آية١٥٤).

(٢) الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتهجّد: ص٧٢١.

(٣) المصدر السابق.

منتمياً إلى طهارة هذا الإمام الشهيد الذي هو بنصّ إحدى الزيارات «**طهر طاهر مطهّر، من طهر طاهر مطهّر**»[1]. وقد أشرتُ سابقاً إلى اعتقاد الموالين بأنّ آباء الأئمّة وأُمّهاتهم جميعاً إلى آدم وحواء هم موحِّدون، وأنّ السلالة التي انحدر منها الأئمّة الكرام عليهم السلام إنّما هي سلالة في كلِّ أجيالها لم تستقرّ إلّا عند الآباء الأنبياء والأوصياء والموحِّدين، والأُمّهات الصالحات الموحِّدات، صعوداً إلى أبوينا آدم وحوّاء عليهما السلام.

ولا يقتصر الأمر على التثقف بذلك، بل يتعدّاه إلى اليقين القطعي؛ بحيث يشهد الزائر بين يدي ملكوت الله سبحانه وتعالى، وأمام جراح الإمام الحسين عليه السلام بهذه الشهادة التي يقطع بها بكلِّ ثقة واقتناع، مع أنّه لم يعاصر أجيال آباء وأُمّهات الإمام الحسين عليه السلام حتّى آدم وحوّاء عليهما السلام.

إنّها البيعة للإمام الحسين عليه السلام، وإنّه الارتباط الكامل الشامل مع منهجه القويم في الدنيا والآخرة، وهذا يعني أقلّ ما يعني أنّ الزائر يعاهد الله سبحانه وتعالى أمام جراح الإمام الحسين عليه السلام، وبقايا جسده الشريف؛ بأنّه لا يرتكب فعلاً حراماً، ولا يترك واجباً أو طاعةً أوجبها الله تبارك وتقدّس على المكلفين.

وبذلك تكون الزيارة قد أثمرت عطاءاتها وآتت أكلها، بما يضاهي أو يتجاوز تلك العطاءات التي ينالها الحاج، أو المجاهد في سبيل الله تبارك وتعالى.

خاتمة المطاف

هكذا نجد في زيارة الإمام الحسين عليه السلام فتحاً ثقافياً يتجاوز الوصول إلى مكان الاستشهاد، ليكون للعارفين منارات في الانطلاق إلى رحاب الألق الحسيني ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾[2]، بانشداد ولائي، يحُيل كلّ كلمة تُقال، أو تبقى في المكنون، وكلّ حركة، بل وكلّ سكون، تحيلها مثابات معرفية، ومآبات روحية، ترتقي بالزائر (العارف بحقّه) إلى مراقي كماله البهيج، ومعالي صفائه المنير، وصولاً

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص٤١٠.
(٢) القمر: آية٥٥.

إلى مركزية وجودهم هو وجدّه وآله (سلام الله تبارك وتعالى عليهم) باعتبار كلّ واحد منهم مرتكزاً أقوى في فهم جدوائية الخلق المستترة في كلمة الحقّ جلّ علاه، حين خاطب ملائكته: ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾[1].

والخوض أكثر في هذه الرحاب لا تتسع له هذه الفسحة الكريمة من صفحات المجلّة الغرّاء، ونأمل من الله العزيز الكريم أن يوفّقنا لمزيد من هذا الحديث، إنّه الهادي إلى سواء السبيل.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

١ ـ الأخبار الطوال، أحمد بن داوود الدينوري (ت٢٨٢هـ)، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة الطبعة الأُولى، ١٩٦٠م.

٢ ـ الأمالي، محمد بن الحسن الطوسي (ت٤٦٠هـ)، مؤسّسة الوفاء، بيروت، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

٣ ـ الإمامة والسياسة، عبد الله بن مسلم المعروف بابن قتيبة (ت٨٨٩هـ)، مؤسّسة الوفاء، بيروت، ط٢ ١٩٨١م.

٤ ـ أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى البلاذري (ت٢٧٩هـ)، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

٥ ـ بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي (ت١١١١هـ)، مؤسّسة الوفاء، بيروت، ١٩٨١م.

٦ ـ تاريخ الأُمم والملوك، محمد بن جرير الطبري (ت٣٦٠هـ)، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م.

٧ ـ ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمّي، المعروف بالصدوق (ت٣٨١هـ)، شركة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، الطبعة السادسة، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

(١) البقرة: آية٣٠.

٨ ـ دلالة الألفاظ، د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٦م.
٩ ـ سنن أبي داوود، سليمان بن الأشعث السجستاني (ت٢٧٥هـ)، تحقيق وتعليق: سعيد محمد اللحام، الطبعة الأُولى، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.
١٠ ـ عقائد الإمامية، محمد رضا المظفر، دار الصفوة، بيروت، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.
١١ ـ علم اللغة.. مقدّمة للقارئ العربي، د. محمود السعران، دار النهضة العربية، بيروت ـ لبنان.
١٢ ـ عيون أخبار الرضا، محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمّي المعروف بالصدوق (ت٣٨١ هـ)، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، الطبعة الأُولى، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.
١٣ ـ الكافي، محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي (ت٣٢٨/ ٣٢٩ هـ)، صحّحه وقابله وعلّق عليه: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، الطبعة الثالثة، ١٣٦٧هـ.ش.
١٤ ـ كامل الزيارات، أبي القاسم جعفر بن محمد بن قولويه القمّي (ت٣٦٨هـ)، مؤسّسة نشر الفقاهة، قم ـ إيران، الطبعة الأُولى، ١٤١٧هـ.
١٥ ـ لسان العرب، محمد بن مكرم المشهور بابن منظور، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.
١٦ ـ اللهوف في قتلى الطفوف، علي بن موسى بن محمد بن طاووس (ت٦٦٤هـ)، دار القارئ، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
١٧ ـ المجالس السنية، محسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
١٨ ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر، علي بن الحسين المسعودي، دار الأندلس، بيروت، الطبعة الأُولى، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م.
١٩ ـ المزار، محمد بن جعفر المشهدي (من أعلام القرن ٦)، تحقيق: جواد القيومي الإصفهاني، مؤسّسة النشر الإسلامي، قم ـ ايران الطبعة الأُولى، ١٤١٩هـ.

٢٠ ـ المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (ت٤٠٥هـ)، وبذيله التلخيص للحافظ الذهبي، طبعة مزيدة بفهرس الأحاديث الشريفة، بإشراف: د. يوسف عبد الرحمن المرعشلي، دار المعرفة، بيروت ـ لبنان.

٢١ ـ مسند أحمد، الإمام أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ)، دار صادر، بيروت – لبنان.

٢٢ ـ مصباح المتهجّد، محمد بن الحسن الطوسي (ت٤٦٠هـ)، مؤسّسة فقه الشيعة، بيروت – لبنان، الطبعة الأُولى، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

٢٣ ـ مفاتيح الجنان، عباس القمّي، دار القارئ، الطبعة الثالثة، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

٢٤ ـ مقتل الحسين، عبد الرزاق المقرم، دار الكتاب الإسلامي، بيروت، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٢٥ ـ مقتل الحسين عليه السلام، لوط بن يحيى (أبو مخنف)، دار المحجّة البيضاء، بيروت، الطبعة الأُولى، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

٢٦ ـ موسوعة العتبات المقدّسة، جعفر الخليلي، مؤسّسة الأعلمي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٢٧ ـ نظرية الحقول الدلالية، هيفاء عبد الحميد كلنتن، أُطروحة دكتوراه، جامعة أُم القرى، كلّية اللغة العربية، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١ م.

٢٨ ـ وسائل الشيعة، محمد بن الحسن الحرّ العاملي (ت١١٠٤هـ)، تحقيق ونشر: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم ـ إيران، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.

فلسفة التأكيد على زيارة الإمام الحسين عليه السلام في المناسبات الدينية

الشيخ عبد الرزاق الندّاوي*

المقدّمة

يُزار الإمام الحسين عليه السلام في مناسبات عديدة دينية توزّع على أشهر السنة، وربما في بعض الأشهر له زيارتان أو ثلاث مخصوصة، كما هو الحال في رجب وشعبان، وإذا أردنا أن نسير مع الشهور الهجرية من أوّلها لنعرف عدد تلك الزيارات، فنقول:

(١) زيارة عاشوراء، ويُزار بها في العاشر من المُحرَّم الذي هو يوم مصرعه عليه السلام.

(٢) زيارة الأربعين، ويُزار بها في العشرين من صفر، الذي هو يوم رجوع السبايا من الشام لزيارة قبره الشريف على ما هو المشهور.

(٣) زيارة الأوّل من رجب.

(٤) زيارة النصف من رجب.

(٥) زيارة النصف من شعبان.

(٦) زيارة ليالي القدر.

(٧) زيارة العيدين (الفطر، والأضحى).

(٨) زيارة عرفة، وهو اليوم التاسع من ذي الحجّة.

(٩) زيارته عليه السلام ليلة الجمعة[1].

---

* باحث وكاتب إسلامي، من العراق.

(١) أُنظر: الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج١٤، ص٤٧٩.

تمهيد

يجدر بنا الإشارة إلى عدّة ملاحظات في هذا التمهيد، وهي:

الملاحظة الأُولى: إنّ بعض هذه الزيارات اندمجت في عنوان واحد، مثل زيارته عليه السلام ليالي القدر، يعني يُزار بها في ثلاث مناسبات باعتبار أنّ ليالي القدر ثلاثة، وأنَّ بعض هذه المناسبات مطلوبة الزيارة فيها ليلاً ونهاراً، كالعيدين، فتكون النتيجة أربع زيارات، وعليه؛ تتضاعف زيارته عليه السلام أكثر من العدد آنف الذكر، وبإضافة استحباب زيارته عليه السلام في كلِّ ليلة جمعة، فإنَّه يمكن القول: بأنَّه عليه السلام يُستحب زيارته في ما يقرب من السبعين مرّة في السنّة، فإذا لاحظنا استحباب زيارته في مطلق الأوقات فحدِّث ولا حرج.

الملاحظة الثانية: إنّ تحديد الزيارة في هذه المناسبات ـ بحسب الروايات ـ جاء على لسان أهل البيت عليهم السلام، كما سيأتي، ممَّا يُعطيها مشروعية، ويترتب على ذلك الأجر والثواب لفاعليها.

الملاحظة الثالثة: إنّ هناك مواسم ومناسبات يُزار بها الحسين عليه السلام لم يرد فيها نصّ، ولكنّ المؤمنين دأبوا على ذلك، كاليوم الثالث عشر من محرَّم الذي هو يوم دفن أجساد الشهداء، واليوم الثالث من شعبان الذي هو يوم ولادته عليه السلام؛ إذ لم يرد فيه نصّ صريح باستحباب الزيارة سوى الدعاء المعروف: «**اللهمَّ إنِّي أسأل بحقِّ المولود في هذا اليوم الموعود بشهادته...**»[1]، وغيرها، ممَّا يمكن أن يندرج في استحباب زيارته في مطلق الأوقات.

الملاحظة الرابعة: التأكيد على زيارته من بُعد لـمَن لا يتمكّن من زيارته عن قُرب وفي كلِّ يوم، كما جاء في الوسائل: «**عن علقمة، عن أبي جعفر عليه السلام أنّه ذكر له ثواب زيارة الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء، فقال له: فما لـمَن كان في بعيد البلاد وأقاصيه**

(١) القمّي، عباس، مفاتيح الجنان: ص٢٧٠.

ولم يمكنه المصير إليه في ذلك اليوم؟ فقال: إذا كان كذلك برز إلى الصحراء أو صعد سطحاً مرتفعاً وأومأ إليه بالسلام، واجتهد في الدعاء على قاتله، وصلّى من بعد ركعتين، وليكن ذلك في صدر النهار من قبل أن تزول الشمس، ثمّ ذكر زيارة طويلة، ثمّ قال: وإن استطعت أن تزوره كلّ يومٍ من دارك بهذه الزيارة فافعل»[1].

الملاحظة الخامسة: التأكيد على إحياء تلك المناسبات، من خلال ذكر الأجر الجزيل لزيارته عليه السلام بما قد يفوق التصوّر، وقد يَعدّه بعضٌ مبالغاً فيه، كما ورد في النص القائل: إنّ مَن زاره عليه السلام في الأوّل من رجب غُفر له البتّة[2]، أو كما ورد في زيارة عاشوراء، «**عن أبي جعفر عليه السلام قال: مَن زار الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء من المُحرَّم حتّى يظلّ عنده باكياً لقي الله عزّ وجلّ يوم يلقاه بثواب ألفي حجّة، وألفي عُمرة، وألفي غزوة، وثواب كلِّ حجّة وعمرةٍ وغزوةٍ كثواب مَن حجَّ واعتمر وغزا مع رسول الله صلى الله عليه وآله**»[3].

كلُّ هذه النصوص وغيرها كان لها الأثر الكبير في شدِّ المؤمنين إلى أبي عبد الله الحسين عليه السلام والمواظبة على زيارته.

دوافع التأكيد على زيارة الإمام الحسين عليه السلام

قد يُسأل: ما هو الداعي لكلِّ هذا التأكيد على زيارة سيِّد الشهداء عليه السلام؟ وما هي فلسفة تكرار وتعدد زياراته عليه السلام؟ حتّى عُدِّت زيارته ظاهرة من ظواهر المجتمع ومعلماً من معالم الطائفة الشيعية، بل تُعدُّ بعضُ زياراته عليه السلام حدثاً عالمياً؛ إذ يقصده الناس من جميع الملل والنحل، ومن مختلف البلدان والأقطار، كما في زيارة الأربعين التي دخلت موسوعة (غينس للأرقام القياسية ـ *Guinness World Records*) كأكبر تجمع بشري في العالم.

---

(١) الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج١٤، ص٤٩٥.
(٢) أُنظر: الشجري، محمد بن علي، فضل زيارة الحسين: ص٧٦.
(٣) الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج١٤، ص٤٧٧.

وفي مقام الجواب نستطيع أن نقول: إنّ هناك مجموعة من الدوافع لكلِّ هذا التأكيد، نستطيع أن نجملها بأُمور عديدة:

الأمر الأوّل: دوافع أُخروية.

الأمر الثاني: دوافع عاطفية.

الأمر الثالث: دوافع تعبوية.

الأمر الرابع: دوافع معنوية.

الأمر الخامس: دوافع اجتماعية.

الأمر السادس: دوافع تربوية.

والآن سنفصِّل القول تحت هذه العناوين.

الأمر الأوّل: الدوافع الأُخروية

والهدف منها ربط الإنسان بالنشأة الأُخرى، فإنّه ممّا لا ريب فيه أنّ الدنيا دار ممّر والآخرة دار الحيَوان والمقرُّ، كما ثبت في الكتاب العزيز وجملة من الأخبار[1]، فمن الحري بالإنسان أن يصبّ اهتمامه على آخرته، ومن هنا نجد الكتاب العزيز والسنّة المطهّرة يؤكّدان على أهمّية ذلك، ومن جملة التأكيدات الوقوف على القبور؛ وذلك لأنّ زيارة القبور بشكل عام فيها العِظة والعبرة، فإنّ الفرد إذا وقف على أيّ قبرٍ وتأمّل قليلاً بأنّ هذه هي النهاية الحتمية لكلِّ ذي نفس، كما قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾[2]، فإنّه سوف يُعيد حساباته في علاقاته وفي دنياه وأُخراه، وهذا يؤدِّي إلى نفعه في عدم التجاوز على الآخرين وعلى حقوقهم؛ لأنّ ما بعد هذه الحياة موت، وقبر، وحساب، وثواب، وعقاب.. وكأنّ هذه الوقفة على القبر تُعطيه جرعة

(١) عن أمير المؤمنين عليه السلام: «أيّها الناس إنّما الدنيا دار مجاز، والآخرة دار قرار، فخذوا من ممَرّكم لمقرّكم». نهج البلاغة، خطب الإمام علي، شرح محمد عبده: ج٢، ص١٨٣.

(٢) آل عمران: آية١٨٥.

وعي، كما يروي حفص بن غياث النخعي، قال: سمعت موسى بن جعفر عليهما السلام عند قبر وهو يقول: «**إنّ شيئاً هذا آخره لحقيق أن يُزهد في أوله، وإنّ شيئاً هذا أوّله لحقيق أن يُخاف آخره**»(١)، يعني إذا كانت الدنيا نهايتها الموت فالزهد فيها أَوْلى، وإذا كانت الآخرة أوّلها الموت فالحذر ممَّا بعده أحجى.

ومن هنا؛ جاء الأمر من النبي صلى الله عليه وآله بزيارة القبور، فقد رُوي عنه صلى الله عليه وآله أنّه قال: «**نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها**»(٢).

ولأجل حثِّ المسلمين على زيارة القبور وأخذ العِظة والعبرة منها كان النبي صلى الله عليه وآله يزور قبور البقيع، ففي صحيح مسلم: «**إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أتى المقبرة، فقال: السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنّا إن شاء الله بكم لاحقون**»(٣).

وكانت فاطمة عليها السلام تزور قبور شهداء أُحد، فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**عاشت فاطمة عليها السلام بعد أبيها خمسة وسبعين يوماً لم تُرَ كاشرة ولا ضاحكة، تأتي قبور الشهداء في كلِّ جمعة مرّتين الإثنين والخميس**»(٤).

وفي المستدرك «**عن علي بن الحسين، عن أبيه: إنّ فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وآله كانت تزور قبر عمِّها حمزة كلّ جمعةٍ، فتصلِّي وتبكي عنده**»(٥).

وبملاحظة هذه الأحاديث نجد أنّ في زيارة القبور تذكرة ورقّة للقلب، وعِظة وعِبرة، وهذا يكفي لأن يكون داعٍ معنوي للوقوف على القبور وزيارتها. ومن الطبيعي أنّ هذه الآثار تحصل في زيارة قبور الأفراد العاديين، وفي زيارة قبور العظماء، لكن هنا تكون الآثار أوضح وأوكد، فإنّ الفرد حينما يقف ـ مثلاً ـ على قبر رسول الله صلى الله عليه وآله،

(١) الصدوق، محمد بن علي، الخصال: ص٣٤٣.
(٢) النيسابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم: ج٣، ص٦٥. وأُنظر: الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج١٤، ص١٧٠.
(٣) النيسابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم: ج١، ص١٥٠.
(٤) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٣، ص٢٢٨.
(٥) الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله، المستدرك: ج١، ص٣٧٧.

ويتأمّل في هذا القبر الذي يضمّ خير الخلق، فإنّ ذلك سوف يترك في نفسه أثراً عميقاً يشدّه بآخرته، وهكذا الحال بالنسبة لقبر سيِّد الأوصياء وسيِّد الشهداء عليهما السلام، وبقيّة قبور أهل البيت عليهم السلام.

هذا، بالإضافة إلى أنّ من حقِّ بعض الأموات أن تبقى العلاقة بهم مستدامة ولا تنقطع بموتهم، وقد حثّت الشريعة على زيارتهم والتواصل معهم، بل إنّ ترك زيارتهم يُعدُّ من الجفاء الممقوت، ومن أمثلة ذلك:

١ـ النبيّ الخاتم الأعظم صلى الله عليه وآله، فقد ورد عنه صلى الله عليه وآله: «**مَن أتى مكّة حاجّاً ولم يزرني إلى المدينة جفوته يوم القيامة، ومَن أتاني زائراً وجبت له شفاعتي، ومَن وجبت له شفاعتي وجبت له الجنّة**»(١).

٢ـ المعصومون عليهم السلام **عموماً**، فإنّ من حقِّهم علينا زيارة قبورهم، واستمرار التواصل معهم، بل عُدّت زيارة الحسين عليه السلام ـ خصوصاً ـ من حقوق رسول الله صلى الله عليه وآله كما نسمع في الرواية عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: «**لو أنّ أحدكم حجّ دهره، ثمّ لم يزر الحسين بن علي** عليهما السلام **لكان تاركاً حقّاً من حقوق رسول الله** صلى الله عليه وآله**؛ لأنّ حقّ الحسين** عليه السلام **فريضة من الله واجبة على كلِّ مسلم**»(٢).

٣ـ الوالدان، فقد رُوي عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال: «... **ووالديك فأطعهما وبرَّهما حيّين كانا أو ميّتين**»(٣)، وإنّ ممّا لا ريب فيه أنّ زيارة قبريهما يُعدُّ من البرِّ بهما. وقد زار النبي صلى الله عليه وآله قبر والدته عليها السلام، وورد عنه صلى الله عليه وآله: «**قد كنت نهيتكم عن زيارة القبور، فقد أُذن لمحمد في زيارة قبر أُمّه، فزوروها، فإنّها تذكِّر الآخرة**»(٤).

٤ـ الإخوان وقبور المؤمنين عموماً، فقد ذكرت جملة من الروايات أنّهم يأنسون

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٤، ص٥٤٨.
(٢) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص٢٣٨.
(٣) المصدر السابق: ج٢، ص١٥٨.
(٤) الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي: ج٢، ص٢٥٩.

بالزيارة ويستوحشون بتركها، فعن أبي عبد الله عليه السلام في زيارة القبور قال: «**إنَّهم يأنسون بكم، فإذا غبتم عنهم استوحشوا**»[1].

و«**عن إسحاق بن عمّار، عن أبي الحسن عليه السلام قال: قلت له: المؤمن يعلم بمَن يزور قبره؟ قال: نعم، ولا يزال مستأنساً به ما دام عند قبره، فإذا قام وانصرف من قبره دخله من انصرافه عن قبره وحشة**»[2].

الأمر الثاني: الدوافع العاطفية

ويُراد منها تحويل الإيمان من فكر إلى إحساس؛ وذلك لأنّ الإنسان نتاج أمرين: الطين، والنفخة الإلهية، كما قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾[3]، ومن خلال هذه الطبيعة التكوينية فإنَّه يتأثر بالحسّ؛ وعلى هذا الأساس نلاحظ أنّ هناك مجموعة من العبادات أعطاها المشرِّع بُعداً حسيّاً، مثلاً رفض الشيطان ومحاربته، فقد عبَّر عن هذه الفكرة بجمع الحجَّاج للحصيات ورمي الجمار في الحجِّ، وكذلك خلع الثياب والغُسل ولبس ثوبي الإحرام، فإنّه تعبير عن خلع ثياب المعصية والتطهُّر من الذنوب ولبس ثياب الطاعة، وكذلك الهدي، فإنّه تعبير عن التضحية، وهكذا كما ورد في حديث الشبلي عن الإمام زين العابدين[4].

ومن هنا؛ وبالمنطلق نفسه جاءت شعائر الحسين عليه السلام، من الزيارة، والمأتم، والدمعة، والصرخة، وغيرها من الشعائر التي حثّ عليها أهل البيت عليهم السلام، فإنّ فلسفة جميع هذه الصور الشعائرية واحدة، وهي: أن تنقل الحسين عليه السلام من صورة فكرية إلى صورة حسِّية، ففي الزيارة ـ مثلاً ـ عندما يقف الزائر على القبر الشريف

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٣، ص٢٢٨.
(٢) المصدر السابق.
(٣) ص: آية٧١ ـ ٧٢.
(٤) أُنظر: البروجردي، حسين، جامع أحاديث الشيعة: ج١٠، ص٣٧٠.

فإنّه يعيش أجواء الحسين عليه السلام[1] وهو يخاطبه: «**أشهد أنّك قُتلت مظلوماً**»[2]، «**أشهد أنّ دمك قد سكن في الخلد**»[3]، «**أشهد لقد اقشعرت لدمائكم أظلّة العرش مع أظلّة الخلائق، وبكتكم السماء والأرض، وسكان الجنان، والبرّ، والبحر**»[4].

وهذا من الجوانب التي أكّدها القرآن الكريم؛ إذ لا يمكن أن يكتفي الإنسان بأن يؤمن بالله تعالى من خلال الأدلّة العقلية، بل لا بدّ من إنزال هذا الإيمان إلى عالم القلب والروح، لا بدّ من الاندفاع نحو الله تعالى بالعاطفة والحبِّ، كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾[5]، وقال عزَّ من قائل: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِ ﴾[6].

الأمر الثالث: الدوافع التعبوية

تُعتبر العبادات الجماعية من أهمّ القنوات التي تشدُّ عُرى العلاقة بين أبناء الأُمَّة، وتزيل الفوارق والاحتقانات؛ لأنَّ اللقاء لا يدع مجالاً لأهل النفاق وأهل النميمة في أن يدقّوا إسفين الفرقة بين المؤمنين، ومن هنا كانت هناك جملة من العبادات التي تُؤدَّى بشكل جماعي، كالحجِّ، والجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وصلاة الجماعة.. وغيرها، والزيارة هي واحدة من العبادات التي تحقّق هذه النتيجة، وتكرارها يزيد من توثيق العلاقة بين الإمام عليه السلام ومحبِّيه من جهة، وبين المؤمنين أنفسهم من جهة أُخرى.

---

(١) أُنظر: الخباز، منير، بحث بعنوان الفلسفة الروحية لزيارة الحسين، على موقعه في الشبكة العنكبوتية: *(https://www.almoneer.org)*.

(٢) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ٤٠٦.

(٣) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٤، ص٥٧٦.

(٤) ابن طاووس، علي بن موسى، إقبال الأعمال: ج٣، ص٣٤٢.

(٥) المائدة: آية٥٤.

(٦) البقرة: آية١٦٥.

والواقع يشهد بأنّ الكثير من العلاقات والصداقات نشأت من خلال هذه الزيارات التي تجمع المؤمنين من بلدان ومناطق مختلفة، فهدف الزيارة من هذه الناحية كهدف الحجِّ الذي هو عبادة، وبالوقت نفسه انفتاح على كلِّ المسلمين من شتّى أقطار الأرض.

هذا بالإضافة إلى أنّ بعض الزيارات ـ كالأربعينية ـ فيها الشيء الكثير من التعب والنَّصَب والعناء، والسهر، وتحمُّل البرد والحرّ، والإنفاق، وقطع الفيافي بالمشي لمسافات طويلة، وهذا فيه نوع من التدريب ـ لو صحَّ التعبير ـ على تحمُّل المشاق، وهو أمر ندبت إليه الشريعة، كما وصف ضرار بن ضمرة أميرَ المؤمنين عليه السلام بأنّه: «**يُعجبه من اللباس ما خشُن، ومن الطعام ما جشُب**»[1]، وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله: «**اخشوشنوا فإنَّ النعم لا تدوم**»[2].

الأمر الرابع: الدوافع المعنوية

إنّ مشاهد المعصومين عليهم السلام المشرّفة ومنها مرقد الإمام الحسين عليه السلام من مضان استجابة الدعاء، ونيل الشفاعة، فقد «**رُوي أنّ الله عوّض الحسين عليه السلام من قتله أربع خصال: جعل الشفاء في تربته، وإجابة الدعاء تحت قبّته، والأئمَّة من ذرّيته، وأن لا تُعدّ أيّام زائريه من أعمارهم**»[3]. وهكذا بقيَّة مراقد أهل البيت عليهم السلام، قال الدميري: «... **وكان الإمام الشافعي يقول: قبر موسى الكاظم الترياق المجرَّب**»[4]، يعني في استجابة الدعاء. ومَن منَّا لا يطمح في نيل شفاعتهم عليهم السلام، وقضاء حوائجه بالتوسّل إلى الله تعالى بحقِّهم ومقامهم، وقد قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ

(١) الديلمي، الحسن بن محمد، إرشاد القلوب: ج٢، ص٢١٨.
(٢) السجستاني، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داوود: ج٢، ص٢٨١، الهامش.
(٣) الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج١٤، ص٥٣٧.
(٤) الدميري، محمد بن موسى، حياة الحيوان الكبرى: ج١، ص١٨٩.

﴿ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾[1]. فقد جاء في تفسير القمّي أنّ معنى الوسيلة: «**تقرَّبوا إليه بالإمام**»[2]. ونحن نعتقد أنَّ حُرمة ومقام الإمام وهو ميّت كحُرمته ومقامه وهو حيّ، وقد أكّدت الروايات هذا المعنى، فعن النبي صلى الله عليه وآله: «**مَن زارني بعد وفاتي كان كمَن زارني في حياتي، وكنت له شهيداً وشافعاً يوم القيامة**»[3].

الأمر الخامس: الدوافع الاجتماعية

دأبت الأُمم والشعوب والمجتمعات على تخليد رموزها وقادتها وعظمائها، ببناء أضرحتهم، أو إحياء مناسباتهم، أو نصب التماثيل لهم، أو الوقوف على قبورهم، بل إنّ بعض الدول تُقيم لهم احتفالات رسمية، وتضع أكاليل الزهور على أضرحتهم، ولسنا بِدعاً من المجتمعات، إلّا فيما خالف الشرع.

وكمثال بسيط على ذلك: رياضة الماراثون التي تُقام تخليداً لأحد المقاتلين اليونانيين (فيديبيدس)، الذي جرى مسافة قدرها (٤٠) كيلو متراً من ماراثون إلى أثينا؛ ليحمل إلى أهلها نبأ انتصارهم على خصومهم، وبعد أن أخبرهم بالموضوع مات من التعب والإرهاق. ثمّ دخلت هذه الرياضة عالم الأولمبياد واعتبرت رياضة رسمية عالمية، وكان السباق يبدأ من جسر قرية ماراثون إلى أثينا وهي المسافة نفسها التي قطعها (فيديبيدس)[4].

فماذا فعل هذا الرجل لأُمَّته غير أنَّه حمل لهم نبأ النصر، وهل يُقاس هذا الفعل البسيط بما قدَّمه سيِّد الشهداء عليه السلام من البذل والعطاء والتضحيات الجسام؛ من أجل عِزَّة الأُمَّة وكرامتها وحياتها، فلماذا يُعاب علينا إن مشينا كيلومترات عديدة تخليداً

(١) المائدة: آية٣٥.
(٢) القمّي، علي بن إبراهيم، تفسير القمّي: ج١، ص١٦٨.
(٣) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص٤٥.
(٤) اُنظر: الشبكة العنكبوتية، ويكيبيديا، مادّة (ماراثون).

لذكراه عليه السلام، وإحياء لأمره، والتزاماً بما رفعه من قيم قدَّم في سبيلها دمه الطّاهر. هذا بغضّ النظر عمَّا ورد في استحباب زيارته عليه السلام سيراً على الأقدام، فقد جاء في الخبر عن الحسين بن ثوير بن أبي فاختة، قال: «**قال أبو عبد الله عليه السلام: يا حسين، مَن خرج من منزله يُريد زيارة قبر الحسين بن علي عليهما السلام إن كان ماشياً كتب الله له بكلِّ خطوةٍ حسنةٍ ومحا عنه سيئة، حتّى إذا صار في الحائر كتبه الله من المفلحين المنجحين، حتّى إذا قضى مناسكه كتبه الله من الفائزين، حتّى إذا أراد الانصراف أتاه ملك فقال: إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله يُقرؤك السلام، ويقول لك: استأنف العمل، فقد غُفر لك ما مضى**»[1].

وبغضّ النظر عن أنَّ هذه الممارسات تنسجم مع سيرة المجتمعات وهي سيرة فطرية، فإنَّها أُمور ندبت إليها الشريعة، كما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث الأربعمائة: «**إنَّ الله تبارك وتعالى اطّلع إلى الأرض فاختارنا، واختار لنا شيعة، ينصروننا ويفرحون لفرحنا، ويحزنون لحزننا، ويبذلون أموالهم وأنفسهم فينا، أولئك منَّا وإلينا...**»[2].

الأمر السادس: الدوافع التربوية

من أهمّ الدوافع التي تدعو إلى التأكيد على الزيارة هي الآثار التربوية المترتبة على زيارته عليه السلام وذلك، من ناحيتين:

الناحية الأُولى

إنّ نصوص زياراته عليه السلام فيها تعريف للزائر على جملة من المعارف الدينية من العقائد، والأحكام، والأخلاق، والقِيم النبيلة، والأفكار العالية المعاني، التي سعى الأئمَّة عليهم السلام إلى تضمينها في نصوص الزيارات، ولا يمكننا الوقوف على جميع تلك القِيم والمعاني في هذه المقالة المختصرة؛ لكثرة النصوص الواردة في زياراته عليه السلام المطلقة

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص٢٥٣.
(٢) الصدوق، محمد بن علي، الخصال: ص٦٣٥.

والمخصوصة، وغزارة المعاني المتضمّنة لها، ولكن ذلك لا يعفينا من ذكر بعض الومضات، وذلك ضمن ثلاث نقاط:

النقطة الأُولى: إنّ زيارة وارث ـ مثلاً ـ مفتتحة بدعاء يَعترف فيه الزائر بأنّ الله تعالى هو خير وأكرم مقصود، ويدعو بفكاك رقبته من النار، ثمَّ يُثني بالحمد والثناء والشكر لله تعالى، فيقول: «**الله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً، وسبحان الله بكرةً وأصيلاً، والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنَّا لنهتدي لولا أن هدانا الله، لقد جاءت رُسل ربِّنا بالحقِّ**»[1].

ولا ينتهي العجب ممَّن يزعم أنّ زيارة الحسين عليه السلام أو الأئمّة الطاهرين عليهم السلام هي مظهر من مظاهر الشرك! ليت شعري أين هو الشرك وهذه ألفاظ الزيارة جلية بالتوحيد والدعوة إلى عبادة الله تعالى والارتباط به؟!

النقطة الثانية: في أيِّ صراعٍ بين الحقِّ والباطل، وفي أيِّ مقطعٍ من الزمن، لا بدَّ من التضحية من أجل القِيم العليا التي يريدها الله تعالى، ولهذا كان من الطبيعي أن تتّصف النهضة الحسينية بالجهد والعناء، ويتحمَّل أبطالها التعب والنَّصَب، والتضحية في سبيل الله بالغالي والنفيس، ولقد كانت هذه التضحيات على غرار تضحيات الأنبياء في مواجهة طغاة زمانهم، فقد عانوا من التشريد والتقتيل والسجون على ما حدَّث به التاريخ والكتاب العزيز.

فالإمام الحسين عليه السلام قد قدَّم كلَّ تلك التضحيات الجسام، وأرخص دمه الطاهر لا لشيء سوى نيل مرضاة الله تعالى؛ ومن هنا أصبح ثأر الله كما نقرأ في زيارة وارث: «**السلام عليك يا ثار الله وابن ثاره والوتر الموتور...**»[2]. فإنّ الثأر في اللغة هو الدم، فإذا قيل: إنّ لزيد عند عمرو ثأراً، يعني أنَّه يطلبه دماً بسبب قتله لأحد أقربائه. فكيف أصبح الحسين عليه السلام ثأر الله تعالى، والله عزّ وجلّ لا قرابة بينه وبين أحد؟

(١) الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتهجّد: ص٧١٩.
(٢) المصدر السابق: ص٧٢١.

وجوابه: لأنَّه عليه السلام انتفض من أجل الله تعالى، ومن أجل إحياء دينه، لا من أجل مطامع دنيوية، ولا مكاسب شخصية، فكانت النتيجة أنّ الله تعالى قد تكفَّل بالمطالبة بدمه الطاهر، وقد ادَّخر عز وجل لذلك الثأر الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، كما يقول ابن العرندس:

فليس لأخـــذ الثار إلّا خليفة ... يكون لكسر الدين من عدله جبر

وأمّا (**الوتر**) فهو العدد الذي لم يشفع، أو هو الفرد الذي لا نظير ولا شبيه ولا ندَّ له، وبهذا الاعتبار يمكن فهم العبارة على أنحاء عديدة، منها: أنَّه عليه السلام لا نظير له في الكمال والمقام في الدنيا، فهو إمام ابن إمام أخو إمام وأبو الأئمَّة عليهم السلام، وهو شهيد وابن شهيد وأبو الشهداء، وجدّه الرسول صلى الله عليه وآله وأُمَّه البتول عليها السلام وجدَّته خديجة عليها السلام، وهذه الخصال لم تجتمع في شخص آخر. ومنها: أنَّه عليه السلام لا نظير له في حجم الرزايا والمصاعب التي أَلَمَّت به. ومنها: أنَّه لا نظير له في مكانته الأُخروية التي يغبطه عليها النبيُّون والصدِّيقون والشهداء والصالحون.

وأمَّا (**الموتور**) فهو المفجوع الذي قُتل أحباؤه، وأيُّ فجيعةٍ أعظم من فجيعته عليه السلام، فقد قُتل أبناؤه وإخوته وبنو إخوته وبنو عمومته وأصحابه وجميع أهل بيته، ثمّ ترك عياله بين خيل ورجال ونار، ثمَّ ذُبح كما يُذبح الكبش عطشاناً.

النقطة الثالثة: نقرأ في زيارة وارث أيضاً: «**أشهد أنَّك قد أقمت الصلاة، وآتيت الزكاة، وأمرت بالمعروف، ونهيت عن المنكر، وأطعت الله ورسوله حتّى أتاك اليقين**»[1].

وفي هذا المقطع أُمور:

منها: أنَّه شهادة للإمام الحسين عليه السلام بإقامة الدين؛ لأنَّ الصلاة عمود الدين وإقامتها إقامته.

ومنها: أنَّ الشهادة له عليه السلام بإيتاء الزكاة هي شهادة له عليه السلام برعاية الفقراء

(١) الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتهجّد: ص٧٢٠.

والمساكين؛ لأنَّ من أهمّ مواردها هذين الصنفين، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾[1].

ومنها: إنَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، من أهمّ الوظائف التي تحفظ القيم واستقامة المجتمع، فهاتان الوظيفتان بمنزلة الرئة التي تتنفس منها سائر الفرائض، فإذا ضاعا ضاع كلُّ شيء، وهلك الجميع، كما ورد في خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام أنَّه قال: «**أمَّا بعدُ، فإنّه إنّما هلك مَن كان قبلكم حيث ما عملوا من المعاصي، ولم ينههم الربّانيون والأحبار عن ذلك، وإنَّهم لـمّا تمادوا في المعاصي ولم ينههم الربَّانيون والأحبار عن ذلك، نزلت بهم العقوبات، فامروا بالمعروف وانهوا عن المنكر واعلموا أنَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لم يقرّبا أجلاً، ولم يقطعا رزقاً**»[2].

فعندما يقف الزائر وهو يرتِّل هذه العبارة فإنّه يشهد للإمام بأنَّه من أئمَّة الحقِّ والهدى الذين لم يداهنوا ولم يجاملوا على حساب الحقِّ، ولم تأخذهم في الله لومة لائم. كما أنَّ في ذلك تلقين غير مباشر للزائر نفسه بأن يكون من الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر؛ إذ لا معنى لأن يقف أمام الحسين عليه السلام ويقرُّ بأنَّه إمامه ومقتداه ولا يتأسّى به.

الناحية الثانية

إنَّ الوقوف على القبر الشريف يُجلي الدروس العظيمة التي جسَّدتها معركة الطفّ، وما أكثرها، والتي تُجلي جمال الموقف، كما عبَّرت العقيلة زينب عليها السلام حين سألها الطاغية ابن مرجانة: «**كيف رأيتِ صنع الله بأهل بيتك؟ قالت: ما رأيت إلّا جميلاً**»[3].

(١) التوبة: آية ٦٠.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٥، ص٥٧.

(٣) ابن نما الحلّي، جعفر بن محمد، مثير الأحزان: ص٧١.

وكأنَّها عليها السلام أرادت أن تقول: إنّ لهذه الواقعة وجهان: وجه بشع، وهو الاستهتار بالقيم، والجريمة، والوحشية، وقتل الأطفال، وسبي النساء.. وهو الوجه الذي يمثِّله معسكر الأعداء.

والوجه الآخر، هو الوجه الجميل الذي مثَّله الحسين وأهل بيته عليهم السلام بما قدَّموه من تضحيات ومعانٍ سامية، وهي ترى هذا الوجه الذي هو موضع فخر واعتزاز؛ لأنَّه تجلّت فيه الكثير من الدروس والعبر، ومنها:

أولاً: تقديم المصلحة العامَّة على المصلحة الخاصّة، حتّى لو استوجب ذلك التضحية بالنفس والمال والولد، فإنّ المقدّسات وكيان الأُمَّة والمجتمع لا يمكن أن تُحفظ إذا كان كلُّ فردٍ من أفراد المجتمع لا يفكِّر إلّا بمصلحته الخاصّة، هذا مع ملاحظة أنّ هذه التضحية ليست بالسهلة، والشخص المضحِّي ليس بالشخص العادي، فهو سنام الدين، وركن الإيمان، وقائد المسيرة، ومع ذلك كان يرى أنّ التضحية بنفسه الطاهرة من أجل المصلحة العُليا هي الأهمُّ، وعلى هذا الأساس قامت فريضة الجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والفرائض المالية كالخمس والزكاة؛ لأنَّها نوع من التضحية بالمصلحة الخاصّة من أجل المصلحة العامّة.

ثانياً: يُعلِّمنا الإمام الحسين عليه السلام ـ بترك الحجِّ والخروج يوم التروية وبينه وبين الوقوف بعرفة يوم واحد ـ بأنّ فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أهمُّ بكثير من فريضة الحجِّ، وأنَّه لا قيمة للحجِّ والمجتمع منحرف والمنكرات متفشِّية، فلا قيمة لمجموعة حُصيات يُرمى بها رمز الشيطان والشيطان يحكم، ولا قيمة لكبش يُضحَّى به في الحجِّ مع عدم الاستعداد للتضحية بالنفس، ولا قيمة لخلع الملابس ولبس ثوبي الإحرام من دون خلع ثوب المعصية ولبس ثوب الطاعة، ولا قيمة للطواف حول البيت والمرء يتمحور حول الأنا والنفس الأمّارة بالسوء وشهواتها، ولا قيمة للسعي بين الصفا والمروة دون السعي لإصلاح ما أفسده الظالمون والفاسدون، فإنّ جميع

هذه الشعائر وغيرها لها أبعاد باطنية ـ كما في حديث الشبلي[1] ـ ينبغي أن تنعكس على سلوك الحاجِّ.

ثالثاً: نتعلّم من الإمام الحسين عليه السلام أنّ قيمة الحياة في أن يعيش الإنسان حرَّاً، وأمَّا العيش مع الظالمين فهو أشبه بالسجن، فيكون الموت أحجى؛ لأنّ الإنسان يُدرك به الـمُنى بلقاء ربٍّ كريمٍ، كما ورد عنه عليه السلام: «**أَلا ترون إلى الحقِّ لا يُعمل به، وإلى الباطل لا يُتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء الله محقّاً، فإنّي لا أرى الموت إلّا سعادة والحياة مع الظالمين إلّا برماً**»[2] أي: ضيقاً وكبتاً.

رابعاً: نتعلَّم من الإمام الحسين عليه السلام كيف نحافظ على التكاليف الإلهية في أحرج المواقف وأصعبها؛ إذ نسمع أبا ثمامة الصيداوي يقول للحسين عليه السلام: «**يا أبا عبد الله، نفسي لنفسك الفداء، هؤلاء اقتربوا منك ولا والله لا تُقتل حتّى أُقتل دونك، وأُحبُّ أن ألقى الله ربِّي وقد صلَّيت هذه الصلاة. فرفع الحسين عليه السلام رأسه إلى السماء وقال: ذكرتَ الصلاة جعلك الله من المصلِّين الذاكرين، نعم، هذا أوّل وقتها. ثمَّ قال: سلوهم أن يكفُّوا عنَّا حتّى نصلي...**»[3]، ثمَّ شمَّر عن ساعديه للصلاة بأصحابه والسهام تنزل عليهم كرشق المطر.

خامساً: نتعلَّم من الحسين عليه السلام درساً في الغيرة والحمية على الأهل والعيال؛ إذ نسمع من المؤرّخين أنَّه عليه السلام بعد أن أصابه العطش حمل عليه السلام نحو الفرات على عمرو بن الحجاج ـ وكان في أربعة آلاف ـ فكشفهم عن الماء، وأقحم الفرس الماء، فلمَّا مدَّ الحسين عليه السلام يده ليشرب ناداه رجل: أتلتذّ بالماء وقد هُتكت حرمُك؟! فرمى الماء ولم يشرب، وقصد الخيمة[4].

(١) أُنظر: الريشهري، محمد، الحجُّ والعمرة في الكتاب والسنّة: ص٢٦٠.
(٢) ابن نما الحلّي، جعفر بن محمد، مثير الأحزان: ص٣١.
(٣) الأمين، محسن، لواعج الأشجان: ص١٥٥.
(٤) أُنظر: البياتي، جعفر، الأخلاق الحسينية: ص٢٥٥.

وكان بإمكانه عليه السلام أن يشرب، فالمسألة لا تتعدّى سوى بضع ثوان، ولكنَّ غيرته أبت أن يسمع ذلك النداء ويشرب، ولئلّا يُسجِّل التاريخ أنَّه شغله شرب الماء عن عياله وحريمه.

سادساً: نتعلّم من الحسين عليه السلام درساً في الشجاعة والعنفوان، مع كثرة المصائب والصعوبات والضغوطات والتعب والنَّصَب، فلقد كانت الرزايا تنهمر عليه يوم العاشر كما ينحدر السيل من أعالي الجبال إلى السفوح والوديان، وكان عليه السلام يواجهها بشجاعة وبسالة ورباطة جأش، وقد شهد له بذلك الأعداء قبل الأصدقاء، «**قال عبد الله بن عمّار بن عبد يغوث: ما رأيت مكثوراً قطُّ قد قُتل ولده وأهل بيته أربط جاشاً منه، وإنْ كانت الرجال لتشدُّ عليه فيشدُّ عليها بسيفه فتنكشف عنه انكشاف المعزى إذا شدَّ فيها السبع، وكانوا ثلاثين ألفاً، فيحمل عليهم فينهزمون كأنَّهم الجراد المنتشر**»[1].

سابعاً: نتعلَّم من الحسين عليه السلام درساً في الرحمة والشفقة والرأفة بمَن حوله، وهذا له شواهد عديدة، منها: موقفه عليه السلام مساء اليوم التاسع من الـمُحرَّم مع أُخته العقيلة زينب عليها السلام عندما سمعته ينشد هذه الأبيات:

يـا دهـر أفٍّ لـك مـن خليـل ... كم لك بـالإشراق والأصيل
من طالب وصاحب قتيل ... والـدهـر لا يقنع بالبديل
وكـلُّ حـيٍّ سـالـك سبيل ... ما أقرب الوعد من الرحيل

وإنّـما الأمـر إلى الجليـل

فقالت عليها السلام: «**هذا كلام مَن أيقن بالقتل، وا ثكلاه! ليت الموت أعدمني الحياة، اليوم ماتت أُمِّي فاطمة، وأبي عليّ، وأخي الحسن، يا خليفة الماضين وثمال الباقين. فقال عليه السلام: يا أُختاه، لا يذهبنَّ حلمك الشيطان، تعزَّي بعزاء الله، فإنَّ أهل السماوات والأرض يموتون، وكلَّ شيء هالك إلّا وجهه**»[2].

(١) ابن نما الحلّي، جعفر بن محمد، مثير الأحزان: ص٥٤.
(٢) المصدر السابق: ص٣٥.

ومنها: موقفه مع ابنته سكينة، فقد رُوي أنَّه عليه السلام «**ودَّع النساء وكانت سكينة تصيح فضمَّها إلى صدره وقال:**

سيطول بعدي يا سكينة فاعلمي ... منك البكاء إذا الحِمام دهاني

لا تحرقي قلبي بدمعك حسرةً ... ما دام منِّي الروح في جثماني

وإذا قُتلت فأنتِ أَوْلى بالذي ... تأتينه يا خيرة النسوان»[1].

ثامناً: نتعلَّم من الحسين عليه السلام درساً في الصلابة والثبات على الموقف؛ إذ خطب في صبيحة العاشر من الـمُحرّم، فقال فيما قال: «**أَلا وإنَّ الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين: السلَّة والذلَّة وهيهات منَّا الذلَّة، يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون، وحجور طابت، وحجور طهرت، ونفوس أبيَّة، وأُنوف حميَّة، من أن نؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام، أَلا وإنِّي زاحف بهذه الأُسرة مع قلَّة العدد وكثرة العدو وخذلة الناصر**»[2].

تاسعاً: نتعلَّم من الحسين عليه السلام عدم إرادة سفك الدماء وإزهاق الأنفس، وعدم البدء بالقتال، وأنَّ الذي اضطَّره للقتال هو العدو، فكان فعله عليه السلام دفاعاً عن النفس والأهل، وخير شاهد على ذلك منعه عليه السلام لمسلم بن عوسجه من أن يرمي شمر بن ذي لجوشن بسهمٍ، فقال عليه السلام لمسلم: «**لا ترمهْ، فإنِّي أكره أن أبدأهم بقتال**»[3].

عاشراً: ونتعلَّم من الحسين عليه السلام الثورة على السلطان الجائر، فهو عليه السلام أوَّل مَن فتح باب الثورة على السلطان الجائر، وفي هذا المجال نسمع الطبري يروي في تاريخه أنَّ الحسين عليه السلام لَمَّا التقى بالحرِّ وأصحابه خطب فيهم قائلاً: «**أيُّها الناس، إنَّ رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلَّم قال: مَن رأى سلطاناً جائراً مُستحلاً لـحُرم الله، ناكثاً لعهد الله، مُخالفاً لسنّة رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلَّم، يعمل في عباد الله بالإثم**

(١) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج٣، ص٢٥٧.
(٢) ابن نما الحلّي، جعفر بن محمد، مثير الأحزان: ص٤٠.
(٣) الأمين، محسن، لواعج الأشجان: ص١٢٣.

والعدوان، فلم يغيِّر عليه بفعلٍ ولا قولٍ، كان حقّاً على الله أن يُدخله مدخله. أَلا وإنَّ هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد، وعطَّلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلُّوا حرام الله، وحرَّموا حلاله، وأنا أحقُّ مَن غير»[1].

هذه عشرة كاملة من الدروس والعِبر التي يستفيدها الزائر من الوقوف على قبر الإمام الحسين عليه السلام، ولو أردنا أن نستفيض بالحديث لزدنا على ذلك، ولطال بنا المقام.

فلأجل كلِّ هذه النقاط المضيئة والدروس والعِبر المزبورة كان الأئمَّة عليهم السلام يحثُّون على زيارة أبي عبد الله الحسين عليه السلام، ويعلِّمون شيعتهم ما يقولون وما يفعلون في الزيارة، بل ويزورون بأنفسهم تلك البقعة المقدّسة.

التكرار وأثره في النفس

بقي هنا شيء لا بدَّ من الوقوف عليه ولو مختصراً، وهو موضوع التكرار، فقد يقول قائل: أَلا يكفي أن يُزار الحسين عليه السلام في السنَّة مرّةً أو في العمر مرّةً كالحجّ؟ فلماذا تخصّص زيارات عديدة في مناسبات عديدة؟ بل لماذا كلُّ ليلة جمعة وفي مطلق الأوقات؟

وفي مقام الجواب نقول:

أولاً: لا شكَّ في أنَّ الحجَّ وإن كان الواجب منه مرّةً واحدةً في العمر، إلّا أنَّ استحباب التكرار غير محدود، بل ورد التعبير بـ(الإدمان) عليه في بعض الروايات، كما في الخبر عن أبي عبد الله عليه السلام: «... **وما رأيت شيئاً أسرع غنى، ولا أنفى للفقر من إدمان حجِّ هذا البيت**»[2]. كما أنّ العُمرة غير مختصَّة ببعض الشهور، بل هي مستحبة في مختلف الأوقات وفي الليل والنهار.

ثانياً: إنّ هناك الكثير من الأُمور التي لا يكتفى بها من أجل ترسيخها في الضمائر

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٤، ص٣٠٤.

(٢) الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج١، ص٢٧.

والأذهان بالمرّة الواحدة، ومن ذلك ـ مثلاً ـ تقديس عَلم البلاد، فإنَّه يُرفع هذا العلم أُسبوعياً أمام أنظار الطلبة ليتركّز في أذهانهم وفي ضمائرهم حبّه واحترامه وتقديسه، وكذلك النشيد الوطني يُعتبر شيئاً مقدَّساً في جميع أقطار الأرض، ويُتلى هذا النشيد في مختلف المحافل والمناسبات، ويُعتبر عدم الوقوف والإنصات أثناء تلاوته مخالفة يعاقب عليها القانون في بعض البلدان، كلُّ ذلك من أجل غرس حبِّ الوطن في قلوب الناس.

يقول الجاحظ: «**وجملة القول في الترداد: أنَّه ليس فيه حدّ ينتهي إليه ولا يؤتى إلى وصفه، وإنّما ذلك على قدر المستمعين له، ومَن يحضره من العوام والخواص، وقد رأينا الله عزّ وجلّ ردّد ذكر قصّة موسى، وهود، وهارون، وشعيب، وإبراهيم، ولوط، وعاد، وثمود، وكذلك ذكر الجنَّة والنار، وأُمور كثيرة؛ لأنَّه خاطب جميع الأُمم من العرب وأصناف العجم، وأكثرهم غبي غافل، أو معاند مشغول الفكر، ساهي القلب**»[1].

وفي هذا المجال يقال: إنّ الطالب ـ مثلاً ـ إذا قال: إنّ هذه المواد والدروس صعبة ولا يمكنني النجاح في هذا الامتحان، فقد حكم على نفسه بالفشل، في حين أنَّه لو كرَّر وردَّد على قلبه وذهنه باستمرار بأنّه سيجتاز الامتحان بجدارة وسهولة، فهذا التلقين سيُعطيه شحنة واندفاع نحو المثابرة والقراءة، وسيجتاز الامتحان حتّى لو كان صعباً بالفعل؛ وذلك لأنّ العقل الباطن سيُحفِّزه نحو تحقيق الهدف، وهكذا في كلِّ المجالات.

وكذلك الهدف من الزيارة هو غرس المعاني العليا والقيم النبيلة والعقائد الحقّة المذكورة في نصّ الزيارة، بالإضافة إلى الوقوف على الدروس والأخلاق التي جسَّدها الإمام عليه السلام، والتي تقدّم ذكرها، وهذا لا يتمُّ بزيارةٍ واحدةٍ، أو تلاوةٍ واحدةٍ لنصِّ الزيارة، بل لا بدَّ من التكرار حتّى تتجذَّر تلك القيم في الزائر نفسه، فتصنع منه إنساناً ذا قيم ومبادئ، فكلُّ زيارةٍ في الحقيقة تُضيف شيئاً للزائر غير الزيارة السابقة،

(١) الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والتبيين: ص٧٠.

مَثَله في ذلك مثل الفحم الذي تتردَّد عليه المروحة، فإنَّها كلَّما استمرّت بإرسال الهواء إليه ازداد توهّجاً حتّى يتحوّل إلى جمر بعد أن كان فحماً.

وفي هذا المجال ينبغي للزائر أن يلاحظ نفسه، ويتساءل: هل أنَّه تغيَّر أو لا؟ وهل أضافت له الزيارة شيئاً أو لا؟ فإن كان قد تغيَّر باتجاه قِيم الزيارة ومبادئ المزور فليحمد الله تعالى، وإلّا فليراجع حساباته.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

١ ـ الأخلاق الحسينية، جعفر البياتي، أنوار الهدى، مطبعة مهر، الطبعة الأُولى، ١٤١٨هـ.

٢ ـ إرشاد القلوب، الحسن بن محمد الديلمي، انتشارات الشريف الرضي، مطبعة أمير، قم المشرّفة ـ إيران، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ/ ١٣٧٤ش.

٣ ـ إقبال الأعمال، علي بن موسى بن جعفر ابن طاووس (ت٦٦٤هـ)، تحقيق: جواد القيومي الأصفهاني، مكتب الإعلام الإسلامي، قم ـ إيران، الطبعة الأُولى، ١٤١٦هـ.

٤ ـ تاريخ الأُمم والملوك، محمد بن جرير الطبري، مراجعة وتصحيح وضبط: نُخبة من العلماء الأجلّاء، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان.

٥ ـ تفسير القمّي، علي بن إبراهيم القمّي، تصحيح وتعليق وتقديم: السيّد طيب الموسوي الجزائري، مؤسّسة دار الكتاب للطباعة والنشر، قم المشرّفة ـ إيران، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ.

٦ ـ جامع أحاديث الشيعة، آية الله السيّد حسين البروجردي، المطبعة العلمية، قم المشرّفة ـ إيران.

٧ ـ الحجّ والعمرة في الكتاب والسنّة، محمد الريشهري، دار الحديث، المطبعة: دار الحديث، الطبعة الأُولى.

٨ ـ حياة الحيوان الكبرى، كمال الدين محمد بن موسى بن عيسى الدميري، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ.

٩ ـ الخصال، محمد بن علي بن الحسين الصدوق، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرّفة، ١٣٧٩هـ/ ١٣٣٨ش.
١٠ ـ خوارق اللاشعور، علي الوردي، الطبعة الثانية، لندن، ١٩٩٦م.
١١ ـ سنن أبي داوود، سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق وتعليق: سعيد محمد اللحام، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأُولى، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.
١٢ ـ سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى السلمي الترمذي، تحقيق وتصحيح: عبد الرحمن محمد عثمان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
١٣ ـ صحيح مسلم، مسلم بن الحجّاج النيسابوري، دار الفكر، بيروت ـ لبنان.
١٤ ـ عوالي اللئالي، ابن أبي جمهور الإحسائي، تقديم: السيّد شهاب الدين النجفي المرعشي، تحقيق: الحاج آقا مجتبى العراقي، المطبعة: سيّد الشهداء، قم المشرّفة ـ إيران، الطبعة الأُولى، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
١٥ ـ فضل زيارة الحسين عليه السلام، محمد بن علي بن الحسن العلوي الشجري، إعداد: السيّد أحمد الحسيني، واهتمام: السيّد محمود المرعشي، مكتبة آية الله المرعشي العامّة، المطبعة: الخيّام، قم المشرّفة ـ إيران، ١٤٠٣هـ.
١٦ ـ الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران ـ إيران، الطبعة الثالثة، ١٣٦٧ش.
١٧ ـ كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن قولويه (ت٣٦٧هـ)، تحقيق: الشيخ جواد القيومي، مؤسّسة نشر الفقاهة، الطبعة الأُولى، ١٤١٧هـ.
١٨ ـ لواعج الأشجان، السيّد محسن الأمين العاملي، منشورات مكتبة بصيرتي، قم المشرّفة ـ إيران، الطبعة، ١٣٣١هـ.
١٩ ـ مثير الأحزان، نجم الدين جعفر بن محمد المعروف بابن نما الحلّي، المطبعة الحيدرية ـ النجف الأشرف، ١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م.

٢٠ ـ المستدرك، الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد النيسابوري، إشراف: يوسف عبد الرحمن المرعشلي.
٢١ ـ مسند أحمد، الإمام أحمد بن حنبل، دار صادر، بيروت ـ لبنان.
٢٢ ـ مفاتيح الجنان، الشيخ عباس القمّي، مكتبة العزيزي، قم المشرّفة ـ إيران، الطبعة الثالثة، ١٣٨٥ش/ ٢٠٠٦م.
٢٣ ـ نهج البلاغة، خطب الإمام علي، شرح: الشيخ محمد عبده، دار الذخائر، قم المشرّفة ـ إيران، الطبعة الأُولى، ١٤١٢هـ/ ١٣٧٠ش.
٢٤ ـ وسائل الشيعة، محمد بن الحسن المعروف بالحرّ العاملي، تحقيق: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث بقم المشرّفة، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.

المواقع الإلكترونية

٢٥ ـ الفلسفة الروحية لزيارة الحسين، بحث لآية الله السيّد منير الخباز على موقعه في الشبكة العنكبوتية: *www.alraimedia.com*.

البُعد السنديّ والدلاليّ في زيارة الناحية المقدّسة

د. السيّد زين العابدين المقدّس الغريفي*

مقدّمة

تمتلك زيارة الناحية المقدّسة خصوصيات جعلت منها محطّ اهتمام العلماء ومبتغى أنظار النقّاد، بلحاظ كونها وثيقة تأريخية تنقل لنا أحداث الطفّ بطريقة مفجعة، تُثير إحساس الإنسان وشعوره، وتحرّك وجدانه وضميره، بَيدَ أنّ ألفاظها لم تخلُ من إشكالات أدّت بطائفة من الأعلام إلى إنكار نسبتها إلى المعصوم عليه السلام؛ وعليه يلزم البحث عنها سنداً ودلالةً، وذكر الوجوه الممكنة لدفع الإشكاليات الواردة حولها وردّها قدر الإمكان. فجدوى البحث متحقّقة، فلو ثبت صدورها أمكن الاستناد إليها في مقام البحث التاريخي لإثبات حدث، أو الفقهي لإثبات حكم، أو العقدي لإثبات قضية، على اختلافٍ في درجات الوثوق المطلوبة في كلّ مورد شدّةً وضعفاً، واختلاف المنهج المتبع في الاستدلال عليها.

ولا يخفى أنّها إحدى الزيارات التي يُزار بها الإمام الحسين عليه السلام، وإنّما سُمّيت بزيارة الناحية واشتُهرت بذلك من باب إطلاق السبب وإرادة المسبّب؛ إذ إنّها مروية عن الناحية المقدّسة.

الناحية المقدّسة

الناحية المقدّسة عبارة عن وصف وموصوف، ولأجل بيان حقيقتها يلزم البحث عن مقطعين:

---

* دكتوراه في الشريعة والعلوم الإسلامية، كلية الفقه ـ جامعة الكوفة، من العراق.

الأوّل: (الناحية) وهي الجانبُ والجهة والمقصد[1]، تقول: اتّجه ناحية المدينة، أي: جانبها، وتقول: اذهب من هذه الناحية، أي: من هذه الوجهة، وتقول: بحثت الفقه من ناحية استدلالية، أي: قصدت بيان الدليل على الحكم الشرعي.

الثاني: (المقدّسة) وهي المباركة والمطهّرة والمنزَّهة عن المعايب والنقائص، يقول الفيروز آبادي: «**القدس، بالضم وبضمتين: الطُّهر، اسم، ومصدر، وجبل عظيم بنجد، والبيت المقدّس، وجبريل، كروح القدس... والقدُّوس: من أسماء الله تعالى، ويُفتح، أي: الطاهر، أو المبارك... والتقديس: التطهير، ومنه الأرض المقدّسة، وبيت المقدِس، كمجلِس ومعظّم. وكمحدِّث: الراهب. وتقدَّس: تطهَّر**»[2].

فصفة القداسة للناحية يمكن أن تُحمل على الحقيقة، فيقال: المقصد المقدَّس بلحاظ أنَّ المعصوم عليه السلام هو الذي يقصده الناس ويتوجّهون إليه ليتعلّموا منه أحكام الدين وتعاليمه، أو على المجاز فيُراد منها الشخص الذي يكون في الجهة، فيأخذ المكان وصف القداسة بوجود المَكين.

والناحية المقدّسة اصطلاح مختصّ بالشيعة الإمامية (أعلى الله شأنهم)، يراد منه الإمام الحجّة بن الحسن عجل الله تعالى فرجه الشريف؛ لورود الأمر بعدم تسميته وتكنيته في نصوص متضافرة[3]، إذ يظهر منها حرمة التصريح باسمه عجل الله تعالى فرجه الشريف، وهي محمولة على وقت مخصوص بالغيبة الصغرى ـ جمعاً بينها وبين الأخبار المصرِّحة باسمه ـ بسبب الظرف الأمني الصعب الذي يقتضي التخفِّي والتستُّر عن السلطات العباسية، التي تحاول الظفر بأيِّ معلومةٍ توصل إلى الحجّة المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف، فكان يُستعاض عن اسمه الشريف بالألقاب والأوصاف والعناوين العامّة، كالسيّد، والعالم، والصاحب، والغريم، وصاحب الدار، وولي الأمر، والناحية؛ لأجل إيهام السلطات وإبعاد الخطر عنه عجل الله تعالى فرجه الشريف

(١) أُنظر: الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين: ج٣، ص٣٠٣.
(٢) الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط: ج٢، ص٢٣٩.
(٣) أُنظر: الصدوق، محمد بن علي، كمال الدين: ج٢، ص٣٣٤.

وعن شيعته. وعليه؛ لا يكون للوصف إطلاق يسري إلى جميع الأزمان بعد انتهاء الغيبة الصغرى؛ ولذا لا تُوصف الرواية بالإضمار[1] لمعلومية شخص المراد بالناحية.

وقد قُسِّم البحث على مطالب أربعة تبعاً للإشكاليات المطروحة حول الزيارة الشريفة:

المطلب الأوّل: مصادر الزيارة وقيمتها العلمية

إنّ أوّل ما يلزم التعرُّض إليه في الأبحاث الفقهية هو معرفة مصدر الرواية وقيمتها العلمية؛ ليمكن بعدها دراسة الرواية على المستوى السندي والدلالي، وهي أُولى طرق تمييز المعتبر من المكذوب والمدسوس؛ ولأنَّ الزيارات تحتلُّ مكانة خاصّة عند الشيعة عموماً والإمامية خصوصاً، فقد كُتبت بعض الزيارات على يد بعض الأتقياء والصالحين؛ بُغية تحقيق الأهداف المنشودة من الزيارة، وأهمّها: تحصيل الأجر والثواب الأُخروي، أو الوصول إلى المعصوم والارتباط به، أو غير ذلك، ولعلّ (زيارة الناحية المقدّسة) من الزيارات التي وقع اللغط حولها؛ إذ نسبها بعض الأعلام إلى الإمام الحجّة عجل الله تعالى فرجه الشريف، في حين استبعد آخرون كالمجلسي[2] ذلك.

ومن هنا لا بدّ من عرض موجز وسريع لمصادر هذه الزيارة، وهي كالآتي:

الأوّل: نسبها المجلسي إلى الشيخ المفيد في مزاره

فقال المجلسي: «**قال الشيخ المفيد (قدّس الله روحه) في كتاب المزار بعد إيراد الزيارة التي نقلناها من المصباح ما هذا لفظه:...**»[3]، ثمّ أورد الزيارة.

---

(١) الحديث المضمر: «وهو ما يُطوى فيه ذكر المعصوم عليه السلام عند انتهاء السند إليه، بأن يُعبَّر عنه عليه السلام في ذلك المقام بالضمير الغائب، إمّا لتقية أو سبق ذكر في اللفظ أو الكتابة، ثمّ عرض القطع لداعٍ، وذلك كما لو قال: (سألته)، أو (سمعته يقول)، أو عنه، أو نحو ذلك». المامقاني، عبد الله، مقباس الهداية: ج١، ص٢٥٢.

(٢) أُنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٩٨، ص٢٥١.

(٣) المصدر السابق: ص٣١٧.

وعند الرجوع إلى كتاب المزار المطبوع لا نجد للزيارة ذكراً، وهذا يرجع إلى أحد احتمالين: إمّا أن يكون قد حصل له الخطأ والاشتباه في النقل، أو يكون للمفيد كتاب آخر يحمل عنوان المزار لم يصل إلينا.

كما أنَّ العبارة المنسوبة إلى المفيد ليس فيها ما يدلّ على صدور الزيارة عن الإمام الحجّة عجل الله فرجه الشريف تصريحاً أو تلميحاً: ممّا يولِّد احتمال اختراع هذه الزيارة من المفيد أو أحد أعلامنا المتقدّمين (قدّس الله أسرارهم).

الثاني: نسبها ابن طاووس إلى السيّد المرتضى

قال السيّد ابن طاووس: «**زيارة ثانية بألفاظ شافية نذكر منها بعض مصائب يوم الطفّ، يُزار بها الحسين (صلوات الله عليه وسلامه)، زار بها المرتضى علم الهدى (رضوان الله عليه)، وسأذكرها على الوصف الذي أشار هو إليه...**»[1].

بَيدَ أنّه ليس لها ذكر في مصنّفات السيّد المرتضى، ولعلَّ الأمر يرجع في واقعه إلى أنَّ المرتضى قد زار بها فنُقلت عنه شفاهاً أو كُتبت عنه، وهذه طريقة متداولة عند الأعلام؛ فإنَّهم ينقلون رواية أو خبر من كتاب آخر دون تدوينه في مصنّفاتهم؛ لعدم المناسبة، أو الغفلة أثناء التصنيف، أو غير ذلك من الأسباب.

ونلاحظ أيضاً عدم نسبتها إلى الإمام الحجّة عجل الله فرجه الشريف، فغاية ما يقال: إنَّ عدم وجود الدليل على النسبة يقف مانعاً أمام رفعها إلى المعصوم عليه السلام.

الثالث: محمد بن جعفر المشهدي في مزاره

قال: «**وممّا خرج من الناحية عليه السلام إلى أحد الأبواب، قال: تقف عليه (صلّى الله عليه) وتقول: السلام على آدم صفوة الله من خليقته، السلام على شيث ولي الله وخيرته...**»[2].

والظاهر أنَّه أوّل مَن نسبها إلى الناحية المقدّسة.

---

(١) ابن طاووس، علي بن موسى، مصباح الزائر: ص٢٢١.

(٢) ابن المشهدي، محمد بن جعفر، المزار: ص٤٩٦.

الرابع: رضي الدين بن طاووس

وقد تقدّم أنّه نقلها عن المرتضى في مصباحه دون نسبتها إلى الحجّة بن الحسن عجل الله تعالى فرجه الشريف.

وعليه؛ يدور الأمر بين أن تكون صادرة عن المعصوم عليه السلام ولا يوجد مصدر يؤكّد ذلك ـ غير ابن المشهدي ـ وبين عدمه.

ولذا؛ لا بدَّ من بيان حال ابن المشهدي والقيمة العلمية لكتابه، فقد وقع الخلاف في شخصية المؤلِّف على أقوال عدَّة أهمّها:

القول الأول: إنَّه أبو البركات ناصح الدين محمد بن إسماعيل المشهدي الثقة الجليل، وهو ما استظهره المحدِّث المجلسي[1].

وقال عنه الشيخ منتجب الدين: «**فقيه محدِّث ثقة، قرأ على الشيخ الإمام محيي الدين الحسين بن المظفر الحمداني**»[2].

القول الثاني: انّه محمد بن جعفر المشهدي، وهو الذي ذهب إليه المحدِّث النوري[3].

وهو من علمائنا الأجلّاء، فقد قال عنه الحرّ العاملي: «**كان فاضلاً محدِّثاً صدُوقاً، له كُتب، يروي عن شاذان بن جبرئيل القمّي**»[4].

القول الثالث: إنّه مجهول الحال، فيسري الحكم إلى كتابه ورواياته بالجهالة، وقد ذهب إلى ذلك السيّد الخوئي قدس سره بقوله: «**إنّه لم يظهر اعتبار هذا الكتاب في نفسه، فإنّ محمد بن المشهدي لم يظهر حاله، بل لم يُعلم شخصه وإن أصرَّ المحدِّث النوري على أنّه محمد بن جعفر بن علي بن جعفر... فإنّ ما ذكره في وجه ذلك لا يورث إلّا الظن**»[5].

---

(١) أُنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج١، ص٢٧، وص٤٠.
(٢) منتجب الدين، علي بن بابويه، فهرست منتجب الدين: ص١٠٦.
(٣) أُنظر: النوري، حسين، خاتمة مستدرك الوسائل: ج١، ص٣٦٠.
(٤) الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، أمل الآمل: ج٢، ص٢٥٣.
(٥) الخوئي، أبو القاسم، معجم رجال الحديث: ج١، ص٤٨.

ولكن القول الأوّل مستبعد لقرينتين، أحدهما أنَّه معروف بكنيته ولقبه، فيقال: حدّثنا أبو البركات المشهدي، بخلاف صاحب المزار، والأُخرى أنَّه لم يُذكر له كتاب بعنوان المزار.

فيدور الأمر حينئذٍ بين القولين الثاني والثالث، فالذي استدلّ به المحدِّث النوري هو اطّلاعه على نسخة عتيقة ومقارنته للأسانيد، واطّلاعه على الإجازات التي تُظهر أنّ صاحب المزار من طبقة الطبرسي صاحب الاحتجاج ومقارب لعصره، فإن تمَّ ما ذكره أمكن رفع الجهالة عن صاحب الكتاب والاعتماد عليه، وإلّا يكون رأي السيّد الخوئي قدس سره هو الراجح.

المطلب الثاني: البحث السندي

لا يخفى أنّ معرفة الإسناد من الجهات الضرورية في معرفة الحديث ودرجته؛ لتوقّف صحة الصدور عليه غالباً، فلا يمكن الاستناد عليه في إثبات قضية عقدية أو فقهية ما لم تُنقّح جهة الصدور. نعم، قد يُتساهل في أسانيد الأدعية والزيارات، فلا تُشترط صحة السند فيها وذلك لمجرّد التعبُّد بقراءتها، إمّا من جهة التسامح في أدلة السنن، وأمّا لعموم أدلة الأدعية والزيارات، لكن بشرط عدم قصد الورود؛ لأجل عدم حصول الكذب عند عدم صحة النسبة.

وهذا الأمر جارٍ في عموم الأدعية والزيارات، فهي إمّا أن ترد بسند صحيح أو معتبر، أو بسند ضعيف، فيكون احتمال صدورها أضعف، أو لا سند لها أصلاً وقد رُفعت إلى المعصوم عليه السلام، أو لم تؤثَر عن المعصوم عليه السلام أصلاً كدعاء العديلة الذي كتبه بعض العلماء[1].

فأمّا ما رُويت بسند معتبر، فيُحكم بصحة صدورها وإن لم توجد ملازمة بين صحة السند وصحة المتن، فلربما يكون السند صحيحاً والمتن منكراً؛ لاشتماله على ما

(١) أُنظر: المقدّس الغريفي، أبو الحسن حميد، دعاء الفرج وشبهات المضلّين: ص١١١ـ١١٢.

يُقطع بكذبه، أو ما كان مخالفاً للكتاب والسنّة وبديهي العقل.

وأمّا ما رُوي بسند ضعيف، فإنّ احتمال صدوره يكون أضعف، ويمكن الرجوع فيه إلى القرائن والشواهد التي تجبر ضعف سنده، فإن لم توجد يُرجع فيه إلى قاعدة التسامح في أدلة السنن على اختلاف في تفسير مؤدّاها بين الأعلام، فلا يخرج الدعاء أو الزيارة عن دائرة المقبولية.

وأمّا ما لم يؤثر عن المعصوم عليه السلام، فلا تصحّ قراءته بقصد الورود؛ لكون رفع الرواية إلى المعصوم عليه السلام وإسنادها إليه من دون دليل يعدُّ كذباً عليه، فتنقلب العبادة حينئذٍ إلى معصية، ولا يطاع الله من حيث يعصى.

نعم، يمكن قراءته لا بقصد الورود؛ ليحصل القارئ على الأجر والثواب، وإن كان التعبُّد بقراءة المأثور أولى وأفضل.

وبعد هذه المقدّمة الموجزة نرجع إلى البحث عن أسانيد (زيارة الناحية المقدّسة)؛ إذ إنّ تتبّع المصادر يُظهر أنَّه عنوان لزيارتين مختلفتين، أحدهما مشهورة ـ وهي مورد بحثنا ـ والأُخرى غير مشهورة وقد تُسمّى بزيارة الشهداء وهي تختلف عنها موضوعاً ومضموناً؛ ولذا سوف يُقسَّم البحث على نقطتين:

الأُولى: الزيارة المشهورة

وقد تقدّم أنّ مصادرها على قسمين:

١ ـ ما لم يسند نصّ الزيارة إلى المعصوم عليه السلام، بل نسب النصّ إلى الشيخ المفيد والسيد المرتضى، ويظهر من السيّد ابن طاووس ذلك.

ولأجل ذلك حكم العلّامة المجلسي بعدم صحة نسبتها إلى الناحية المقدّسة بقوله: «**والظاهر أنّ هذه الزيارة من مؤلَّفات السيّد والمفيد رحمهما الله، ولعلّه وصل إليهما خبر في كيفية الصلاة؛ فإنَّ الاختراع فيها غير جائز**»[1]، وتابعه على ذلك غير واحد.

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٩٨، ص٢٥١.

ولا مانع من قراءتها وزيارة الإمام الحسين عليه السلام بها؛ لأنّ المنع الوارد في النصوص الشرعية إنّما يختصّ بالأدعية ولا قرينة لتعميمه على الزيارات.

٢ ـ ما يرفع الزيارة إلى الناحية المقدّسة، وهو ما ذكره ابن المشهدي.

وعند مراجعة مزاره[١] نجده قد أرسل ذلك من دون ذكر سلسلة السند التي توصله بالناحية المقدّسة، فيحكم نتيجة لذلك بضعف الزيارة بالإرسال.

محاولات تصحيح السند

هناك محاولات عديدة لإثبات صحة الزيارة يمكن بيان أهمّها ومناقشتها:

المحاولة الأُولى: توثيق ابن المشهدي لرجال كتابه

قد يقال: بأنّ ابن المشهدي صرَّح في مقدّمة كتابه بأنّه قد نقل هذه الزيارات عن الثقات من أصحابنا بقوله: «**فإنّي قد جمعت في كتابي هذا من فنون الزيارات للمشاهد المشرَّفات، وما ورد في الترغيب في المساجد المباركات والأدعية المختارات، وما يُدعى به عقيب الصلوات، وما يُناجى به القديم تعالى من لذيذ الدعوات في الخلوات، وما يُلجأ إليه من الأدعية عند المهمّات، ممّا اتّصلت به من ثقات الرواة إلى السادات**»[٢]، وبهذه العبارة تعهَّد المصنِّف في إيراد ما اتّصل سنده إلى المعصوم عليه السلام بنقل الثقات من الأصحاب دون غيرهم، فالسند وإن كان مجهولاً لدينا إلّا أنَّه معلوم لديه، وهم ثقات بشهادته، فيحكم نتيجة لذلك بصحة السند.

مناقشة المحاولة الأُولى

ويمكن مناقشة هذه المحاولة بأنّ الاعتماد على هذه الشهادة تتوقف على إثبات مقدِّمتين:

الأُولى: وثاقة المؤلِّف ومعرفة طريقته في التوثيق والتضعيف، وقد تقدّم أنّه غير

(١) أُنظر: ابن المشهدي، محمد بن جعفر، المزار: ص٤٩٦.

(٢) المصدر السابق: ص٢٧.

معلوم الحال، إلّا إذا بنينا على ما استظهره المحدِّث النوري من كونه محمد بن جعفر المشهدي الثقة الجليل.

الثانية: أن تكون توثيقاته مبتنية على الحسّ لا الحدس والاجتهاد؛ ولذا صرَّح السيّد الخوئي بقوله: «**إنّ محمد ابن المشهدي من المتأخرين، وقد مرَّ أنّه لا عبرة بتوثيقاتهم لغير مَن يقرُب عصرهم من عصره، فإنّا قد ذكرنا أنّ هذه التوثيقات مبنية على النظر والحدس، فلا يترتّب عليها أثر**»[1]. نعم، تكون حجّة فيما لو أفادت عبارته المتقدّمة الاطمئنان، وهو بعيد.

ولذا؛ تراه ينقل بعض الزيارات بإسناد متصل، وبعضها ينقلها عن المعصوم بدون سند، وأُخرى لا يرفعها إلى المعصوم أصلاً، وهذا الاختلاف يرفع الوثوق والاطمئنان حينئذٍ بنقل جميع الزيارات بطريقة واحدة؛ وبالتالي يُحكم بضعفها، إلّا أنّ هذا لا يمنع من قراءتها تمسُّكاً بالعمومات والاطلاقات القاضية بجواز قراءة جميع الأدعية والزيارات ما لم تتضمّن مضموناً مخالفاً للكتاب والسنّة.

المحاولة الثانية: دعوى تلقّي العلماء لها بالقبول

فقد تقدّمت زيارة المفيد والمرتضى للإمام للحسين بها، مضافاً إلى عدم ورود الطعن عليها من أحد على طول التاريخ الإمامي؛ ممّا يكشف عن تلقّيها بالقبول يداً بيد عن المعصوم.

مناقشة المحاولة الثانية

ويمكن مناقشتها ـ أيضاً ـ بأنَّها دعوى لم يقم عليها دليل واضح؛ إذ لم تُذكر الزيارة في أغلب كتب الزيارات حتّى يقال: بقبولهم لها؛ ولذا قد تُعكس الدعوى، فيقال: إنّ عدم ذكرهم لها كاشف عن رفضهم لها. وهذه الدعوى غير تامّة أيضاً؛ لأنَّ عدم الذكر لازم أعمّ من الرفض، فقد يكون منشأه الغفلة والذهول.

---

(١) الخوئي، أبو القاسم، معجم رجال الحديث: ج١، ص٤٨.

ثمّ إنّ التلقّي بالقبول إن كان المراد منه هو جواز قراءتها ومشروعية الزيارة بألفاظها، فهو ممّا لا إشكال فيه، وإن كان المراد منه كونها دليلاً على مطلب فقهي أو عقدي، فهذا مما لا تفي الأدلة بإثباته؛ لاشتراط حصول الوثوق والاطمئنان بطريق الخبر وهو مفقود في المقام.

المحاولة الثالثة: التصحيح المضموني للزيارة

إذ إنّ المتتبّع لألفاظ الزيارة ومقاطعها يُدرك بوضوح صحتها ودقّة نقل مضامينها؛ لموافقتها لمحكمات الكتاب والسنّة والنقل التاريخي العام، وعدم مخالفتها لما هو معروف عند المذهب، فيحصل حينئذٍ الوثوق والاطمئنان بصدورها.

مناقشة المحاولة الثالثة

وقد تُناقش من جهة الصغرى والكبرى، فأمّا الصغرى، فإنَّه قد ورد في الزيارة ألفاظ مشكلة توجب التوقُّف في قبولها؛ ولذا فإن أمكن تأويلها فبها، وإلّا فالحمل على ظاهرها يوجب القطع بعدم صدورها لمخالفتها لنصوص صريحة من السنّة الشريفة.

وأمّا الكبرى، فلا دليل على أنَّ كلّ موافق للكتاب يحكم بصدوره عن المعصوم عليه السلام؛ إذ الموافقة أعمّ؛ إذ يمكن أن يخترع أحد العلماء نصّاً ويؤلِّفه من خلال معرفته بأخبار أهل البيت عليهم السلام تتبّع معانيها، فلا يخرج في فهمه عن دائرة القبول.

الثانية: الزيارة غير المشهورة

وتبتدأ بقوله: «**السلام عليك يا أوّل قتيل من نسل خير سليل من سلالة إبراهيم الخليل...**».

وقد رُويت في أكثر من مصدر أهمّها:

الأوّل: ما رواه ابن طاووس

روى ابن طاووس بإسناده إلى جدّه أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي رحمه الله قال:

«حدَّثنا الشيخ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عياش، قال: حدَّثني الشيخ الصالح أبو منصور بن عبد المنعم بن النعمان البغدادي (رحمة الله عليه)، قال: خرج من الناحية سنة اثنتين وخمسين ومائتين على يد الشيخ محمد بن غالب الأصفهاني حين وفاة أبي، وكنت حَدِيث السنِّ، وكتبت أستأذن في زيارة مولاي أبي عبد الله عليه السلام وزيارة الشهداء (رضوان الله عليهم)، فخرج إليَّ منه...»[1].

الثاني: ما رواه ابن المشهدي

روى ابن المشهدي بقوله: «أخبرني الشريف الجليل العالم أبو الفتح محمد بن محمد الجعفرية (أدام الله عِزّه)، قال: أخبرني الشيخ الفقيه عماد الدين محمد بن أبي القاسم الطبري، عن الشيخ أبي علي الحسن بن محمد الطوسي. وأخبرني عالياً الشيخ الفقيه أبو عبد الله الحسين بن هبة الله بن رطبة (رضي الله عنه)، قال: أخبرني شيخي المفيد الحسن ابن محمد الطوسي، عن الشيخ أبي جعفر محمد الطوسي، قال: حدّثنا الشيخ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عياش، حدّثني الشيخ الصالح أبو ميسور بن عبد المنعم بن النعمان المعادي، قال: خرج من الناحية سنة اثنتين وخمسين ومائتين إليّ على يد الشيخ محمد بن غالب الأصفهاني حين وفاة أبي، وكنت حَدَث السنِّ، فكنت أستأذن في زيارة مولاي أبي عبد الله عليه السلام وزيارة الشهداء (رضوان الله عليهم)...»[2].

المناقشة السندية للمصدرين

إنّ في هذين السندين مواطن للضعف منها:

١ـ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عياش؛ إذ لم يُنصّ عليه سلباً أو إيجاباً سوى قول الطوسي والنجاشي في حقِّه: «كان سمع الحديث وأكثر، واختلَّ في آخر عمره»[3]،

(١) ابن طاووس، علي بن موسى، إقبال الأعمال: ص٥٧٣.

(٢) ابن المشهدي، محمد بن جعفر، المزار: ص٤٨٥ ـ ٤٨٦.

(٣) الطوسي، محمد بن الحسن، الفهرست: ص٧٩. النجاشي، أحمد بن علي، رجال النجاشي: ص٨٥.

وقول الطوسي في رجاله: «**أحمد بن محمد بن عيّاش، يكنّى أبا عبد الله، كثير الرواية، إلّا أنّه أختلَّ في آخر عمره**»[1]، فإنَّ كثرة الحديث قد تدلُّ على حسن روايته في زمان عدم اختلاله.

والشيخ لم يروِ عنه مباشرةً كما هو ظاهر السند، وإنَّما روى عنه بالواسطة كما ذكر ذلك بالفهرست بقوله: «**أخبرنا عنه جماعة من أصحابنا**»[2].

٢ـ أبو منصور بن عبد المنعم بن النعمان، فإنّه مجهول الحال، وترحُّم الأعلام كابن المشهدي وابن طاووس لا يكشف عن حسنه فضلاً عن وثاقته.

٣ـ محمد بن طالب الأصفهاني، فإنَّه مجهول الحال أيضاً.

٤ـ إنّ الرواية تصرِّح بصدور الزيارة عن الناحية المقدّسة عام (٢٥٢هـ)، أي: قبل مولد القائم المنتظر عجل الله فرجه الشريف بثلاث أو أربع سنين، فيلزم حملها إمّا على الإمام الهادي أو العسكري عليهما السلام، وإمّا أن يقال: بوقوع التصحيف فيها وكون الصحيح هو (٢٦٢هـ) أو نحوه، والحمل الثاني بعيد لا سيَّما بعد اتّفاق أكثر من مصدر على نقل التاريخ، وكون الخطأ منفي بأصالة العدم العقلائية.

وقد التفت إلى ذلك العلّامة المجلسي عند ذكره لهذه الزيارة بقوله: «**واعلم أنّ في تاريخ الخبر إشكالاً لتقدُّمها على ولادة القائم عليه السلام بأربع سنين، لعلَّها كانت اثنتين وستين ومأتين، ويُحتمل أن يكون خروجه عن أبي محمد العسكري عليه السلام**»[3].

وعلى العموم فإنّ مورد بحثنا هو الزيارة المشهورة، وإنَّما أوردنا ذكرها وناقشنا سندها حتّى لا يشتبه الأمر على بعض القرَّاء فيتصوَّرهما زيارة واحدة.

(١) الطوسي، محمد بن الحسن، رجال الطوسي: ص٤١٣.
(٢) الطوسي، محمد بن الحسن، الفهرست: ص٨٠.
(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ص٩٨، ص٢٧٤.

المطلب الثالث: المضمون العام للزيارة

تبتدأ الزيارة كغيرها من الزيارات بالسلام على الأنبياء والمرسلين مع ذكر أبرز أوصافهم ومقاماتهم، ثمّ السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته الكرام عليهم السلام وصولاً إلى الحسين عليه السلام، لتبدأ حينئذٍ ببيان بعض مقاماته وفضائله وخصائصه كمقدّمة لبيان بعض أحداث فاجعة الطفّ الأليمة، بأُسلوب بلاغي وسجعي منظّم، يغلب عليه الجانب العاطفي الذي يتناسب وعِظم المأساة والرزية التي حدثت لأهل البيت عليهم السلام، ثمّ تذكر تأثّر جميع الموجودات بهذا المصاب وبكاء أهل السماء والأرض عليه، وأخيراً التوسُّل إلى الله تعالى بأهل البيت عليهم السلام لقضاء الحوائج ورفع الهمِّ، والغمِّ، وغفران الذنب، بما لهم من المقام المحمود الذي ارتضاه لهم وخصّهم به.

فأغراض الزيارة ترجع إلى محاور ثلاثة:

الأول: ذكر الخصائص الذاتية للأنبياء والأئمّة عليهم السلام عموماً والحسين عليه السلام خصوصاً؛ لأجل تحقيق معرفة حقيقة المعصوم عليه السلام امتثالاً لحكم العقل بضرورة معرفة الطريق الموصل إلى المعارف الإلهية، الطريق الذي أرشد إليه النبي صلى الله عليه وآله عبر قوله: «**مَن مات وليس له إمام فميتته ميتة جاهلية**»[1].

الثاني: ذكر السلوك العام للحسين عليه السلام في علاقته مع ربّه ومع الناس؛ لأجل اقتداء الناس به، أو من باب مخاطبة الحسين عليه السلام وإرادة الشيعة، أي: من باب (إيَّاكِ أعني واسمعي يا جارة)؛ إذ إنّ إقامة الصلاة ـ على سبيل المثال ـ فعل مفروغ منه عند المعصوم عليه السلام، فلا بدّ أن يكون الهدف من ذكرها في الزيارة هو تذكير الشيعة بهذه الواجبات وتربيتهم على ذلك، ومن أهمّ هذه الوسائل هي الأدعية والزيارات.

الثالث: ذكر المصائب التي جرت على الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته عليهم السلام بطريقة مُفجعة؛ لأجل استدرار العبرة وإثارة الشعور بالأسى والحزن عليهم، كونها أحد أهمّ طرق الجذب نحو تحقيق أهداف الدعوة الحسينية في كربلاء.

---

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج١، ص٣٧٦.

ومن هذا المنطلق يمكن بيان أهمّ هذه النقاط بشيء من التفصيل:

النقطة الأُولى: تصدير الزيارة بالسلام

هذه الزيارة كغيرها من الزيارات تتصدّر بالسلام على الأنبياء والأوصياء، فالسلام يمثِّل أساس الزيارة وعمادها؛ لأنّ الغرض من الزيارة هو الوصول إلى صاحب المقام ومخاطبته بما يحبّه ويرضاه، ولا يوجد أفضل من السلام؛ لكونه تحية الإسلام وأحد الشعارات التي يتميَّز بها المسلم عن غيره. ومعناه بشكل عام طلب الزائر من الله تعالى السلامة ـ للشخص الذي يزوره ـ من الآفات والعيوب، والأمان من الخطر وموجبات الذعر، وإنزال الرحمة والبركة عليه في الدنيا والآخرة، وأن يرزقه الجنَّة التي يتوفّر فيها جميع ذلك حقيقة؛ ولذا سُمِّيت (دار السلام).

فقد روى الصدوق: أنّ رجلاً سأل أمير المؤمنين عليه السلام عن معنى قول الإمام: (السلام عليكم)؟ فقال: «**إنّ الإمام يُترجم عن الله عزّ وجلّ ويقول في ترجمته لأهل الجماعة: أمان لكم من عذاب الله يوم القيامة**»[1].

والسلام اسم من أسماء الله تعالى كما في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[2]، أي: المنزَّه حقيقةً عن كلِّ العيوب والنقائص.

ومخاطبة أهل البيت عليهم السلام بالسلام مزيد تعظيم وتبجيل لهم، بمعنى الطلب من الله تعالى أن يحفظ لهم مقامهم ومنازلهم التي أنعم بها عليهم في الدنيا والآخرة.

وقد قدّم فيها السلام على الأنبياء والأوصياء للتنبيه على أنّ الحسين عليه السلام هو الامتداد الطبيعي لذلك النهج الإلهي، فقد اجتمع فيه وفي دعوته جميع الأوصاف والخصائص التي اختصَّ بها مَن سبقه؛ ولهذا استحق بجدارة أن يكون وارث الأنبياء.

(١) الصدوق، محمد بن علي، مَن لا يحضره الفقيه: ج١، ص٣٢٠.
(٢) الحشر: آية٢٣.

إشكال ودفع

وهنا إشكال قد يقدح في الذهن بأنّ المخاطَبين في الزيارات موتى، والميِّت لا يسمع بنصّ القرآن الكريم: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾[2]، فيكون السلام عليهم لغواً وعبثاً لعدم وجود أثر له، ويترتّب على ذلك أنّ السلام عليهم والتوسُّل بهم والاستغاثة وطلب الحوائج منهم شرك وضلال، كما ذهب إلى ذلك الوهابية تبعاً للمنهج الذي رسمه ابن تيمية في كتبه ورسائله.

والجواب عنه يكون بنقاط عدَّة:

الأُولى: إنّ الميت يسمع ويرى كلّ مَن حوله، وإنّ الموت عبارة عن حالة انتقال من حال إلى حال أخرى، فيكون المقتضي للخطاب بالسلام موجود، وهناك نصوص كثيرة تدلُّ على هذا المعنى، ومنها:

١ـ ما أخرجه البخاري بسنده عن نافع، أنّ ابن عمر أخبره، قال: «**اطّلع النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم على أهل القليب، فقال: وجدتم ما وعد ربُّكم حقّاً؟ فقيل له: تدعو أمواتاً؟ فقال: ما أنتم بأسمع منهم، ولكن لا يجيبون**»[3].

٢ـ ما أخرجه مسلم النيسابوري بسنده عن أنس بن مالك أنّه قال: «**إنّ رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم ترك قتلى بدر ثلاثاً، ثمّ أتاهم فقام عليهم فناداهم، فقال: يا أبا جهل بن هشام، يا أُميّة بن خلف، يا عتبة بن ربيعة، يا شيبة بن ربيعة، أَليس قد وجدتم ما وعد ربُّكم حقّاً؟ فإنّي قد وجدت ما وعدني ربّي حقّاً. فسمع عمر قول النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم، فقال: يا رسول الله، كيف يسمعوا وأنّى يُجيبوا، وقد**

(١) النمل: آية ٨٠.

(٢) فاطر: آية ٢٢.

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري: ج٢، ص١٠١.

جيفوا؟! قال: والذي نفسي بيده، ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكنَّهم لا يقدرون أن يُجيبوا. ثمّ أمر بهم فسُحبوا فأُلقوا في قليب بدر»[1].

ونحوها من النصوص الصريحة في إثبات سماع الميِّت لـمَن حوله، فينتفي إشكال لغوية الخطاب بالسلام في الأدعية والزيارات.

الثانية: إنّ الرسول صلى الله عليه وآله قد اختُصَّ برد سلام كلِّ مَن يُسلِّم عليه، فقد روى أبو داوود بسنده عن أبي هريرة: أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «**ما من أحدٍ يُسلِّم عليَّ إلّا ردَّ الله عليَّ روحي حتّى أردَّ عليه السلام**»[2].

وهذا المقام ثابت لأهل بيته بلحاظ كونهم نفساً واحدة والامتداد الطبيعي له، إلّا فيما اختصَّ به صلى الله عليه وآله دون غيره بدليل خاص.

الثالثة: إنّ الأعمال تُعرَض على رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، فيكونون مُطَّلعين على أحوال الناس وأفعالهم؛ لقوله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾[3]، فقد دلَّت على أنّ هناك مَن يطَّلع على الأعمال ويراقبها ممّا يوجِد الداعي إلى اتخاذ أفضل الطرق وأحسنها في إيقاع الأعمال وأداء الواجبات، فيُعطي الله تعالى القدرة للرسول صلى الله عليه وآله والمؤمنين ـ الذي يمثِّل أهل البيت عليهم السلام المصداق الأبرز لهم ـ على الاطِّلاع على أعمال الناس ومراقبتها.

وقد أكّدت السنَّة ذلك بأخبار مستفيضة عند العامّة والخاصّة[4]. بل إنّ السنّة دلَّت على عرض أعمال أقارب الميِّت وعشيرته على الميِّت[5].

---

(١) النيسابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم: ج٨، ص١٦٣.

(٢) أبو داوود السجستاني، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داوود: ج١، ص٤٥٣.

(٣) التوبة: آية١٠٥.

(٤) أُنظر: البزار، أحمد، البحر الزخار: ج٥، ص٣٠٩. الهيثمي، علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد: ج٩، ص٢٤. باب ما يحصل لأُمّته صلى الله عليه وآله من استغفاره بعد وفاته، ح١٤٢٥٠، ثمّ قال: رواه البزار، ورجاله رجال الصحيح. السيوطي، جلال الدين، الجامع الصغير: ج١، ص٥٨٢.

(٥) أُنظر: ابن حنبل، أحمد، مسند أحمد: ج٣، ص١٦٥. النيسابوري، محمد بن عبد الله، المستدرك على الصحيحين: ج٤، ص٣٠٧، ثمّ قال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

ومجموع هذه الأخبار وأمثالها تُورث الاطمئنان، بل القطع بسماع الميِّت لـمَن حوله، واطِّلاع الرسول صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام على أحوال الخلق وأفعالهم، فيحصل حينئذٍ التعارض البدوي بين الكتاب والسنّة.

وجوابه: إنّ النصّ القرآني ناظر إلى الأجساد، فهي ليس لها القابلية على السماع والردِّ؛ لكونها جماداً شأنها في ذلك شأن الأصنام والأوثان؛ ولذا شبَّهها القرآن بالموتى؛ إذ لا يمكنها السماع، أو النظر، أو الحركة، فيقول الله تعالى في حقِّهم: ﴿ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴾[1]، بخلاف السنّة فإنّها ناظرة إلى الأرواح؛ إذ تُثبت لها السماع والردّ والحياة بعد موت الجسد وفنائه.

فالسلام ليس موجَّه إلى أجسادهم الطاهرة عليهم السلام، وإنَّما إلى الأرواح الزاكية، فإنَّها حيّة تُرزق عند ربِّها، تسمع السلام وتردّ الجواب، وتدعوا لـمَن يطلب منها.

ولذا؛ فإنّ قراءة الزيارة من أيِّ مكان يصل إلى صاحبها؛ لكونه يسمع ويرى، وإنَّما يُستحبّ قراءتها عند القبر الشريف؛ لكي يحصل الزائر على البركات والفيوضات الإلهية؛ لكون قبورهم عليهم السلام ـ لا سيَّما قبر الحسين عليه السلام ـ موضع للعناية الإلهية. مضافاً إلى استذكار مآثرهم وفضائلهم التي ينبغي على المؤمن الاقتداء والتأسي بها، فإنَّها الغاية من الولاية والإمامة الإلهية، قال تعالى: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾[2].

النقطة الثانية: المقامات الإلهية للحسين عليه السلام

عند إمعان النظر في الزيارة نجد أنَّها ذكرت مقامات وفضائل وخصائص كثيرة ومتعدّدة للإمام الحسين عليه السلام، بحيث يمكن تقسيمها إلى حيثيات كثيرة، إلّا أنَّنا نقتصر على قسمين:

(١) الأعراف: آية ١٩٥.
(٢) الأنعام: آية ٩٠.

الأوّل: المقامات الذاتية

وهي الخارجة عن الإرادة والاختيار، أي: لم يكن قد اختارها الحسين عليه السلام بإرادته، وإنَّما اصطفاه الله تعالى بها، من قبيل النسب الشريف لأبويه ولرسول الله صلى الله عليه وآله، وهذا الشرف لم ينله إلّا هو وإخوته عليهم السلام.

فإنَّ الله تعالى قد علم منذُ الأزل أنّ أشرف مَن في الوجود هو محمد صلى الله عليه وآله بكلِّ خصائصه وشمائله؛ فاصطفاه لختم الرسالة، ويليه في الفضل علي عليه السلام، فاصطفاه ليكون وصياً وخليفة له من بعده، وكفؤاً لفاطمة عليها السلام، ولم يجد مَن يخلفهما أفضل من الحسنين عليهما السلام وسائر الأئمّة عليهم السلام الواحد تلو الآخر، فلو وجد مَن هو أفضل لعدل إليه؛ ولهذا شملتهم الإرادة التكوينية بالتطهير وإذهاب الرجس بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[1].

فإنَّ هذا الانتساب فضل وشرف قد علم الله تعالى بأهلية الحسين عليه السلام له؛ لما يمتلكه من قدرات ذاتية ومواهب خاصّة يفوق بها نظائره من بني البشر، اكتسبها بعلمه وتقواه وعبادته.

الثاني: المقامات المكتسبة

هي تلك المقامات التي حاز عليها باختياره، وهي كثيرة، بعضها يتّحد بها مع سائر الأئمّة عليهم السلام: كالعلم، والعصمة، وأُخرى أُختصّ بها وهي ثلاثة، وقد وردت في هذه الزيارة: «**السلام على مَن جُعل الشفاء في تربته، السلام على مَن الإجابة تحت قبته، السلام على مَن الأئمّة من ذريته**».

فهذه خصائص ثلاثة:

١ـ استجابة الدعاء تحت قبته عليه السلام، وهذا من رحمة الله تعالى بالمؤمنين، فقد جعل بعض الأماكن والبقاع مورداً لهبوط الرحمة الإلهية واستجابة الدعاء، وأفضلها على الإطلاق هي قبّة الحسين عليه السلام فقد ورد أنّ الدعاء تحتها لا يُردُّ.

(١) الأحزاب: آية٣٣.

٢ـ الشفاء في تربته، فمن المعلوم في الفقه الإسلامي أنَّ أكل التراب محرَّم، ولكن يُستثنى من ذلك أكل القليل من تربة الحسين عليه السلام بمقدار الحمصة؛ لأجل التبرُّك والاستشفاء.

٣ـ إنَّ الأئمّة من ذريته، فقد جعل الله تسعة من ذريته أئمّة، وأمتاز بذلك عن سائر إخوته وأهل بيته عليهم السلام.

كما ورد ذكر هذه الخصائص في نصوص أُخرى، نحو ما رواه الطوسي بسنده عن محمد بن مسلم قال: سمعت أبا جعفر وجعفر بن محمد عليهما السلام يقولان: «**إنّ الله تعالى عوَّض الحسين عليه السلام من قتله أن جعل الإمامة في ذريته، والشفاء في تربته، وإجابة الدعاء عند قبره**»[1].

النقطة الثالثة: السلوك الطبيعي للحسين عليه السلام في حياته العامّة

لا شكّ في أنّ الحياة العامّة للمعصوم عليه السلام تختلف عن غيره بلحاظ علمه اللَّدُنِّي وعدم وقوعه في الخطأ والاشتباه؛ لمعرفته واطلاعه بحقائق الأشياء وعللها الواقعية بتسديد من الله تعالى؛ ولذا وجب الاقتداء به والأخذ بأقواله وأفعاله لكونها سنّة تمثِّل الأحكام الواقعية للدين الإسلامي.

وعند إجراء قراءة سريعة للزيارة الشريفة فإنَّها تُعطي تصوّراً عامّاً لسلوك الحسين عليه السلام وطبيعة علاقته مع ربِّه ومع الناس.

فأمّا ما يتعلَّق بعلاقته مع ربِّه، فقد كان مثالاً حقيقياً للعبد بين يدي ربِّه، بأداء العبادة، والتزامه بحدودها وشرائطها التامّة، وامتثاله للأحكام من قبيل إقامة الصلاة بخضوع مطلق، وإيتاء الزكاة، وتطبيقه لجميع أوامر الله تعالى، وإحيائها وإظهارها في المجتمع.

وأمّا ما يتعلَّق بعلاقته مع الناس، فإنَّه لم يترك مناسبة إلّا ودعاهم إلى الحقِّ،

(١) الطوسي، محمد بن الحسن، الأمالي: ص٣١٧.

وأمرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر، تبعاً لوظائف الإمامة المجعولة له من الله تعالى، من غير خوف ولا وجل، فلا يبغي بذلك إلّا وجه ربِّه الكريم؛ ولذا أثَّر في المجتمع الإسلامي بتعديل المسار بعد اعوجاجه، وتنبيه الأُمّة إلى خطر حاكمية الفساق على الأُمّة بانحرافهم عن الإسلام الرسالي الأصيل.

النقطة الرابعة: بيان أحداث واقعة الطف

تمثِّل هذه الزيارة مقتلاً مصغّراً متكاملاً قد حوى بين طيّاته أكثر الحوادث بأُسلوب سجعي بلاغي عالٍ، عبَّر عن واقع ما جرى بعبارات موجزة قد لا تجدها في سائر المقاتل، ومن هنا أخذت هذه الزيارة أهمّية كبيرة في الساحة الشيعية، وأثّرت بشكل كبير في التفكير الجمعي للعقل الشيعي، وأخذت عباراتها جهداً من الباحثين عند تفسيرها وبيان مدلولها.

ولذا؛ سوف أقتصر على ذكر نقاط أربعة ممّا ورد بنحو موجز:

١ـ ذكر الغاية من خروج الإمام الحسين عليه السلام في دعوته

إذ إنّ هذا ممّا امتازت به هذه الزيارة واختصَّت بذكر الهدف الصريح، فقد ورد فيها: «**حتى إذا الجور مدّ باعه، وأسفر الظلم قناعه، ودعا الغي أتباعه... ثمّ اقتضاك العلم للإنكار، ولزمك أن تجاهد الفجَّار، فسرت في أولادك وأهاليك، وشيعتك ومواليك...**»[1].

فليس الهدف من هذا الخروج إلّا تصحيح المسار الذي وصلت إليه الأُمّة؛ بسبب السياسات الخاطئة ـ بعد رحيل النبي صلى الله عليه وآله ـ التي تراكمت حتّى أنتجت حكماً يبتني على الظلم والجور وحاكماً مثل يزيد، فأدّى ذلك إلى انتقال الحسين عليه السلام من حالة التقية إلى حالة إعلان المعارضة بالوسائل المشروعة كافة؛ لأجل إعادة الحقّ إلى أهله ورفع الظلم عن الرعية.

(١) ابن المشهدي، محمد بن جعفر، المزار: ص٥٠٢ ـ ٥٠٣.

٢ـ سلوك الإمام الحسين عليه السلام مع أعدائه

لم يبدأ الإمام الحسين عليه السلام أحداً بحرب رغم إمكانية ذلك في بادئ الأمر، فقد كانت له من العدَّة والعدد ما يكفي لمواجهة جيش الأُمويين الذي كان يقوده الحرّ بن يزيد الرياحي، بل سار معهم بالنصح والوعظ والإرشاد عسى أن يرجعوا عن غيِّهم، ويعرفوا قبح أفعالهم، ونتيجة صنيعهم، إلّا أنَّهم واجهوه بآذان صمّاء وعيون عمياء لم ترَ نور الحقِّ وضياءه، واختارت الباطل عن علم وعمد، فقاتلوا الحسين عليه السلام ظلماً وعدواناً حتّى اُضطرَّ حينئذٍ إلى القتال والمواجهة، فورد في الزيارة: «**فجاهدتهم بعد الإيعاظ لهم، وتأكيد الحجّة عليهم، فنكثوا ذمامك وبيعتك**»[1]، وهذه صورة جليلة تُعطي درساً ينتفع منه العقلاء في التعامل النبيل مع العدو على اختلاف مشاربهم واتجاهاتهم الفكرية والعقدية.

٣ـ سلوك العدو مع الإمام الحسين عليه السلام

فقد اجتمع لمواجهة الحسين عليه السلام جيشٌ عظيم العدد بآلاف مؤلّفة من بلدان متعددة وأقوام مختلفة، قاموا بمحاصرته عليه السلام في كربلاء، ومنعوا عنه الماء والغذاء، ونصبوا له جميع وجوه الغدر والأذى؛ لأجل أن يرضخ لغايتهم وينزل عند رغبة أميرهم، وهي بيعة يزيد، فواجههم برباطة جأش وثبات عزيمة، رغم علمه بأنّ نتيجة ذلك هي استشهاده وأهل بيته وأصحابه وسبي نسائه وذراريه.

وبقراءة سريعة للزيارة يظهر لنا بوضوح مدى خسَّة ونذالة أعداء الحسين عليه السلام في تعاملهم الوحشي الذي يذمّه جميع العقلاء؛ لكونه تعاملاً يولِّد العار والشنار لفاعله ومرتكبه، فقد منعوا الماء عن قافلة الحسين عليه السلام، وقتلوه بأبشع الوسائل والطرق، ثمّ نهبوا رحله، وسلبوا ثيابه، ومثَّلوا بجثته بقطع رأسه وبتر إصبعه، وداسوا على جسده الشريف بحوافر الخيل، وسبوا نساءه وأهل بيته.

---

(١) المصدر السابق: ص٥٠٣.

وإنّ النتيجة الطبيعية بعد انقضاء أيِّ معركةٍ هي دفن الأجساد، فقد ورد عن النبيﷺ الدعوة إلى دفن أجساد القتلى من الطرفين، إلّا أنَّهم تركوا الحسينعليه السلام ومَن معه مطروحين على الأرض بلا دفن ولا تكفين لثلاثة أيّام، حتّى تمّ دفنهم على يد بني أسد في حادثة معروفة بأمر وتوجيه من الإمام السجادعليه السلام، وقد أُشير إلى ذلك في متن الزيارة: «**السلام على مَن تولّى دفنَه أهلُ القرى**»[1].

٤ـ الآثار التكوينية المترتبة على مقتل الإمام الحسينعليه السلام

إنّ الإمام الحسينعليه السلام حجّة الله على أهل الأرض؛ إذ لولاه لساخت بأهلها، وببركة وجوده ينزل الله تعالى الغيث وينشر الخيرات، فهو خليفة الله على أرضه والمُبيِّن لكتابه وأحكامه؛ ولذا كان قتله هدماً للدين وأركانه، فلا قيمة للصلاة والصيام إذا لم تأتِ عن طريق صحيح؛ لأنَّ الاعتقاد مُقدَّم على العمل وهو الذي يرفعه، فلو قضى الإنسان أيّام حياته بالصلاة والصيام بغير إمامٍ حجّة يتَّبعه كان كمَن يمشي في الطريق الخاطئ، فلا تزيده كثرة المشي إلّا بُعداً، وهذا هو معنى: «**لقد قتلوا بقتلك الإسلام، وعطَّلوا الصلاة والصيام، ونقضوا السنن والأحكام، وهدموا قواعد الإيمان**»[2]، فإنَّ قتل المؤمن العادي يُوجب غضب الجبار، فكيف بقتل سيّد شباب أهل الجنَّة، بل الحجّة التي نصبَّها الله تعالى لعباده؟! فإنَّه من الطبيعي أن تموج الأرض بأهلها؛ ولذا ظهرت آثار غريبة كاحمرار السماء، وبكائها دماً، وكسوف الشمس، ونوح الجنِّ، وما رُفع حجر إلّا وُجِد تحته دمٌ عبيطٌ، وغيرها ممّا تناقلته العامّة والخاصّة.

وقد أُشير إلى ذكر بعضها في الزيارة بقوله: «**فانزعج الرسول وبكى قلبه المهول، وعزَّاه بك الملائكة والأنبياء، وفُجعت بك أُمّك الزهراء، واختلفت جنود الملائكة المقرَّبين، تعزِّي أباك أمير المؤمنين، وأُقيمت لك المآتم في أعلا علِّيين، ولطمت عليك**

(١) المصدر السابق: ص٤٩٩.
(٢) المصدر السابق: ص٥٠٥.

الحور العين، وبكت السماء وسكّانها، والجنان وخزّانها، والهضاب وأقطارها، والأرض وأقطارها، والبحار وحيتانها، ومكة وبنيانها، والجنان وولدانها، والبيت والمقام، والمشعر الحرام، والحلُّ والإحرام»[1].

النقطة الخامسة: فضل البكاء على الحسين عليه السلام والغرض منه

إنَّ نصرة المعصوم عليه السلام واجبة على كلِّ مؤمن، وهي تارةً تكون فعلية فيما إذا كان الإمام موجوداً حاضراً، وأُخرى تكون بتحقيق الأهداف التي خرج من أجلها.

والبكاء هو أحد السُّبل الناجعة لنصرة سيّد الشهداء عليه السلام؛ باعتباره يذكّر الناس وينبِّههم بعظم الأهداف التي ضحَّى الحسين عليه السلام بدمه وأهله وصحبه من أجلها؛ ولذا ورد في متن الزيارة: «**فلئن أخَّرتني الدهور، وعاقني عن نصرك المقدور، ولم أكن لـمَن حاربك محارباً، ولـمَن نصب لك العداوة مناصباً، فلأندُبنّك صباحاً ومساءً، ولأبكين عليك بدل الدموع دماً، حسرة عليك، وتأسّفاً على ما دهاك وتلهّفاً، حتّى أموت بلوعة المصاب وغُصّة الاكتياب**»[2].

وهذا النصّ ظاهر في استمرار البكاء وكثرته على الإمام الحسين عليه السلام، فقد تضمَّن النصّ مؤكدات عديدة من سبق الفعل باللام وإلحاقه بالنون، لعدم إمكان النصرة الفعلية له عليه السلام في واقعة الطفّ، فكان البكاء هو البديل لتحقيق ذلك؛ إذ يكون منبِّهاً ومرشداً ومذكِّراً بالأهداف الواقعية التي خرج الإمام الحسين عليه السلام من أجلها.

وفيه ـ أيضاً ـ كناية عن شدَّة ما يُصاب به رحمه الله من الفاجعة والحزن عند ذكر مظلومية الحسين عليه السلام وما جرى عليه، فإنّ احمرار العين والموت بغُصّة الاكتئاب هي غاية ما يُصاب به الإنسان عندما تحلُّ به رزية عظيمة.

ولأجل ذلك لا ينقضي هذا الحزن حتّى يأخذ بثأره، ويحقّق الأهداف التي من أجلها خرج الإمام الحسين عليه السلام.

---

(١) المصدر السابق: ص٥٠٦.

(٢) المصدر السابق: ص٥٠١.

المطلب الرابع: الإشكالات الواردة على متن الزيارة

إنّ مَن يقرأ بتفحُّص وتمعَّن الزيارة الشريفة يجد فيها أكثر من موطن يرد عليه الإشكال، سواء في قضية تاريخية أم عقدية؛ ممّا يوجب التشكيك في صدور أصل الزيارة أو بعضها، ويسلب الوثوق بنسبتها إلى المعصوم عليه السلام؛ ولذا لا بدَّ من دراسة هذه الفقرات وبيان الأوجه الراجحة في تفسيرها وتأويلها، ومن أهمّ هذه الإشكالات ما يلي:

الإشكال الأوّل: ذبح الحسين عليه السلام على يد الشمر (لعنه الله)

ورد في متن الزيارة: «**والشمر جالس على صدرك، مُولغ سيفه على نحرك، قابض على شيبتك بيده، ذابح لك بمهنده، قد سكنت حواسك، وخفيت أنفاسك، ورفع على القنا رأسك**»[1]، في حين أنَّ الثابت تاريخياً أنَّ مَن حزَّ رأس الحسين عليه السلام هو سنان بن أنس (لعنه الله).

جواب الإشكال

إنَّ تتبُّع كتب التاريخ والسِّير والمقاتل يظهر لنا أنَّ جريمة القتل كانت جماعية، واشترك فيها أكثر من شخص، فيصحّ حينئذٍ نسبة القتل إليهم جميعاً أو إلى بعضهم بالتحديد، بَيدَ أنَّ الخلاف في تحديد مَن قام بحزِّ النحر الشريف على أقوال ثلاثة:

القول الأول: خولي بن يزيد الأصبحي، وهو ما ذهب إليه القاضي النعمان المغربي[2]، وبعض مؤرّخي العامّة كابن عساكر[3] والبلاذري، وغيرهم[4].

(١) المصدر السابق: ص٥٠٥.
(٢) أُنظر: القاضي المغربي، النعمان بن محمد، شرح الأخبار: ج٣، ص١٥٥.
(٣) أُنظر: ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق: ج١٤، ص٢٥٢.
(٤) أُنظر: البلاذري، أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف: ج٣، ص٤١٨. الزرندي الحنفي، محمد بن يوسف، نظم درر السمطين: ص٢١٧.

القول الثاني: الشمر بن ذي الجوشن الضبابي، ذكره المفيد[١]، وتابعه الطبرسي[٢].

وذكر القندوزي الحنفي رواية تدلُّ على ذلك[٣].

القول الثالث: سنان بن أنس النخعي، وهو ما رواه الطبري عن أبي مخنف[٤]، واختاره المسعودي[٥]، وابن عنبة[٦] وغيرهم. وهو موافق لِما رواه الصدوق بسنده عن عبد الله بن منصور، سأل الإمام جعفر بن محمد بن علي بن الحسين عليهم السلام، عن مقتل الإمام الحسين عليه السلام: فقال: «... **فنزل سنان بن أنس الأيادي (لعنه الله) وأخذ بلحية الحسين عليه السلام... وهو يقول: والله، إنِّي لأحتزُّ رأسك، وأنا أعلم أنَّك ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وخير الناس أباً وأُمّاً**»[٧].

والذي يبدو من مجموع الأقوال أنَّ جريمة القتل كانت جماعية، اشترك فيها أكثر من شخص، وقد يتحقّق القتل من أحدهم وحزّ الرأس من آخر، فلا مانع من القول بأنَّ الشمر هو الذي قتل الحسين عليه السلام وباشر بحزّ رأسه، ثُمّ أكمل ذلك سنان أو خولي، وقد يكون عكس ذلك لاختلاف الروايات.

والظاهر أنَّ أغلب النقولات جاءت عن طريق جيش العدو، وهناك عوامل دفعت لوقوع الاختلاف، منها: اضطراب الجوّ الذي يمنع من التأكّد من تحديد الفاعل، وادِّعاء كلِّ شخص ذلك لتحصيل مغانم مادية ومعنوية، وأمّا الروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام فمختلفة يدور الأمر فيها بين الشمر وسنان.

والذي يهمّنا أنَّ المسألة ليست محسومة، ليُحكم بمخالفة الزيارة لقضية تاريخية مسلَّمة، فتأمّل.

---

(١) أُنظر: المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص١١٢.

(٢) أُنظر: الطبرسي، الفضل بن الحسن، إعلام الورى بأعلام الهدى: ص٤٦٩.

(٣) أُنظر: القندوزي الحنفي، سليمان بن إبراهيم، ينابيع المودّة: ج٣، ص٨٣ ـ ٨٤.

(٤) أُنظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٤، ص٣٤٦.

(٥) أُنظر: المسعودي، علي بن الحسين، مروج الذهب: ج١، ص٣٧٥.

(٦) أُنظر: ابن عنبة، أحمد الحسيني، عمدة الطالب: ص١٩٢.

(٧) الصدوق، محمد بن علي، الأمالي: ص٢١٥، وص٢٢٦.

الإشكال الثاني: خروج نساء بيت النبوّة حاسرات بلا حجاب

ورد في الزيارة: «**فلمّا رأين النساء جوادك مخزياً، ونظرن سرجك عليه ملوياً، برزنَ من الخدور، ناشرات الشعور على الخدود، لاطمات الوجوه، سافرات، وبالعويل داعيات، وبعد العزِّ مذللات، وإلى مصرعك مبادرات**»[1].

وهذه العبارة ظاهرة في خروج النساء من الخيام بعد مقتل الإمام الحسين عليه السلام في حالة من الجزع والهلع، سافرات الوجوه، كاشفات عن شعر رأسهن، وهذا السلوك يتنافى مع وجوب الحجاب وحرمة كشف الشعر أمام الأجنبي، فلا تفعله عوام المؤمنات فكيف بنساء الرسالة وربيبات بيت الوحي؟!

فالإشكال يكمن في لفظين:

الأول: (ناشرات الشعور)، فقد نسبت هذا الفعل إلى نساء أهل البيت عليهم السلام بعد خروجهن من الخيام.

الثاني: (سافرات)، وهو ظاهر في كشف مفاتن المرأة وبروزها بلا حجاب.

جواب الإشكال

إنَّ التأمّل في ألفاظ الزيارة الشريفة وسياقها، يكشف عن دخول السجع البلاغي والمحسّنات البديعية وكثرة المجاز والاستعارة فيها، ممّا يمنع من الأخذ بظاهر العبارة بدواً وبدون فحص وتحقيق، لا سيَّما إذا كان ظاهر اللفظ مخالفاً للعقل والنصّ، ولأجل ذلك ظهرت محاولات عدَّة للتخلص من الإشكال:

المحاولة الأُولى

نشر الشعر بمعنى فكّه، أي: إرساله بعدما كان مربوطاً على شكل من أشكال الزينة كالضفائر مثلاً، فنشر الشعر لا يستلزم كشفه، فيمكن أن يُنشر الشعر تحت

(١) ابن المشهدي، محمد بن جعفر، المزار: ص٥٠٤ ـ ٥٠٥.

الحجاب؛ فيكون معنى العبارة: (برزن من الخيام ناشرات الشعر تحت الحجاب). فغاية ما يقال: إنَّ الثكلى من النساء كانت تفكّ ضفائر شعرها دلالة على عِظم المصاب وجلله، أو لا تقوم بتمشيطه وتعديله لكونها مذهولة عن نفسها بما جرى عليها، وهذا التصرُّف قد يحصل بلا حجاب وقد يحصل تحت الحجاب[1].

إذاً؛ استفادة نشر الشعر بلا حجاب من النصّ المذكور بعيدة، لا سيَّما مع وجود القرينة القطعية على عدم مخالفة نساء أهل البيت عليهم السلام للأوامر الإلهية المعتضد بالنقل التاريخي على دوام عفّتهنّ ومحافظتهنّ على الحجاب.

المحاولة الثانية

خروج النساء من خيامهنّ بلا حجاب لا يلازم عقلاً أو عرفاً ظهورهنّ أمام الأجنبي؛ لأنّ الخيام كانت معزولة عن أرض المعركة ومحوطة بخندق، كما أنّ الخيام كانت فارغة من الرجال سوى الإمام زين العابدين عليه السلام. وعليه؛ فخروجهنَّ بهذه الحالة لا يؤدي إلى الفعل المحرَّم؛ إذ العدو بعيد والحاجب موجود.

ومما يؤكّد هذا المعنى ما ذكره المفيد: «**ثمّ خرج إلى أصحابه فأمرهم أن يقرِّب بعضهم بيوتهم من بعض، وأن يدخلوا الأطناب بعضها في بعض، وأن يكونوا بين البيوت، فيستقبلون القوم من وجه واحد، والبيوت من ورائهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم قد حفَّت بهم، إلّا الوجه الذي يأتيهم منه عدوهم**»[2].

فلا شاهد على أنّهنَّ برزنَ أمام الأعداء في ساحة المعركة سوى التصوّر البدوي المرفوض.

المحاولة الثالثة

إنّ النساء قد خرجنَ بهذه الحالة بعدما أظلم الكون وكسفت الشمس، فيمنع

(١) أُنظر: العاملي، جعفر مرتضى، خلفيات كتاب مأساة الزهراء عليها السلام: ج٢، ص١٨٢.
(٢) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ص٩٧.

العدو حينئذٍ من النظر والمشاهدة؛ إذ إنّ الظلام يكون ساتراً لهنّ، وبالتالي لا يكون في هذا الفعل أيُّ محرِّم.

وأمّا الحجّة التي استند عليها أصحاب هذا الرأي، فهو ما أخرجه البيهقي والطبراني بسند حسن عن أبي قبيل قال: «**لمّا قُتل الحسين بن علي**رضي الله عنهما **انكسفت الشمس كسفةً [حتّى] بدت الكواكب نصف النهار حتّى ظننا أنّها هي**»[1]، أي: يوم القيامة.

المحاولة الرابعة

إنّ مفردة (الشعور) قد يُراد منها (شعر الرأس) وقد يراد منها (الإحساس)، وبحمل المفردة على المعنى الثاني ينتفي الإشكال، فقد يكون المعنى هو خروج النساء مظهرات للحزن ومبديات للأسى على مقتل الحسينعليه السلام، فالنشر يتواءم مع الإظهار والكشف والإذاعة والإعلان.

فالشعور مشترك لغوي بين أمر مادي وهو شعر الجسد وأمر معنوي وهو الإحساس والإدراك؛ ولذا تقول: شعرت بكذا، أي: أحسست به، وتقول: فلان عديم الشعور، أي: فاقد الإحساس.

المحاولة الخامسة

إنّ هذا اللفظ لمّا كان مشكلاً في تفسيره، بل منكراً؛ لزم الوقوف عنده وتأويله بما يرفع الشبهة عنه؛ ومن هنا احتمل بعضهم وقوع التصحيف أو التحريف غير المتعمَّد من قِبل النّساخ في مفردات الزيارة؛ نتيجة للنقل بالمعنى أو الاشتباه في النقل أو الخطأ في التدوين أو غير ذلك، ويدلّ عليه الاختلاف بين نقل ابن طاووس وابن المشهدي

(١) البيهقي، أحمد بن الحسين، السّنن الكبرى: ج٣، ص٣٣٧. الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير: ج٣، ص١١٤. الهيثمي، علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد: ج٩، ص١٩٧. وقال: «إسناده حسن».

في بعض ألفاظ الزيارة، فيحتمل أن يُراد منه (فاقدات)؛ ليتلائم حينئذٍ مع المحاولة السابقة في المعنى والمدلول.

المحاولة السادسة

إنّ استعمال هذه الألفاظ لا تدلُّ بالضرورة على معناها الحقيقي، بل قد يُراد منها الكناية عن معنى آخر، فكما تقول: (فلان طويل النجاد)، للدلالة عن طول قامته، أو (فلان كثير الرماد) للدلالة على شدَّة كرمه وأنَّ الضيف لا يفارق بيته. فكذلك الحال في المقام؛ إذ إنّ التعبير عن شدَّة المُصيبة وعِظم الرزية تارةً يكون بقول: (النساء حزنَّ على فقد الحسين عليه السلام)، وأُخرى بذكر آثار الحزن من نشر الشعر ولطم الوجه والصراخ والعويل ونحو ذلك، بَيدَ أنَّه لا يراد منها إلّا حصول الحزن، أي: ذكر الأثر وإرادة السبب.

وخلاصة المطاف: إنَّ ثبوت أيٍّ واحدةٍ من المحاولات المتقدّمة ـ وإن كان بعضها مستبعداً ـ ينفي الشبهة عن عفَّة نسوة أهل البيت عليهم السلام وطهارتهنَّ وكمال إيمانهنَّ والتزامهنَّ بالفرائض الشرعية، لا سيَّما السيّدة زينب وأُمّ كلثوم عليهما السلام؛ لجلالة قدرهنَّ وعلو مقامهنَّ وعلمهنَّ الذي لا يناسب هكذا تصرف، وممّا يؤكّد ذلك وصية الحسين عليه السلام لأُخته العقيلة قُبيل استشهاده بعدم شقِّ الجيب[1]. كما أنَّه لا مانع من انصراف العبارة عنهما عليهما السلام، فالجمع لا يُراد منه الشمول دائماً، بل قد يُقصد منه التغليب مع قيام القرينة على خروج بعض الأفراد منه، فتأمّل.

وأمّا لفظ (سافرات) فأضعف دلالة؛ إذ لم يقل: سافرات الشعر، أي: مظهرات شعر رأسهنَّ، فالسفور معناه الإظهار والإبراز، ومنه قول العرب: سفرت الشمس، أي: طلعت وأشرقت، وسفر وجهه، أي: أشرق، وسفرت المرأة، أي: أظهرت وجهها؛ وبذلك يمكن أن يُراد من لفظ (سافرات) إبراز النساء لوجههنَّ غير

(١) أُنظر، المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ص٩٧.

مُقنَّعات بنقاب، وهو ليس بمستقبح، أو يُراد منه خروجهنَّ من الخيام وبروزهنَّ أمام الأعداء، وهذا لا ينافي كمال حجابهنَّ، أو يُراد منه كناية عن عِظم الـمُصاب وجلل الرزية التي وقعت على نساء بيت النبوّة.

الإشكال الثالث: أكل السباع للأجساد الطاهرة

ورد في الزيارة: «**السلام على الأجسام العارية في الفلوات، تنهشها الذئاب العاديات، وتختلف إليها السباع الضاريات**»[1].

جواب الإشكال

وهذا النصّ من المشكلات؛ إذ يُظهر للقارئ للوهلة الأُولى احتمالان من حصول نهش الذئاب للأجساد الطاهرة:

الاحتمال الأول: أن يُحمل على الحقيقة، وهو الأصل في الخطاب، فيُراد منه أكل الذئاب والوحوش المفترسة للأجساد المطروحة على صحراء كربلاء. والذي يساعد عليه السياق؛ إذ إنَّه وقع بعد استشهاد الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه وطرحت أجسادهم في الفلوات.

الاحتمال الثاني: أن يُحمل على المجاز، فيُراد من الذئاب في النصّ هم الأعداء؛ إذ وُصفوا بذلك لشدّة بعدهم عن المبادئ الإنسانية. ويدلّ عليه أمران:

الأمر الأول: امتناع الاحتمال الأول

فقد دلَّت عليه قرينتان خارجيتان:

القرينة الأُولى: إنّ لحومهم عليهم السلام محرَّمة على السباع؛ فقد ورد في خبر المرأة التي زعمت أنَّها زينب بنت علي بن أبي طالب عليها السلام «**فأحضرها المتوكِّل وقال: أُذكري نسبك؟ فقالت: أنا زينب بنت علي** عليه السلام... **فقال لها المتوكِّل: إنَّ زينب بنت علي قديمة،**

(١) ابن المشهدي، محمد بن جعفر، المزار: ص٥٠٠.

وأنت شابة؟ فقالت: لحقتني دعوة رسول الله بأن يردَّ شبابي في كلِّ خمسين سنة. فدعا المتوكِّل وجوه آل أبي طالب، فقال: كيف يعلم كذبها؟ فقال الفتح: لا يُخبرك بهذا إلّا ابن الرضا عليه السلام. فأمر بإحضاره وسأله فقال عليه السلام: إنَّ في ولد علي عليه السلام علامة. قال: وما هي؟ قال: لا تعرض لهم السباع، فألقها إلى السباع، فإن لم تعرض لها فهي صادقة. فقالت: يا أمير المؤمنين، الله الله فيَّ، فإنَّما أراد قتلي، وركبت الحمار وجعلت تنادي: أَلا إنَّني زينب الكذّابة... فقال علي بن الجهم: جرِّب هذا على قائله، فأجيعت السباع ثلاثة أيّام، ثمّ دعا بالإمام عليه السلام وأخرجت السباع، فلمّا رأته لاذت به وتبصبصت بآذانها، فلم يلتفت الإمام إليها، وصعد السقف وجلس عند المتوكِّل، ثمّ نزل من عنده، والسباع تلوذ به، وتبصبص حتّى خرج، وقال: قال النبي: حُرِّم لحوم أولادي على السباع»[1].

القرينة الثانية: إنَّ المروي عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام هو بكاء الوحوش والحيوانات على الحسين عليه السلام، فكيف تقوم بنهش الأجساد؟! ومنها ما رواه ابن قولويه بسنده عن الحارث الأعور قال: قال علي عليه السلام: «**بأبي وأُمّي الحسين المقتول بظهر الكوفة، والله، كأنّي أنظر إلى الوحوش مادّة أعناقها على قبره من أنواع الوحش، يبكونه ويرثونه ليلاً حتّى الصباح**»[2]، وما رواه أيضاً بسنده عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «**بكت الأنس والجنّ والطير والوحش على الحسين بن علي عليهما السلام حتّى ذرفت دموعها**»[3].

الأمر الثاني: النصوص الدالة على إرادة المجاز

وجود نصوص عدّة تقارب هذا المضمون واضحة في الحمل على المجاز؛ لتكون قرينة على إرادة المجاز، وأمّا السياق فإنَّه وإن كان ظاهراً في الحقيقة إلّا أنَّه ينبغي رفع اليد عنه بقيام القرينة الخارجية على امتناع وقوع ذلك، فيكون المراد منه تشبيهاً

(١) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج٤، ص٤١٦. ابن حمزة الطوسي، محمد، الثاقب في المناقب: ص٥٤٦.

(٢) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص١٦٦.

(٣) المصدر السابق.

لأعداء الحسين عليه السلام من الجيش الأُموي بالذئاب والسباع من الوحوش، ولا يُراد منه حقيقة حصول النهش، وهو تعبير متداول عند العرف العربي، وله شواهد عديدة من الاستعمالات الواردة على لسان المعصوم[1].

وخلاصة الكلام: إنَّ التعبير بنهش الذئاب ممتنع عن الأجساد الطاهرة، فيُحمل على أعدائهم تشبيهاً لهم بالذئاب، وأمّا اختلاف السباع في قوله: «**وتختلف إليها السباع الضاريات**»، فيمكن حمله على الحقيقة بلحاظ أنَّ الاختلاف هو القصد الذي قد يكون لأجل الزيارة والبكاء كما ورد في النصّ الشريف: «**والله، كأنّي أنظر إلى الوحوش مادّة أعناقها على قبره من أنواع الوحش، يبكونه ويرثونه ليلاً حتّى الصباح...**»[2]، أو حمله على المجاز إذا كان المراد من الاختلاف هو الاعتداء على الأجسام والأكل منها.

الإشكال الرابع: رضّ الخيل لصدر الحسين عليه السلام

دلَّ نصّ الزيارة على حدوث هذه الفاجعة بقوله: «**حتى نكّسوك عن جوادك، فهويت إلى الأرض جريحاً، تطؤك الخيول بحوافرها، وتعلوك الطغاة ببواترها، قد رشح للموت جبينك، واختلفت بالانقباض والانبساط شمالك ويمينك، تدير طرفاً خفياً إلى رحلك وبيتك، وقد شغلت بنفسك عن ولدك وأهلك، وأسرع فرسك شارداً، وإلى خيامك قاصداً**»[3].

وقد أُورد على هذا المقطع إشكالين:

الأوّل: إنَّ النقل التاريخي قد اتّفق على حصول الرضِّ بعد استشهاده عليه السلام، في حين أنَّ ظاهر الزيارة وقوع ذلك قبل مقتله عليه السلام.

(١) أُنظر: ابن طيفور، أحمد بن أبي طاهر، بلاغات النساء: ص١٣. ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف: ص٦١. ابن طاووس، علي بن موسى، إقبال الأعمال: ص٢٩٦. الإربلي، علي بن عيسى، كشف الغمّة: ج٢، ص٢٩. ابن المشهدي، محمد بن جعفر، المزار: ص٥٧٧.

(٢) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص١٦٦.

(٣) المصدر السابق: ص٥٠٤.

الثاني: إنكار وقوع الرضّ أصلاً والتشكيك في كلِّ النقولات الواردة في إثبات ذلك، فتكون هذه الزيارة صغرى لذلك التشكيك؛ إذ ذهب إلى منع وقوع الحادثة العلّامة المجلسي بقوله: «**إنَّ ما ذكره الخاصّة والعامّة من وقوع هذا الأمر الفظيع لا أصل له**»[1].

جواب الإشكال

أمّا الإشكال الأوّل، فيرتفع بأحد وجهين:

الأوّل: إنَّ الزيارة قد نُقلت بالمعنى، فيمكن أن يحصل فيها التقديم والتأخير غير المتعمَّد، ممّا لا يؤثِّر على أصل وقوع حادثة الرضِّ على الجسد الشريف.

الثاني: لا مانع من حصول الرضِّ مرّتين، إحداهما قبل استشهاده عليه السلام وقد أشارت إليه الزيارة، والأُخرى بعد استشهاده عليه السلام وقد أشارت إليه بعض الأخبار؛ إذ إنِّ إمكان وقوع تلك الفاجعة على الجسد الشريف وامتناعها لا يختلف بين الحالين.

وأمّا الإشكال الثاني، فإنّ عمدة ما يُستدلُّ به على نفي حدوث الرضِّ للجسد الشريف روايتان:

الرواية الأُولى: ما رواه الكليني بسنده عن إدريس بن عبد الله الأودي قال: «**لمّا قُتل الحسين عليه السلام أراد القوم أن يوطئوه الخيل، فقالت فضّة لزينب: يا سيدتي، إنَّ سفينة**[2] **كُسِرَ به في البحر فخرج إلى جزيرة فإذا هو بأسد. فقال: يا أبا الحارث، أنا مولى رسول الله صلى الله عليه وآله، فهمهم بين يديه حتّى وقفه على الطريق والأسد رابض في ناحية، فدعيني أمضي إليه وأعلمه ما هم صانعون غداً، قال: فمضت إليه فقالت: يا أبا الحارث. فرفع رأسه، ثمّ قالت: أَتدري ما يُريدون أن يعملوا غداً. بأبي عبد الله عليه السلام؟ يُريدون أن يوطئوا الخيل ظهره. قال: فمشى حتّى وضع يديه على جسد الحسين عليه السلام، فأقبلت الخيل، فلمّا نظروا**

(١) المجلسي، محمد باقر، مرآة العقول: ص٥، وص٣٧١ (الهامش).

(٢) سفينة: هو لقب لمولى رسول الله صلى الله عليه وآله، اسمه قيس، ويكنى أبا ريحانة.

إليه قال لهم عمر بن سعد ـ لعنه الله ـ: فتنة لا تُثيروها، انصرفوا. فانصرفوا»[1].

ويمكن مناقشته: بأنَّ الخبر مخدوش سنداً ودلالة. فأمّا من جهة السند، فيحتوي على جملة من المجاهيل كأبي كريب، وأبي سعيد الأشج، وعبد الله بن إدريس، وأبيه، مضافاً إلى الإرسال بين إدريس بن عبد الله ـ وهو من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام[2] ـ وفضّة، بل إنّ وجود فضّة ضمن نسوة كربلاء مستبعد؛ إذ لم يُذكر لها أثر في غير هذا الخبر، فالرواية ساقطة سنداً لأكثر من سبب، إضافة إلى أنَّ الرواية منقولة عن غير المعصوم عليه السلام ممّا لا يكون كلامه حجّة مطلقاً.

وأمّا دلالة، فهي ظاهرة بإطاعة الحيوانات لغير المعصوم عليه السلام وتحدُّثها معهم، ولا دليل عليه، ومثل هذه الدعوى لو وجدت لكثر نقلها واستفاض لكثرة الشهود عليها من الطرفين.

ثمّ إنّ هذا الخبر يشوبه الكثير من الاستفهامات المقلقة، منها: لماذا لم يعرف بوجود هذا الأسد سوى فضّة مع وجود الآلاف المؤلَّفة في ساحة المعركة؟ ولو كان موجوداً فعلاً فلماذا لم يدافع عن الحسين عليه السلام وهو الإمام المفترض الطاعة؟ ولماذا لم تعلم بوجوده زينب عليها السلام؟ وهل لفضّة القدرة على مخاطبة الحيوانات والتحدُّث معها؟ ونحوها ممّا يمتنع معها القبول بهذه القصة.

ولو سلَّمنا جدلاً بقبولها، فيحصل حينئذٍ التعارض بينها وبين ما اشتهر نقله وتسالم بين المؤرّخين، فلا بدَّ من الجمع بينهما بحمل الرضِّ على العاشر من محرَّم وحضور الأسد على الحادي عشر؛ بلحاظ ظهور الخبر المزبور في قصد العدو لتكرار الفعل الشنيع في اليوم التالي بعبارة فضّة: «**وأعلمه ما هم صانعون غداً**»، أو نحو ذلك من التوجيهات التي لا تؤدي إلى إنكار التسالم التاريخي بوقوع الرضِّ.

---

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج١، ص٤٦٥ ـ ٤٦٦.

(٢) ذكر الطوسي إدريسَ بن عبد الله الأزدي ضمن أصحاب الصادق عليه السلام في رجاله: ص١٦٣، رقم١٨٥٢؛ وذكر ابنه عبد الله في رجاله ضمن أصحاب الصادق عليه السلام أيضاً: ص٢٣٣، رقم٣١٤٨.

الرواية الثانية: ما رواه المجلسي عن المنتخب للطريحي، قال: «**حُكي عن رجل أسدي، قال: كنت زارعاً على نهر العلقمي بعد ارتحال العسكر ـ عسكر بني أُميّة ـ فرأيت عجائب لا أقدر أحكي إلّا بعضها... وعند غروب الشمس يُقبل أسدٌ من القبلة فأولي عنه إلى منزلي، فإذا أصبح وطلعت الشمس وذهبت من منزلي أراه مستقبل القبلة ذاهباً، فقلت في نفسي: إنَّ هؤلاء خوارج قد خرجوا على عبيد الله بن زياد فأمر بقتلهم وأرى منهم ما لم أرَه من سائر القتلى، فوالله هذه الليلة لا بدَّ من المساهرة لأبصر هذا الأسد يأكل من هذه الجثث أم لا؟ فلمّا صار عند غروب الشمس وإذا به أقبل فحقّقته وإذا هو هائل المنظر فارتعدّت منه، وخطر ببالي: إن كان مراده لحوم بني آدم فهو يقصدني، وأنا أُحاكي نفسي بهذا فمثلته وهو يتخطى القتلى حتّى وقف على جسد كأنّه الشمس إذا طلعت فبرك عليه، فقلت: يأكل منه! وإذا به يمرِّغ وجهه عليه، وهو يُهمهم ويُدمدم، فقلت: الله أكبر، ما هذه إلّا أُعجوبة! فجعلت أحرسه حتّى اعتكر الظلام وإذا بشموع معلَّقة ملأت الأرض، وإذا ببكاء ونحيب ولطم مفجع، فقصدت تلك الأصوات فإذا هي تحت الأرض ففهمت من ناع فيهم يقول: وا حسيناه، وا إماماه. فاقشعر جلدي فقربت من الباكي وأقسمت عليه بالله وبرسوله مَن تكون؟ فقال: إنّا نساء من الجنِّ. فقلت: وما شأنكنَّ؟ فقلنَ: في كلّ يوم وليلة هذا عزاؤنا على الحسين الذبيح العطشان. فقلت: هذا الحسين الذي يجلس عنده الأسد؟ قلنَ: نعم، أَتعرف هذا الأسد؟ قلت: لا. قلنَ: هذا أبوه علي بن أبي طالب، فرجعت ودموعي تجري على خدي**»[1].

إنّ هذه القصة مجعولة موضوعة، وأمارات الكذب بادية عليها، مضافاً إلى تضمُّنها معانٍ منكرة، تتناسب وحكايات الفلكلور الشعبي والقبليات الثقافية والموروث الاجتماعي الخاطئ.

أمّا من حيث السند فهي مرسلة عن راوٍ مجهول، ولم تُنقل في أيِّ مصدرٍ قديمٍ

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص١٩٣ ـ ١٩٤.

يطمأنّ لصحّته، وأمّا كتاب المنتخب للطريحي فأقلّ ما يمكن أن يوصف بأنَّه متأخر ولا عبرة بنقله ما لم يوثَّق نقله عن أصل قديم يعتمد عليه.

وأمّا من حيث الدلالة فمضطربة وذات دلالة منكرة؛ إذ يشوبها الكثير من الاستفهامات والأسئلة المقلقة التي تحتاج إلى توضيح من قبيل:

١ـ لماذا لم يشاهد أحد غير هذا الأسدي هذا الموقف أو يسمع ما سمعه؟! فإذا كانت الزراعة متوافرة في تلك المناطق، فلا بدَّ من وجود جماعات كثيرة تقطن قربها، وبالتالي فإنَّ مثل هذا الموقف الغريب يكون بمرأى ومسمع منهم؛ ليُحفظ في أذهانهم ويتداول فيما بينهم، بينما لم ينقله لنا سوى راوٍ مجهول يُنسب إلى بني أسد.

٢ـ ولو سلَّمنا بوجوده وحده فلماذا لم يتصدَّ لدفن الأجساد الشريفة بعدما عرف شخوصها ومقاماتها؟! أَو ليس هذا من واجبات الشريعة الغرّاء؟ لا سيّما بعد رحيل الجيش الأُموي وعدم وجود المانع من ذلك.

٣ـ لماذا خُصّص البكاء بنساء الجنِّ دون رجالهم، مع أنَّ الأخبار والروايات تنقل نوح مطلق الجنِّ دون تخصيص أو تقييد؟!

٤ـ إنّ تجسّد المعصوم عليه السلام بهيئة حيوان يوجب الإساءة له، فإذا أمكنه الرجوع إلى الدنيا، فما الذي يمنعه من الظهور بهيئته المعروفة؟! ولماذا لم يخرج لنصرة ولده في ساحة المعركة؟! كلّ هذه التساؤلات وغيرها توجب الجزم بكذب الحادثة.

إذاً؛ الروايتان لا تصلحان للاستدلال على نفي ما قام به الأعداء من رضِّ الجسد الشريف بحوافر الخيل، فهما ـ إضافة إلى ما تقدّم ـ لا تصمدان أمام ما تسالمت عليه كتب السيرة والتاريخ من حصول هذا الفعل الشنيع[1].

(١) للاطلاع على النصوص التي ذكرت الحادثة. أُنظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٤، ص٣٤٧. المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص٨٨، وص١١٣. ابن شهر آشوب، محمد ابن علي، مناقب آل أبي طالب: ج٣، ص٢٥٩. البلاذري، أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف: ج٣، ص١٨٣. ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف: ص١٨٣.

الخاتمة

وقد تحصَّل ممّا تقدّم مجموعة من النتائج التي تمثِّل خلاصة البحث وأهمّ مضامينه وهي:

١ـ إنَّ هذه الزيارة لم ترد في المصادر القديمة، وعند التتبع والاستقراء نجد أنّ أقدم مَن رواها ابن طاووس، وأشار إلى وجودها في زمن السيّد المرتضى، وابن المشهدي في مزاره.

٢ـ لم ينسب هذه الزيارة إلى المعصوم عليه السلام سوى ابن المشهدي، وقد رواها مرسلة من دون ذكر سلسلة السند التي توصله بالناحية المقدّسة عجل الله فرجه الشريف؛ فيحكم نتيجة لذلك بضعف الزيارة بالإرسال، وقد بُذلت محاولات عدَّة لتصحيح الزيارة إلّا أنَّ جميعها قابل للمناقشة.

٣ـ إنّ عدم صحة السند لا يلازم عدم مشروعية قراءتها والتعبُّد بها، بل يمكن للزائر قراءتها وتحصيل الأجر بها، أمّا من جهة التسامح في أدلة السنن، أو من جهة رجاء المطلوبية أو غيرها.

٤ـ قد أُورد على بعض عبارات الزيارة إشكالات، إلّا أنَّها جميعاً قابلة للدفع والمناقشة بتأويلها وفق ما يناسب العقيدة السليمة والأخبار الصحيحة، غاية ما يمكن قوله: إنَّ قراءة هذه المقاطع من الزيارة وإرادة معانيها السقيمة قد يؤدي إلى مخالفة عقدية أو إساءة إلى مقام أهل البيت عليهم السلام، وهو ممّا لا ينبغي للمؤمن الوقوع فيه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على سيّدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

١ ـ الإرشاد، محمد بن محمد بن النعمان المعروف بالمفيد (ت٤١٣هـ)، تحقيق: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، منشورات دار المفيد.

٢ ـ الاستذكار، يوسف بن عبد البرّ (ت٤٦٣هـ)، تحقيق: عبد المعطي أمين، دار قتيبة، دمشق ـ سوريا، الطبعة الأُولى، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.
٣ ـ الأصول الستة عشر (دراسة وتحقيق)، ضياء الدين المحمودي، مكتبة أهل البيت عليهم السلام، قم المشرَّفة ـ إيران، الطبعة الأُولى، ١٤٣٩هـ/ ٢٠١٨م.
٤ ـ إعلام الورى بأعلام الهدى، الفضل بن الحسن الطبرسي (ت٥٤٨هـ)، تحقيق ونشر: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، الطبعة الأُولى، ١٤١٧هـ.
٥ ـ إقبال الأعمال، علي بن موسى المعروف بابن طاووس (ت ٦٦٤هـ)، تحقيق: جواد القيومي، مكتب الإعلام الإسلامي، قم المشرَّفة ـ إيران، الطبعة الأُولى، ١٤١٤هـ.
٦ ـ الأمالي، محمد بن الحسن الطوسي (ت٤٦٠هـ)، دار الثقافة، قم المشرَّفة ـ إيران، ١٤١٤هـ.
٧ ـ الأمالي، محمد بن علي الصدوق (ت٣٨١هـ)، مؤسّسة البعثة، قم المشرَّفة ـ إيران، الطبعة الأُولى، ١٤١٧هـ.
٨ ـ أمل الآمل، محمد بن الحسن المعروف بالحرّ العاملي (ت١١٠٤هـ)، تحقيق: أحمد الحسيني، دار الكتاب الإسلامي، قم المشرَّفة ـ إيران.
٩ ـ أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى البلاذري (ت٢٧٩هـ)، تحقيق: سهيل زكّار، دار الفكر، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.
١٠ ـ بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي (ت١١١١هـ)، مؤسّسة الوفاء، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٨٣هـ.
١١ ـ البحر الزخار، أحمد بن عمرو البزار (ت٢٩٢هـ)، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأُولى، ٢٠٠٩م.
١٢ ـ بلاغات النساء، أحمد بن أبي طاهر المعروف بابن طيفور (ت٣٨٠هـ)، مكتبة بصيرتي، قم المشرَّفة ـ إيران.
١٣ ـ تاريخ الأُمم والملوك، محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى.

١٤ ـ تاريخ مدينة دمشق، علي بن الحسن المعروف بابن عساكر (ت٥٧١هـ)، تحقيق: علي شيري، دار الفكر، الطبعة الأُولى، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

١٥ ـ الثاقب في المناقب، محمد بن حمزة الطوسي، تحقيق: نبيل رضا، مؤسّسة أنصاريان، قم المشرَّفة ـ إيران، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ.

١٦ ـ الجامع الصحيح، محمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ)، دار الفكر، بيروت ـ لبنان، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

١٧ ـ الجامع الصغير، جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، دار الفكر، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى، ١٤٠١هـ.

١٨ ـ خاتمة مستدرك الوسائل، حسين النوري الطبرسي (ت١٣٢٠هـ)، تحقيق ونشر: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

١٩ ـ خلفيات كتاب مأساة الزهراء عليها السلام، جعفر مرتضى العاملي، دار السيرة، بيروت ـ لبنان، الطبعة الخامسة، ١٤٢٢هـ.

٢٠ ـ دعاء الفرج وشبهات المضلِّين، المقدَّس أبو الحسن حميد الغريفي، مكتب أنصار الحجّة عليه السلام الإسلامي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م.

٢١ ـ رجال الطوسي، محمد بن الحسن الطوسي (ت٤٦٠هـ)، تحقيق: جواد القيومي، جماعة المدرسين، الطبعة الثالثة، ١٤٢٧هـ.

٢٢ ـ رجال النجاشي، أحمد بن علي النجاشي (ت٤٥٠هـ)، تحقيق: موسى الشبيري، جماعة المدرسين، الطبعة الثامنة، ١٤٢٧هـ.

٢٣ ـ سنن أبي داوود، سليمان بن الأشعث السجستاني (ت٢٧٥هـ)، تخريج: محمد ناصر الألباني، تحقيق: مصطفى أبو المعاطي، دار الغد الجديد، الطبعة الأُولى، القاهرة ـ مصر، ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م.

٢٤ ـ السنن الكبرى، أحمد بن الحسين الخراساني البيهقي (ت٤٥٨هـ)، مجلس دائرة المعارف، الطبعة الأُولى، ١٣٤٤هـ.

٢٥ ـ شرح الأخبار، القاضي أبو حنيفة النعمان بن محمد المغربي (ت٣٦٣هـ)، تحقيق: محمد الجلالي، جماعة المدرسين، قم المشرَّفة ـ إيران.
٢٦ ـ صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، دار السلام، الرياض ـ السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ.
٢٧ ـ عمدة الطالب، أحمد بن علي المعروف بابن عنبة (ت٨٢٨هـ)، مؤسّسة أنصاريان، قم المشرَّفة ـ إيران، الطبعة الثالثة، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.
٢٨ ـ العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٥هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي، دار الهجرة، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ.
٢٩ ـ فهرست أسماء مصنفي الإمامية، منتجب الدين ابن بابويه الرازي الطوسي (ت٥٨٥هـ)، مكتبة المرعشي، قم المشرَّفة ـ إيران، ١٣٦٦هـ.
٣٠ ـ الفهرست، محمد بن الحسن الطوسي (ت٤٦٠هـ)، تحقيق: جواد القيومي، مؤسّسة نشر الفقاهة، قم المشرَّفة ـ إيران، الطبعة الثانية، ١٤٢٢هـ.
٣١ ـ القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت٨١٧هـ)، تحقيق ونشر: مؤسّسة الرسالة، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثامنة، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.
٣٢ ـ الكافي، محمد بن يعقوب الكليني (ت٣٢٩هـ)، تعليق: علي أكبر الغفاري، دار الأضواء، بيروت ـ لبنان.
٣٣ ـ كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن بابويه القمّي (ت٣٦٨هـ)، تحقيق: جواد القيومي، مؤسّسة النشر الإسلامي، قم المشرَّفة ـ إيران، الطبعة الأُولى، ١٤١٧هـ.
٣٤ ـ كشف الغمَّة، علي بن عيسى الإربلي (ت٦٩٣هـ)، دار الأضواء، بيروت ـ لبنان.
٣٥ ـ كمال الدين، محمد بن علي الصدوق (ت٣٨١هـ)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، جماعة المدرسين، قم المشرَّفة ـ إيران، ١٤٠٥هـ.
٣٦ ـ اللهوف على قتلى الطفوف، علي بن موسى المعروف بابن طاووس (ت٦٦٤هـ)، الأنوار، قم المشرَّفة ـ إيران.

٣٧ ـ مجمع الزوائد، علي بن أبي بكر الهيثمي (ت٨٠٧هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
٣٨ ـ مرآة العقول، محمد باقر المجلسي، تحقيق: مصطفى صبحي خضر، مؤسّسة الأعلمي، الطبعة الأُولى، بيروت ـ لبنان، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.
٣٩ ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر، علي بن الحسين المسعودي (ت٣٤٥هـ)، تحقيق: سعيد محمد اللحام، دار الفكر، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى، ١٤١٢هـ/ ٢٠٠٠م.
٤٠ ـ المزار، محمد بن جعفر المشهدي (ت٥٩٤هـ)، تحقيق: جواد القيومي، مؤسّسة النشر الإسلامي، قم المشرَّفة ـ إيران، الطبعة الأُولى، ١٤١٩هـ.
٤١ ـ المستدرك على الصحيحين، الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري (ت٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ١٤١١هـ/ ١٩٩٩م.
٤٢ ـ مسند أحمد، أحمد بن حنبل الشيباني (ت٢٤١هـ)، دار الفكر، بيروت ـ لبنان.
٤٣ ـ مصباح الزائر، علي بن موسى المعروف بابن طاووس (ت٦٦٤هـ)، تحقيق ونشر: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم المشرَّفة ـ إيران، الطبعة الأُولى، ١٤١٧هـ.
٤٤ ـ المعجم الكبير، سليمان بن أحمد الطبراني (ت٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي عبد المجيد، مكتبة ابن تيمية، القاهرة ـ مصر.
٤٥ ـ معجم رجال الحديث، أبو القاسم الخوئي (ت١٤١٣هـ)، مطبعة الآداب، الطبعة الأُولى.
٤٦ ـ معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (ت٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد، دار الفكر، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
٤٧ ـ مقباس الهداية، عبد الله المامقاني (ت١٣٥١هـ)، تحقيق: محمد رضا المامقاني، دليل ما، قم المشرَّفة ـ إيران، الطبعة الثانية، ١٤٣٥هـ.
٤٨ ـ مَن لا يحضره الفقيه، محمد بن علي الصدوق (ت٣٨١هـ)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، مؤسّسة النشر الإسلامي، الطبعة الثانية، قم المشرَّفة ـ إيران، ١٤٠٤هـ.

٤٩ ـ مناقب آل أبي طالب، محمد بن علي بن شهر آشوب المازندراني (ت٥٨٨هـ)، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٦م.

٥٠ ـ نظم درر السمطين، محمد بن يوسف الزرندي (ت٧٥٠هـ)، مخطوطات أمير المؤمنين عليه السلام، الطبعة الأُولى، ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٨م.

٥١ ـ ينابيع المودّة، سليمان بن إبراهيم القندوزي (ت١٢٩٤هـ)، تحقيق: علي جمال، منشورات دار الأُسوة، الطبعة الأُولى، ١٤١٦هـ.

التوحيد في الزيارات الحُسينية من منظار لغوي

م. م. حسن جميل الرّبيعيّ*

مقدّمة

يعدّ تراث أهل البيت عليهم السلام في كلّ ما وردنا عنهم مدرسةً للمعارف في مختلف صنوف المعرفة الإسلامية والإنسانيّة، فسِيَرُهم بما تحتوي من أحاديث ومواقف وتقريرات هي مناهل فيض ومعرفة ونور، تضيء الطّريق للسّالك إلى الله تعالى في بناء نفسه، وتقويم ذاته، وإصلاح حياته، وتعلّم السلوك الاجتماعيّ القويم الذي ينبغي أن يكون عليه ليسير في طريق الكمال.

ومن هنا؛ وردت الأحاديث الشريفة مؤكِّدة على ضرورة الاهتمام والمحافظة على أحاديثهم ورواياتهم الطّاهرة، كالأحاديث التي تحثّ على الأخذ بروايتهم وتدوينها وحفظها ونشرها بين الأصحاب والشيعة، بل بين عموم المسلمين؛ لتنير لهم الطّريق، فما حفظ أحاديثهم لحروفها، بل لمفاهيمها ومعانيها وقيمها.

ومن ضمن هذا التراث المبارك لمدرسة أهل البيت عليهم السلام تبرز نصوص الزيارات الشريفة المروية عنهم كأظهر ما يكون؛ ولذا رأينا علماءنا من المتقدّمين والمتأخّرين يولون الزيارات أهمّية خاصّة في مؤلّفاتهم، سواء كانت بصورة عامّة ضمن موسوعاتهم، أم بصورة خاصّة ضمن مؤلّفات خُصّت بها الزيارات[1].

---

* ماجستير في اللغة العربية، كلية الآداب/ جامعة الكوفة.

(١) أُنظر تفصيل هذا الأمر في موسوعة زيارة المعصومين عليهم السلام، مؤسسة الإمام الهادي عليه السلام: ج١، ص٣٣١-٣٩٧.

من هنا؛ لا بدَّ من الالتفات الدّقيق إلى الزيارات لاكتشاف ما تحوي من مفاهيم ومبادئ يمكن للإنسان أن يتبّعها؛ ليرسم الطّريق الصّحيح له وفق ما أراده أهل البيت عليهم السلام وعلّموه لشيعتهم؛ ليقرّوا به في أشرف المواضع وأطهرها، وفي أشرف المناسبات، والمخاطبات.

ومن هنا؛ كان المعصومون المطهّرون عليهم السلام يؤكّدون على نصّ الزيارة التي يزورون بها، من ذلك قول الإمام الصادق عليه السلام: «**يا مُفضل، إذا أتيت قبر الحسين بن علي عليهما السلام، فقف بالباب، وقل هذه الكلمات، فإنّ لك بكلّ كلمةٍ كفلاً من رحمة الله...**»[1]، فكلمات الزيارات هي الكفل من رحمة الله.

ولذلك؛ كان أصحاب الأئمّة من السّلف الصّالح ناظرين إلى أهمّيّة هذه النصوص وخطرها؛ فكانوا يطلبون منهم تعلُّم نصوص الزيارة، فقد سأل علقمة ابن محمّد الحضرميّ الإمامَ الباقر عليه السلام قائلاً: «**علّمني دعاءً أدعو به في ذلك اليوم إذا أنا زرته من قريب، ودعاءً أدعو به إذا لم أزره من قريب، وأومأت إليه من بعد البلاد، ومِن داري**»[2]، وكان الإمام عليه السلام حاضراً بالإجابة، فعلَّمه الزيارة، وقال له بعد أن أتمّها: «**إن استطعتَ أن تزوره في كلّ يومٍ بهذه الزيارة من دهرك فافعل، فلك ثواب جميع ذلك إن شاء الله تعالى**»[3].

وورد عن الإمام الصادق عليه السلام في الزيارة نفسها والدعاء المرويّ بعدها أنّه قال لصفوان: «**تعاهد هذه الزيارة، وادع بهذا الدعاء، وزر به؛ فإنّي ضامن على الله تعالى لكلّ من زار بهذه الزيارة، ودعا بهذا الدعاء من قرب أو بعد، أنّ زيارته مقبولة، وسعيه مشكور، وسلامه واصل غير محجوب، وحاجته مقضيّة من الله، بالغاً ما بلغت، ولا يخيّبه...**»[4].

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمّد، كامل الزيارات: ص٣٧٥.
(٢) المصدر السابق: ص٣٢٧.
(٣) المصدر السابق: ص٣٣٢-٣٣٣.
(٤) الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتهجّد: ص٧٨١.

ومن هنا اتّضحت أهمّية هذه النصوص الشريفة على لسان الأئمّة الطّاهرين عليهم السلام الذين ينقلون كلامهم كابراً عن كابر عن النبيّ الأطهر صلى الله عليه وآله الذي لا ينطق عن الهوى، بل إنّ كلامه وحي يوحى.

التوحيد في نصوص الزيارات

والبحث الحاليّ ينظر إلى جانب واحدٍ ممّا ورد في الزيارات الشريفة، وهذا الجانب هو جانب التّأكيد على (التوحيد) في نصوص الزيارات.

وهذا الجانب يلمسه الزائر والقارئ للنصّوص الشريفة بسهولة؛ وذلك أنّ معظم الزيارات تبدأ بتوحيد الله وتعظيمه وتمجيده، من هذا ما جاء في بداية إحدى الزيارات: «**اللهُ أَكْبَرُ كَبيراً، وَسُبْحانَ اللهِ بُكْرَةً وَأَصيلاً**»[1]، فيكون مفتاحُ الزيارة توحيدَ الله تعالى، والزائر يفتتح زيارته بكلمات التوحيد لله تعالى؛ لتنفتحَ له آفاقُ الدنيا بألطاف الله تعالى الذي خلق، وأنعم، وكفى، وبلّغ، ووفّق، وأنجز ما وعد، ولم يخيِّب سائلاً سأله؛ ولـمّا كان هذا التّوجّه الرّوحيّ بالاتّصال بالله تعالى هو الغالب والسّائد على الزائر، حينئذٍ نفهم حقيقة الرّوايات التي تؤكّد أنّ الدعاء عند قبر الإمام الحسين عليه السلام مستجاب[2]؛ وذلك لما تزوّد به الزائر ممّا رزقه الله تعالى به من بُعْدٍ معنويّ في اتّصاله بالملأ الأعلى.

ونقرأ في نصوص أُخرى من الزيارة: «**الـحَمْدُ للهِ الْواحِدِ الْمُتَوَحِّدِ بِالأُمورِ كُلّها، خالِقِ الخَلْقِ، ولَمْ يَعْزُبْ عَنْهُ شَيْءٌ مِنْ أُمورِهِمْ، وَعَلِمَ كلَّ شَيْءٍ بِغَيْرِ تَعْليمٍ... لا إلهَ إلا اللهُ في عِلْمِهِ مُنْتَهى عِلْمِهِ، لا إلهَ إلا اللهُ بَعْدَ عِلْمِهِ مُنْتَهى عِلْمِهِ، ولا إلهَ إلا اللهُ مَعَ عِلْمِهِ مُنْتَهى عِلْمِهِ... لا إلهَ إلا اللهُ تَهْليلاً لا يُحْصيهِ غَيْرُهُ، قَبْلَ كُلِّ أَحَدٍ، وَبَعْدَ كُلِّ أَحَدٍ، وَمَعَ**

(١) المشهدي، محمد بن جعفر، المزار الكبير: ص٤٣٠.

(٢) أُنظر: الحلّي، أحمد بن فهد، عدّة الداعي: ص٦٩، وص٧٧. وأيضاً: الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، تفصيل وسائل الشيعة: ج١٠، ص٤٢١-٤٢٣.

كُلِّ أَحَدٍ، وَعَدَدَ كُلِّ أَحَدٍ...»[1]، فالتوحيد هنا - كما هو واضح - المحور الذي يدور حوله النصّ.

إلّا أنّ البحث لا يريد النظر إلى التوحيد في الزيارات من جانب عامّ، بل يريد النظر إليه من جانب لغوي، إذ يريد تحديد الصّيغ اللغوية التي ورد فيها التّأكيد على التوحيد ضمن النصوص المروية عن أهل البيت عليهم السلام في زيارات الإمام الحسين عليه السلام، وقد وجد الباحث موارد عدّة لتأكيد التوحيد بصيغ مختلفة.

الصيغ اللغوية لتأكيد التوحيد

وردت في نصوص زيارات الإمام الحسين عليه السلام صيغ لغوية مختلفة لتأكيد التوحيد، نذكر منها:

أوّلاً: استعمال الإفراد اللّفظيّ

إنّ كلّ ذكر لله سبحانه وتعالى وخطاب له عزّ وجلّ في نصوص الزيارات جاء بلغة الإفراد؛ من ذلك: «**وأَسْأَلُ اللهَ الْبَرَّ الرَّحِيمَ أَنْ يُتِمَّ ذلِكَ لِي، أَشْهَدُ أَنَّكُمْ قَدْ بَلَّغْتُمْ عَنِ اللهِ ما أَمَرَكُمْ بِهِ، وَلَمْ تَخْشَوْا أَحَداً غَيْرَهُ، وَجاهَدْتُمْ فِي سَبيلِهِ، وَعَبَدْتُمُوهُ حَتّى أَتاكُمُ الْيَقينُ**»[2].

«**الحَمْدُ لله الْواحِدِ الأَحَدِ الْفَرْدِ الصَّمَدِ الَّذي هَداني لِوِلايَتِكَ، وَخَصَّني بِزِيارَتِكَ، وَسَهَّلَ لي قَصْدَكَ**»[3].

أو القول بعد الزيارة: «**اللّهُمَّ، إِنّي صَلَّيْتُ وَرَكَعْتُ وَسَجَدْتُ لَكَ وَحْدَكَ لا شَريكَ لَكَ؛ لأَنَّ الصَّلاةَ وَالرُّكوعَ وَالسُّجودَ لا يَكونُ إِلا لَكَ؛ لأَنَّكَ أَنْتَ اللهُ لا إِلهَ إِلا أَنْتَ**»[4].

إنّ النّاظر إلى الزيارات كلّها يجد المنشئ للنصّوص وهو المعصوم عليه السلام يزيد في

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمّد، كامل الزيارات: ص٣٩٨-٣٩٩.
(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٩، ص٣٠٢-٣٠٣.
(٣) الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتهجّد: ص٧٢٠.
(٤) المصدر السابق: ص٧٢١ـ٧٢٢.

تنزيه الخالق ﷻ، ويحرص على ذلك في بناء النصوص؛ ففضلاً عن كون التوحيد هو محور النصّ فهو يورد كلّ ما يتعلّق به تعالى بصيغة الإفراد اللّفظيّ فقط، ولم يأتِ شيءٌ منه بصيغة الجمع، ودلالة هذا الإفراد من الجانب اللّغويّ يعني أنّ الله تعالى واحدٌ أحدٌ فردٌ صمدٌ، لا شريكَ له، ولا إله إلا هو، وهذه هي دلالة التوحيد العُظمى.

وبناءً على ما تقدّم فإنّ الزائر يعتقد اعتقاداً كاملاً أنّ له إلهاً واحداً لا شريك له؛ وذلك ما يفيده من خلال الألفاظ المفردة التي جاءت في النصّ، إذ لا يجوز أن يذكر الموحِّد نصّاً عن الله تعالى، أو يدعوه به، وهو يعظِّمه من خلال الجمع أو التّثنية، حاشا لله، قال السّهيليّ (ت٥٨١هـ): «**لا يجوز لعبد أن يقول: ربّ اغفروا. ولا ارحموني، ولا عليكم توكّلْتُ، ولا إليكم أنبْتُ، ولا قالها نبيٌّ قطُّ في مناجاته، ولا نبيٌّ في دعائه لوجهين؛ أحدهما: أنّه واجب على العبد أن يُشْعِرَ قلبَه التوحيدَ، حتّى يشاكلَ لفظُهُ عَقْدَهُ. الثّاني: ما قدّمناه من سَيْر هذا المجاز، وأنَّ سببه صدور الكلام عن حضرة الملك موافقةً للعرب في هذا الأُسلوب من كلامها، واختصاصها بعادة ملوكها وأشرافها**»[1].

وممّن بحث في إفراد الألفاظ الدالّة على الله تعالى الدّكتور تمّام حسّان الذي ذكر شواهد عدّة في الإفراد، ثمَّ قال: «**لقد رأينا في هذه الشّواهد اطّراد الإفراد في ضميريَ الخطاب والغَيبة عند ذكر الله تعالى، وذلك تجنّباً لظنّ الوقوع في التّعدّد الذي يفهم من ضمير الجمع، فلو خوطب سبحانه بضمير الجمع لكان من الممكن للسّامع غير المسلم أن يفهم من الضّمير أنَّه جماعة من المخاطبين، أو يفهم من ضمير الغيبة إشارة إلى التّعدّد أيضاً**»[2].

إنّ عظمة الله تعالى تتجلّى في وحدانيّته وتوحّده في الأُمور كلّها، وتمام الصّنعة، وكمال الأمر، قال تعالى: ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[3].

وقال الإمام الصادق عليه السلام في حديث مرويّ عنه: «**فلمّا رأينا الخلق منتظماً، والفلك**

(١) الخثعميّ السُّهيليّ، عبد الرّحمن بن عبد الله، الرّوض الأنف: ج٣، ص١١.
(٢) تمّام حسان، اجتهادات لغوية: ص٢٢٧.
(٣) الأنبياء: آية٢٢.

جارياً، والتّدبير واحداً، واللّيل، والنّهار، والشمس، والقمر، دلّ صحّة الأمر والتدبير، وائتلاف الأمر على أنّ المدبّر واحد»[1]، وفي هذا من العظمة ما يكفي.

وقد يرد إشكال هنا، وهو أنّ الله تعالى قد عظّم نفسه في عدد كبير من آيات القرآن، ووصف نفسه بصفات الجمع تعظيماً، كقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴾[2]، وغيرها من الآيات.. فلِمَ لا يجوز أن يعظّمه مَن يدعوه بلفظ الجمع؟! وقد ردَّ ابن مالك (ت٦٧٢هـ) هذا الإشكال، وحصر ما ورد في الذكر العزيز جمعاً تعظيماً لله تعالى بالسّماع الذي لا يجوز فيه القياس، فقال: «**فأمّا أسماء الله تعالى؛ فمعنى الجمعيّة فيها ممتنع، وما ورد منها بلفظ الجمع فتعظيمٌ يتوقّف فيه على السماع أصلاً، كما يتوقّف عليه في غيره من الثناء والحمد، بل التوقّف على السّماع في هذا أحقّ، لأنَّ من النّاس مَن أجاز اشتقاق الأسماء من أفعال الله تعالى على وجه يُؤمَنُ معه إيهام ما لا يليق بجلاله تبارك وتعالى، ولا أعلم أحداً يجيز للدّاعي أن يدعو اللهَ بلفظ الجمع؛ لأنَّ ذلك يوهم خلاف التوحيد**»[3].

وكذا فعل السيوطيّ (ت٩١١هـ)، إذ قال عن جمع المذكّر السالم: «**أُلحق بالجمع في إعرابه ألفاظ ليست على شرطه، سُمِعَتْ فاقتُصر فيها على مورد السّماع، ولم يتعدَّ، منها صفات للباري تعالى، وهي قوله: ﴿وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴾[4].. فلا يقاس عليه الرحيمون ولا الحكيمون؛ لأنَّ إطلاق الأسماء عليه توقيفيٌّ**»[5].

إنّ ما أثبته البحثُ من النصوص المفردة في الزيارات وغيرها بالعشرات يتمّ

---

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج١، ص١٩٩، ح٢٢٠.

(٢) الحِجْر: آية٢٣.

(٣) ابن مالك، محمّد بن عبد الله، شرح التّسهيل: ج١، ص٨٠-٨١. أُنظر: ابن مالك، محمّد بن عبد الله، التّسهيل: ص١٤. أبو حيّان الأندلسيّ، محمد بن يوسف، التّذييل والتّكميل: ج١، ص٣٠٧، و٣١٨.

(٤) الحِجْر: آية٢٣.

(٥) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، همع الهوامع: ج١، ص١٠٩.

تثبيت التوحيد فيها عن طريق إفراد الألفاظ الدالّة عليه تعالى، فدلالة التوحيد حاضرة في كيان المنشئ عليه السلام، وهو يعيشها حقيقةً ذاتيّةً في نفسه ومشاعره ووجوده كلّه؛ لهذا لم يحد عن هذه الحقيقة المتأصّلة في نفسه وذاته وشعوره، لا بقولٍ، ولا بفعلٍ، ويريد بإيرادها في الزيارة أن يحوّلها ويرسّخها ويثبّتها في نفس الزائر وروحه وضميره، حين قراءته للنصّ في حضرة المعصوم.

ثانياً: الوصف باسم الفاعل

من الصيغ التي وردت في وصف الله عزّ وجلّ هي صيغة (اسم الفاعل)، وهذه الصيغة تأتي في البحث اللّغويّ لمن قام بالفعل، فالفعل هو صاحبه. وقد وردت الصفات التي وصفت الله عزّ وجلّ بهذه الصيغة في الزيارات المباركة، مثل النصّ المبارك: «**وَأَنَّكَ مُميتُ الأَحْياءِ، وَأَنَّكَ مُحْيي المَوْتى، وَأَنَّكَ باعِثُ مَنْ في الْقُبورِ، وَأَنَّكَ** ﴿جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾[1] ﴿إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾[2]»[3]، وهذا يدلّ على أنَّ كلَّ شيء بيد الله تعالى، فهو الذي يحيي ويميت، وهو الذي يبعث ويجمع، كما يدلّ على إيمان الزائر الكامل بأنَّ اللهَ تعالى هو الأوّل، وهو الآخر، سرمديٌّ أبديٌّ، وهذا من أظهر مبادئ توحيد الله تعالى؛ وهو ما يسمّى بتوحيد الأفعال، الذي يعني: «**أنَّ الكون بأسره هو فعل الله، وكلّ الأفعال، والحركات، والتّأثيرات، والتّأثّرات، تنتهي إلى ذاته المقدّسة**»[4]، وهذا ما قرأناه بدقّة في النصّ المتقدّم ليؤكّد هذه الحقيقة من التوحيد الأفعاليّ.

(١) آل عمران: آية٩.
(٢) آل عمران: آية١٩٤.
(٣) ابن قولويه، جعفر بن محمّد، كامل الزيارات: ص٤٠٠.
(٤) مكارم الشيرازي، ناصر، معرفة الله وصفاته: ص٢٠٩.

ثالثاً: الوصف بالاسم الموصول

أصل الاسم الموصول مبهم في ذاته، إلا أنَّ معناه يتبيّن ويتّضح بالصّلة التي تكمله وتوضّحه، ولا يمكن تصوّر اسم موصول من دون صلة، فالصّلة تمام معنى الاسم الموصول، فهي المقصودة، وهي الأصل في المعنى، وإنّما جيء بالإسم الموصول كمقدّمة مهيّئة لها، لكي تبيّن أهمّيتها للمتلقّي، وبعبارة أُخرى: «**أن يُؤتى بالفاتحة على وجه ينبّه الفطن على الخاتمة**»[1]، فالمتلقّي يترصّد الكلام بعد تلقّيه الاسم الموصول، قال الطيبيّ (ت٧٤٣هـ): «**تومئ به إلى وجه بناء الخبر الذي تبنيه عليه، وذلك بأن تأتي بالصّلَة على وجهٍ يعرف منه وجه بناء الخبر على سبيل الإرصاد**»[2]، فهذا الاسم أفاد تشويقاً للسّامع «**لِما أنَّ التشويق المستحسن إحدى خواصّ الإخبار بـ (الذي)، لما فيه من الإبهام الذي هو سبب للتشويق؛ وتطويله بالصّلة هو سبب استحسانه على أنّه مستلزم للتقديم**»[3].

فالإتيان بالاسم الموصول وصلته يكون دقيقاً وخاصّاً، ودلالته عميقة، فهو يؤدّي إلى زيادة التَّقرير[4]، والتيقّن من معنى النصّ، فكأنَّه يؤكّد الصّلة تأكيداً لا شكَّ من ورائه؛ ويتأكّد هذا المعنى حين نعرف أنَّ شرط الصّلة أنَّها يجب أن تكون معهودة عند المتلقّي، وأنَّ المتلقّي لا بدَّ من أن يكون عالماً بها؛ ولذلك اشتُرط أن تكون الصّلةُ جملةً معهودة، قال الرّضيّ الأستراباديّ (ت٦٨٦هـ): «**إنّما وجب كون الصّلة جملة؛ لأنَّ وضع الموصول على أن يطلقه المتكلّم على ما يعتقد أنَّ المخاطب يعرفه بكونه**

(١) الخطيب القزوينيّ، محمّد بن عبد الرّحمن، التّلخيص في علوم البلاغة: ص٦٠(الهامش).
(٢) الطّيبيّ، الحسين بن محمّد، التّبيان في البيان: ص٢٥.
(٣) المصدر السابق: ص٢٦.
(٤) أُنظر: الخطيب القزوينيّ، محمّد بن عبد الرّحمن، الإيضاح في علوم البلاغة: ص١١٥. وأيضاً: الحسينيّ، باقر، أساليب المعاني في القرآن: ص٢٧٥-٢٧٦. وأيضاً: الحمصيّ، محمّد طاهر، من نحو المباني إلى نحو المعاني: ص٦١.

محكوماً عليه بحكم معلوم الحصول له»[1]؛ وقال في مورد آخر: «**إنَّ الصّلة ينبغي أن تكون معلومةً للسّامع في اعتقاد المتكلّم قبل ذكر الموصول، على ما تقدّم: أنَّ الحكم الذي تضمّنته الصّلةُ، ينبغي أن يعتقد المتكلّم في المخاطب أنَّه يعلم حصوله للموصول**»[2].

ومن هنا قال الجرجانيّ (ت٤٧١هـ): «**وعلى الجملة فكلّ عاقلٍ يعلم بَوْنَ ما بين الخبر بالجملة مع (الذي)، وبينها مع غير (الذي)، فليس من أحدٍ به طِرْقٌ**[3] **إلّا وهو لا يشكُّ أن ليس المعنى في قولك: هذا الذي قدم رسولاً من الحضرة. كالمعنى إذا قلْتَ: هذا قدم رسولاً من الحضرة...**»[4].

وبالمحصّلة إذا كان المتلقّي عالماً بالصّلة ابتداءً، أفاده الإتيان بالاسم الموصول وصلته هنا الإثبات، والتّقرير، وزيادة البيان ممّا يفيد تخصيصاً وبياناً.

فالإتيان بالاسم الموصول يكون في مواطن مهمّة من الكلام بناءً على ما تقدّم؛ وأوضح موردٍ ورد فيه الاسم الموصول في الزيارات هو في مقام بيان مقامات الباري وصفاته وأفعاله، مثل: «**الحمد لله الذي لم** ﴿يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾[5]»[6]. «**الحمد لله الذي أنعَم عليّ وعرّفني**»[7]. «**سبحان مَن لا تبيد معالمه، سبحان مَن لا تنقص خزائنه، سبحان مَن لا انقطاع لمدّته، سبحان مَن لا ينفد ما عنده، سبحان مَن لا اضمحلال لفخره، سبحان مَن لا يشاور أحداً في أمره، سبحان مَن لا إله غيره**»[8]. «**سبحان مَن لبس العزّ والجمال، سبحان مَن تردّى بالنّور والوقار،**

---

(١) الأستراباديّ، رضيّ الدّين محمد بن الحسن، شرح الرّضيّ على الكافية: ج٣، ص٦.
(٢) المصدر السابق: ج٣، ص٨.
(٣) الطِّرق - بالكسر -: القوّة، اُنظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج١٠، ص٢٢٣، والمقصود بها هنا قوّة التّفكير والعقل.
(٤) الجرجانيّ، عبد القاهر، دلائل الإعجاز: ص١٥٥-١٥٦.
(٥) الفرقان: آية٢.
(٦) ابن قولويه، جعفر بن محمّد، كامل الزيارات: ص٣٦١.
(٧) المصدر السابق: ص٣٩٩.
(٨) المصدر السابق: ص٤١٣.

سبحان مَن يرى أثر النّمل في الصّفا، وخفقان الطّير في الهواء، سبحان مَن هو هكذا ولا هكذا غيره»[1].

فالزائر يبتدئ زيارته بوحدانيّة الله تعالى بسموّ صفاته وأفعاله، ويضمّن الزيارة بها، وينهيها بها أيضاً، ويهدف الزائر إلى إثبات أنّه تعالى هو المقصود أوّلاً وآخراً؛ ولذا جاء في النصوص المتقدّمة بالاسم الموصول؛ للتّنبيه على أهمّية هذا المقام، وهذا القول، وذلك بتنبيه المتلقّي لأهمّية الصّلة القادمة التي تعطيه بعداً روحيّاً ونفسيّاً، وتثبّت التوحيد عنده حقّ التوحيد.

رابعاً: التوكيد

التوكيد واحد من الأساليب اللغوية المهمّة في اللغة العربية التي درسها اللغويون والنّحاة؛ ولأهمّيته «**أفردوا له باباً؛ لعنايتهم به، وكونه ممّا لا يضاع، ولا يهمل مثله**»[2].

ولا يؤتى بهذا الباب إلّا في المواضع المهمّة من سياقات الجمل؛ ولذا قال ابن جنّي (ت٣٩٢هـ) في أحد مواضع التوكيد التي أوردها في خصائصه: «**وإنّما احتيج إلى التوكيد في هذا الموضع من حيث كان أمراً عانياً**[3] **مهمّاً**»[4].

وعلّة إيراد هذا الباب في اللغة هو تقرير الخبر وتثبيته لدى المتلقّي، فالهدف الأساس من التوكيد هو أن «**يفيد تقوية المؤكَّد، وتمكينه في ذهن السّامع وقلبه**»[5]؛

(١) المصدر السابق: ٤١٥.

(٢) ابن جنّي، أبو الفتح عثمان، الخصائص: ج٢، ص٤٧٦.

(٣) الأمر العاني: هو الأمر الذي يكون القصد للشّيء فيه بانكماش وحرص عليه، ومنه عُنيْتُ بالأمر وبالحاجة، وعُنِيَ بالأمر عَنْياً، وعنايةً: اهتمَّ وشغل به، فهو معنيٌّ به. اُنظر: ابن فارس، أحمد ابن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة: ج٤، ص١٤٦. إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط: ص٦٣٣.

(٤) ابن جنّي، أبو الفتح عثمان، الخصائص: ج١، ص٤٠٦.

(٥) السامرائي، فاضل صالح، معاني النّحو: ج٤، ص١١٢.

ولهذا جاء توكيده في كتب النّحاة بأنَّه «**تمكين المعنى في النَّفس**»[١]، أو «**تحقيق المعنى في نفس السّامع**»[٢].

وتتنوّع أساليب التوكيد باختلاف السياق والحاجة إلى التوكيد، والنّاظر في نصوص الزيارات الشريفة يلحظ أنواعاً من التوكيد، منها:

أ ـ التوكيد بالضّمير: من وسائل التوكيد في اللغة العربية هو توكيد الضّمير المستتر أو الضّمير المتّصل بضمير منفصل ظاهر، كقوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾[٣]، فقد أكّد الضّمير المستتر الواقع موقع الفاعل في فعل الأمر (اسكن)، بضمير ظاهر، وهو الضّمير (أنت)[٤]، وهذا الموضع من مواضع التوكيد بالضّمير، فالضَّمير المتّصل يؤكّد بالضّمير المنفصل[٥]، وقد جاء من هذا الباب في الزيارات قوله: «**لأَنَّكَ أَنْتَ اللهُ، لا إِلهَ إِلّا أَنْتَ**»[٦]، فأكَّد ضمير الكاف المتّصل بالحرف المشبّه بالفعل بالضّمير المنفصل (أنْتَ)، وهذا الأُسلوب من الصّياغة اللغوية «**إِنَّكَ أَنْتَ**» ورد في القرآن الكريم أربع عشرة مرّة في الذّكر الحكيم[٧]، وإيراده في الزيارات هو اتّباع للصّياغة اللغوية القرآنية في التوكيد على التوحيد، وعلى أنَّ الله تعالى هو هو لا إله غيره، وقوّى هذا التوكيد بتوكيده بالقصر بالنّفي والاستثناء للدلالة على ترسيخ التوحيد لله تعالى في نفس الزائر، بأكثر من أُسلوب توكيديّ.

---

(١) أبو البقاء العُكبريّ، عبد الله بن الحسين، اللّباب في علل البناء والإعراب: ج١، ص٣٩٤.

(٢) المغربيّ، يحيى بن عبد المعطي، الفصول الخمسون: ص٢٣٥.

(٣) البقرة: آية٣٥.

(٤) أُنظر: الزمخشري، محمود بن عمر، الكشّاف: ج١، ص١٢٧. وأيضاً: أبو حيّان الأندلسيّ، محمّد بن يوسف، تفسير البحر المحيط: ج١، ص٢٢٦.

(٥) أُنظر: ابن الناظم، بدر الدين محمد، شرح ألفيّة ابن مالك: ص٣١٤. وأيضاً: ابن عقيل، عبد الله، شرح ابن عقيل: ج٢، ص٢٠٠. وأيضاً: ابن هشام الأنصاريّ، عبد الله، أوضح المسالك: ج٣، ص٣٠١.

(٦) الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتهجّد: ص٧٢٢.

(٧) أُنظر: البقرة: آية٣٢، وآية١٢٧، وآية١٢٨، وآية١٢٩. آل عمران: آية٨، وآية٣٥. المائدة: آية١٠٩، وآية١١٦، وآية١١٨. طه: آية٦٨. ص: آية٣٥؛ غافر: آية٨. الدّخان: آية٤٩. الممتحنة: آية٥.

ب ـ **التوكيد بالقصر**: ويُعنى به تخصيص شيءٍ بشيء بطريق مخصوص كالنّفي والاستثناء، وورد هذا الأُسلوب بكثرة في الزيارات في باب توكيد التوحيد؛ لتثبت الزيارة إثباتاً قاطعاً بنفي أيّ إله سوى الله تعالى، فالزائر موحّدٌ له تعالى غاية التوحيد، مؤمنٌ بصفات الله تعالى كلّها: «**لا إله إلّا الله في علمه منتهى علمه، ولا إله إلّا الله بعد علمه منتهى علمه، ولا إله إلّا الله مع علمه منتهى علمه**»(١)، ويؤمن أن لا قوّة مؤثّرة في الوجود سواه تعالى: «**لا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم**»(٢)، «**فإنّه لا قوّة إلّا بك**»(٣)، ولا مفرّ منه تعالى إلّا إليه: «**لا ملجأ ولا منجى إلّا إليك**»(٤).

وهذا التوحيد الحقيقيّ هو الذي جعل الزائر يقصد المزور؛ لأنّ المزور نذر كلّ شيء في وجوده وبذله لله تعالى: دمه، ماله، عياله، أطفاله، أصحابه، بل نفسه، والجود بالنفس أقصى غاية الجود، وهذه الإجابة لله تعالى وجعل كلّ شيء خالصاً لوجهه تعالى من المزور هو ما بيّنته الزيارات من خلال هذا الأسلوب نفسه في قوله: «**ولم تجب إلّا الله وحده**»(٥)، فإجابة الإمام الحسين عليه السلام كانت محصورة به تعالى، ولذا فإنّ الثّأر الحقيقيّ له محصور بيده تعالى، وليس في المقدور أن يدرك؛ إذ عبّرت عنه الزيارة المباركة بأسلوب القصر بالنّفي والاستثناء أيضاً، فقال عليه السلام: «**والدّم الّذي لا يدرك ترته أحدٌ من أهل الأرض، ولا يدركه إلّا الله وحده**»(٦)، ولهذا استحقَّ الألقاب (ثأر الله)، و(قتيل الله)، و(وتر الله) التي وردت في الزيارة.

فالقصر بالنَّفي والاستثناء في الزيارات إذن دالٌّ على معانٍ عميقة بعمق التوحيد الإلهي.

---

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمّد، كامل الزيارات: ص٣٩٩.
(٢) المشهديّ، محمّد بن جعفر، المزار الكبير: ص٤٣٤.
(٣) ابن قولويه، جعفر بن محمّد، كامل الزيارات: ص٣٩٣.
(٤) المصدر السابق: ٣٩٤.
(٥) المصدر السابق: ٤٠٩.
(٦) المصدر السابق: ٣٨٦.

ج ـ التوكيد بـ (كلّ): وهو اسمٌ يُفيد الاستغراقَ، والإحاطة بالأفراد والأجزاء؛ لرفع احتمال إرادة الخصوص بلفظ العموم[1]، وقد وردت في الزيارات مرّات عدّة أغلبها في حَمْدِ الله تعالى، كقوله عليه السلام: «**الحمد لله الواحد المتوحّد في الأمور كلّها**»[2]، وقد تكرّر هذا النصّ للتّوكيد على التوحيد الإلهي في كلّ شيء، وفي كلّ أمر، فهو الواحد الأحد المتوحّد الذي لا إله غيره؛ ولذا كان يستحقّ الحمد في الأمور كلّها، وهذا ما أكّده النصّ، وجاء توكيده في نصّ آخر: «**الحمد لله في الأمور كلّها**»[3]، فقد أكّد باللّفظ (كلّ) أيضاً؛ لكي لا يفوت المؤمن حمد الله تعالى في أمر من الأمور.

د ـ التوكيد بالتّقديم والتّأخير: لعلّ باب التّقديم والتّأخير هو من الأبواب التي حظيت بعناية بالغة في المصنّفات اللغوية وغيرها كالأدبية والتفسيرية والأصولية؛ وذلك لما له من أهمّية في العناية والاهتمام والتوكيد والحصر، وكلامنا هنا في دلالة هذا الباب على الحصر في الزيارات الشريفة في النصوص التي تؤكّد التوحيد، فقد ورد في نصّ من النصوص: «**اللّهمّ، إليك قصدت، ولبابك قرعت، وبفنائك نزلت، وبك اعتصمت، ولرحمتك تعرّضت، وبوليّك الحسين عليه السلام توسّلت**»[4]، فالملاحظ هنا أنَّ المنشئ عليه السلام قدّم الضّمائر (المعمولة) على الفعل (العامل)، وهذا في الباب اللّغويّ يفيد الحصر بالمتقدّم، وهذه الضّمائر كلّها دالّة على الله سبحانه وتعالى، وهذا هو عين التوحيد بجعل الله سبحانه وتعالى هو الأوّل وهو الآخر، وما الزيارة للمزور إلّا لأجل الله تعالى ولأجل توحيده، فالباب باب الله، والفناء فناؤه، والاعتصام به،

(١) أُنظر: ابن هشام الأنصاري، عبد الله بن جمال الدّين، مغني اللّبيب: ج١، ص٢٥٥. شرح قطر النّدى وبلّ الصّدى: ص٣٢٦. وأيضاً: السامرائي، فاضل صالح، معاني النّحو: ج٤، ص١١٨.

(٢) ابن قولويه، جعفر بن محمّد، كامل الزيارات: ص٣٦١. المشهديّ، محمّد بن جعفر، المزار الكبير: ص٤٢٩. وفي نصّ مشابه: «بالأمور كلّها». ابن قولويه، جعفر بن محمّد، كامل الزيارات: ص٣٨٦ و٣٩٨.

(٣) ابن قولويه، جعفر بن محمّد، كامل الزيارات: ص٣٩٠.

(٤) المشهديّ، محمّد بن جعفر، المزار الكبير: ص٤٢٩.

والتعرّض لرحمته، وترسيخ هذه المعاني التوحيديّة هي من أهمّ أهداف الزيارة، فالزائر يخرج بزيادة في التوحيد وتوكيد فيه.

ومثلها في نصّ آخر: «**اللّهمّ، إنّي بك مؤمن، وبوعدك موقن**»[1]، فلو قال (مؤمن بك) لجاز أن يتبعها الإيمان بغيره، أمّا من خلال التقديم دلّ على حصر الإيمان بالله تعالى، وحصر اليقين بوعده عزّ وجلّ فقط.

وهذا الأمر نفسه نلحظه في نصوص أخر، من خلال تقديم الضّمير الدال على الله سبحانه وتعالى على معموله؛ لحصر كلّ شيء في الله تعالى موحّداً معظّماً مهتمّاً مخصّصاً له في كلّ خير، مثل: «**اللّهمّ، فلك الحمد على نعمائك كلّها، ولك الشّكر على مننك كلّها**»[2]، «**لك المنّ عليّ**»[3]، «**على الله توكّلت، وإليه أنبت**»[4].

خامساً: النداء

ممّا يُذكر في كتب اللغة أنّ النداء يخرج للتّنبيه، إلا أنَّ هذه الفائدة لا يمكن أن يُختصر عليها، فاللّفظ الذي يرد فيه النداء لا يمكن أن يكون تنبيهاً فقط، بل هو يعني إثبات الصّفة التي وردت في النداء للمنادى به، وهذا ما قرّره علماء اللغة، فقد قال ابن الشّجريّ (ت٥٤٢هـ): «**قولك: يا سيّد النّاس، ويا خير مطلوب إليه، ويا فارس الهيجاء. تريد: أنت سيّد النّاس، وأنت خير مطلوب إليه، وأنت فارس الهيجاء، فيكون نداؤه بذلك داخلاً في الخبر**»[5]، فأفاد النداء تقرير الصّفة في المنادى، فهو أُسلوب إنشائيٌّ خبريٌّ في آنٍ واحدٍ، ويتّضح من خلاله أنّ «**من أغراض النداء التّنويه بصفة المنادى**»[6] تثبيتاً لها، وإقراراً بها، وتوكيداً عليها.

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمّد، كامل الزيارات: ص٣٥٩.
(٢) الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتهجّد: ص٧١٨.
(٣) المشهديّ، محمّد بن جعفر، المزار الكبير: ص٤٢٨.
(٤) ابن قولويه، جعفر بن محمّد، كامل الزيارات: ص٣٩٤.
(٥) ابن الشجري، هبة الله بن عليّ، أمالي ابن الشّجريّ: ج١، ص٤١٨.
(٦) العمريّ، ظافر بن غرمان، مجازات النداء وحقيقته وأغراضها في الخطاب القرآنيّ: ص١٨١.

وبالانتقال إلى نداء الله سبحانه وتعالى في نصوص الزيارات نجد أنّ من ضمن ندائه هو النداء بـ(ربّ العالمين)، الذي تكرّر مرّات عديدة، مثل: «**لا إِلهَ إِلّا أَنْتَ يا رَبَّ الْعالَمِينَ**»[1]. «**اللّهُمَّ، اجْعَلْنا لَهُ شيعَةً وَأَنْصاراً، وَأَعْواناً عَلى طاعَتِكَ وَطاعَةِ رَسولِكَ، وَما وَكَّلْتَهُ بِهِ، وَاسْتَخْلَفْتَهُ عَلَيْهِ يا رَبَّ الْعالَمِينَ**»[2]. «**اللّهُمَّ، وَانْفَعْني بِحُبِّهِ يا رَبَّ الْعالَمِينَ**»[3].

ويظهر أنّ هذا النداء يأتي في المواطن التي تخصّ إظهار عظمة الله تعالى وقدرته، واختصاصه بالإعطاء والمنح، وهذه الإضافة الواردة في النصّ تؤكّد ذلك، إذ يتّضح المقصود من هذا اللفظ (ربّ العالَمين) ممّا ورد في الذّكر الحكيم على لسان موسى عليه السلام في الحوار بينه وبين فرعون: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ * قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾[4].

فالدلالة المقصودة من هذا اللّفظ هو شموليّة الرّبوبيّة، واتّساعها لكلّ شيء، ممّا يوحي بالإيمان المطلق بأنّ الله تعالى هو الموجد والباري والخالق والمكوّن، وهذه كلّها تؤدّي إلى التوحيد الكامل لله تعالى وَحْده، وقد ورد عن ابن عبّاس أنّه قال في تفسير (ربّ العالمين): «**الحمدُ لله الذي له الخلقُ كلّه، السماوات كلّهنّ ومَن فيهنّ، والأرضون كلّهنّ، ومَن فيهنّ، وما بينهنّ، ممّا يُعْلَمُ وممّا لا يُعْلَمُ. يقول: اعلم يا محمّد أنَّ ربَّك هذا لا يُشْبِهُهُ شيءٌ**»[5]، فالنداء هنا نداء توحيدٍ، وتعظيمٍ، وتنزيهٍ، وإقرارٍ بالوحدانيّة الكاملة لله سبحانه وتعالى.

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمّد، كامل الزيارات: ص٣٩٨.
(٢) المصدر السابق: ص٤٠٤.
(٣) المصدر السابق: ص٤٣٩.
(٤) الشّعراء: آية٢٣-٢٤.
(٥) الطبري، محمّد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ج١، ص١٤٣-١٤٤.

سادساً: التكرار

التكرار يفيد التّقرير وتمكين المعنى وتثبيته في نفس المتلقّي، قال الزمخشري (٥٣٨هـ): «**إذا كرَّرْتَ فقد قرَّرْتَ المؤكّد، وما علق به في نفس السّامع، ومكّنْتَهُ في قلبِهِ، وأمطْتَ شبهة ربّما خالجَتْهُ، أو توهّمت غفلةً أو ذهاباً عمّا أنت بصدده فأزلته**»[١].

وقد ورد التكرار بكثرة جدّاً في نصوص الزيارات، وفي مختلف المعاني، نذكر منها تكرار النصوص التوحيديّة، ولعلَّ أوّلها ما جاء في إحدى الزيارات من تكرار التَّكبير: «**اللهُ أَكْبَرُ**» ثلاثين مرّة[٢]، وهو دلالة عظمى على إعلان التوحيد لله سبحانه وتعالى، ونفي أن يصفه واصف بصفةٍ من الصفات التي يدركها على قدره؛ إذ معنى هذه الكلمة يتبيّن من قول أمير المؤمنين عليه السلام: «**((اللهُ أَكْبَرُ) فيهِ نَفْيُ كَيْفِيَّتِهِ، كَأَنَّهُ يَقولُ: اللهُ أَجَلُّ مِنْ أَنْ يُدْرِكَ الْواصِفونَ قَدْرَ صِفَتِهِ الَّذي هُوَ مَوْصوفٌ بِها، وَإِنَّما يَصِفُهُ الْواصِفونَ عَلى قَدْرِهِمْ، لا عَلى قَدْرِ عَظَمَتِهِ وَجَلالِهِ، تَعالى اللهُ عَنْ أَنْ يَدْرُكَ الْواصِفونَ صِفَتَهُ عُلُوّاً كَبيراً**»[٣]، وتكرار هذه الكلمة العظيمة مرّة بعد أخرى يجعل قلب الزائر المؤمن متمكّناً من «**الشعور بالقصور الذّاتيّ، وبعظمة الذّات المقدّسة وكبريائها**»[٤].

إنّ هذا النّوع من التكرار في بداية النصّ هو بقصد تركيز فكرة التّكبير لله تعالى في الذّهن، وهو يندرج ضمن ما يُسمّى بالإحالة التكراريّة في اللغة العربية، قال الدّكتور الأزهر الزّناد: «**وتشمل الإحالة بالعودة على نوع آخر من الإحالة يتمثّل في تكرار لفظٍ أو عدد من الألفاظ في بداية كلّ جملةٍ من جمل النصّ قصد التّأكيد، وهو الإحالة التكراريّة**»[٥].

وفي تكملة النصّ المتقدّم من تكرار التّكبير يرد تكرارٌ آخر، وهو تكرار التَّهليل

(١) الزمخشري، محمود بن عمر، المفصّل في علم العربية: ص١١١-١١٢.
(٢) ابن قولويه، جعفر بن محمّد، كامل الزيارات: ص٣٩٨ و٣٩٩.
(٣) الصدوق، محمد بن علي، التوحيد: ص٢٣٨-٢٣٩.
(٤) الخمينيّ، روح الله، آداب الصلاة: ص٢٠٢.
(٥) الأزهر الزنّاد، نسيج النصّ: ص١١٩.

(لا إِلهَ إِلا اللهُ) لمرّات عدّة وفي نصّ واحد، جاء في الزيارة الشريفة: «**لا إِلهَ إِلا اللهُ في عِلْمِهِ مُنْتَهى عِلْمِهِ، وَلا إِلهَ إِلا اللهُ بَعْدِ عِلْمِهِ مُنْتَهى عِلْمِهِ، وَلا إِلهَ إِلا اللهُ مَعَ عِلْمِهِ مُنْتَهى عِلْمِهِ... وَلا إِلهَ إِلا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، وَحَقٌّ لَهُ ذَلِكَ، لا إِلهَ إِلا اللهُ الحَليمُ الْكَريمُ، لا إِلهَ إِلا اللهُ الْعَلِيُّ الْعَظيمُ، لا إِلهَ إِلا اللهُ نورُ السَّماواتِ السَّبْعِ**»[1].

إنَّ هذا التكرار المكثّف ـ على الرّغم من وجود التوكيد فيه على توحيد الله تعالى ـ يدلّ على تعميق المعنى التوحيديّ في ذهن المتلقّي، فهو لم يكتفِ بالتكرار، بل كان يضيف مع كلّ فِقرة مكرّرة عبارة جديدة تضمن تركيز الزائر على العبارة المكرّرة أوّلاً، وانفتاح ذهنه على دلالات أُخرى مربوطة معها من خلال الجملة التي تأتي معها؛ فيسعى إلى تعميق الفكرة التي تحملها العبارة المكرّرة، ويجعلها خاطراً ملحّاً في عقله ووجدانه، ممّا يؤكّد فكرة التوحيد في ذهنه.

سابعاً: المصاحبة

المقصود بالمصاحبة هو «**وضع اللّفظ إزاء اللّفظ الذي بين معنييهما تقارب وتناظر من جهة ما لأحدهما إلى الآخر انتساب، وله به علقة، وحمله عليه في التّرتيب؛ فإنَّ هذا الوضع في تأليف الألفاظ يزيد الكلام بياناً، وحسن ديباجةٍ، واستدلالاً بأوّله على آخره**»[2].

وقد سمّى صفي الدّين الحلّيّ (ت٧٥٢هـ) هذا الباب بـ(مراعاة النّظير)، وحدّه قائلاً: «**هو جمع شيء إلى ما يناسبه من نوعه، أو ممّا يلائمه من أحد الوجوه**»[3].

والشّواهد من الزيارات في هذا الباب كثيرة، فمنه: «**الحَمْدُ للهِ الْواحِدِ الأَحَدِ الْفَرْدِ الصَّمَدِ**»[4]؛ و: «**الحَمْدُ للهِ الْواحِدِ الْمُتَوَحِّدِ في الأُمورِ كُلِّها**»[5].

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمّد، كامل الزيارات: ص٣٩٩.
(٢) القرطاجنيّ، حازم، منهاج البلغاء وسراج الأدباء: ص٢٢٤.
(٣) الحلّيّ، صفيّ الدّين، شرح الكافية البديعيّة: ص١٣٠.
(٤) الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتهجّد: ص٧٢٠.
(٥) المشهديّ، محمّد بن جعفر، المزار الكبير: ص٤٢٩.

فالمنشئ المعصوم عليه السلام استعان بمجموعة من الكلمات المتقاربة في المعنى المؤكِّدة على معنى التوحيد، وساقها في نصّ واحد، وجعل إحداها جنب الأُخرى؛ وذلك ليؤكّد دلالة التوحيد، ويرسّخها، ويعمّقها في نفس الزائر، وتكون هذه الدلالة هي الحقيقة الأُولى الحاضرة عنده، التي يعيش معها.

ومن هذا الباب أيضاً: «**اللّهُمَّ، أَنْتَ حِصْني وَكَهْفي وَحِرْزي وَرَجائي وَأَمَلي، لا إِلهَ إِلّا أَنْتَ، يا رَبَّ الْعالَمينَ**»(١).

فامتلأ النصّ بمجموعة من الكلمات التي تُعَبّر عن اللّجوء والاستعانة والاستكانة إلى الله تعالى، فهو الملاذ الوحيد للمؤمن، ولا يمكن له أن يلوذ إلّا به، فيكون الزائر هارباً منه إليه تعالى.

خاتمة

وفي ختام هذا البحث، فإنّ توحيد الله تعالى يتجلّى في كلّ نصّ من نصوص الزيارات صريحاً، وما هذه الوسائل اللغوية إلّا مظهرةٌ له وباب من أبوابه، والنّاظر في نصوص الزيارات قد يلحظ هذا الجانب التوحيديّ من جوانب عدّة، وبهذا المعنى العميق يمكن فهم كيف أنّ الزيارة تقرّب الزائر إلى الله تعالى، وأنَّها باب من أبواب توحيده تعالى، وهكذا يمكن فهم كلّ الشّعائر الحسينية الأصيلة بأنَّها من أشكال الانتماء الحقيقيّ إلى الله تعالى، وإلى جبهة الحقّ، ورفض الظلم، قال المرحوم آية الله الشّيخ محمّد مهدي الآصفيّ رحمه الله (ت١٤٣٦هـ): «**والشّعائر الحسينية هي تعبير عن هذا الانتماء إلى جبهة الحقّ وجبهة التوحيد؛ ووسائل التّعبير مختلفة مثل الزيارات، والاحتفالات، وإقامة مجالس العزاء والنّياحة، والهيئات الحسينية، والمواكب الحسينية... تأتي في هذا السياق؛ وهي في نفس الوقت تعبير عن تبنّي قيم التوحيد، وإباء الضّيم، ورفض الظلم**»(٢).

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على محمّد وعلى أهل بيته الطيّبين الطّاهرين.

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمّد، كامل الزيارات: ص٣٩٨.
(٢) الآصفي، محمد مهدي، الشّعائر والشّعارات الحسينية: ص٤٤.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

١ ـ اجتهادات لغوية، تمّام حسّان، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأُولى، ٢٠٠٧م.

٢ ـ آداب الصلاة، روح الله الخمينيّ (ت١٤٠٩هـ)، مؤسّسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخمينيّ، الشؤون الدوليّة، طهران.

٣ ـ أساليب المعاني في القرآن، باقر الحسينيّ، مؤسّسة بوستان كتاب، قم، ١٤٢٧هـ.

٤ ـ أمالي ابن الشّجريّ، هبة الله بن عليّ بن محمّد بن حمزة الحسنيّ العلويّ (ت٥٤٢هـ)، تحقيق: محمود محمّد الطّناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة.

٥ ـ أوضح المسالك إلى ألفيّة ابن مالك، أبو محمّد عبد الله بن جمال الدّين، ابن هشام الأنصاريّ (ت٧٦١هـ)، المكتبة العصريّة، صيدا، بيروت١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

٦ ـ الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدّين محمّد بن عبد الرّحمن المشهور بالخطيب القزوينيّ (ت٧٣٩هـ)، شرح وتعليق وتنقيح: محمّد عبد المنعم خفاجي، الشّركة العالميّة للكتاب، بيروت، ١٩٨٩م.

٧ ـ التّبيان في البيان، الحسين بن محمّد بن عبد الله الطّيبيّ (ت٧٤٣هـ)، دار البلاغة، بيروت، الطبعة الأُولى، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

٨ ـ التّذييل والتّكميل في شرح كتاب التّسهيل، أثير الدّين محمد بن يوسف، أبو حيّان الأندلسيّ (ت٧٤٥هـ)، حقّقه: الأُستاذ الدّكتور حسن هنداوي، دار القلم، دمشق.

٩ ـ تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، جمال الدّين محمّد بن عبد الله الطّائيّ الجيانيّ، المعروف بابن مالك (ت٦٧٢هـ)، حقّقه وقدّم له: محمّد كامل بركات، دار الكاتب العربي للطّباعة والنّشر، ١٣٨٧هـ، ١٩٦٧م.

١٠ ـ تفسير البحر المحيط، أثير الدّين محمّد بن يوسف بن عليّ بن يوسف، أبو حيّان الأندلسيّ (ت٧٤٥هـ)، تحقيق: عبد الرّزّاق المهديّ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأُولى.

١١ ـ تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشّريعة، محمّد بن الحسن الحرّ العاملي (ت١١٠٤هـ)، تحقيق: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم المشرّفة، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.

١٢ ـ التّلخيص في علوم البلاغة، جلال الدّين محمّد بن عبد الرّحمن المشهور بالخطيب القزوينيّ (ت٧٣٩هـ)، ضبطه وشرحه الأديب الكبير عبد الرّحمن البرقوقيّ، دار الفكر العربي..

١٣ ـ التوحيد، أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه القمّي، المعروف بالشّيخ الصّدوق (ت٣٨١هـ)، صحّحه وعلّق عليه: المحقّق البارع: السّيّد هاشم الحسينيّ الطّهرانيّ، مؤسّسة النّشر الإسلامي التّابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرّفة، ١٣٩٨هـ.

١٤ ـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطّبريّ)، أبو جعفر محمّد بن جرير الطّبريّ (ت٣١٠هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التّركيّ، هجر للطّباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

١٥ ـ الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جنّي (ت٣٩٢هـ)، تحقيق: محمّد عليّ النّجّار، المكتبة التّوفيقيّة، القاهرة، الطبعة الأُولى، ٢٠١٥م.

١٦ ـ دلائل الإعجاز في علم المعاني، الإمام عبد القاهر الجرجانيّ (ت٤٧١هـ)، دار المعرفة، بيروت ـ لبنان، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

١٧ ـ الرّوض الأنف في تفسير السّيرة النّبويّة لابن هشام، أبو القاسم عبد الرّحمن بن عبد الله بن أحمد بن أبي الحسن الخثعميّ السُّهيليّ (ت٥٨١هـ)، علّق عليه ووضع حواشيه: مجدي بن منصور بن سيد الشّوري، منشورات محمّد علي بيضون، دار الكتب العلميّة، بيروت ـ لبنان.

١٨ ـ شرح ابن عقيل على ألفيّة ابن مالك، بهاء الدّين عبد الله بن عقيل العقيليّ الهمدانيّ المصريّ (ت٧٦٩هـ)، نشر الفقاهة، قم، الطبعة الأُولى، ١٣٨٩هـ.ش.

١٩ ـ شرح التّسهيل، جمال الدّين محمّد بن عبد الله الطّائيّ الجيانيّ، المعروف بابن مالك

(ت٦٧٢هـ)، تحقيق: عبد الرّحمن السّيّد، ومحمّد بدوي المختون، هجر للطّباعة والنّشر والتّوزيع والإعلان، الطبعة الأُولى، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

٢٠ ـ شرح الرّضيّ على الكافية، المعروف بشرح كافية ابن الحاجب، رضيّ الدّين محمد بن الحسن الأسترآباديّ النحويّ (ت٦٨٦هـ)، تحقيق وتعليق: يوسف حسن عمر، دار المجتبى، مكتبة بارسا، قم، الطبعة الأُولى، ١٤٣٠هـ/ ٢٠١٠م.

٢١ ـ شرح ألفيّة ابن مالك لابن النّاظم، ابن الناظم بدر الدين محمد بن جمال الدين محمد ابن مالك (ت٦٨٦هـ)، مؤسّسة العطّار الثقافية، دار الاعتصام، قم، الطبعة الأُولى، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

٢٢ ـ شرح الكافية البديعيّة، صفيّ الدّين الحلّيّ (ت٧٥٢هـ)، قدّمه للشّرح وحقّقه وعلّق عليه: الأُستاذ الدّكتور رشيد عبد الرّحمن العبيديّ، رئاسة ديوان الوقف السّنّيّ، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، العراق، بغداد، الطبعة الأُولى، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

٢٣ ـ شرح قطر النّدى وبلّ الصّدى، أبو محمّد عبد الله بن جمال الدّين، ابن هشام الأنصاريّ (ت٧٦١هـ)، منشورات ذوي القربى، قم، الطبعة الرّابعة، ١٤٢٧هـ.

٢٤ ـ الشّعائر والشّعارات الحسينية، محمّد مهدي الآصفيّ، مجمّع أهل البيت عليهم السلام، النّجف، العراق، الطبعة الأُولى، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٧م.

٢٥ ـ عدّة الدّاعي ونجاح السّاعي، أحمد بن فهد الحلّيّ (ت٨٤١هـ)، تحقيق ونشر: مؤسّسة المعارف الإسلامية، قم، الطبعة الثانية، ١٤٢٥هـ.

٢٦ ـ الفصول الخمسون، زين الدّين أبو الحسين يحيى بن عبد المعطي المغربي (ت٦٢٨هـ)، تحقيق ودراسة: محمود محمّد الطّناحي، نشر: عيسى البابي الحلبي وشركاه.

٢٧ ـ الكافي، أبو جعفر محمّد بن يعقوب بن إسحاق الكلينيّ الرازي (ت٣٢٩هـ)، تحقيق: قسم إحياء التراث، مركز بحوث دار الحديث، قم، الطبعة الثالثة، ١٤٣٤هـ.

٢٨ ـ كامل الزيارات، أبو القاسم جعفر بن محمّد بن قولويه القمّي (ت٣٦٨هـ)، تحقيق: الشيخ جواد القيّومي، مؤسّسة نشر الفقاهة.

٢٩ ـ الكشّاف عن حقائق غوامض التّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الإمام محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، رتّبه وضبطه وصحّحه: مصطفى حسين أحمد، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
٣٠ ـ اللّباب في علل البناء والإعراب، أبو البقاء عبد الله بن الحسين العُكبري (ت٦١٦هـ)، تحقيق: غازي مختار طليمات، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأُولى، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.
٣١ ـ لسان العرب، محمد بن مكرم المشهور بابن منظور (ت٧١١هـ)، نشر أدب الحوزة، قم ـ إيران، ١٤٠٥هـ.
٣٢ ـ مجازات النداء وحقيقته وأغراضها في الخطاب القرآنيّ، ظافر بن غرمان العمريّ، مجلّة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية، العدد السّادس، ذو الحجّة، ١٤٢٩هـ.
٣٣ ـ المزار الكبير، أبو عبد الله محمّد بن جعفر المشهدي، تحقيق: جواد القيوميّ الأصفهانيّ، مؤسّسة النّشر الإسلامي، الطبعة الأُولى، رمضان المبارك ١٤١٩هـ.
٣٤ ـ مصباح المتهجّد وسلاح المتعبّد، محمد بن الحسن الطوسي (ت٤٦٠هـ)، مؤسّسة فقه الشيعة، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.
٣٥ ـ معاني النحو، فاضل صالح السامرائي، مؤسّسة التّاريخ العربي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأُولى، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م.
٣٦ ـ المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، أحمد حسن الزيّات، حامد عبد القادر، محمّد علي النجّار، دار الدعوة، استانبول ـ تركيا، ١٩٨٩م.
٣٧ ـ معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريّا (ت٣٩٥هـ)، تحقيق وضبط: عبد السلام محمّد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
٣٨ ـ معرفة الله وصفاته، ناصر مكارم الشيرازي، دار المحجّة البيضاء، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.
٣٩ ـ مغني اللّبيب عن كتب الأعاريب، أبو محمّد عبد الله بن جمال الدين، ابن هشام

الأنصاريّ (ت٧٦١هـ)، حقّقه وعلّق عليه: مازن المبارك، محمّد عليّ حمد الله، مكتبة سيّد الشُهداء، قم، ١٤٠٦هـ.

٤٠ ـ المفصّل في علم العربية، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، دار الجيل، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية.

٤١ ـ من نحو المباني إلى نحو المعاني، محمّد طاهر الحمصيّ، دار سعد الدّين للطّباعة والنّشر والتّوزيع، دمشق، الطبعة الأُولى، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

٤٢ ـ منهاج البلغاء وسراج الأدباء، أبو الحسن حازم القرطاجني (ت٦٨٤هـ)، تحقيق: محمّد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثالثة، ١٩٨٦م.

٤٣ ـ موسوعة زيارات المعصومين عليهم السلام، تأليف ونشر: مؤسّسة الإمام الهادي عليه السلام، قم، الطبعة الخامسة، رمضان ١٤٢٨هـ.

٤٤ ـ نسيج النصّ، الأزهر الزنّاد، المركز الثقافي العربي، بيروت، الطبعة الأُولى، ١٩٩٣م.

٤٥ ـ همع الهوامع (شرح جمع الجوامع في النحو)، الإمام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال أبو بكر السيوطيّ (ت٩١١هـ)، اعتنى به: أحمد عِزّو عناية، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.

الدعاء في زيارة عاشوراء
قراءة في ضوء الأُسلوبية الصوتية
القسم الأوّل

م. م. أحمد موفّق مهدي*

المقدّمة

الحمد لله الذي جلّت أسماؤه، وسمت أوصافه، الذي علّم الإنسان، وشرّف العربية بنزول القرآن، وأفضل الصلاة وأتمّ التسليم على النبيّ الأمين، الذي فتح أبواب العلم والرحمة للعالمين، وعلى غصن دوحته، وأوّل مَن صدّق برسالته، وعلى الصدّيقة الزهراء البتول، وعلى الذرّية الطاهرة من ولدهم أجمعين.

أمّا بعد، فإنّ هذا البحث ـ الذي يتكوّن من قسمين ـ يسعى لدراسة الأداء الأُسلوبي في ضوء المستوى الصوتي للدعاء في زيارة عاشوراء (المشهورة وغير المشهورة)، التي زار بها الإمام الباقر عليه السلام جدّه الإمام الحسين عليه السلام، ممهّداً بإطارٍ تنظيري يمثّل نقطة الانطلاق لرصد ذلك الأداء، وكيفية التعامل معه؛ وذلك إيماناً من الباحث بأنّ لكلّ نصّ بصمته الأُسلوبية في مستويات لغته، ولا سيّما المستوى الصوتي؛ ذلك الذي يُعدّ أهمّ ما يميّز لغة المنشئ على الإطلاق.

فالدراسة الصوتية تكشف عن إسهام البنية الإيقاعية للكشف عن جماليات النصّ كلّه، فبنية النصّ اللُّغوي أو الأدبي بنية معقّدة، وكلّ عناصرها المكوّنة لها عناصر دالّة، فهي عبارة عن إشارات إلى مضمون معيّن.

---

* ماجستير في اللغة العربية، كلية التربية/ جامعة البصرة.

تسعى الدراسة إلى اختبار صدق هذه المقولة بتطبيقها على الدعاء الذي ورد في زيارة عاشوراء، فقد حاولت جاهداً ـ في هذا البحث ـ تطبيق الأُسلوبية الصوتية لهذه النصوص من خلال بيان عناصر التوازي، والتلاؤم الصوتي، والجناس، والسجع، والتكرار، وغيرها، كما أنّ الدراسة تحاول الوصول إلى كيان معرفي للدراسات الصوتية قديمها وحديثها، وذلك عن طريق إقامة معيار للصوت بشتّى تشكيلاته (فرادى وجماعات)، رابطةً بعضَ مباحث الصوتيات بالإيقاع في مفهومه الكمّي؛ لتبيان قدرته على تخليق الدلالة النصّية في رحم النصّ، ناظرةً بعين الاعتبار إلى دور الخصائص الصوتية للحروف العربية، وقدرة هذه الخصائص على إنتاج الدلالة النصّية، متّكئةً على بعض آليّاتها الأُسلوبية، بوصفها ممارسة علمية تستعين في تحليلها للنصّ الأدبي بتقنيّات منهجية مستمدّة من علم البلاغة، وعلم الجمال، وعلم الدلالة، والبنيوية، والإحصاء، جامعةً كلّ ذلك في إطار تنظيري، وطرح تطبيقي؛ بغية الكشف عن إبداع الصوت في النصّ المراد دراسته.

إنّ المستوى الصوتي في لغة النصّ الأدبي أو اللُّغوي يمثّل بصمة أُسلوبية لها مكوّناتها وخصائصها المنغلقة على كلّ منشئٍ لنصّ معيَّن، والبحث في هذا المستوى يُعدّ في رأي الباحث أساساً لجميع المستويات المكوّنة لبناء النصّ الأدبي أو اللُّغوي؛ ذلك لأنّ اللغة أصوات، وهذه اللغة هي المادّة الخامّ لمنشئ النصّ، وبقدر تمكّن المنشئ منها، وتشكيله الفنّي لها، وتطويعها للتعبير عن رؤاه، تُقاس براعته في نشأة نصّ معيّن، فلا نُخطئ إذن إن قلنا: إنّ الزيارة هي مجموعة من الأصوات، وهذه الأصوات تختلف عن الأصوات المحيطة بنا في عالمنا المكتظّ بالصياح والضجيج، صوت يطرب له حتّى الذي لم ينل قسطاً من العلم والثقافة اللُّغوية، ويستطيع أن يميّزه عن بقيّة الكلام النثري بمجرّد سماعه.

التمهيد: (التعريف بالأُسلوبية الصوتية)

ارتبطت الأُسلوبية بالدراسات النقدية والبلاغية واللُّغوية والأدبية، وإنّ المتّفق عليه في تصنيف الأُسلوبية أنّها نصف موروث ونصف حداثة، والجمع بينهما يحصل في ضوء التنسيق في النظام اللُّغوي القائم على مبدأ التواصل والقبول[1]، ولكن لا بدّ من توضيح الفرق بين (الأُسلوب) و(الأُسلوبية).

الأُسلوب

يقول ابن منظور: «**ويقال للسطر من النخيل: أُسلوب، وكلّ طريق ممتدّ فهو أُسلوب...**»[2]، ويذكر ابن قتيبة (الأُسلوب) ليربطه بأداء المعنى، فيقول: «**إنّما يعرف فضل القرآن مَن كثُر نظره، واتّسع علمه، وفهم مذاهب العرب وافتنانها في الأساليب، وممّا خصّ الله به لغتها دون جميع اللغات...**»[3].

أمّا عند الغرب فقد انبثقت تعريفات عدّة، وكانت الجدلية واضحة عند الأُسلوبيين الغربيين ومَن تابعهم، فقد كان من الصعب تحديد تعريف (الأُسلوب) بتعريف واحد، لتداخل كثير من المعاني حوله، ولكونه أيضاً لم يختصّ بمجال اللسانيات وحدها، بل استُعمل في مجالات أُخرى، كالفنّ والموسيقى والأدب والكتابة[4].

ويعدّ (شارل بالي) المؤسّس الأوّل لعلم الأُسلوب، وإن استفاد كثيراً من (دي سوسير) في دراسته للتحليل النقدي، والمعروف بثنائية اللغة والكلام.

---

(١) أُنظر: د. سامي علي جبار، في اللغة ومناهج التحليل: ص١٤.

(٢) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج١، ص٤٧٣، مادّة: (سلب). وأُنظر: الزمخشري، محمود بن عمر، أساس البلاغة: ص٣٠٤، مادّة: (سلب).

(٣) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، تأويل مشكل القرآن: ص١٢. الشال، محمد عبد الله عباس، شعر الطبيعة في عصر الموحدين: ص٤٠.

(٤) أُنظر: هنريش بليث، البلاغة والأُسلوبية: ص٥١.

فالأُسلوب (*Style*) عند (بالي) هو استعمال اللغة، ويحصر مدلول الأُسلوب في تفجير الطاقة التعبيرية الكامنة في صميم اللغة بخروجها عن عالمها الافتراضي إلى حيّز الموجود اللُّغوي، فكأنّ اللغة مجموعة شحنات معزولة، والأُسلوب هو إدخال بعضها في تفاعل مع بعضها الآخر(١).

وذكر (دي لوفر) الأُسلوب بأنّه: سلطان العبارة إذ تستبد بنا(٢)، وفي السياق نفسه ظهرت آراء عدّة منها أنّ الأُسلوب هو: السلوك، أو المتحدِّث، أو الشيء الكامن، أو الفرد، أو اللغة...(٣).

كان للعرب جهود في متابعة الدراسات الأدبية والنقدية عند الغرب، وكانت لهم مؤشرات إيجابية في الإسهام في الدراسات الأُسلوبية المعاصرة، إذ عرّف أحمد الشايب (الأُسلوب) بأنّه «**اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير بها عن المعاني؛ قصد الإيضاح والتأثير، أو الضرب من النظم والطريقة فيه**»(٤). انطلق الشايب في دراسة الأُسلوب من مقولة (بوفون): (الشخص هو الأُسلوب) أو (الأُسلوب هو الشخص)(٥)، ويرى المسدي أنّ الشايب يحلّل الظاهرة الأدبية إلى أصناف هي: العاطفة، الفكرة، والخيال(٦)، وفي هذا الإطار أكّد الدكتور فايز الداية أنّ (الأُسلوب) هو الطريقة التي تدرس السمات اللغوية والتعبيرية المتفاعلة مع التخييل، وأبعاد التجربة في النوع الأدبي، وتقوم بتوظيف هذه التجربة وتحليلها ليتمّ توصيلها إلى المتلقّي(٧).

(١) أُنظر: المسدي، د. عبد السلام، الأُسلوبية والأُسلوب: ص٨٩. وأيضاً: عدنان بن ذريل، الأُسلوبية، مجلة الفكر العربي: العدد ٢٥: ص٢٥٥.
(٢) أُنظر: المسدي، د. عبد السلام، الأُسلوبية والأُسلوب: ص٨٣.
(٣) أُنظر: فيلي ساندريس، نحو نظرية أُسلوب: ص٢٦.
(٤) الشايب، أحمد، الأُسلوب (دراسة بلاغية تحليلية لأُصول الأساليب الأدبية): ص٣٦.
(٥) أُنظر: محمد عبد المطلب، البلاغة والأُسلوبية: ص١٢٠
(٦) أُنظر: المسدي، عبد السلام، الأُسلوبية والأُسلوب: ص١١٠.
(٧) أُنظر: الداية، فايز، الأُسلوبية الأدبية في الأدب العربي: ص١٧.

فالأُسلوب تتوفّر فيه ثلاث صفات: الوضوح لقصد الإفهام، القوّة لقصد التأثير، والجمال[١]، ولا ريب في أنّ لكلّ مؤلّف مجموعة من الاختيارات الخاصّة به هي التي تكوّن سمات أُسلوبه التعبيري الذي يجعله مختلفاً عن الآخرين[٢]، فالإشارة واضحة إلى كون الأُسلوب الأصيل يكون خاصّاً غير مسبوق ولا ملحوق، ويوصف بأنّه معياري[٣].

الأُسلوبية

ظهرت الأُسلوبية على أنّها منهج نقدي يسعى إلى تحليل التركيب اللُّغوي للنصوص الأدبية، وكان ظهور الأُسلوبية في بدايات القرن العشرين، وهي نتاج تطوّر الدراسات اللُّغوية والأدبية، وقد عرّف منذر عياشي الأُسلوبية بأنّها: علم يدرس اللغة ضمن الخطاب، وله مستويات، والتراث العربي عرف الظاهرة ودرسها ضمن البلاغة العربية[٤]، فالأُسلوبية هي التي تحدّد مفهوم الأصالة والمعاصرة، بحيث لا يكون التعصّب للقديم، ولا الانغلاق أمام الجديد[٥].

الفرق بين الأُسلوب والأُسلوبية

الأُسلوب يظهر في السلوك أو الفرد أو اللغة[٦]، أمّا الأُسلوبية فتظهر في الأفعال والممارسات التي يعتمدها الأديب أو الكاتب منذ إشراقها في الذهن، فهي

(١) أُنظر: محمد عبد المطلب، البلاغة والأُسلوبية: ص١١٦.
(٢) أُنظر: سعد مصلوح، الأُسلوب (دراسة لغوية إحصائية): ص٢٣.
(٣) أُنظر: فيلي ساندريس، نحو نظرية أُسلوب لسانية: ص١٢٤. أبو العدوس يوسف، الأُسلوب (الرؤية والتطبيق): ص٤٨.
(٤) أُنظر: منذر عياشي، الأُسلوبية وتحليل الخطاب: ص٢٧.
(٥) أُنظر: محمد عبد المطلب، البلاغة والأُسلوبية: ص٣.
(٦) أُنظر: فيلي ساندريس، نحو نظرية أُسلوبية: ص٢٦.

تُعبِّر عن الأعمال الوجدانية والأفعال اللُّغوية[١]، كما أنّ عمل الأُسلوب يختلف عن الأُسلوبية، فالأُسلوب يربط ظواهر متعدّدة، أمّا الأُسلوبية فهي مشتركة بين مجموعة من النصوص؛ ممّا يؤدّي إلى عدّ الأُسلوب نظاماً له شكله المتماسك[٢].

إنّ المتّفق عليه أنّ المنهج الأُسلوبي في النصوص الأدبية وغير الأدبية يتّكئ على ثلاثة مفاهيم هي: الاختيار والتوزيع والاتساع[٣]، فالاختيار (*Choice*) أو الانتقاء (*Selection*) هو أن يقوم مؤلِّف النصّ عند وضع مقتضيات التعبير الفنّي باختيار سمات لُغوية محدّدة من بين فائض كبير من الصور التعبيرية المتاحة، وغايتها التنسيق والتنظيم في التعبير عن مواقف معينة[٤].

أمّا التوزيع فهو أن يختار المنشئ العبارة وينقلها في أماكن مقصودة بين عناصر اللغة. والاتّساع يتجلّى في إيضاح قدرة تعبير المنشئ ومعاني هذا التعبير والعمل على تطويرها. فالاتّساع في المستويات التعبيرية من حيث الألفاظ والتراكيب والدلالات يكون بحسب ما يناسب مضمون العمل الأدبي، وفي منظور الدراسات الأُسلوبية عندما تريد الارتقاء إلى مستوى الأدبية لا بدّ من أن تتعامل مع محوري اللغة والجمال[٥].

مستويات المنهج الأُسلوبي

الذي يكشف عمل (المنهج الأُسلوبي) هو مجال علم اللغة، فقد عُدّت اللغة نقطة البدء الأساسية في منهجية الدراسات الأُسلوبية، ونظراً لكونها صادرة من

(١) أُنظر: فيل ساندريس، نحو نظرية أُسلوبية: ص١٢٤. أبو العدوس، يوسف، الأُسلوبية (الرؤية والتطبيق): ص٣٣.
(٢) أُنظر: حسن ناظم، البنى الأُسلوبية (دراسة في أنشودة المطر للسياب): ص٢١.
(٣) أُنظر: سامي علي جبار، في اللغة ومناهج التحليل: ص٢٠.
(٤) أُنظر: فيلي ساندريس، نحو نظرية أُسلوبية لسانية: ص١٢٥. وأيضاً: أمين يوسف عودة، ظواهر أُسلوبية في شعر ابن دريد، مجلة مجمع اللغة العربية: مج ٨٦، ج٣، ص٨٠٠.
(٥) أُنظر: باز، أحمد عبد العزيز، خصائص الأُسلوب في شعر النقائض الأُموية: ص١٣.

سلسلة (مستويات) تقوم بعرض وتوضيح أفكار وأساليب الكتّاب والأُدباء، فقد جاء كلّ مستوى يحمل جملة من الأُمور، ليقدِّم عرضاً كاملاً للمنهجية الأُسلوبية، ومن أبرز المستويات هي:

١ ـ **المستوى الصوتي**: يبحث بالظواهر الصوتية وكلّ ما يتعلّق بها كالإيقاع والموسيقى وغيرها ممّا يتعلّق بالنصّ الأدبي.

٢ ـ **المستوى التركيبي**: يهتمّ في الظواهر التركيبية للجمل، كالتقديم والتأخير، والحذف والذكر وغيرها.

٣ ـ **المستوى الدلالي**: ويتضمّن دراسة المعنى الذي يظهر في الأشكال التعبيرية المميزة والمستعملة في النصّ الشعري.

وما يهمّنا من هذه المستويات المستوى الصوتي الذي يُعرّف بأنّه: علم ينتمي إلى الفونولوجيا (*Phonology*)[١]، «**ويدرس من العناصر الصوتية في لغة الإنسان تلك التي تحمل الوظيفتين: الانفعالية والندائية... وهذه العناصر الصوتية مثل: طريقة التلفّظ، وموضع النطق، والنبرة، وحدّة الصوت، تسمح للسامع أن يكوّن فكرةً عن المتكلّم بغضّ النظر عن معنى الكلام الذي يقوله، كأصله الاجتماعي ومنشأه الجغرافي، أو عمره، أو درجة ثقافته، أو جنسه**»[٢].

إنّ هذه العناصر الصوتية التي تتجلى في لغة المتكلّم، والتي تأخذ شكلاً أدائياً ثابتاً، تمثّل بصمةً أُسلوبية تميّز كلّ شخصٍ عن آخر، فنحن قد نستدلّ على الأشخاص دون أن نراهم، وذلك في ضوء نبرات أصواتهم المميّزة التي نعرفها عنهم، في ضوء شدّة الصوت وحدّته، أو ما إلى ذلك من عناصر صوتية[٣].

---

(١) هو علم النُّظُم الصوتية أو علم الصوتيات الوظيفي(*Phonology*)، اُنظر: مبارك، مبارك، معجم المصطلحات الألسنية: ص٢٢.

(٢) ميشال عاصي، أميل بديع يعقوب، المعجم المفصل في اللغة والأدب: ص٦٢٣.

(٣) اُنظر: بييـر جيرو، الأُسلوبية: ص٧٣.

إنّ الأُسلوبية الصوتية ترصد بما لها من آليّاتٍ إحصائية وغيرها مدى براعة منشئ النصّ في استعمال الطاقة اللُّغوية، وقدرته على توظيف هذه الطاقة توظيفاً فنّياً مشكّلاً لرؤاه وعالمه، إنّ المنشئ المبدع بصفة عامّة «**بمثابة المهندس البارع، يكون حظّه من البراعة بمقدار استغلاله لكلّ الإمكانات في تشييد بنائه**»[1]، وفي نطاق الأُسلوبية الصوتية يكون المنشئ بمثابة مهندس الصوت الذي يعمل قدر طاقته على إخراج النصّ بأبهى صورةٍ مستفيداً من طاقته الإبداعية، وما يتولّد عنه من إيقاعٍ كمّي ونبري ونغمي يختلف من نصّ لآخر، كما أنّه يتّكئ على الطاقة الإيحائية الكامنة في صوت الراوي الذي تتخلّق فيه الدلالة الفنّية للنصّ بجوار ما يتكرّر من فونيمات لها خواصّ ميكانيكية وخصائص معنوية مختلفة[2]، كما أنّه يستطيع حسب براعته أن يستثمر الطاقة الكامنة في عنصر التكرار النمطي، وما يقدّمه من توازٍ صوتي بمسافتيه: القريبة والبعيدة، وبأنماطه على مستويات ثلاثة: الحرف، والكلمة، والجملة، فضلاً عن أُمور أُخرى: كالجناس، والسجع، والتوازي الإيقاعي.

تسعى الأُسلوبية الصوتية إلى رصد ما يخصّ جميع عناصر الهندسة الصوتية الشعرية سالفة الذكر، وبعبارة أُخرى: إنّها في سعي دائم لاستنطاق نصّ المنشئ، أو استنطاق ما هو مكتوب صوتاً[3] في ضوء أبهىٰ عناصر تكوين المستوى الصوتي، مع مراعاة عدم فصل هذا المستوى عن مستويات النصّ الأُخرى.

وخلاصة الأمر: أنّ ما تسعى إليه الأُسلوبية الصوتية بوصفها منهجاً لتحليل الخطاب الشعري هو دراسة إبداع الصوت في النصّ الأدبي أو اللُّغوي، وقياس قدرة هذا الصوت على تخليق الدلالة داخل النصّ.

(١) أحمد طه حسين، المعجم الشعري عند حافظ إبراهيم: ص٢٩.

(٢) أُنظر: هنريش بليث، البلاغة والأُسلوبية: ص٥١.

(٣) أُنظر: حساني، عادل نذير، الأداء الأُسلوبي في المستوى الصوتي في أغاني مهيار الدمشقي لأدونيس: ص١١.

المبحث الأوّل: التلاؤم الصوتي

يعرّف بأنّه «**حُسن الكلام في السمع، وسهولته في اللفظ، ووقع المعنى في القلب**»[1]، ويتمّ هذا بعيداً عن وجود التنافر في الأصوات أو القرب الشديد، الذي يجعل من اتحاد الأصوات ذا طبيعة متفاوتة في البناء الصوتي للكلمة، أو مجموعة من الكلمات داخل النصّ الأدبي.

وهذا يعني أنّ التلاؤم بين أصوات المفردة داخل النصّ الأدبي يشكّل أساساً مهماً في البناء الصوتي للغة ذلك النصّ، ولمّا كانت مفردات زيارة عاشوراء تنماز بالتلاؤم بين الأصوات المكوّنة لها، ولا وجود للتنافر بين أصواتها، سواء أكان على مستوى اللفظة الواحدة أم على مستوى التركيب، فإنّ هذا التلاؤم ينسحب على مستوى العبارات أيضاً، فتعديل الأصوات في تأليف المفردة يعني تعديل الأصوات في تأليف العبارة المكوّنة من مفردات مختلفة؛ لذلك لا نجد مثلاً الانتقال المفاجئ بين الأصوات الشديدة المتقاربة المخارج في الزيارة الشريفة، ذلك الانتقال الذي يؤدّي إلى التنافر وعدم الانسيابية في الجرس الموسيقي، بل على العكس من ذلك نلاحظ جمالية الانسجام والتوازن الموسيقي بين الأصوات بكلّ وضوح في داخلها[2].

والذي يستقصي زيارة عاشوراء لا يكاد يجد لفظةً تشذّ عن مبدأ التلاؤم، ولا شكّ في أنّ مَن قالها ـ وهو الإمام الباقر عليه السلام ـ لا ينطق عن الهوى، ولا ينطق إلّا بألفاظٍ من وحي القرآن، فعذوبة ألفاظها وجمال جرس كلماتها مستقاة من عذوبة ألفاظ القرآن الكريم وجماله.

ومن أمثلة ذلك ما جاء في الزيارة الشريفة: «**اللّهمّ العنهم، والعن مَن رضي بقولهم وفعلهم، من أوّل وآخر، لعناً كثيراً، واصلهم حرّ نارك، وأسكنهم جهنّم**

(١) الباقلاني، محمد بن الطيب، إعجاز القرآن: ص٢٧٠.

(٢) أُنظر: المنصوري، عبد الواحد، سحر النصّ (قراءة في بنية الإيقاع القرآني): ص١٦٠.

وساءت مصيراً، وأوجب عليهم وعلى كلّ مَن شايعهم وبايعهم وتابعهم وساعدهم ورضي بفعلهم، وافتح لهم وعليهم وعلى كلّ مَن رضي بذلك لعناتك التي لعنت بها كلّ ظالم، وكلّ غاصب، وكلّ جاحد، وكلّ كافر، وكلّ مشرك، وكلّ شيطان رجيم، وكلّ جبّار عنيد»[1].

نلاحظ سهولة الألفاظ غير المتكلّفة، والطاقات التعبيرية التي أضافتها هذه الألفاظ ـ سواء على المستوى الصوتي أو الدلالي ـ من مفاهيم عميقة تتصل بلعن الظالمين من الأوّلين والآخرين، وممّا أضاف جمالاً آخر إيقاعية المقاطع وتناسبها، فلو تأمّلنا في هذا النصّ لوجدنا أنّ مخارج أصوات الكلمات متباعدة بعضها عن بعضها الآخر، ولا نجد فيها الوحشي والعامي المتداول، ولا نجد صعوبة في نطق أيّ كلمة داخل النصّ، بل كانت الألفاظ خفيفة في النطق، وواضحة في المعنى؛ وهذا ممّا يزيد الكلام حسناً، ورونقاً وجمالاً .

أ ـ التلاؤم الصوتي على مستوى المفردة

إنّ التلاؤم بين أصوات المفردة داخل النصّ الأدبي يُشكّل أساساً مهمّاً في البناء الصوتي للغة النصّ الأدبي، وينضوي هذا التلاؤم على عبارة النصّ وأصواتها بصورة متكاملة، وتأتي هذه «**الأُمور مجتمعة من التعديل الصوتي بين الأصوات المكوّنة لألفاظ العبارة، وعدم التنافر فيما بينها؛ حتّى لا يكون هناك اضطراب في النسق التركيبي لهذه الألفاظ المتلائمة**»[2].

فالأصوات داخل المفردة الواحدة إذا كانت متنافرة فيما بينها، فإنّ هذا التنافر يؤدّي إلى الثقل في نطق تلك المفردة، على أنّ سبب هذا التنافر هو[3]:

(١) القمّي، عباس، مفاتيح الجنان: ص٤٦٩.
(٢) رومي، جاسم غالي، التلاؤم الصوتي وأثره في القرآن الكريم، مجلة الكلية الإسلامية الجامعة: العدد، ١٦، ج١، ص٢.
(٣) أبو الحسن الرماني، علي بن عيسى، النكت في إعجاز القرآن: ص٩٥.

١ـ إذا كانت مخارج أصوات المفردة متقاربة أو متلاصقة، كأصوات الصفير (السين، والصاد، والزاي)، أو الأصوات الشجرية كـ(الشين، والياء، والجيم)، وغيرها من الأصوات المتلاصقة أو المتقاربة في مخرجها.

٢ـ البعد الفاحش في مخارج الأصوات، فالتنافر يكون من (البعد الشديد، أو القرب الشديد)، فعلى سبيل التمثيل كلمة (الهعخع) عندما سئل إعرابي عن ناقته فقال: «**تركتها ترعى الهعخع**»[١]، فالتنافر في هذه اللفظة واضح؛ فمخارج أصواتها (الهاء، والخاء، والعين) متلاصقة؛ إذ إنّ جميعها من مخرجٍ واحدٍ وهو الحلق[٢]، وهذا التقارب في المخرج سبَّب تنافراً ما بين الأصوات؛ ممّا أدّى إلى ثقل النطق بها، فيُستقبح لفظها في النغم والإيقاع[٣]، وهذا يعني أنّ مخارج الأصوات لا بدّ أن تكون متباعدة فيما بينها[٤]، فلا لبس لمخارج الأصوات، ولا إهمال لمخرج من مخارج الصوت.

وهذه الخاصّية تكون بشكل واضح في زيارة عاشوراء الشريفة، فأصوات ألفاظها سهلة، بعيدة عن التنافر، محبّبة إلى النفوس، تهزّ عند سماعها القلوب، وتستثير الشعور؛ لتلاؤم أصواتها وتتابعها على نسبٍ معيّنة بين مخارج الحروف المختلفة، ومن الأمثلة على ذلك ما جاء في الزيارة الشريفة: «**والعن اللّهمّ الذين نهبوا ماله، وسلبوا حريمه**»[٥].

فعند التأمّل قليلاً في استعمال لفظة (سلبوا)، وما أثارته من تلاؤم صوتي في جرس حروفها، وتباعد في مخارج حروفها، انتهاءً بصوت (السين) الهامس، ودلالته على الهدوء والسكينة والطمأنينة، فإنّها تختلف أشدّ الاختلاف لو استبدلناها بلفظة (انتزعوا) التي هي من معناها، فالسمة الجمالية بارزة في استعمال هذه اللفظة دون تلك.

(١) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، المزهر: ج١، ص١٤٧.
(٢) أُنظر: الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين: ج١، ص٥٢.
(٣) أُنظر: حسين جمعة، في جمالية الكلمة: ص٣٤.
(٤) أُنظر: العقاد، عباس محمود، اللغة الشاعرة: ص٣٥.
(٥) القمّي، عباس، مفاتيح الجنان: ص٤٦٩.

إنّ جمالية أيّ نصّ أدبي لا بدّ أن يُحرز فيها الانسجام بين الأصوات داخل بنية الكلمة؛ إذ إنّها تشكّل بنيتها الأساسية، فمن انتظام الأصوات داخل الألفاظ والتراكيب، وتناسبها بأبعاد دقيقة، وانسجامها مع أحاسيس النفس ومشاعرها، يتكوّن العمل الفنّي.

أمّا ابن الأثير فيذهب في ذلك مذهباً آخر في تحليله لطبيعة التنافر في أصوات اللفظة المفردة؛ إذ يعلّل سبب التنافر ويرجعه إلى الذائقة السمعية التي تأبى ذلك ولا تستسيغه، «**فإذا استحسنت لفظاً أو استقبحته، وجِد ما تستحسنه متباعد المخارج، وما تستقبحه متقارب المخارج، واستحسانها واستقباحها إنّما هو قبل اعتبار المخارج لا بعده**»[1]؛ وذلك «**لأنّ الألفاظ داخلة في حيّز الأصوات، فالذي يستلذّه السمع منها ويميل إليه هو الحسن، والذي يكرهه وينفر عنه هو القبيح**»[2].

فنرى ابن الأثير لا يخرج عن دائرة ما ذهب إليه الجمهور في تعليل سبب التنافر في أصوات اللفظة، إلّا أنّه يرى أنّ هذا السبب متأخّر، والذائقة والالتذاذ السمعي متقدّم عليه، فعلى ذلك لو استساغت الذائقة واستحسنت لفظةً، ووجِدت بعد ذلك أنّها متقاربة المخارج، فبماذا يُحكم عليها؟

يذهب ابن الأثير إلى الحكم بفصاحتها؛ وذلك لحسنها ، والتذاذ السمع بها، ومثال ذلك: لو أخذنا لفظة (جيش)، أو (شجي)، وأصواتها متقاربة المخارج «**من وسط اللّسان بينه وبين الحنك، وتسمّى ثلاثتها الشجرية**[3]»[4]، ومع هذا التقارب نلاحظ أنّها حسنة رائقة محمودة[5].

---

(١) ابن الأثير، نصر الله بن محمد، المثل السائر: ج١، ص١٥٩.

(٢) المصدر السابق: ص٨١.

(٣) سمّيت بالشجرية لأنّ مبدأها من شجْر الفم. أُنظر: الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين: ج١، ص٥٨.

(٤) ابن الأثير، نصر الله بن محمد، المثل السائر: ج١، ص١٥٩.

(٥) أُنظر: المصدر السابق.

إنّ التلاؤم والانسجام في أصوات اللفظة المفردة لا يقتصر على التباعد في المخارج فحسب، بل يتعدّاه إلى طبيعة نوع الحركات وترتيبها التي هي «**أبعاض حروف المدّ واللين... وهي الفتحة والكسرة والضمّة**»[1]، فهي توفّر نغمة إيقاعية في غاية الجمال، تخفّف من ثقل بعض الأصوات في اللفظة، بل تؤدّي إلى إضفاء خاصّية انسجامية على تلك الأصوات، وتحسين بنائها المؤلَّف من أصوات متقاربة المخارج، فنلاحظ في بعض المقاطع من الزيارة الشريفة جمال استعمال الألفاظ، وبلاغة الكلام، فقد تلاءمت أصواتها، فكأنّها نسيج متكامل تامّ الأجزاء، محكم البناء، فحوت الأصوات المتنوّعة بين الجهر والهمس، والمتباعدة في مخارجها، ممّا أكسبها جرساً رفيعاً، وجعلها رائقة في الذوق، وأبعدها من أن تكون نابية أو متنافرة في السمع.

ب. التلاؤم الصوتي على مستوى التركيب

يُعدّ التلاؤم الصوتي ركناً مهماً في بناء التشكيل الحاصل بين الحروف في الألفاظ والعبارات، لما له من دور في التناسق والتأليف فيما بينها، ويتمّ ذلك بعيداً عن التنافر والاختلاف في المخرج؛ لذا يشكّل التلاؤم بين الألفاظ في النسق التركيبي للعبارة ضرباً من الانسجام الصوتي يضفي على النصّ نمطاً موسيقياً غاية في الجمال والعذوبة، وهذا يعني أنّ التلاؤم الصوتي يعتمد اعتماداً كبيراً على التباعد غير الفاحش أو التقارب في مخارج أصوات اللفظة، ولمّا كان التركيب الجملي يتكوّن من كلماتٍ عدّة، فلا بدّ أن تكون هذه الكلمات متناسقة، ومتجانسة في مخارج أصواتها، حتّى تكون تركيباً متلائماً ومتجانساً محكماً رصيناً، فإذا كانت الكلمات مجتمعة فيما بينها ومتقاربة في مخرجها، فإنّ هذا يؤدّي إلى ثقل في السمع والكلام، فعلى سبيل التمثيل قول الشاعر[2]:

---

(١) ابن جني، عثمان، سرّ صناعة الإعراب: ج١، ص١٧.

(٢) نُسب هذا البيت إلى الجن، وإلى ذلك ذهب القلقشندي. أُنظر: القلقشندي، أحمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء: ج٢، ص٢٩٢.

وقــبرُ حــربٍ بـمـكـانٍ قفر وليس قـربَ قبرِ حـربٍ قبرُ

إنّ تكرار لفظة (قبر)، ومجيء لفظتي (قبر) و(قفر)، وما بينهما من تقارب في المخارج، كلّ ذلك أدّى إلى ثقل الجرس الموسيقي، وتنافر الأصوات فيما بينهما، وعدم انسجامها[1].

ومن أمثلة التلاؤم الصوتي على مستوى التركيب ما جاء في زيارة عاشوراء: «**اللّهمّ وضعِّف غضبك وسخطك وعذابك ونقمتك على أوّل ظالم ظلم أهل بيت نبيّك، اللّهمّ والعن جميع الظالمين لهم، وانتقم منهم، إنّك ذو نقمة من المجرمين، اللّهمّ والعن أوّل ظالم ظلم آل بيت محمّد، والعن أرواحهم وديارهم وقبورهم، والعن اللّهمّ العصابة التي نازلت الحسين بن بنت نبيّك، وحاربته، وقتلت أصحابه وأنصاره وأعوانه وأولياءه وشيعته ومحبّيه وأهل بيته وذرّيته**»[2].

نلاحظ في هذا النصّ تكرّر صوت (الميم) خمس وعشرين مرّة، وتكرّر صوت (الواو) ستّ وعشرين مرّة، فعدّ بعضهم ذلك من مواطن التنافر الصوتي في الجملة؛ إذ عدّوا أنّ التلاؤم الصوتي يعتمد فيما يعتمد عليه على الابتعاد عن تكرير الحروف في وحدات العبارة[3]، إلّا أنّنا لا نجد استثقالاً ولا فحشاً في هذا النصّ؛ ويبدو أنّ مرجع ذلك إلى توظيف نصّ الزيارة الشريفة لهذا التكرار توظيفاً أبعده عن شبح التنافر، وإحداث جرسٍ موسيقي عالٍ نتيجة لصدى صوت (الميم) المرتفع، ووضوحه في السمع، وقوّته النغمية التي تناسب مقام اللعن، والانتقام، والتهديد، والوعيد، فضلاً عن تكرار صوت (الواو) ستّاً وعشرين مرّة، وهو صوت يخرج من أعماق الجوف، يوحي بالغيظ والشدّة والحرقة التي تخرج مع الزفرات الملتهبة،

(١) أُنظر: المنصوري، د. عبد الواحد، سحر النصّ (قراءة في بنية الإيقاع القرآني): ص١٣٨.
(٢) القمّي، عباس، مفاتيح الجنان: ص٤٦٩.
(٣) أُنظر: الإزيرجاوي، إبراهيم صبر محمد راضي، البناء الصوتي في السور المكية (رسالة ماجستير): ص٥٦.

فنكاد نتلمّس ونستشعر حرارة الآهات المنبعثة من أعماق القلب، لتنبئ عن عظم الألم والرزية التي ألّمت بأهل البيت عليهم السلام، ومعاناتهم لذلك الموقف، فضلاً عن ذلك فقد أضافت ألفاظ النصّ بتوافقها الوزني والإيقاعي جرساً موسيقياً يشدّ المتلقّين .

لقد أضاف التلاؤم الصوتي على مستوى التركيب في زيارة عاشوراء عنصراً إيقاعياً تستشعر به النفس، وتتفاعل معه؛ ذلك أنّ الكلمة بما تحمل في تأليفها من صدى ووقعٍ حسن، وبما لها من رهافة ودقّة تأليف، وانسجام بين الأصوات، وبعدٍ عن التنافر، وتقارب في المخارج، تشكّل بمجملها إيقاعاً هامساً يجتذب الأسماع، وتطرب له الآذان، وتميل إليه النفوس[1].

المبحث الثاني: التوازي الإيقاعي

التوازي لغةً: جاء في لسان العرب: «**وزي: وزى الشيء يزي: اجتمع وتقبّض**»[2]، وفي المعجم الوسيط: «**وازاه: قابله وواجهه. توازى الشيئان: وازى أحدهما الآخر**»[3].

التوازي اصطلاحاً: لم يُتّفق على تعريف موحّد للتوازي، بل عُرِّف بتعريفات عدة، منها: أنّه عبارة عن تماثل المباني أو المعاني أو تعادلها في سطور متطابقة الكلمات، أو العبارات القائمة على الازدواج الفنّي ، والتي ترتبط ببعضها، وتسمّى عندئذٍ بالمتطابقة، أو المتعادلة، أو المتوازية، سواء في الشعر أو النثر، ولا سيّما النثر المقفّى، أو النثر الفنّي[4].

في حين عرّفه الدكتور محمّد مفتاح بأنّه: «**تنمية لنواةٍ معنوية سلبية أو إيجابية بإركام قسري أو اختياري لعناصر صوتية، ومعجمية، وتركيبية، ومعنوية، وتداولية، ضماناً لانسجام الرسالة**»[5].

---

(١) أُنظر: آلوجي، عبد الرحمن، الإيقاع في الشعر العربي: ص٧٤.
(٢) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج١٥، ص٣٩١، مادّة (وزى).
(٣) إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط: ص١٠٣، مادّة (وزى).
(٤) أُنظر: الشيخ، عبد الواحد حسن، البديع والتوازي: ص٨.
(٥) محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص): ص٢٥.

قد أكّد الدكتور مفتاح على أهمّية وجود النواة بوصفها المادّة الأساسية التي تتشكّل منها بُنى التوازي المختلفة، ليتسنّى للباحث دراستها على المستويات كافة (الصوتية والتركيبية والتداولية)، وفي ضوء ما تقدّم تظهر أهمّية التوازي بالنسبة للنصّ الشعري أو النثري، وإذا يمّمنا أبصارنا نحو زيارة عاشوراء الشريفة، لوجدنا أنّ ظاهرة التوازي من الظواهر البارزة فيها؛ إذ تُعدّ ظاهرة مهيمنة وبارزة لها، تخلق تصوّراً مسبقاً لدى المتلقّي بتماثل مع ما يتلقاه لاحقاً؛ ممّا أكسبها سمة جمالية واضحة، فتقابُل الأجزاء المتساوية في الحجم والشكل يُعدّ من علامات الجمال[1]، فالتوازي يحقّق إيقاعاً تكرارياً في النصوص، ويتّسم هذا الإيقاع بالتجانس الصوتي، والترتيب المنظم للكلمات المكوّنة للجمل المتوازنة[2].

فممّا ورد في الزيارة حاملاً لظاهرة التوازي الإيقاعي: «**لعن الله أُمّة أسّست أساس الظلم والجور عليكم أهل البيت، ولعن الله أُمّة دفعتكم عن مقامكم، وأزالتكم عن مراتبكم التي رتّبكم الله فيها، ولعن الله أُمّة قتلتكم، ولعن الله الممهّدين لهم بالتمكين من قتالكم، برئت إلى الله وإليكم منهم ومن أشياعهم وأتباعهم وأوليائهم... يا أبا عبد الله، إنّي سلم لِـمَن سالمكم، وحرب لِـمَن حاربكم إلى يوم القيامة، ولعن الله آل زيادٍ وآل مروان، ولعن الله بني أُمية قاطبة، ولعن الله ابن مرجانة، ولعن الله عمر بن سعد، ولعن الله شمراً، ولعن الله أُمّة أسرجت وألجمت وتنقّبت لقتالك**»[3].

لقد برزت جمالية التوازي ـ «**وهو أن تتبادل الكلمات مواقعها، راسمة صورة جديدة، هي من ألفاظ الصورة الأُولى التي سبقتها**»[4]ـ في هذا المقطع من الزيارة الشريفة في مجيء الكلمات متلاحمة تلاحماً مستحسناً، لا معيباً ولا مستهجناً، متّكئاً

(١) أُنظر: أبو زيد، أحمد محمد، التناسب البياني في القرآن: ص١٢٩.
(٢) أُنظر: الكبيسي، طراد، جماليات النثر الفنّي: ص٢٣.
(٣) ابن قولويه القمّي، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص٣٢٨ـ٣٢٩.
(٤) أبو رغيف، نوفل، المستويات الجمالية في نهج البلاغة: ص٧٥

على فواصل متوازنة أو مطرّفة، فحقّق إيقاعاً داخلياً تطرب إليه النفوس، ويحرّك الأذهان، وإنّ إمعان النظر في هذه البنى المتوازية يُظهر لنا آلية اشتغال التوازي فيها؛ إذ توازت عشر جملٍ توازياً تركيبياً تاماً على النحو الآتي: لعن (الله أُمّة أسّست أساس)، (لعن الله أُمّة دفعتكم)، (لعن الله أُمّة قتلتكم)، (لعن الله أُمّة أسرجت)، (لعن الله آل زياد)، (لعن الله بني أُمية قاطبةً)، (لعن الله ابن مرجانة)، (لعن الله عمر بن سعد)، (لعن الله شمراً)، (لعن الله الممهّدين لهم).

فقد تشكّلت الجمل الأربع الأُولى كالآتي: (فعل ماضٍ+ فاعل ظاهر (لفظ الجلالة: الله) + مفعول به + فعل ماضٍ + فاعل ضمير متصل + مفعول به ضمير متصل)، فيلحظ في ضوء هذا التشكيل أنّ هذه الجمل قد منحت طاقةً صوتيةً في نسق متوازن استطاع الإمام عليه السلام في ضوئه أن يوصل الموضوع بطريقة هادئة موسيقية تشدّ المتلقّين، وتحرّك مشاعرهم وأذهانهم، وتشعرهم بالجمالية الصوتية؛ إذ انتظم الكلام بنهاياتٍ مسجوعة بصوت (الميم) بصداه الموسيقي العالي، وترنيمته البارزة، وتنغيمه الواضح الجلي؛ ممّا أفاض على المقطع جرساً إيقاعياً يجذب النفوس ويستهويها.

إنّ الاعتدال في فقرات المقطع والتوازن بين مفرداته أنتج جرساً موسيقياً متناغماً، وشكلاً صوتياً متجانساً، زاد من حيوية اللغة، وفضلاً عن التوازي في التركيب فإنّ هذه الجمل تعمل المعاني والدلالات المتشابهة والمتقاربة بعضها مع بعضها الآخر، تصبّ في بوتقةٍ واحدة، وهي إظهار وضوح الموقف وأهمّية الحدث في لعن مَن رضي بظلم الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته، وأصحابه من الأوّلين والآخرين والخلائق أجمعين إلى قيام يوم الدين، ومَن أسّس هذا الظلم، ومَن قاتل وبايع وشايع.

أمّا الجمل الأربع الثانية فقد تشكّلت كالآتي: (فعل ماضٍ + فاعل ظاهر (لفظ الجلالة: الله) + مفعول به + مضاف إليه). ولهذا فإنّ التوازي خصيصة لا تخفى على أُولي الألباب، كما لا تخفى عليهم عبقرية المنشئ في تلاحم النصّ وتماسكه، فهذا الأُسلوب استقاه الإمام عليه السلام من رحيق القرآن، وبلاغة جدّه المصطفى محمّد صلى الله عليه وآله،

وفصاحة أبيه أمير المؤمنين علي عليه السلام وخطابه وبيانه، فضلاً عن أنّ هذا الأُسلوب لا تخفى فائدته في إعمال فكر المتلقّين وجذب انتباههم، فيشتاق المتلقّي إلى ردّ كلّ فقرة إلى أُختها.

أمّا الجملتان الأخيرتان، فقد تشكّلت كالآتي: (فعل ماضٍ + فاعل ظاهر (لفظ الجلالة: الله عزّ وجلّ + مفعول به)، فإنّ أوّل ما يلحظ في هذا المقطع دقّة اختيار الألفاظ ودلالاتها في السياق ضمن نسق لغوي قائم على التوازي بين الجمل، وهذا التوازي بدوره أكسب النصّ إيقاعاً موسيقياً عذباً، فضلاً عن النهايات الموسيقية المتمثّلة في السجعات في نهاية كلّ جملة متوازية، والتطابق في البناء النحوي، كلّ ذلك قد رسم إيقاعاً وجرساً موسيقياً يدخل القلوب، وتميل إليه النفوس؛ إذ بطبعها تميل إلى الأصوات المنتظمة والمنسقة.

وجاء في نصّ آخر من الزيارة الشريفة: «**أن يجعلني معكم في الدنيا والآخرة، وأن يثبّت لي عندكم قدم صدقٍ في الدنيا والآخرة، وأسأله أن يبلّغني المقام المحمود لكم عند الله، وأن يرزقني طلب ثاري مع إمام هدىً ظاهرٍ ناطقٍ بالحقّ منكم، وأسأل الله بحقّكم وبالشأن الذي لكم عنده أن يعطيني بمصابي بكم أفضل ما يعطي مصاباً بمصيبته، مصيبةً ما أعظمها وأعظم رزيّتها في الإسلام، وفي جميع السماوات والأرض**»[1].

ففي هذا المقطع توازت خمس جملٍ في سياقٍ متتابع ومتّصل ومتناسق تركيبياً ودلالياً كما يأتي: (أن يجعلني معكم)، (أن يثبّت لي عندكم)، (أن يبلّغني المقام)، (أن يرزقني طلب)، (أن يعطيني بمصابي)، وعبر آلية اشتغال واحدة تمظهرت عبر (أداة النصّب: أن) + الفعل المضارع المنصوب بأداة النصّب + المفعول به)، وأوّل ما يلحظ في هذا المقطع تكريس مجموعة من الألفاظ التي تحمل دلالات معنوية استمدّت جمالها من المقابلة، والموازنة، والإيقاع الموسيقي الناشئ من مجموع تلك

(١) ابن قولويه القمّي، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص٣٣٠.

الإيقاعات ضمن الوحدات اللغوية الخمس، فأدّى الإيقاع دوراً تنظيمياً للّغة، يُبرز تدفّق الشحنات الخطابية للنصّ ودلالاتها، فضلاً عن جمالياتها[1].

ومَن يتأمّل في هذا النصّ من الخطبة يجد أنّ الكلمات داخل النصّ جاءت بشكل متلاحم تلاحماً مستحسناً، لا معيباً ولا مستهجناً، فهذا التلاحم حقّق إيقاعاً داخلياً يحرّك الأذهان، وتطرب إليه النفوس، ولعلّ التوازي الإيقاعي الذي حصل في هذا المقطع منح طاقةً صوتية في نسق متوازن استطاع في ضوئه الإمام عليه السلام أن يوصل الفكرة المراد إيصالها بطريقة هادئة وجميلة ومتوازنة تشدّ المتلقّين، وتحرّك أذهانهم وأحاسيسهم.

إنّ للألفاظ قيمة ودلالة بلاغية غير دلالاتها المعجمية، فكذلك الحال في الإيقاع، فإنّ «**للإيقاع الصوتي المؤثر دلالات بلاغية لا تقلّ في أهمّيتها عن دلالة الألفاظ، وتزيد أهمّية الإيقاع الصوتي إذا تطابقت دلالاتها مع دلالة الألفاظ**»[2].

وفي ضوء ما تقدّم لا يخفى عن ذي لبّ ما لمنشئ نصّ الزيارة الشريفة من عبقرية في إنشاء النصّ من حيث تلاحم الكلمات داخل النصّ، وكما لا يخفى أنّ فائدة هذا الأُسلوب هو جذب انتباه المتلقّين، وجعلهم متشوّقين إلى ما بعده من كلام، حتّى يصل الخطاب إلى أسماع المتلقّين وأذهانهم ومشاعرهم بأتمّ صورة وأحسنها وأفضلها وأكملها.

الخاتمة ونتائج البحث

بعد أن استنشقنا عبق الزيارة، ورفلنا بعطر خمائل الإمامة، ونهلنا من غديرها العذب الفرات، وسرنا في جنان كلماتها النورانية، وصلت بنا الخطى إلى نهاية المطاف،

(١) أُنظر: طلال خليفة سلمان، الخصائص الأُسلوبية في خطبة السيدة الزهراء عليها السلام: ص٦١٠.

(٢) صحناوي، هدى، البنية الصوتية في شعر بدر شاكر السياب قصيدة مدينة السندباد نموذجاً، مجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية: المجلد ١٧، العدد الأوّل، ص٥٥.

وآن لنا أن نقتطف الثمار لنسطّرها بكلماتٍ توجز كلام ما أفضناه، وتُجمّل حديث ما ابتدأناه، فأقول:

١ـ يُعدّ الدعاء في زيارة عاشوراء ثروة علمية وفكرية؛ لما تضمّنه من مضامين عميقة في مجال فلسفة الدين وعلل شرائع الأحكام، ومبادئ الإمامة، وفلسفة التعاليم الأخلاقية، والفكر السياسي الإسلامي.

٢ـ أظهرت الدراسة أنّ الإمام عليه السلام استعمل عدداً من التقنيات الصوتية، كالتوازي والسجع، فقد حقّق التوازي تجانساً صوتياً، وإيقاعاً تكرارياً، كما حقّق السجع إيقاعاً موحّداً خالياً من التكلّف، متّسماً بالسلاسة والتتابع الصوتي والتناغم الإيقاعي، وأظهرت الدراسة أيضاً أنّ الإمام عليه السلام وظّف أنواعاً من السجع، منها السجع المتوازي، والسجع المطرّف، فضلاً عن استعماله عليه السلام لنسق التصريع الذي كان فيه الكثير من التناسق الإيقاعي المؤثّر، وهذا ما نجده إن شاء الله تعالى في القسم الثاني من البحث.

٣ـ نلاحظ في الزيارة الشريفة تنوّع الإيقاع شدّةً وضعفاً من جهة، وسرعةً وبطئاً من جهة أُخرى بحسب السياق الذي يرد فيه، فتظهر قوّة الإيقاع وشدّته وسرعته عند تصويرها.

٤ـ في ضوء دراستنا لأبرز مكوّنات الإيقاع نلاحظ أنّها جاءت صورةً مؤثّرة لما في نفس المخاطب وشعوره.

٥ـ في ضوء دراسة الباحث لنصوص الدعاء في زيارة عاشوراء نلاحظ البناء الرصين الذي تحقّق في ضوء تماسك النصّ وتلاحمه، ووحدة البناء، ودقّة المعنى، وقوّة التراكيب ومتانتها، كلّ ذلك يظهر براعة أُسلوب منشئ النصّ ومتانته، وقوّة منطقه.

وأملي كلّه أن يكون هذا الجهد مؤهلاً للالتحاق بمسيرة البحث الأكاديمي، ليُضيء إضاءةً بسيطة في ميدانه، ويفيد باحثاً أو طالب علم، والله من وراء القصد، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

المصادر والمراجع

أوّلاً: الكتب

١ ـ أساس البلاغة، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

٢ ـ الأُسلوب.. دراسة بلاغية تحليلية لأُصول الأساليب الأدبية، د. أحمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثالثة، ١٩٥٢م.

٣ ـ الأُسلوب..دراسة لغوية إحصائية، د. سعد مصلوح، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٢م.

٤ ـ أُسلوبية الانزياح في شعر المعلّقات، عبد الله خضر حمد، عالم الكتب الحديث، إربد ـ الأردن، الطبعة الأُولى، ٢٠١٣م.

٥ ـ الأُسلوبية الدلالية في الأدب العربي (النظرية والتطبيق)، د. فايز الداية، دار التكوين للطباعة والنشر، دمشق، الطبعة الأُولى، ٢٠١٦ م.

٦ ـ الأُسلوبية والأُسلوب: د. عبد السلام المسدي، الدار العربية للكتاب، الطبعة الثالثة، ١٩٨٨م.

٧ ـ الأُسلوبية وتحليل الخطاب، د. منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، دار المحبة، دمشق، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٩ م.

٨ ـ الأُسلوبية (الرؤية والتطبيق)، د. يوسف أبو العدوس، عمان، دار المسيرة، للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٣٠هـ/ ٢٠١٠م.

٩ ـ الأُسلوبية، بيير جيرو، ترجمة: منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ١٩٩٤م.

١٠ ـ إعجاز القرآن، أبو بكر محمد بن الطيّب الباقلاني (ت٤٠٢هـ)، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، د.ت.

١١ ـ أنوار الربيع في أنواع البديع، السيد علي صدر الدين بن معصوم المدني (ت١١٢٠هـ)، تحقيق: شاكر هادي شكر، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.

١٢ ـ الإيقاع في الشعر العربي، عبد الرحمن آلوجي، دار الحصاد للنشر التوزيع، دمشق، الطبعة الأُولى، ١٩٨٩م.

١٣ ـ البديع.. تأصيل وتجديد، د. منير سلطان، منشأة المعارف، الاسكندرية، ١٩٨٦م.

١٤ ـ البديع في ضوء أساليب القرآن، د. عبد الفتاح لاشين، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

١٥ ـ البديع والتوازي، د.عبد الواحد حسن الشيخ، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية، الطبعة الأُولى، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

١٦ ـ بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب، القاهرة، طبعة نهاية القرن، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

١٧ ـ البلاغة العربية.. تأصيل وتجديد، د. مصطفى الصاوي الجويني، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٨٥م.

١٨ ـ البلاغة والأُسلوبية.. نحو نموذج سيميائي لتحليل النص، هنريش بليث، ترجمة وتعليق: د. محمد العمري، إفريقيا الشرق ـ المغرب، ١٩٩٩م.

١٩ ـ البلاغة والأُسلوبية، د. محمد عبد المطلب، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، الطبعة الثالثة، ١٩٩٤م.

٢٠ ـ البنى الأُسلوبية.. دراسة (أُنشودة المطر) للسياب: د. حسن ناظم، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأُولى، ٢٠٠٢م.

٢١ ـ تأويل مشكل القرآن، أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ)، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت ــ لبنان، ٢٠٠٧م .

٢٢ ـ تحليل الخطاب الشعري، د. محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأُولى، ١٩٨٥م.

٢٣ ـ التشكيل الصوتي في اللغة العربية، د. سلمان حسن العاني، ترجمة: ياسر الملاح، النادي الثقافي الأدبي، جدّة ـ السعودية، الطبعة الأُولى، ١٩٨٣م.
٢٤ ـ التناسب البياني في القرآن (دراسة في النظم المعنوي والصوتي)، أحمد محمد أبو زيد، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء ـ المغرب، الطبعة الأُولى، ١٩٩٢م.
٢٥ ـ خصائص الأُسلوب في شعر النقائض الأُموية، د. أحمد عبد العزيز باز، تقديم: أ.د. صلاح رزق، مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة الأُولى، ١٤٣٩ هـ/ ٢٠١٨م.
٢٦ ـ سرّ صناعة الإعراب، عثمان بن جني (ت٣٩٢هـ)، تحقيق: حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، الطبعة الأُولى، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
٢٧ ـ شرح المختصر على تلخيص المفتاح للخطيب القزويني، سعد الدين التفتازاني، منشورات إسماعيليان، قم ـ إيران، الطبعة السادسة، ١٤٣١هـ.
٢٨ ـ شعر الطبيعة في عصر الموحدين..دراسة أُسلوبية، د. محمد عبد الله عباس الشال، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة الأُولى، ٢٠١٨ م.
٢٩ ـ صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، أحمد بن علي القلقشندي (ت٨٢١هـ)، تحقيق: د. يوسف علي طويل، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأُولى، ١٩٨٧م.
٣٠ ـ علم الأصوات، د. كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ـ مصر.
٣١ ـ العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٥هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
٣٢ ـ في اللغة ومناهج التحليل، د. سامي علي جبار، جيكور للطباعة والنشر، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى، ٢٠١٧م.
٣٣ ـ في جماليات الكلمة (دراسة جمالية بلاغية نقدية)، د. حسين جمعة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق ـ سوريا، الطبعة الأُولى، ٢٠٠٢م.
٣٤ ـ قراءات أُسلوبية في الشعر الحديث، د. محمد عبد المطلب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة الأُولى، ١٩٩٥م.

٣٥ ـ كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن قولويه القمّي (ت٣٦٧هـ)، تحقيق: نشر الفقاهة.
٣٦ ـ لسان العرب، جمال الدين أبو عبد الله محمد بن مكرم بن منظور (ت٧١١هـ)، تحقيق: ياسر سلمان أبو شادي، ومجدي فتحي السيد، المكتبة التوقيفية، مصر.
٣٧ ـ اللغة الشاعرة، عباس محمود العقاد، منشورات المكتبة العصرية، بيروت ـ لبنان.
٣٨ ـ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد بن عبدالكريم الموصلي المعروف بـ(ابن الأثير) (ت٦٣٧هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية، بيروت ـ لبنان، ١٩٩٥م.
٣٩ ـ المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها (في الجرس اللفظي)، د. عبد الله الطيب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧٠م.
٤٠ ـ المزهر في علوم اللغة، جلال الدين السيوطي، تحقيق: جاد المولى أبو الفضل البجاوي، مطبعة الحلبي.
٤١ ـ المستويات الجمالية في نهج البلاغة، نوفل أبو رغيف، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، الطبعة الأُولى، ٢٠٠٨م.
٤٢ ـ المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، مجمع اللغة العربية، القاهرة، دار الدعوة.
٤٣ ـ مفاتيح الجنان، الشيخ عباس القمّي، دار القارئ، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٤٢هـ/ ٢٠٢٠م.
٤٤ ـ الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي، مؤسّسة الأعلمي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
٤٥ ـ نحو نظرية أُسلوبية لسانية، فيلي ساندريس، ترجمة: د. خالد محمود جمعة، المطبعة العلمية، دمشق ـ سوريا، الطبعة الأُولى، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٣م.
٤٦ ـ النكت في إعجاز القرآن، علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، أبو الحسن الرماني المعتزلي (ت٣٨٤هـ)، تحقيق: محمد خلف الله، ومحمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر.

٤٧ ـ وشي الربيع بألوان البديع في ضوء الأساليب العربية، د. عائشة حسين فريد، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٠م.

ثانياً: الأطاريح والرّسائل الجامعية

٤٨ ـ الأداء الأُسلوبي في المستوىٰ الصوتي في أغاني مهيار الدمشقي لأدونيس، رسالة ماجستير، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، جامعة القادسية، إشراف الأُستاذ الدكتور محمد رضا البياتي، ٢٠٠١م.

٤٩ ـ الإيقاع أنماطه ودلالاته في لغة القرآن الكريم (دراسة أُسلوبية دلالية)، (رسالة ماجستير)، عبدالواحد زيارة إسكندر المنصوري، جامعة البصرة، كلية الآداب، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

٥٠ ـ البناء الأُسلوبي في أدعية الأئمة المعصومين عليهم السلام، (رسالة ماجستير)، أحمد محمود أحمد، جامعة البصرة، كلية الآداب، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١٠م.

٥١ ـ البناء الصوتي في السور المكية، (رسالة ماجستير)، إبراهيم صبر محمد راضي الإزيرجاوي، جامعة البصرة، كلية التربية، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

٥٢ ـ اللعن والملعونون.. دراسة قرآنية، محمد أحمد الزيات، أُطروحة دكتوراه، جامعة النجاح في نابلس، ٢٠٠٨م.

ثالثاً: البحوث

٥٣ ـ الأُسلوبية، عدنان بن ذريل، مجلة الفكر العربي، العدد٢٥، السنة٤، ١٩٨٢م.

٥٤ ـ البنية الصوتية في شعر بدر شاكر السياب (قصيدة مدينة السندباد نموذجاً)، بحث: د. هدى صحناوي، مجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية، المجلد ١٧، العدد الأوّل، ٢٠٠١م.

٥٥ ـ التكرار في التماسك النصّي .. مقاربة معجمية تطبيقية في ضوء مقالات خالد

المنيف، د. نوال بنت إبراهيم الحلوة، مجلة جامعة أُمّ القرى لعلوم اللغات وآدابها، العدد ٨، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.
٥٦ ـ التلاؤم الصوتي وأثره في القرآن الكريم، جاسم غالي رومي، مجلة الكلية الإسلامية الجامعة، النجف الأشرف، العدد١٦.
٥٧ ـ الخصائص الأُسلوبية في خطبة السيدة الزهراء عليها السلام، د. طلال خليفة سلمان، موسوعة الموسم، أكاديمية الكوفة في هولندا، العدد١٠٩، المجلد٢، السنة ٢٧، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م.
٥٨ ـ الدعاء عند السيّدة الزهراء عليها السلام، أ. م. د. خليل خلف بشير، ومصطفى إبراهيم عاجل، مجلة جامعة ذي قار العلمية، المجلد ١٠، العدد ٢، ٢٠١٥م.
٥٩ ـ ظواهر أُسلوبية في شعر ابن دريد، د. أمين يوسف عودة، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، مج٨٦، ج٣، ٢٠١١م.

دراسات حسينية

◆ أنماط الصورة الذهنيّة في المشهد الحسينيّ وأثرها في تشكيل الصورة السمعيّة

أنماط الصورة الذهنية في المشهد الحسيني وأثرها في تشكيل الصورة السمعيّة

د. إسلام فاروق عيسى*

مقدّمة

إنّ البحث في المشهد الحسيني يحمِّل الباحثَ مسؤولية جمّة؛ بالنظر إلى فرادة الشخصية التي يبحث فيها، استحضاراً لعوامل الجمال والكمال، وخصوصيتها الإسلامية والشعبية في آن واحد. وارتأى البحث تسليط الضوء على المشهد الحسيني من زاوية ربّما غابت عن مخيلة الباحثين في عمقها، سبراً لمعطيّات تأثيرية عبر المحسوسات السمعية التي تنتقل من مستواها المجرّد إلى مجموعة من الصور، تستدعي معها معاني مختلفة باختلاف الصور الذهنية والمواقف التي تشكلها؛ تحويلاً لدوالها الذهنية إلى دوال سمعية، قد تدخل حاسة البصر في إثرائها على وفق الطبيعة التصويرية للمشهد، أو المنقول بالخبر المتواتر مشاهدة عينيّة، أو نقلاً عن مشاهدة عينيّة عِبر السرد لأبعادها الماثلة أمام الرائي والسامع.

وإنّما يتوخى البحث في هذا المضمار التأكيد على أنّ ما تفرزه الصور الذهنية من أصوات سواء كانت عبر صور تخييليّة أو وهمية أو حقيقية أو غير ذلك، ليست أمراً اعتباطياً، وإنّما تحكمه قوانين يفرضها العقل تبعاً للسياق الذي ترد فيه، وما ينتج عنه من مفاهيم وصور.

وقد تطلب ذلك بحثاً شاملاً، لكلّ ما نقل من صور الإمام الحسين عليه السلام، في واقعة

---

* دكتوراه في النقد الأدبي، النجف الأشرف/ العراق.

الطفّ وغيرها، مستنداً في ذلك النقل على السرد التاريخي، أو التصوير الشعري؛ لذلك ارتأى البحث النظر في المشهد الحسيني على مستوى الأدب (شعراً)، وعلى مستوى الخبر (سرداً) لكلّ ما يمكن أن يخلص منه الباحث إلى صورة سمعية نقلها الشاعر عبر الخيال، أو جسّدها الراوي فيما ينقل من وقائع سجّلها التاريخ، حقيقية كانت أو خارقة للمألوف البشري. وعالج كلّ ذلك معالجة أدبية، توخّى فيها التركيز على جمالية ذلك المنقول، عن تلك الشخصية العظيمة، معتمداً مجموعة من الاختيارات النصيّة، التي يتمكّن الباحث من سماع جمالها الصوتي، فضلاً عن رؤية صورها البليغة عبر ما يستحضره الذهن من الصور.

مفهوم الصورة الذهنية

لا تنفكّ الدراسات النقدية عن عرض تصوّراتها عن الصورة التي رسمت قيمةً جدليّة، تتجاذبها الآراء على اختلاف منطلقاتها وتوجهاتها، والنظر في محفزاتها الصوتية والتخييليّة؛ على أنّ ما تمثله الصورة (الدال والمدلول) هو صورة الأشياء في الوجود؛ لذا فإنّ اعتماد أمر ما سابقٍ لعملية تكوين الصور الذهنية شرطٌ لتحقيق هذا الوجود «**فمن التصور ما لا يتم إلّا بتصوير يتقدّمه، كما لا يمكن تصور الجسم ما لم يُتصور الطول والعرض والعمق**»[1].

وبهذا يشمل ذلك مختلف الصور الحسيّة المستقبلة في الذهن بعد إغفالها، لحصول إمكانية تخيّلها وتصوّرها ليس على صعيد الفكر المطلق المجرّد الكلي[2]. فهي تعنى بتصوير جمال الأشياء؛ لإثارة المخيلة، إشباعاً للحاجات النفسية، فضلاً عن سعيها إلى إشباع الحاسّة الجمالية عبر الخيال[3].

(١) الفارابي، محمد بن محمد، عيون المسائل، منشور ضمن الثمرة المرضية في بعض الرسالات الفارابية، *E.J. BRILL - LEDEN*.، ١٨٩٠م: ص٥٦

(٢) أُنظر: المصدر السابق.

(٣) أُنظر: الراغب، عبد السلام أحمد، وظيفة الصورة الفنية في القرآن: ص٤٢٩.

والذهن مجازاً: هو «**القوّة في العقل والمُسْكَة**»[1]، وهو قوة للنفس، تشمل الحواس الظاهرة والباطنة المعدّة لاكتساب العلوم، والاستعداد التام لإدراك العلوم والمعارف بالفكر[2]، لحصول الإدراك بتفكّر وتدبّر لأثر الأشياء[3]، أو حصول تصوّرٍ، أو تصور بسيط بعين الشيء مفصّلاً، تمييزاً لذلك المدرَك عمّا سواه[4]؛ على أنّ «**المعاني هي الصور الحاصلة في الأذهان عن الأشياء الموجودة في الأعيان. فكلّ شيء له وجود خارج الذهن فإنّه إذا أُدرك حصلت له صورة في الذهن تطابق لما أدرك منه، فإذا عبّر عن تلك الصورة الذهنية الحاصلة عن الإدراك أقام اللفظ المعبّر به هيئة تلك الصورة الذهنية في أفهام السامعين وأذهانهم، فصار للمعنى وجود آخر من جهة دلالة الألفاظ**»[5].

وثمّة مسلكان لإثارة المعاني واقتباسها، ومن ثمّ تكوين الصورة:

الأوّل: يرتبط بالقوّة الشاعرية بأنحاء اقتباس المعاني وملاحظة الوجوه التي فيها تلتئم، ويحصل ذلك بقوّة التخيّل والملاحظة.. وأن تُنشأ على ذلك صوراً شتّى من ضروب المعاني في ضروب الأغراض.

والثاني: يرتبط بسبب زائد على الخيال هو ما استند فيه بحث الفكر إلى كلام جرى في نُظم أو نثر أو تاريخ أو حديث أو مَثل.. فيبحث الخاطر فيما يستند إليه من ذلك على الظفر بما يسوّغ له معه إيراد ذلك الكلام[6]. وهكذا تتفاعل الصورة الذهنية مع العلوم التي يكتسبها الإنسان؛ لتنتج صوراً تأخذ مداها لدى المتلقي قراءة وسماعاً وتبصرّاً، ممّا يجعلها معنًى كاملاً يكوّنه قصد المرسل (منشئ النص) مرتكزاً فيه على المعرفة.

(١) الزمخشري، محمود بن عمر، أساس البلاغة: مادّة: (ذ، هـ، ن).
(٢) أُنظر: الشريف الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات: ص١٠٨.
(٣) أُنظر: الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد بن المفضل، مفردات ألفاظ القرآن: ص٥٦٠.
(٤) أُنظر: أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله، معجم الفروق اللغوية: ص٥٠٠-٥٠١.
(٥) القرطاجني، حازم بن محمد، منهاج البلغاء وسراج الأدباء: ص١٨-١٩.
(٦) أُنظر: المصدر السابق: ص٣٨.

وإنّ ارتباط الصور الذهنية بالإحساس، هو محور قيمتها التأثيرية[1]؛ لأنّ توليد الصور في الذهن إنّما يرتبط بإدراك الأشياء الذي يقع على أعضاء الحسّ لدينا، وتبقى هذه الصور مخزونة في الذاكرة عندما لا يغدو للأشياء ذاتها وجود[2]، فينتج ذلك الإبداع الذهني الصرف الذي لا ينبثق من المقارنة، وإنّما من الجمع بين حقيقتين واقعتين تتفاوتان في البُعد قلّة وكثرة[3].

وبعد هذا فمن الواضح أنّ المعنى أمر متخيَّل، يحمل إشارات وأشياء محسوسة، تنتقل عبر النصّ من ذهن المرسل إلى ذهن المتلقي على وفق تعددية أُسلوبية وصياغيّة، تتفاوت في قوتها وضعفها، وضوحها وإبهامها، تبعاً للطبيعة البشرية، وما تحوزه من قدرة على الإبداع، وفي تكوينات الصورة تفاوت بين المبدع والمتلقي؛ بالنظر إلى التباين بين طرفي (الإرسال والاستقبال) في اللحظة الزمنية لحدوث الانفعال النفسي، ولحظة السماع، فضلاً عن الواقع الاجتماعي، والتفاوت الزمني بين الشاعر والمستمع.

إنّ اعتماد الصور الذهنية الأصوات المختلفة هو العامل المقرِّب بينها وبين فهم المستمع، لتفكّ خيوطها المنسوجة من الحسّيات الغائبة عند لحظة الإبداع في ذهن المبدع، ومن ثَمّ تشكيل رموز لها عِبر معارف اكتسبها بتذكّر هادئ لتجاربٍ حيّة سابقة[4]، فتثير الصورة مجموعة من الروابط بين الصور الحسّية المختلفة بما فيها حاسّة السمع عِبر الألفاظ، أو الأصوات، أو الموسيقى الخارجية[5]، «**فإنّ حاسَّة السمع هي**

(١) أُنظر: رينيه ويليك، وأوستن وآرن، نظرية الأدب: ص٢٥٤-٢٥٥.
(٢) أُنظر: عبد الواحد لؤلؤة، موسوعة المصطلح النقدي: ص١٨٧-١٨٩، وأيضاً: جاك أومون، الصورة، ترجمة: ريتا الخوري: ص١٧-١٨، وص ٥٨-٥٩
(٣) أُنظر: عز الدين إسماعيل، التفسير النفسي للأدب: ص٦١-٦٣، وأيضاً: الشريف الجرجاني، علي ابن محمد، التعريفات: ص١٤.
(٤) أُنظر: د. إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب: ص٥٥٤.
(٥) أُنظر: مناهج جامعة المدينة العالمية، الأدب المقارن: ص٥٢٢.

الحاكمة في هذا المقام، بحسن ما يحسن من الألفاظ، وقبح ما يقبح»[1]؛ لأنّ الصورة السمعية للكلمات هي من أكثر الأحداث الذهنية وضوحاً[2]، وذلك يعود إلى أنّ القدرة على تكوين الصور الذهنية هي أصل الفن؛ لتحكّم الخيال فيه، على أنّ الفكر شرطٌ يمثّل الضرورة التي تسبق الخيال، فكانت فاعلية العقل الفنّية ـ أي: مقدرته على تكوين الصورة الذهنية ـ أسبق من فاعليته المنطقية[3]، فأهّمية الخيال السمعي في أنّه نوع من الإحساس يتغلغل إلى ما وراء الفكر والشعور[4]، ولا يتمّ ذلك الخيال بموسيقى الألفاظ وحسب، فإنّ دلالات الألفاظ تكوّن إلى حدٍّ بعيد هذا الخيال، بل ويتجاوز ذلك إلى ما يضيفه عليها الشاعر[5]، لذا فإنّ الإمكانية التأثيرية للشعر واردة في القوّة المتخيّلة عند المتلقي، فتحدث الإثارة المتوخاة، ممّا يهيّئ للمتلقي حالة نفسية هي بمثابة الاستجابة التخييليّة للقصيدة[6]، لتكتمل عملية التأثير والتأثّر، ومعرفة مدى الاستجابة بين الشاعر والمستمع، ولا يَفي ما لهذه الحاسة من أهمّية في إدراك الجمال، فهي عماد كلّ نمو عقلي وأساس كلّ ثقافة ذهنية[7].

وجاء اختيار الصور السمعية، نظراً لأهمّية حاسّة السمع في إدراك عناصر الإثارة الصوتية المختلفة، وأثر الصورة الذهنية في إنتاج مثل هكذا صور.

(١) ابن الأثير، ضياء الدين، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ج١، ص١٧٣.
(٢) أُنظر: أ. أ. ريتشاردز، مبادئ النقد الأدبي والعلم والشعر: ص١٧٠.
(٣) أُنظر: محمد مندور، في الميزان الجديد: ص١٤٩.
(٤) أُنظر: ت.س. إليوت، الشاعر الناقد: ص١٧٣ - ١٧٤.
(٥) أُنظر: علي علي صبح، الصورة الأدبية تاريخ ونقد: ص١٣١. وأيضاً: الشنطي، محمد صالح، فنّ التحرير العربي: ص٢٨٩.
(٦) أُنظر: القرطاجني، حازم بن محمد، منهاج البلغاء وسراج الأدباء: ص٢٠٨-٢٠٩.
(٧) أُنظر: مقلد، طه عبد الفتاح، فن الإلقاء: ص١٧٠.

الصورة الذهنية وتشكيل الصورة السمعية في المشهد الحسيني

يقصد البحث متابعة الأنماط الصورية التي تناولها الخبر، والنصّ الأدبي لكلّ ما له علاقة بمسيرة الحسين عليه السلام يوم العاشر من محرم، وما تلاه من أحداث، فاخترنا مصطلح المشهد لأنّه الأشمل والأقدر على التعبير عن المنقول من تلك الواقعة على مستوى الأدب وعلى مستوى الخبر، فوقع اختيار البحث على مجموعة من المشاهد التي سردها الرواة في قصصهم وأخبارهم، وتلك التي اختارها الشعراء للتعبير عن النهضة الحسينية، ونرمي في ذلك إلى دراسة الصور السمعية المتولِّدة عِبر المؤثِّر الذهني، الذي يستحضر في كلّ مشهدٍ دلالة معينة تقترب من بعضها أو تبتعد بحسب الموقف والزمان والمكان، ومدى تأثير (المقاتل الحسينية) كنصٍ سردي متكرر يُردّد على أسماع الناس في كلّ عام صور تلك المأساة الهائلة، وما تحمل من العِبر والمواقف المؤثرة في حياة الجمهور، ولعلّه في باب الشعر واضح من الناحية الأدبية، إلّا أنّ تكرار قراءة المقاتل على اختلاف رواتها وقصصهم، تجعلنا أمام نصّ سردي متكامل الأبعاد، يؤدِّي دوره كمؤثّر ناجع في نفوس المتلقين، شأنه شأن أيِّ نصّ سردي آخر، يحضر فيه الراوي والنصّ كعاملين محركَين لطاقة الجمهور الإيجابية إزاء المواقف والشخصيات، والسلبية إزاء ما يخالفها.

وما يهمنا هو البحث في أدبية النصّ، وموضوعها الخطاب، وليس الأدب كمفهوم عائم[1]، وقد حملت الصور التي أفرزها البحث في المشهد الحسيني أربعة أنماط هي: (الصورة التخييلية، والصورة الوهمية، والصورة الحقيقية، والصورة الميثولوجية)، نحاول البحث في كلّ نمط منها عن الصور السمعية، ودلالتها في النصّ، ونبيِّن ذلك بالآتي:

(١) أُنظر: سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي (الزمن ـ السرد ـ التبئير): ص١٣-١٤.

أوّلاً: على مستوى الأدب

واخترنا تحت هذا القسم مجموعة من الأبيات الشعرية التي تميّزت بأبعادها التخييلية في تصوير مشاهد الطفّ، وما تعلّق بها من مفاهيم ترتبط بالواقعة، وقدرة الشعراء على التعبير عنها، ووصف وقعها في النفوس والأحداث:

أ- الصورة التخييلية

هي الصورة التي يثبت فيها مُنشئ النصّ أمراً هو غير ثابت أصلاً، ويدّعي ما لا طريق إلى تحصيله، فيقول قولاً يُري به نفسه ما لا ترى[1]، وتعمل الصورة الذهنية على تزويد العقل بما يهيئ لتشكيل صورة سمعية، عبر ما يثيره التخييل الذي يثبته النصّ، فتختلف الصور السمعية فيما تؤديه من الغايات باختلاف الصور المخيلة. ونستطيع استحضار ذلك على سبيل المثال في:

١ ـ رسالةُ الرِّياح

ما قاله عقبة بن عمرو العبسي في رثاء الحسين:

سلامٌ على أهل القبور بكربلا ... وقلّ لها منّي سلام يزورها

سلامٌ بآصال العشيّ وبالضحى ... تؤدّيه نكباء الرّياح ومورها[2]

فأدّى حضور (الرّياح) وهي تحمل السلام، إلى استحضار صوت هبوبها، حيث يُنفث الهواء عِبر ارتحاله بين القبور، فمن صفيره تارةً بين المساحات الخاوية، واشتداده في طبقات الأجواء، ما يهيئ لصورة سمعية تبثّ ما ينسجم مع الهيئة الموحشة لمثل هذا المكان.

(١) أُنظر: الجرجاني، عبد القاهر، أسرار البلاغة: ص٢٧٥.

(٢) سبط ابن الجوزي، يوسف بن قِزْأُوغلي، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان: ج٨، ص١٧٩.

٢ ـ القُمْرِيُّ النائح

قول دعبل الخزاعي:

سـأبكيهم مـا حـجّ لله راكـبٌ وما ناحَ قُمْريٌّ على الشجراتِ[١]

والنوح صوت بشري يدلّ على الفقد، كفقد الحبيب من الآباء والأبناء والأزواج، أو صوت الطير[٢]، والقمري صوته (السجع)، ونسبة النوح إليه هنا من باب الصور المخيلة التي تستجلب صور الحزن والفراق، ويُظهر صوت القُمري النائح الصورة السمعية الحزينة التي تستحضر مشاركة الطبيعة في إبداء الحزن على فقد تلك الثُّلّة المؤمنة، التي لامست بتضحيتها قلوب الناس جميعاً، بل وحتّى أغصان الشجر وما عليها من الطير.

٣ ـ مَلائكُ باكية

قال دعبل الخزاعي:

هـلّا بكيـت الحسـينَ وأهلـه هلّا بكيت لـمَن بكاه محمد

ولقـد بكتـه في السـماء ملائـك زهر كرام راكعون وسُجَّد[٣]

وليس للملائكة صوت مسموع على وجه الحقيقة، وإن كان صوتها يمثِّل وجوداً ميتافيزيقياً، أو وجوداً مرتبطاً بمنحىً عقائدي يؤمن بوجودها، مخلوقاً كونياً فاعلاً في حركة الخلق، له لغته وأبعاده الجسمانية التي تميّزه. والصوت الملائكي الباكي، يجعل الذهن أمام صورة سمعية مهيبة، تجمع بين عظمة الحزن، وطهارة المشهد؛ لما هو شائع من طهر الملائكة وعفّتهم عن الخطيئة. فهم عبادٌ موكّلون من الله ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[٤].

(١) شرف الدين الموسوي، عبد الحسين، المجالس الفاخرة في مآتم العترة الطاهرة: ص١٤٧.
(٢) أُنظر: الزمخشري، محمود بن عمر، أساس البلاغة: مادّة (ن، و، ح).
(٣) الأشتر، عبد الكريم، ديوان دعبل الخزاعي: ص٣٢٤-٣٢٥.
(٤) النحل: آية ٥٠.

٤ ـ التَّكبير والتَّهليل

أخذ التكبير بعداً عكسياً في ما صوّره قول خالد بن عفران لمشاهد الطّف:

وكأنّما بكَ يا ابن بنت محمّد — قتلوا جهاراً عامدين رسولا

ويكبِّرون بأن قُتِلتَ وإنّما — قتلوا بك التكبير والتهليلا[1]

والتكبير سنّة المؤمنين عند النصر على أعداء الله، أمّا مع هذه الفئة الضّالة التي قاتلت ابن بنت النبيّ صلى الله عليه وآله فأخذ التكبير أعظم المغالطات في هذا الموقف، فهم يقاتلون في جبهة شارب الخمر، ملاعب القردة يزيد بن معاوية، فأنّى لهم التكبير والتهليل وهم في جيش الضلال؟! الذي لا يعرف ديناً ولا معبوداً إلّا الثأر من أولياء الله وذراريهم، ونزوة المال والشهوات التي وُعِدوا بها عند قتل الإمام الحسين عليه السلام، فكان التكبير والتهليل على ألسنتهم، أشبه بقتل المعنى السامي لتلك الكلمات العظيمة التي تعترف بالعبودية لله تعالى، وهذه صورة مخيلة، تستجمع مزيجاً من التناقض بين العقيدة والفعل، فإذا كانت عقيدتهم التوحيد والإيمان بالله لآمنوا بمحمد صلى الله عليه وآله نبيّاً، ولو آمنوا بمحمد نبيّاً لهم لآمنوا بولاية علي عليه السلام، ولو أنّهم آمنوا بولاية علي عليه السلام، لآمنوا بولاية الحسين عليه السلام عليهم، ومع انتفاء ذلك بقتلهم الحسين عليه السلام فلا يصدق فعل التكبير والتهليل على ألسنتهم إلّا في باب المغالطات العجيبة. فيكون القارئ أمام مشهد يستحضر صوت الجموع الهاتفة بالتكبير والتهليل، وهي صورة تستنهض الاستغراب والتعجب في نفس المتلقي، فنكون أمام صورة سمعية يُقطع فيها صوت التكبير والتهليل كمعنى عقائدي أصيل، ليعلو بدلاً عنه تكبير وتهليل باطل.

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص٢٧٣.

٥ ـ الحَسَرات

قال الناشئ:

مصائبُ نسلِ فاطمة البتول ... نكت حسراتُها كبدَ الرسول

ألا بأبي البدور لقين كسفاً ... وأسلمها الطلوع إلى الأفول[1]

وفي قوله (نكت حسراتها كبدَ الرسول)، صورة مخيّلة؛ لأنّ الحسرة لا تنكأ الكبد على نحو صادق، إنّما ما ينتج عن الألم الذي يؤثّر في أعضاء الإنسان، ومنها الكبد، وتهيئُ الصور الذهنية عبر الصورة المخيّلة للحسرات التي تنكأ الكبد، صورةً سمعيةً يلفّها ما يثير الحزن والألم؛ بالنظر إلى ما في الحسرة من صوت انسحاب الهواء إلى الرئتين، ثمّ رجوعه زفيراً إلى خارجها، مصحوباً بصوت الأنين. وتدلّ الصورة السمعية تلك إلى تحقيق ما ينسجم مع شدّة المصيبة، ووقعها العميق في النفوس.

٦ ـ كَسَائِرُ لا تُجْبر

قال المرتضى:

لقد كُسِرَت للدّين في يوم كربلا ... كسائِرُ لا تؤسَ ولا هي تُجْبَرُ[2]

والكسر لكلّ ما يقع في المادّة من الأجسام الصلبة أو شبه الصلبة، وإضافة الكسر إلى الدين جاء في مجاله التخييلي، ولا يَصْدُق الكسرُ على الدِّين، كون الأخير مفهوماً معنوياً، يعبِّر عن اعتناق فكرة تؤمن بالإله الواحد، وضرورة العبودية له بلا شريك، على وفق شروط خاصّة. وتُحدِثُ الصورةُ السمعية المتشكلة ـ بفعل ما استحضره الذهن من عملية الكسر ـ ما يشير إلى خسارة عظيمة، فصوت الكسر يستدعي صورة الضرر، وانتفاء عودة المكسور إلى ما كان عليه قبل وقوع الكسر، ممّا يدلّ على فقدانٍ لا يُعوَّض، أو ذهابٍ ليس بَعدَه إياب.

(١) ابن شهر آشوب، محمد بن عليّ، مناقب آل أبي طالب: ص١٣٠.

(٢) البحراني، عبد الله، العوالم الإمام الحسين عليه السلام: ص٥٥٣.

ب ـ الصورة الوهميّة

هي الصورة الناتجة من تناول المدرَك وغير المدرَك، بما يجري مجرى الظنون، من قبيل التجويز[1]؛ لذا فإنّ تشكيل صورة ما في الذهن يرتبط بالحاسّة التي أدّت قبل لحظة تكوينها الوسيط الناقل لذلك المؤثِّر، الذي يسبح في فضاء من المؤثرات المختلفة، وتمثل لحظةُ التقاط الصورة عبر تلك الحاسة اللحظةَ الزمنية المحدّدة لطبيعة الصورة الماثلة في مخيّلة المتلقّي.

وهنا لا بدّ من النظر إلى طبيعة الحاسّة المرتبطة بها وهي حاسة السمع، فعندما تلتقط (الأذن) ـ وهي تمثِّل عضو التلقّي والاستقبال في عملية السمع ـ مثلاً: صوت الأذان وقت الظهيرة يعطي إشعاراً منبِّهاً للسامع بحلول وقت الصلاة، ممّا يقوم على واقع صوتي ماثل أمام تلك الحاسّة، تؤكِّد للمستمع ـ الذي يمثِّل (المتلقّي) لذلك الإشعار ـ حقيقة دخول وقت الصلاة، هذا مع الأخذ بعين الحسبان، تثبّت المتلقي من دخول الوقت، بناء على معرفة مسبقة بالمواقيت، ولكن متى ما التقط الذهن إشعاراً بدخول وقت الصلاة في غير أوانه المعلوم، يعني أنّ ما وقع على حاسّة السمع من مؤثِّر لم يكن المنبّه الصوتي الذي يعطيه إشعاراً بدخول الوقت، بالنظر إلى وقوع الصوت في مخيّلة المستمع في غير الأوان المعلوم، فنسمّي الصورة السمعية المتولدة نتيجة لذلك بالصورة الوهمية؛ لحدوثها نتيجة توّهم المستمع سماع صوت الأذان. ويحدث الوهم عادة في هذا؛ نتيجة قلق السامع من دخول الوقت، في لحظة انشغال، فيفوّت عليه فرصة أداء الفريضة في وقتها مثلاً. وقد يكون الخوف والرهبة سبباً في حدوث الوهم، كتلك الحالة التي تصاحب الإنسان في صحراء بعيدة خاوية؛ إذ إنّ إحساسه بالمخاطر الكثيرة يجعله أسيراً للوهم، فيخال صوت الريح عزيفاً للجنّ فيُصاب بالفزع وتأخذه الظنون. وهذا ما عبّر عنه الجاحظ بقوله: «**يكون في النهار ساعات ترى الشخص الصغير في تلك المهامة عظيماً، ويوجَد الصوت الخافض رفيعاً،**

(١) أُنظر: أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله، الفروق اللغوية: ص١٢٦.

ويُسمع الصوت الذي ليس بالرفيع مع انبساط الشمس غدوة من المكان البعيد، ويوجَد لأوساط الفيافي والقفار والرمال والحرار، في أنصاف النهار، مثل الدوي، من طبع ذلك الوقت وذلك المكان عندما يعرض له»[1]. وإنّما تحصل الوحشة للإنسان نتيجة انفراده في الأماكن الخالية أو البعيدة عن الحضور البشري، فليس من أحدٍ يؤنس وحشته، وليس من شيء يملأ تلك الساعات الطويلة من النهار والليل، فتُداخل فكره ظنون غير صادقة وأوهام تصوّر له ما لا وجود له من الأشخاص والأصوات، فتُمثّل الصغير في صورة الكبير وتُشتّت ذهنه، فيرى ما لا يُرى، ويسمع ما لا يُسمع، حتّى تنال منه الأوهام[2]، فيأخذ الذهن في تصوّر أشياء لا وجود لها.

ومن هنا يعلق التوهّم بالذّهن بعد تصوره وسماعه، فإنّ الصوت المُدَوِّي في الفلوات يحسبه السامع صوت الجنّ، ولا ينبعث ذلك الخوف ليلاً وحسب وإنّما ينبعث الخوف من صوت الجنّ ظهراً أيضاً وفي الهاجرة[3]، حيث الأرض المقفرة البعيدة الخاوية من الماء والأنيس، فتستوحش الأنفس، ويتضاعف الخوف.

وفي القرآن الكريم ارتبط الظنّ بمؤدّاه الوَاهِم من ادعاء شركاء لله، ما يؤكّد على أهمّية السمع وأثر المسموع في النفوس: ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ * هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾[4]، أي: الذين يسمعون هذه الحجج ويتفكّرون فيها، فيعتبرون بها ويتّعظون. ولم يرد به: الذين يسمعون بآذانهم، ثمّ

(١) الجاحظ، عمرو بن بحر، الحيوان: ج٦، ص٤٤٥.
(٢) أُنظر: المصدر السابق: ص٤٤٦.
(٣) أُنظر: الأخفش الأصغر، علي بن سليمان، الاختيارين المفضليات والأصمعيات: ج١، ص٥٣٣.
وأيضاً: أبو العلاء المعري، أحمد بن عبد الله، اللامع العزيزي شرح ديوان المتنبي: ص١٤٧١.
وأيضاً: شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي): ص٣٥٣.
(٤) يونس: آية٦٦-٦٧.

يعرضون عن عِبَره وعظاته[1]. فلو أنّهم كانوا يسمعون لما أخذتهم أوهامهم ـ تلك ـ المبنية على الظنّ، فارتبطت الصورة الذهنية المتأتّية من التفكّر بالسماع، ولولا وقوع السماع لتلك الحجج، لما حصل التفكّر، ولعلّ هذا النصّ هو أوضح النصوص القرآنية، التي يُفاد منها في الارتباط بين الصورة الذهنية والصورة السمعية، فيما بُني بالمقابل علاقة بين الوهم وانتفاء تكوين الصورة السمعية القائمة على الحقيقة.

ويمكن توضيح ذلك بالآتي:

السماع (الحاسّة)، الاستماع (الإصغاء)، التفكّر، الفهم (الصورة الذهنية).

وفي الشعر قد أفصح ذو الرّمة عن بعض التفاصيل التي تكشف الجانب النفسيّ، في صورة (الرّمل)، التي يُسمَع فيها عزيف الجنّ، كضرب الطبول، على وقعها طرب المغنون، فملأوا الأجواء بصوت غنائهم، والصورة على غرابتها تكشف عن حالة الخوف وسط ذلك السكون:

ورملٍ عزيفُ الجنّ في عقداته هزيزٌ كتضراب المغنّين بالطَّبْلِ[2]

ومنهم مَن يتوهّم جنّاً تتوعده بالثأر، وهي ذات أعناق غليظة، يسمع تهديدها ووعيدها:

غُلْبٌ تَشَذَّرُ بالذُّحُولِ كأنّها جِنٌّ البِديِّ رواسياً أقدامها[3]

ومن صور الخوف، القائمة على الوهم، سماع صوت الحراب وهي تُسَنّ، وصوت جلبة المحاربين وهم يستعدّون، إيذاناً بالحرب:

في كُلِّ يومٍ يَسنّون الحِرابَ لكم لا يهجعون إذا ما غافلٌ هَجَعا[4]

---

(١) أُنظر: الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ج١٥، ص١٤٣.

(٢) الباهلي، أبو نصر أحمد بن حاتم، ديوان ذو الرّمة (شرح أبي نصر الباهلي رواية ثعلب): ج١، ص١٤٨-١٤٩.

(٣) إحسان عباس، ديوان لبيد بن ربيعة العامري: ص٣١٧.

(٤) العطية، خليل إبراهيم، ديوان لقيط بن يعمر الإيادي: ص٣٧. البصري، صدر الدين، الحماسة البصرية: ج١، ص٩٠.

وكلّها صور أنتجها خيال الشاعر، ولا تقوم على أساس واقعي، بل حدثت نتيجة الوهم، لتكون محصلة استحضارها في الذهن خلق حالة من الرهبة والرعب من شيء لا وجود له. كتلك الصور التي استحضرها أطفال واقعة الطفّ في كربلاء، فهي أيضاً من باب الوهم المرتبط بالصورة البصرية والصورة السمعية في آن، ولنا هنا أن نذكر ما سجّله الشاعر في نقله لصورة من صور ذلك الخوف المرتهن إلى الوهم:

عمّتي لا أستطيع النوم إنّي خائف
ذاك مَن ذاك الذي عند الخباء واقف
هو مَن سبّ أبي والنحرُ منه نازف
كيف أغفو إنّ جفني من دموعي ذارف
يا حبيب قلبي نم إذن بقربي
زينب تراني أنا لا أنام

عمّتي مدّي يديك إن ظهري موجعُ
كلّما حاولتُ نوماً من منامي أفزعُ
إنّه شمرٌ أتاني في منامي يتبعُ
إنّه خلفي أمامي ما تُراني أصنعُ
يا ابنتي الحبيبة إنّني قريبة
يا ابنة الحسين إنّها أحلامُ[1]

فتبدأ الصورة الوهميّة من حيثيّة بصريّة، تتوهّم رؤية شاخصٍ مجهول خلف الخباء: «**ذاك مَن ذاك الذي عند الخباء واقف**»، ثمّ تتطوّر إلى سماع كلامٍ يصدر عن ذلك الشاخص الوهميّ: «**هو مَن سبّ أبي**»، وترجع الصورتان الوهميّتان إلى صور

(١) قصيدة هذه الحكاية، من إصدار (هذه الحكاية)، للشاعر أحمد العلياوي، ١٤٣٥هـ، الموقع الإلكتروني (صوت شيعة الحسين العالمية).

حقيقية مماثلة أو على شاكلتها، رآها الأطفال مسبقاً، وانتهت كحدثٍ وقع وانتهى في يومه، ولكنّ حالة الخوف تسببت في ارتجاع تلك الصورة بهيئة مماثلة قائمة على الوهم، الأُولى ماثلة في حالة اليقظة كما في المقطع الأوّل من الأبيات، والثانية في حالة النوم كما في المقطع الثاني منها. وهذا ما يُنهِي به الشاعر المشهد من إقرار بوهمها في الحالتين، في قوله: «**إنّها أحلام**».

أمّا وقوع الصوت على مستوى الحقيقة فلا يختلف عن توهّم وقوعه من حيث التأثير وقراءة الدلالة؛ لأنّ ما يحرِّك المؤثِّر النفسي هو الصورة الذهنية التي يولِّدها العقل في لحظة سماع الصوت، وهنا تكون الصورتان الحقيقية والوهمية متساويتين؛ إذ إنّ التأثير الناتج عن الحالتين واحد، فإذا توهّم السامع صوتاً مخيفاً حفّزت الصورة الذهنية صوراً ذات دلالات مخيفة، وهو بالضبط ما تحفِّزه في حال وجود الصوت حقيقة، وهذا ما يؤكّد دور الصورة الذهنية في تشكيل الصورة السمعية بدلالاتها المختلفة.

وإذا اتّسع نطاق البحث في التفاصيل التي تنجزها الصور الذهنية، سنكون أمام معطيّات مشابهة لكلِّ ما ينتجه الذهن على صعيد المرئي المباشر والمسموع المباشر، وحتّى المنقول بالوسيط الكتابي الذي تؤدِّي فيه الصورة الذهنية وظيفتها عبر تحفيز المخيّلة، كما في الصور الشعرية. وتبقى قراءة الدلالات وعلاقتها بالتأثير في المتلقي، تابعة لطبيعة الموقف، والغاية المتوخاة للنص عموماً.

ثانياً: على مستوى الخبر

ورصدنا فيه ما يمكن رصده من سرد الروايات، والأخبار المدوّنة في المقاتل الحسينية، والموسوعات وكتب السيرة الحسينية، واخترنا منها مجموعة من الصور، التي حملت في طيّاتها صوراً سمعية ذات دلالات مختلفة، ورصدنا على هذا المستوى نمطين:

أ ـ الصورة الحقيقية

يمكن تعريفها بأنّها الصورة الناتجة من تجمّع الأشعة الضوئية المنعكسة عن جسمٍ ما[1]. ولا شكّ في أنّها تختلف عن الصورة الافتراضية التي تتشكّل عند ظهور أشعة الصورة في نقطة محدّدة، والتي تفهم على أنّها صورة بصرية تتكون نتيجة اختلاف في أشعة الضوء المنبثقة من نقطة على كائن معين. بينما يرتكز تكوين الصور الحقيقية على إعادة إنتاج كائن حقيقي يتشكّل عند نقطة تلاقي الأشعة الضوئية الصادرة من كائن ما. وليس هناك مثال أقرب إلى ذلك من الصورة المتشكلة على شاشة السينما والمسرح بوساطة أجهزة العرض[2]، فالصورة الحقيقية هي الصورة الماثلة بكلّ تفاصيلها الصادقة، من دون إضافات مخيّلة أو وهميّة، سواء عِبر المعاينة المباشرة أو المنقولة عبر النصوص، وتشمل أيضاً كلّ خبر وقع وسجّلته المشاهدة الفعلية، أو دوّنته الكتب، على نحو ما نقرأ في كتب التاريخ والسيرة.

وتمثل الواقعة التاريخية بسردها المطابق لحقيقة وقوعها في زمان ومكان محددين، الصورة الحقيقية التي تعبر عن مشهد ما في زمكانية بعينها. وفي ما تنقله المصادر المعتبرة عن مشاهد يوم العاشر من محرّم وما تلاه الكثير من الصور الحقيقية التي نُقلت لنا بالتواتر، ما كان من أمر أهل البيت عليهم السلام، واستحضرت على المستويين المشاهد والمسموع، فيظهر المستوى السمعي في حد ذاته معبِّراً عن نفسه، أو ينفذ القارئ إليه عِبر المستوى البصري، الذي سجّل الوقائع في الذاكرة، وأعاد صياغتها

---

(١) أُنظر: فرانسيس جينكينز، أساسيات البصريات: ص٣٠، وص٨٥. وأيضاً: *Encyclopaedia Britannica‘ Real image inareal image.*

النصّ الأصلي: *inareal image the light rays actually are brought to focus at the image position.*

(٢) أُنظر: جيل دولوز، الصورة ـ الحركة أو فلسفة الصورة، : ص٨٣ وص٨٦. وأيضاً: وفرانسيس جينكينز، أساسيات البصريات: ص٨٤ وص٨٥.

ضمن نصّ مكتوبٍ، أو مقروء، أو مسموع. وما يهمنا في هذا البحث النظر في المستوى الثاني ومدى تأثيره وتأثّره بالصور الذهنية المتشكِّلة في مخيّلة الراوي والقارئ على حدٍّ سواء؛ لأنّ الصورة النهائية الحاضرة في ذهن القارئ، إنّما هي إحدى انعكاسات تلك الصور، الثابتة في ذهن الراوي عِبر النصّ المقروء.

ومن الصور السمعية التي أفرزت مكوناتها عِبر ما نقله الراوي:

١ ـ اجتماع الكتائب للقاء الحسين عليه السلام

اجتمعت الكتائب العسكريّة تأهباً للحرب، يقول الراوي: «**ثمّ أخذ ابن زياد يجمع الكتائب خارج الكوفة ليعرضهم وينفرهم إلى حرب الحسين**»(١)، وقال الطرماح للحسين عليه السلام حينما التقى به قريباً من كربلاء: «**وقد رأيت قبل خروجي من الكوفة إليك بيوم ظهرَ الكوفة وفيه من الناس ما لم ترَ عيناي في صعيد واحد جمعاً أكثر منه، فسألت عنهم، فقيل: اجتمعوا ليعرضوا، ثمّ يسرحون إلى الحسين**»(٢). ممّا يستدعيه الذهن في هذا المشهد هو صوت الجموع المتأهبة للحرب، من حركة الخيول والفرسان، وتجهيز السلاح وجلبة الحوافر والأرجل، ما يهيئ الذهن إلى موقف هائل من الصور المتراكمة للقتل والدماء، المنتظرين إبان هذا التهيؤ استعداداً للقتال، ما يحرِّك الخوف في نفوس الجمهور الذي عاش في زمن الواقعة، والجمهور العابر لحدود الزمان والمكان، وهو يستحضر تلك الصور الحقيقية، عِبر مخيلته النافذة إلى المشهد بوساطة النصّ المقروء والمسموع.

٢ ـ الأنين والعويل

وفي ذلك المشهد المرعب ـ حيث تتكدّس أشلاء القتلى في كلّ زاوية من زوايا النظر ـ الذي لم يرحم الأعداءُ فيه شيخاً ولا طفلاً رضيعاً، يزحف السرد إلى مشهد

(١) بحر العلوم، محمد تقي، مقتل الإمام الحسين أو واقعة الطف: ص٢٦٧.
(٢) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٥، ص٤٠٦.

(الخربة) بوصفه التحوّل الأهم من حالة العزّ والمنعة إلى حالة الهتك والترويع، فيظهر صوت النساء الباكيات وأنينهن بعد يوم دامٍ، فقدن فيه الابن والزوج والأب والأخ. ولعل صوت الرباب كان الصوت الأكثر إيغالاً في عمق التأثير الذهني؛ لارتباطه بصورة الطفل الرضيع الذي قُتِل في ذلك اليوم، ومن هنا يبدأ الذهن في تشكيل صورةٍ سمعيةٍ لامرأة ثُكِلت بابنها بعد أن جفَّ لبنها؛ لـمّا منع جيش الأعداء الماء عنهم، فقد ورد في أحد المصادر لـمّا قُتِل الطفل الرضيع «**فإنّ أُمّه الرباب واقفة عليه تنظر إليه**»[1]، وهذا مشهد حزين ومؤلم للأُمّ فلا تكاد تهدأ ليلها ولا نهارها وهي تذكر ما رأت بأم عينها؛ مما يجلب لها الأنين والحنين على ولدها[2]؛ ولذا فالمشهد يحرك الوجع الإنساني إزاء الطفولة المهدورة ـ الطفلُ الذي قُتل عطشاناً ـ وصوت الأنين، الذي رافق استحضار المشهد السابق لمشهد الخربة، حيث كان الطفل مغمى عليه من العطش والجوع، بينما جاءه سهم نافذ وهو بين يدي أبيه، «**فتقدّم إلى باب الخيمة وقال لزينب: ناوليني ولدي الصغير حتّى أودِّعه. فأخذه وأومأ إليه ليقبِّله فرماه حرملة بن الكاهل الأسدي (لع) بسهم فوقع في نحره فذبحه، فقال لزينب: خذيه. ثمّ تلقى الدم بكفيه فلمّا امتلأتا رمى بالدم نحو السماء، ثمّ قال: هوّن عليّ ما نزل بي أنَّه بعين الله**»[3].

وفيما جاء من الخبر: «**ولـمّا فجع الحسين عليه السلام بأهل بيته وولده، ولم يبقَ غيره وغير النساء والذّراري، نادى هل من ذابٍّ يذبّ عن حرم رسول الله؟ هل من موحد يخاف الله فينا؟ هل من مغيث يرجو الله في إغاثتنا؟ وارتفعت أصوات النساء بالعويل**»[4]، فكان لصوت الأنين والحنين اللذين مَثُلا في نصّ الخبر، ما هيّأ الذهن لاستحضار صوت الأُمّ المفجوعة بولدها، من جهة وصورة الرضيع المذبوح من جهة أُخرى، وصوت

(١) السماوي، محمد، إبصار العين في أنصار الحسين عليه السلام: ص٢٢٣.
(٢) أُنظر: الهنداوي، محمد، سلسلة مجمع مصائب أهل البيت: ج٢، ص٢٥٠.
(٣) ابن طاووس، مقتل الحسين المسمى باللهوف في قتلى الطفوف: ص٦٩.
(٤) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج١، ص٣٢٠. وفضل القزويني، الإمام الحسين وأصحابه: ج١، ص٣٢٠.

عويل النساء الذي يستدعي الإيذان برحيل الحسين عليه السلام، فكان ذلك الصوت الباعث على الألم والتفجّع.

٣ـ صوت الأطفال

ومن ذلك صوت الأطفال من آل الرسول صلى الله عليه وآله فقد أمسوا ليلتهم وحماتهم صرعى على وجه الأرض، روي: «**أنّ فاطمة الصغرى قالت: كنت واقفة بباب الخيمة وأنا أنظر إلى أبي وأصحابي مجزّرين كالأضاحي على الرمال، والخيول على أجسادهم تجول وأنا أفكر فيما يقع علينا بعد أبي من بني أُميّة، أيقتلوننا أو يأسروننا؟**»[1] فأمسوا تلك الليلة وهم بأيدي عدو تجرّد قلبه من الرحمة؛ فإذا بكت طفلة من أطفال الحسين عليه السلام أسكتوها بكعب الرمح وبالسياط، وهي تستغيث، فتقول أحداهن: «**فإذا برجل على ظهر جواده يسوق النساء بكعب رمحه وهن يلذن بعضهن ببعض، وقد أخذ ما عليهن من أخمرة وأسورة، وهن يصحن... فطار فؤادي وارتعدت فرائصي، فجعلت أجيل بطرفي يميناً وشمالاً... وإذا به قد قصدني ففررت منهزمة، وأنا أظن أنّي أسلم منه، وإذا به قد تبعني، فذهلت خشية منه وإذا بكعب الرمح بين كتفي، فسقطت على وجهي، فخرم أذني وأخذ قرطي ومقنعتي، وترك الدماء تسيل على خدي ورأسي تصهره الشمس**»[2]، وهنا تبرز مجموعة من الأصوات المتداخلة مع بعضها، كفعلٍ وردّ فعل، صوت الأطفال الباكين مشفوعاً بصوت كعب الرمح الذي يغرز في أجسادهم الصغيرة، فيبدي عمقاً في الأداء الصوتي، قياساً بصوت السياط الذي يستحضر أداء صوتياً أكثر حدّة؛ نتيجة خفّة الوتر وضآلة سمكه، فيحدث ارتطاماً هوائياً حادّاً لحظة نزوله على تلك الأجساد الضعيفة، ويكون صوت الاستغاثة، هو ردّ الفعل الناجم عن فعل الضرب المحرِّك للألم الجسدي والمعنوي.

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص٦١.
(٢) المصدر السابق.

وكان بكاء النساء والأطفال، الصورة السمعية المهيمنة في العديد من زوايا المشهد الحسيني، تلك التي أدلف إليها النص، عبر الصور الذهنية المتكوّنة كنتيجةٍ فعلية في النصّ المقروء أو المسموع.

٤ ـ صوت المنادي

ونكون أمام صورتين سمعيتين مرتبطتين ببعضهما، فيما نقله الراوي من حال الإمام السجاد عليه السلام الذي حضر واقعة الطفّ، وكان يومها مريضاً لم يستطع أن يشارك في القتال. فكلّما دخلوا عليه وجدوه غارقاً بدموعه، غاصّاً بعبرته وهو يشهق بالبكاء، مستعيداً ذكريات عاشوراء فيما رآه وسمعه بنفسه، في حالة من الاسترجاع الزماني والمكاني للحدث، عبر الصور الذهنية الماثلة في ذاكرته عن ذلك اليوم؛ وصوت المنادي «**يا خيل الله، اركبي...**»[1]، الذي ارتهن إلى أحقاده وبغضه الأعمى، صورة سمعية استرسلت تبثّ صداها في ذاكرته: «**إنّي لم أذكر مصرع بَني فاطمة إلّا خنقتني لذلك عَبرة**»[2]، وإنيّ إذا نظرت إلى عمّاتي وأخواتي ذكرت فرارهن يوم الطفّ من خيمة إلى خيمة، ومنادي القوم ينادي أحرقوا بيوت الظالمين. وهكذا نكون أمام صورة سمعية تحمل حالة التفجّع، مثّلتها صورة (الصوت الباكي)، والصورة الثانية تحمل إذكاءً لمشاعر الحقد في نفوس الجند في جيش يزيد، مثّلتها صورة (المنادي)، فضلاً عمّا تثيره من تعجبٍ لدى المستمع لما ينقله الراوي؛ لأنّ أهل بيت الرسول عليهم السلام ليسوا من أهل الظلم.

٥ ـ صوت الحسين عليه السلام

ومن ذلك ما جاء في الخبر: «**ثمّ حمل على القوم وصرخ في أوسطهم، ثمّ دار فيهم وجعل يحصد الأبدان حصداً، ويضرب فيهم ذات الطول والعرض، وذات اليمين**

(١) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص٨٩.

(٢) الصدوق، محمد بن علي، الأمالي: ص١٢٥. وأُنظر: القرشي، باقر شريف، حياة الإمام محمد الباقر.. دراسة وتحليل: ص٤٦.

والشمال، حتّى ترك الرجال تحت سنابك الخيل ودماؤهم كالأنهار، ثمّ ولّى النهار فرجع إلى الخيمة وجراحاته تشخب دماً»[1]. ما تستحضره الصورة الذهنية، هو هيبة الصوت، وشجاعة صاحبه الذي استبسل في الدفاع عن حَرَمه وخِيَمه حتّى الرّمق الأخير، إذ يجلجل صوت الحسين الثائر، فيهزّ أركان المعسكر، ويهرب بين يديه الشجعان منهم، حتّى إذا هوى بسيفه على أجسادهم تناهت إلى أذهاننا لحظة النفوذ الخاطفة، بما تشكل من اختراق حادٍّ لسيفه المصلت، وهو يشق طريقه في أجسادهم بعمق، محدثاً ذلك الارتطام العميق المصحوب بأزيز المشق، يمزّقُ لحومهم. ويغيب صوت الصليل بحضور السيف المغمد في الأجساد، فلا مجال لمقارعةٍ، إنّما نزل فيهم ضرباً، فكان ارتطام سيفه بأجسادهم، هو الصورة السمعية المهيمنة على الموقف. ويبرز إلى جوراها صوت السنابك وهي توغل في أجسادهم، وتظهر أيضاً مستوىً صوتياً عميقاً، بحضور تكرار الارتطام (طبطبةً)، بين حافر الخيل والجسوم الهاوية تحت سنابكها.

ب ـ الصورة الميثولوجيّة

وهي الصورة التي تعبِّر عن أحوالٍ خارقةٍ للمألوف العلمي أو المنطقي، لا تفرض التصديق بها، إنّما تتيح للمتلقي حرّية الاعتقاد بوجودها من عدمه في حدود أدبية، وربّما تتعدّى ذلك إلى قناعات خاصّة عند فئة من البشر. ومن هنا فإنّنا لن نتحدّث عن الصورة (الميثولوجية) في المشهد الحسيني إلّا في باب أدبي، ونترك للمتلقّي حرّية الاعتقاد بإمكانية حصولها من عدمه؛ لأنّ هذا بالنتيجة يعتمد على ما يعتقده القارئ حقّاً واقعاً أو غير ذلك.

١ ـ حديث الرأس

المتابع يلاحظ انتقال رأس الإمام الحسين عليه السلام من مكان إلى آخر، وقد ارتبط في

(١) الإسفراييني، إبراهيم بن محمد، نور العين في مشهد الحسين: ص٤١. القزويني، فضل علي، الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه: ج١، ص٣٢٥.

كلّ موقف من المواقف بحادثة يسردها الراوي. وها هو ينقل إلينا حديث الراهب مع الرأس: «**يا رأس من رؤوس بني آدم، ويا كريم ويا عظيم جميع مَن في العالم، أظنّك من الذين مدحهم الله في التوراة والإنجيل، وأنت الذي أعطاك فضل التأويل، لأنّ خواتين السّادات بني آدم في الدنيا والآخرة يبكون عليك ويندبونك. أنا أريد أعْرِفَك باسمك ونعتك. فنطق الرأس بقدرة الله تعالى، وقال: أنا المظلوم، أنا المهموم، أنا المغموم، أنا الذي بسيف العدوان والظلم قُتِلت، أنا الذي بحرب أهل البغي ظُلمت، أنا الذي على غير جرم نُهبت، أنا الذي من الماء مُنعت، أنا الذي عن الأهل والأوطان بعدت. فقال صاحب الدير: بالله عليك أيّها الرأس، زدني. فقال: إن كنت تسأل عن حسبي ونسبي: أنا ابن محمد المصطفى، أنا ابن عليٍّ المرتضى، أنا ابن فاطمة الزهراء، أنا ابن خديجة الكبرى، أنا ابن العروة الوثقى، أنا شهيد كربلاء...**»[1].

تأخذنا صورة الرأس الناطق إلى صورة (خارقة)، تقرُّ بإمكانية وقوع الكلام لرأس مقطوع؛ على أنّ هذا يقع فيما يعتقده الإنسان حقّاً واقعاً في باب الإيمان بما خلف الطبيعة؛ فإنّ القوة الهائلة التي فرضت قوانينها على الكون من دون تدخّل بشري، وعلى وفقها يتحتّم النفي جزماً بانعدام الحياة لرأس مقطوع، ممّا يعني قطعاً انتفاء القدرة الكلامية، إلّا أنّ ما تفرضه قوانينها في الوقت نفسه، إمكانية حصول ذلك التأثير من قوى خلف الطبيعة في مسار الحياة البشرية بالشكل الذي يغير من الاتجاهات والمآلات، وهذا ما يطلق عليه (الإيمان) المرتبط في بعض جوانبه، بما يغيب عن المدركات الحسيّة للإنسان، ويؤول تدخّلها المباشر في حياته إلى إحداث معجزة، أي: إحداث ما لا يمكن وقوعه في باب التصديق؛ لاستحالته من الناحية العلمية والمنطقية، أما علمياً فقد ثبت أنّ قطع الأوداج وانفصال الرأس عن الجسد، يعني انتهاء الحياة لذلك الإنسان، بفعل انقطاع السبب المباشر لبقائه حيّاً، وهو

(١) البهبهاني، محمد باقر، الدمعة الساكبة في أحوال النبيﷺ والعترة الطاهرة: ج٥، ص٧٢.

(الدم) السّاري في ذلك الجسد. وأمّا منطقيّاً فإنّ انفصال الرأس عن الجسد يعني الموت، والموت يفقد الإنسان القدرة على الكلام؛ لأنّ كلّ حيٍّ قادرٌ على الكلام مع تحقّق الأسباب الدّاعية إلى ذلك، وكلّ ميتٍ غير قادر على الكلام مع تحقّق الأسباب الداعية إلى ذلك. وحضور الرأس المقطوع في المشهد الحسيني، يشير إلى انقطاع الحياة؛ لما يمثّله هذا الرأس مجملاً من أفكار ومعتقدات، تزول الحياة بذهابها. لكن نطقه مع تحقّق القطع، يشير إلى ديمومتها على الرّغم من انقطاع الأسباب العلمية والمنطقية، فهو حيٌّ نافذ في عمق الفكر الإنساني بما يمثّل من فورة الأفكار الناهضة بأسباب الحياة، رغم انقطاع السبب المباشر لديمومتها، وهو بحدّ ذاته يمثّل تحدياً لفكرة الموت التي يلجأ إليها الطغاة لإسكات ما لا يتّفق مع سياساتهم، وقمع حرّية الفكر والتعبير، إذا تعارضت مع مصالحهم. وهكذا فإنّ استمراريّة النطق للرّأس المقطوع تشير إلى استمراريّة الفكر الرافض للقمع والاستبداد السُّلطَوي، حتّى بعد فناء الجسد. وهي تشكل صورة سمعية، تستحضر معاني الإصرار على الحياة ورفض الموت.

٢ ـ مطرٌ دامٍ

ورد في بعض المصادر أنّه: «**لـمّا قُتِل الحسين بن عليّ مطرت السّماء دماً فأصبحت وكلّ شيءٍ ملآن دماً**»[١]، «**وتزلزلت الأرض لمصرع الحسين عليه السلام، وأظلم الشرق والغرب، وأخذت الناس الرّجفة والصواعق، وأمطرت السماء دماً عبيطاً**[٢]... **ولم تمطر السماء دماً إلّا ذلك اليوم، ويوم شرح فيه يحيى بن زكريا عليه السلام**»[٣]. سقوط المطر يأخذ منحيين في الموروث الأدبي، أحدهما يحمل صورة الخير وتسميه العرب غيثاً، وآخر يحمل صورة الشّرّ وتسميه العرب مطراً، ومن هنا جاء في الكتاب الكريم قوله تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا

(١) البيهقي، أحمد بن الحسين، دلائل النبوّة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة: ج٦، ص٤٧١.
(٢) العبيط: الطريّ الرَطِب. أُنظر: الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين: ج٣، ص٨٦، مادّة (عبط).
(٣) بيضون، لبيب، موسوعة كربلاء: ج٢، ص٢٠٣.

عَلَيۡهِم مَّطَرٗاۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلۡمُنذَرِينَ﴾[1] في مشهد يصور فيه حالة العقاب واستحقاق العذاب الأليم. ولعلّ المشهد المرئي في صورة المطر الدامي يُعدّ المهيمن على الصورة بفعل سلطة اللون؛ لأنّها جاءت مخالفة للمألوف ممّا استدعى لفت النظر إليها بشكل أكبر. إلّا أنّ الصورة السمعية التي يستحثّها الذهن تبقى حافزة، فسقوط القطرات المائية في مثل هذا المشهد الحافل بالقتل والألم والأهوال، يشير إلى انقضاء كلّ شيء وانتهائه بعد تلك المعركة، كما تنتهي جلبة الرعد وأصواته المدوية بهطول المطر، وإنّه يُعمِّقُ من لحظات السكون التي تلت كلّ تلك الجلبة على قِصر مدّتها، فالأجساد مضرّجة بالدماء مقطوعة الرؤوس، مقطعة الأوصال، يجيء المطر الدامي ليزيد من عمق المأساة لتلك اللوحة العظيمة، وكأنّ تلك الدماء تبخرت كتبخر مياه النهر، وهطلت مطراً على هذه الأرض. وتأتي الصورة السمعية مستكملة لمعاني الحزن والألم، بالنظر إلى سكون جميع الأشياء إلى صوت تلك القطرات المتساقطة، وما يصحب المطر من خفوت الضوء؛ واختفاء مظاهر الاشراق بغياب الشمس، يجعل الصورة الذهنية تلقي في مخيلة المتلقي صورة سمعية يستشعر فيها ركود الأشياء وسكونها.

٣ـ نوح الجنّ

«**عن صفوان الجمّال عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته في طريق المدينة ونحن نريد مكّة، فقلت: يابن رسول الله، مالي أراك كئيباً حزيناً منكسراً؟ فقال: لو تسمع ما أسمع لشغلك عن مسألتي. قلت: فما الذي تسمع؟ قال: ابتهال الملائكة إلى الله عزّ وجلّ، على قتلة أمير المؤمنين وقتلة الحسين عليه السلام، ونوح الجنّ وبكاء الملائكة الذين حوله، وشدّة جزعهم. فمَن يتهنّأ مع هذا بطعام أو بشراب أو نوم؟!**»[2]، تنتقل الصورة السمعية عبر المؤثِّر الذي يشكِّله الذهن من العالم الظاهر إلى عالم مخفيّ مجهول الأبعاد، وتستثير في ذاكرة

(١) الشعراء: آية١٧٣.

(٢) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص١٨٧. وبيضون، لبيب، موسوعة كربلاء: ج٢، ص٢٠٧.

القارئ نصاً إثرائياً لإمكانية تصوّر المشهد، فلم تبتعد كثيراً عن دائرة الفهم السائد للعلاقة الوطيدة بين الحادثة العظيمة، وحدوث الخوارق، كالتي شهد بها القرآن الكريم في سورة الجنّ: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾[1]، وهذا ما تمثّله عظمة الحدث بإعجاب الجنّ لما استمعوا إليه، وإذا حاولنا إيجاد علاقة بين الصورتين فإنّ إعجاب الجنّ بما جاء به القرآن، يشير إلى اعتقادهم بنبوة محمدﷺ، ولا تضادّ بين ذلك العجب الذي أوقع الإيمان في نفوسهم، وبين حالة (النوح) التي عبّرت عن الحزن العظيم الذي عبر بعالم المادّة إلى عالم لا مرئي، والذي أثار ألماً عميقاً في الخلق بمختلف مستوياته وأعماقه؛ لأنّ الحسينعليه السلام إنّما هو امتداد لذلك القرآن الذي عجب منه الجنّ، فكان حزنهم بمقدار تعجبّهم وتعلّقهم بكلّ نصّ من نصوصه.

٤ ـ سقف الدير

يروى أنّ نصر الخزاعي قد جمع عسكراً وأراد أن يهجم على جيش عبيد الله بن زياد نصف الليل، ويقتل الأبطال، ويجندل الشجعان، ويأخذ الرؤوس والسبايا، فقال رؤساء العسكر من عظم اضطرابهم: نلجأ الليلة إلى الدير ونجعله كهفاً لنا؛ لأنّ الدير كان محكماً لا يقدر أن يتسلّط عليه العدو، فصاح الشمر بأعلى صوته: يا أهل الدير. فجاءه القسيس الكبير، فسألهم ما يريدون، فأخبروه بما كان من أمرهم[2]، «**قال: فلمّا نظر القسيس إلى رأس الحسينعليه السلام وإذا بالنور ساطع منه إلى عنان السماء فوقع في قلبه هيبة منه، فقال القسيس: ديرنا ما يسعكم، بل ادخلوا الرؤوس والسبايا إلى الدير وأحيطوا بالدير من خارج، فإذا دهمكم عدو قاتلوه ولا تكونوا مضطربين على الرؤوس**

(١) الجن: آية١-٢.

(٢) أُنظر: البهبهاني، محمد باقر، الدمعة الساكبة في أحوال النبيﷺ والعترة الطاهرة: ج٥، ص٧٠-٧١.

والسبايا. فاستحسنوا كلام القسيس وقالوا: هذا هو الرأي. فحطوا رأس الحسين عليه السلام في صندوق وقفلوه وأدخلوه إلى الدير والنساء وزين العابدين، وجعلوهم في مكان يليق بهم. قال: ثمّ إنّ صاحب الدير أراد أن يرى الرأس الشريف، وجعل ينظر حول البيت الذي فيه الصندوق، وكان له (رازونة)، فحطّ رأسه فيها، فرأى البيت يشرق نوراً، ورأى أنّ سقف البيت قد انشقّ ونزل من السماء تخت عظيم، وإذا بامرأة أحسن من الحور جالسة على التخت، وإذا بشخص يصيح: أطرقوا ولا تنظروا. وإذا قد خرج من ذلك البيت نساء، وإذا هن حواء وصفية وأُمّ إسماعيل وراحيل وأُمّ يوسف وأُمّ موسى وآسية ومريم ونساء النبيّ صلى الله عليه وآله»[1].

وتنكشف قداسة الأمكنة بالإنسان العظيم الذي يمنحها صفة القدسية، وهذا ما نراه في كلّ ما يحيط به التراث الديني على الإطلاق، فتشرّفت أرض السواد بإبراهيم عليه السلام أبي الأنبياء، ومن ذرّيته تشرّفت بعليّ بن أبي طالب، والحسين بن عليّ، والعباس بن عليّ، وموسى الكاظم، ومحمد الجواد، وعليّ الهادي، والحسن العسكري عليهم السلام، وغيرهم، كما تشرّفت أورشليم بزكريا ويحيى والمسيح عليهم السلام، وغيرهم، كما تشرّفت مكّة بإسماعيل من ذرّية إبراهيم عليه السلام ومن بعده بمحمد صلى الله عليه وآله عليهم السلام. وهكذا فإنّ كلّ مكان مقدّس، إنّما يكتسب قداسته من الإنسان الذي يولد فيه أو يعيش، أو يدفن فيه.

ويظهر (الدير) ـ في سرد المقاتل الحسينية وغيرها من الأخبار ـ المعلم الديني الأظهر، بعد كل ما مرّ به الراوي من نقل الأخبار لكل مدينة، ومكان دخله رأس الحسين عليه السلام أو أهله وصحبه. فظهر أنّه الملاذَ الآمن لأهل بيت النبي صلى الله عليه وآله بعد كلّ ما مرّوا به، واحتفاء الراهب بهم بعد كلّ تلك المعاناة، والسفر المضني وما لاقوه من

(١) المصدر السابق: ج٥، ص٧١.

أذى وترويع، وانشقاق السقف الذي رآه صاحب الدير، يستثير عبر المؤثِّر الذهني صورة سمعية، فضلاً عمّا يمكن أن يقع في التصور من مشهد مرئي لصورة الانشقاق، فإنّ لهذا التصدّع المتواتر على السمع، ما يستحثّ على الترقّب من جهة لما يمكن أن يكون سبب حدوثه، وعلى التهيب من جهة أُخرى، بالنظر إلى ما يحمل المكان ومن فيه من قداسة عظيمة.

٥ ـ المحراث

روى الشيخ الطوسي في (الأمالي) عن: «**عبد الله بن دانية الطوري، قال: حججت سنة سبع وأربعين ومائتين، فلمّا صدرت من الحجّ صرت إلى العراق فزرت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام على حال خيفة من السلطان، وزرته ثمّ توجهت إلى زيارة الحسين عليه السلام، فإذا هو قد حُرثت أرضه ومخر فيها الماء، وأُرسلت الثيران العوامل في الأرض، فبعيني وبصري كنت أرى الثيران تُساق في الأرض فتنساق لهم حتّى إذا حاذت مكان القبر حادت عنه يميناً وشمالاً، فتُضرب بالعصي الضرب الشديد فلا ينفع ذلك فيها، ولا تطأ القبر بوجه ولا سبب، فما أمكنني الزيارة**»[1]. يستنهض مشهد الحراثة، صورة سمعية تشير إلى الحركة البطيئة المتواترة، وهي تحمل إشارات الحياة، ومواصلة العمل على الرغم من كلّ الأحداث التي مرّت على تلك الأرض، وما وقع فيها من مصائب عظيمة، وهي تصاحب صورة (حاثّة- رادعة) في مشهد الثيران العاملة في تلك الأرض، بعد عصيانها رغبة سيدها في حراثة ما فوق القبر. ويفرز صوت الضرب بالعصيّ، صورة حاثّة على العمل بالوجهة التي يحددها المالك، وأُخرى رادعة عن انحراف المسار الذي يحدّده صاحبها، في مشهد يحمل دلالة على قدسية المكان وصاحبه، فامتناع الثيران عن حراثة قبر الحسين عليه السلام، يعمّق المفهوم المقدّس الذي يحمله المكان.

(١) الطوسي، محمد بن الحسن، الأمالي: ج١١، ص٤٨٩.

خاتمة

أدّت الصور الذهنية دوراً فاعلاً في تحريك الصورة السمعية واستنطاق دلالتها في أنماط المشهد الحسيني على صعيد الخبر والشعر، منها ما دلّ على الخوف، ومنها ما دلّ على الحزن والألم، ومنها ما دلّ على الهيبة، ومنها ما دلّ على الترويع، ومنها ما دلّ على السكون، ومنها ما دلّ على الجلبة، وغير ذلك ممّا عرضه البحث، وكان لكلّ ذلك أثره النفسي ومنافذه السمعية التي تسمح للباحث باستجلاء الصور المتفاوتة فيما تعرض من الدلالات المختلفة، تخليداً للمثل العليا والقيم الإنسانية التي زرعتها واقعة الطفّ، والمسيرة الحسينية عموماً. وكان لاستثارة الصور السمعية منبثقة ممّا يستدعيه الغرض الأدبي، وما يفرضه المستوى اللفظي على صعيد السياق، حثّاً للحواس وإنعاشاً لاستشعار أغراضه. وكان الحزن والألم ومعاني الأسى عموماً، الدلالات الأكثر سطوة في النسيج العام للصور السمعية انسجاماً مع الطابع العام للمشهد الذي اكتظّ بصور الفقد والظلم والترويع والقتل.

ورصد البحث أربعة أنماط للصورة الذهنية: الأُولى جاءت عِبر المستوى المتخيّل، الذي يعتمد على تراكم الصور عِبر تكثيف المعنى. والثانية جاءت عِبر الخيال المحرِّك للوهم. والثالثة جاءت عِبر المستوى المرئي المباشر والمنقول تواتراً خبرياً. والرابعة عِبر المستوى الميثولوجي، الذي يعتمد على خرق المألوف المنطقي والعلمي. أمّا الصورة السمعية فقد تكون حقيقية، تهيؤها الصورة الذهنية، بعد حصول عملية السماع، أو دخول الصوت إلى الأذن، ومن ثَمّ ترجمته عبر الذهن إلى صورة لها دلالتها النفسية والتأثيرية، وقد تكون غير حقيقية، وإنّما يستحثّها الذهن عِبر الخيال كما في النصوص الأدبية، أو عبر الوهم، بافتراض وجود الصوت وهو غير موجود حقيقة.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

١ ـ إبصار العين في أنصار الحسين عليه السلام، محمد السماوي (ت ١٣٧٠هـ)، تحقيق: الشيخ محمد جعفر الطبسي، مركز الدراسات الإسلامية لمثلية الولي الفقيه في حرس الثورة الإسلامي، الطبعة الأُولى، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

٢ ـ الأدب المقارن، مناهج جامعة المدينة العالمية، جامعة المدينة العالمية للنشر، د.ط، د.ت.

٣ ـ الإرشاد، محمد بن محمد المعروف بالشيخ (ت٤١٣هـ)، تحقيق: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لتحقيق التراث، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

٤ ـ أساس البلاغة، جار الله محمود بن عمر الزمخشري، دار إحياء التراث العربي، بيروت– لبنان، الطبعة الأُولى، ٢٠٠١م.

٥ ـ أساسيات البصريات، فرانسيس جينكينز، ترجمة: أ.د. عبد الفتاح أحمد الشاذلي، ود. سعيد بسيوني الجزيري، دارما كجروهيل، طوكيو– اليابان، الطبعة الرابعة، ١٩٨١م.

٦ ـ أمالي الصدوق، الشيخ الصدوق، تقديم: محمد مهدي حسن الخرسان، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٩٧٠م.

٧ ـ الأمالي، الشيخ محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق: بهراد الجعفري، وعلي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران، الطبعة الأُولى، ١٣٨١هـ.

٨ ـ الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه، فضل علي القزويني، تحقيق: أحمد الحسيني، مركز كربلاء للدراسات والبحوث، الطبعة الأُولى، ٢٠١٥م.

٩ ـ بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي، دار إحياء التراث العربي، تحقيق: لجنة من العلماء، بيروت– لبنان، الطبعة الثالثة، ١٣٨٥هـ.

١٠ ـ تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٠م.

١١ ـ تاريخ الأُمم والملوك، محمد بن جرير الطبري، دار التراث، بيروت- لبنان، الطبعة الثانية، ١٣٨٧هـ.
١٢ ـ تاريخ النقد الأدبي عند العرب، د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت ـ لبنان، الطبعة الرابعة، ١٩٨٣م.
١٣ ـ التعريفات، الشريف الجرجاني، ضبط وتصحيح جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
١٤ ـ التفسير النفسي للأدب، عز الدين إسماعيل، دار غريب، القاهرة، الطبعة الرابعة، د.ت.
١٥ ـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بم جرير الطبري، تحقيق: محمود محمد شاكر واحمد محمد شاكر، مؤسّسة الرسالة، القاهرة، الطبعة الأُولى، ٢٠٠٠م.
١٦ ـ الحماسة البصرية، صدر الدين البصري، تحقيق: مختار الدين أحمد، عالم الكتب، بيروت، د.ت.
١٧ ـ حياة الإمام محمد الباقر.. دراسة وتحليل، باقر شريف القرشي، دار البلاغة، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى، ١٩٩٣م.
١٨ ـ الحيوان، الجاحظ، محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ.
١٩ ـ دلائل النبوّة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأُولى، بيروت ـ لبنان، ١٤٠٥هـ.
٢٠ ـ الدمعة الساكبة في أحوال النبيﷺ والعترة الطاهرة، محمد باقر عبد الكريم، البهبهاني، تصحيح وتعليق: الشيخ حسين الأعلمي، مؤسّسة الأعلمي، الطبعة الأُولى، بيروت- لبنان، ١٩٨٩م.
٢١ ـ ديوان أوس بن حجر، تحقيق وشرح: د. محمد يوسف نجم، دار بيروت، بيروت ـ لبنان، ١٩٨٠م.

٢٢ ـ ديوان دعبل الخزاعي، صنعه عبد الكريم الأشتر، مجمع اللغة العربية، دمشق، الطبعة الثانية، ١٩٨٣م.
٢٣ ـ ديوان ذو الرّمة، شرح أبي نصر الباهلي رواية ثعلب، أبو نصر أحمد بن حاتم الباهلي، تحقيق: عبد القدوس أبو صالح، مؤسّسة الإيمان، الطبعة الأُولى، جدّة، ١٩٨٢م.
٢٤ ـ ديوان لبيد بن ربيعة العامري، تحقيق: د. إحسان عباس، الكويت، ١٩٦٢م.
٢٥ ـ ديوان لقيط بن يعمر الإيادي، تحقيق: خليل إبراهيم العطية، وزارة الإعلام، ١٩٧٠م.
٢٦ ـ سلسلة مجمع مصائب أهل البيت من الليلة العاشرة ويوم عاشوراء إلى الليلة الحادية والعشرين من المحرم، محمد الهنداوي، دار المحجّة البيضاء، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى، ٢٠٠٤م.
٢٧ ـ الشاعر الناقد، ت.س. إليوت، ترجمة: د. إحسان عباس، مؤسّسة فرنكلين للطباعة، بيروت/ ونيويورك، ١٩٦٥م.
٢٨ ـ الصورة ـ الحركة أو فلسفة الصورة، جيل دولوز، ترجمة: حسن عودة، منشورات وزارة الثقافة المؤسّسة العامة للسينما، دمشق، ١٩٩٧م.
٢٩ ـ الصورة الأدبية تاريخ ونقد، علي علي صبح، دار إحياء الكتب العربية، د.ت، وفن التحرير العربي، محمد صالح الشنطي، دار الأندلس، السعودية، الطبعة الخامسة، ٢٠٠١م.
٣٠ ـ الصورة، جاك أومون، ترجمة: ريتا الخوري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت – لبنان، الطبعة الأُولى، ٢٠١٣م.
٣١ ـ العوالم الإمام الحسين عليه السلام، عبد الله البحراني، تحقيق مدرسة الإمام المهدي، بإشراف محمد باقر الموحد الأبطحي، مطبعة أمير، قم، الطبعة الأُولى، ١٤٠٧هـ.
٣٢ ـ عيون المسائل، الفارابي، منشور ضمن الثمرة المرضية في بعض الرسالات الفارابية، *LEDEN.- E.J. BRILL*، ١٨٩٠م.

٣٣ ـ فن الإلقاء، طه عبد الفتاح مقلد، مكتبة الفيصلية، د.ط، د.ت.
٣٤ ـ في الميزان الجديد، محمد مندور، نهضة مصر للطباعة والنشر، ٢٠٠٤م.
٣٥ ـ قصص المنبر الحسيني من محاضرات د. أحمد الوائلي، والشيخ عبد الحميد المهاجر، إبراهيم سرور، دار المتقين، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية، د.ت.
٣٦ ـ كامل الزيارات، ابن قولويه، تحقيق: الشيخ جواد الفيومي، الطبعة الأُولى، مؤسّسة النشر الإسلامي، ١٤١٧هـ.
٣٧ ـ كتاب الاختيارين المفضليات والأصمعيات، علي بن سليمان بن الفضل، أبو المحاسن المعروف بالأخفش الأصغر، تحقيق: فخر الدين قباوة، دار الفكر المعاصر، بيروت– لبنان، الطبعة الأُولى، ١٩٩٩م.
٣٨ ـ اللامع العزيزي شرح ديوان المتنبي، أحمد بن عبَد الله بن سُلَيمان القضاعي التَنوخي (أبو العلاء المعري)، تحقيق: محمد سعيد، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الطبعة الأُولى، ٢٠٠٨م.
٣٩ ـ مبادئ النقد الأدبي والعلم والشعر، أ.أ. ريتشاردز، ترجمة: محمد مصطفى بدوي، مراجعة لويس عوض وسهير القلماوي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، الطبعة الأُولى، ٢٠٠٥م.
٤٠ ـ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير، تحقيق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر، القاهرة.
٤١ ـ المجالس الفاخرة في مآتم العترة الطاهرة، عبد الحسين شرف الدين الموسوي، تحقيق: محمود البدري، مؤسّسة المعارف الاسلامية، قم، الطبعة الأُولى، ١٤٢١هـ.
٤٢ ـ مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، يوسف بن قِزْأُوغلي بن عبد الله، المعروف بسبط ابن الجوزي، تحقيق: محمد بركات، كامل الخراط، عمار ريحاوي، دار الرسالة العالمية، دمشق ـ سوريا، الطبعة الأُولى، ٢٠١٣م.

٤٣ ـ معجم العين، الفراهيدي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى، ٢٠٠٣م.

٤٤ ـ معجم الفروق اللغوية، الحسن بن عبد الله (أبو هلال العسكري)، تحقيق: الشيخ بيت الله بيات، مؤسّسة النشر الإسلامي، الطبعة الأُولى، قم، ١٤١٢هـ.

٤٥ ـ مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، الطبعة الرابعة، دمشق، ٢٠٠٩م.

٤٦ ـ مقتل الإمام الحسين أو واقعة الطفّ، محمد تقي بحر العلوم، تعليق: الحسين بن التقي آل بحر العلوم، المكتبة الحيدرية، الطبعة الأُولى، ١٤٢٦- ١٣٨٤.

٤٧ ـ مقتل الحسين المسمى باللهوف في قتلى الطفوف، ابن طاووس، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان، الطبعة الأُولى، ١٩٩٣م.

٤٨ ـ مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب السروي المازندراني، دار الأضواء، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٩١م.

٤٩ ـ منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الكتب الشرقية، ١٩٦٤م.

٥٠ ـ نظرية الأدب، رينيه ويليك وأوستن وآرن، تعريب: د. عادل سلامة، دار المريخ، الرياض ـ السعودية، الطبعة الثالثة، ١٩٩٢م.

٥١ ـ نور العين في مشهد الحسين، إبراهيم بن محمد الإسفراييني، مطبعة الشيخ عثمان عبد الرازق، د.ط، القاهرة ـ مصر، ١٣٠٢هـ.

٥٢ ـ وظيفة الصورة الفنية في القرآن، عبد السلام أحمد الراغب، فصلت للدراسات والترجمة والنشر، الطبعة الأُولى، حلب- سوريا، ٢٠٠١م.

المواقع الإلكترونية والموسوعات

٥٣ ـ صوت شيعة الحسين العالمية، موقع إلكتروني، قصيدة هذه الحكاية، من إصدار (هذه الحكاية)، للشاعر أحمد العلياوي، ١٤٣٥هـ.

٥٤ ـ موسوعة المصطلح النقدي، ترجمة عبد الواحد لؤلؤة، المؤسّسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٧٧م.

٥٥ ـ موسوعة كربلاء.. عرض شامل لأحداث نهضة الإمام الحسين عليه السلام ومعركة كربلاء منذ خروج الحسين عليه السلام من المدينة المنورة وحتّى رجوع السبايا إليها مأخوذة من أشهر كتب التاريخ والمقاتل، تأليف: الدكتور لبيب بيضون، دار النشر: طليعة النور، قم ـ إيران، الطبعة الأُولى، ١٤٣٧هـ.

٥٦ ـ موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام، لجنة الحديث في معهد باقر العلوم، منظمة الإعلام الإسلامي، دار المعروف، قم، الطبعة الثالثة، ١٩٩٥م.

57 ـ *Encyclopaedia Britannica 'Real image inareal image' britannica.com*

مقالات ذات صلة

بملف العدد

مقالات ذات صلة بملف العدد

تتميماً للفائدة وتيسيراً للقارئ الكريم يسرّنا أن نذكر تحت هذا العنوان المقالات التي لها صلة بملف العدد، والتي نُشرت في الأعداد السابقة، وهي كما يلي:

*** الاقتباس القرآني في زيارات الإمام الحسين عليه السلام**

م. م. حسن جميل الربيعي

العدد الثلاثون، السنة الثامنة، ١٤٤١هـ/ ٢٠٢٠م، ص١٨٩ـ٢١١.

*** أهمّية الزيارة في الشعائر الحسينية**

حسن جميل الربيعي

العدد الثامن عشر، السنة الخامسة، ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م، ص١٦١ـ١٨٣.

*** توسعة حريم الزيارة زماناً ومكاناً**

آية الله الشيخ محمد السند

العدد الخامس، السنة الثانية، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٣م، ص٢٣ـ٣٧.

*** حكم زيارة الإمام الحسين عليه السلام**

الشيخ حسن البشيري

العدد التاسع عشر، السنة الخامسة، ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م، ص٢٦١ـ٢٨٩.

*** دفاع عن زيارة عاشوراء**

آية الله الشيخ محمد مهدي الآصفي

العدد الرابع، السنة الأُولى، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م، ص٤٣ـ٧٣.

*** دور الزيارة الأربعينية في الإصلاح**

الشيخ محمد رضا الساعدي

العدد التاسع عشر، السنة الخامسة، ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م، ص١٧١ـ١٩٨.

*** زيارة الإمام الحسين عليه السلام في شهر رمضان**

السيد محمد هاشم المدني

العدد التاسع عشر، السنة الخامسة، ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م، ص٢٩١ـ٣٠٨.

*** زيارة الإمام الحسين عليه السلام وأثرها في الزائر.. المرأة المعاصرة أُنموذجاً**

أ. م. د. سُها صاحب القريشي

العدد الثالث والعشرون، السنة السادسة، ١٤٣٩هـ/ ٢٠١٨م، ص١٦٣ـ١٧٦.

*** مشي النساء إلى كربلاء.. قراءة في الأدلّة والنصوص الشرعية**

الشيخ مشتاق طالب

العدد الخامس، السنة الثانية، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٣م، ص٢٤٩ـ٢٧٨.

*** المشي لزيارة الإمام الحسين عليه السلام وباقي الأئمّة عليهم السلام .. دراسة في ضوء الموازين الفقهية**

الشيخ حبيب عبد الواحد الساعدي

السنة الثانية، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م، ص٢٥٣ـ٢٧٦.

*** وجوب زيارة الإمام الحسين عليه السلام.. القسم الأوّل**

الشيخ رافد عسّاف التميمي

العدد الأول، السنة الأُولى، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م، ص٢٣٣ـ٢٥٢.

*** وجوب زيارة الإمام الحسين عليه السلام.. القسم الثاني**

الشيخ رافد عسّاف التميمي

العدد الثاني، السنة الأُولى، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م، ص٢٠٥ـ٢٣٧.

*** وجوب زيارة الإمام الحسين عليه السلام.. القسم الثالث**

الشيخ رافد عسّاف التميمي

العدد الثالث، السنة الأُولى، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م، ص٢١٥ـ٢٥٠.

خلاصة المقالات

باللغة العربية والإنجليزية

دراسة استراتيجية لنشر الفكر الحسيني في مواسم الزيارات

زيارات الإمام الحسين عليه السلام أُنموذجاً

الشيخ صباح عبّاس الساعدي

ضمن المحاولات التطويرية لآليات نشر الفكر الحسيني الهادف في أوساط المجتمع، سعى الباحث إلى تقديم ورقة العمل هذه تحت عنوان (دراسة استراتيجية لنشر الفكر الحسيني في مواسم الزيارات)، إلّا أنّه خصّص العنوان بزيارات الإمام الحسين عليه السلام، وقد تكوّنت هذه الورقة من تمهيد، وأربع نقاط؛ فتحدث في التمهيد عن أهمّية المعرفة بحقّ الأئمّة بصورة عامة والأثر المترتب عليها، وقد ركّز الباحث على أهمّية معرفة حقّ الإمام الحسين عليه السلام على وجه التحديد، وما لها من ثمار معنوية مترتّبة على الزيارة التي تكون عن معرفة بذلك الحقّ المفترض على المسلمين، بالإضافة إلى الثمار المادّية المترتّبة على ذلك، وقد اعتمد في إثبات هذه الحقائق على نصوص معتبرة وكثيرة خُصصت للتأكيد على هذا الجانب.

وبعد أن مهّد لهذه الضرورة الملحة والحاجة الماسّة في هذه الممارسة العبادية المهمة، وجّه البوصلة إلى الحديث عن ضرورة المساهمة في ترسيخ هذه المعرفة في نفوس المحبِّين والموالين للإمام الحسين عليه السلام، فضلاً عن نشرها وغرسها في نفوس الأشخاص الذين شملتهم تلك الهداية الإلهية، وتوجّهوا بأجسادهم وقلوبهم ليضعوا رحالهم عند سيد الأحرار أبي عبد الله الحسين عليه السلام، إلّا أنّ ما حملهم على هذا السلوك الإيماني هو تعاطفهم وتفاعلهم مع الشخصية الثائرة ضد الظلم والطغيان.

وأمّا النقاط الأربع، فقد ذكر في الأُولى منها منشأ الفكرة بهذا المشروع وأهدافه، مبيِّناً أنّ ذلك هو حصيلة تفكير متأنٍ لمدّةٍ طويلة من الزمن، تبع ذلك تواصل

ومداولات مع الأساتذة والمختصين لغرض إيجاد السبل الناجحة في نشر الفكر الحسيني، وتحقيق الأهداف السامية والمنشودة منه.

فيما جاءت النقطة الثانية للحديث عن عنوان المشروع والمادّة المعتمدة فيه، ذاكراً مجموعة من العناوين المقترحة للمشروع مع ذكر المادّة التي يمكن اعتمادها في رفد هذا المشروع، مبيناً أنّ هذه المادّة هي عبارة عن المشاريع الفكرية والتخصصية التي عملت مؤسّسة وارث الأنبياء على إنشائها وإصدار النتاجات العلمية فيها، وقد ذكر مجموعة من النماذج والعيِّنات التطبيقية للمادّة العلمية في هذا المشروع.

كما أنّه عرض في النقطة الثالثة الآليات المقترحة لتنفيذ المشروع والطرق المساعدة على نجاحه، وهي مجموعة من الآليات التي تكون على نحو البديل القابل للجمع. مخصصاً النقطة الرابعة للحديث عن نقطةٍ لها دور كبير في إنجاح هذا المشروع وكفيلة في ديمومة العمل به أَلا وهي الجهات التنفيذية للمشروع.

وأما في الختام، فقد ذكر جملة من الملاحظات التي يعدّ بعض منها مقتضيات محورية في نجاح المشروع، ومنها ما هي معوّقات قد تواجه المشروع في بدايات الشروع بالعمل، مؤكّداً على أخذها بنظر الاعتبار، وعدم التراجع عن المشروع فيما لو واجهتهم تلك العقبات والمعوقات.

بذلك يكون المشروع قد أعطى ثماره ونتائجه المهمّة. .

A Strategic Study of Propagating the Husayni Thought in the Seasons of Ziyara – The Ziyara of Imam al-Husayn (PBUH) as a Sample

Shaykh Sabah Abbas al-Saidi

As part of the efforts to innovate the propagative tools used in spreading the Husayni thought in the society the, researcher attempts to present this working paper titled, "*A Strategic Study of Propagating the Husayni Thought in the Seasons of Ziyara*" where he specifies the research to be on the Ziyara of Imam al-Husayn (PBUH) as a Sample.

This paper consists of an introduction and four topics. In the introduction, he mentions the importance of knowing the Imams in general and the effect of such knowledge. The researcher focuses on the importance of knowing the rights of Imam al-Husayn (PBUH) especially, and the spiritual results of a Ziyara made while knowing these rights that every Muslim is obliged to. He also mentions the materialistic results of such a Ziyara, supporting these doctrines with reliable and numerous textual sources that stress upon this fact.

After explaining the great significance and dire need in this important practice of worship, he sheds light upon the necessity of contributing to solidifying this knowledge in the hearts of the followers and lovers of Imam al-Husayn (PBUH). The researcher also mentions the importance of propagating such doctrines to those whom the divine guidance has embraced, making them travel with their bodies and hearts and set sail for the harbor of the Master of the Free, Imam al-Husayn (PBUH). He adds, that the motivation to engage in such faithful practices is their empathy and sympathy with that person who revolted against injustice and tyranny.

The first topic of the article addresses the idea's origin and its goals, expressing that the idea saw light after a long period of contemplation followed by interactions with lecturers and experts in order to identify successful methods in spreading the Husayni thoughts and reach the noble goals of it.

The second topic was regarding the title of the project and the material it will be based upon, where the researcher mentions a series of suggested titles together with the related material. The material chosen was the specialized intellectual projects led by the Warith al-Anbiya Institute. These projects' scientific results were published by the institute and will provide the material needed for the new project. In this regard, the researcher mentions a group of practical samples.

At the third topic, he addresses the tools suggested to complete the project and the aiding methods, mentioning a series of tools that will serve as collectible alternatives. Then follows the fourth topic where the researcher addresses a subject significant for both realizing the project, and for the continuity of the project, which is the executive powers in the project.

In the end, he mentions a series of issues, some of which are considered vital for the succession of the project. Others mention the obstacles that might face the project during its initial phase.

He emphasizes that these comments must be taken into consideration, and that the project must not be withdrawn if faced by these obstacles and hindrances. Consequently, the project will deliver its important outcome and results.

.

زيارة الإمام الحسين عليه السلام

دراسة في المفهوم الشرعي والعرفي للزيارة وآدابها

د. الشيخ أسعد السلمان

اشتمل هذا المقال على مقدّمة وجهتين، أمّا المقدّمة فقد وضّح الكاتب فيها دور زيارة المراقد عموماً وزيارة الإمام الحسين عليه السلام على وجه الخصوص في إيجاد حالة من الامتداد الروحي بين الزائر وبين الإمام المزور، امتداداً يحقّق له تواصلاً بين عالمه المنظور والعالم الآخر (الميتافيزيقي)، يحصل من خلاله على الضمانات التي تمنع من وقوعه في الانحراف، ويجعله يعيش أجواء النهضة الحسينية المباركة بكلّ معانيها ودلالاتها.

أمّا الجهة الأُولى التي هي بعنوان: (المفهوم العرفي والشرعي لزيارة الإمام الحسين عليه السلام)، فقد خلُص الباحث فيها إلى أنّ الميل والتمايل نحو المزور والعدول عن غيره ـ وهو خلاصة أقوال اللغويين في مفهوم الزيارة ـ يكون محفوظاً في المعنى العرفي لزيارة المولى أبي عبد الله عليه السلام، مضافاً إلى دلالة هذه المفردة عرفاً على حالة من الارتباط المعنوي بين الشيعي وبين إمامه، واستشعار ما عاناه صاحب القبر الشريف من المظلومية والمحن. وفي مقام تحديد المعنى الشرعي للزيارة سواء على مستوى القرآن أو الروايات فإنّه يجد أنّ الزيارة مورد البحث لم تبتعد دلالتها الشرعية عن المعنيين اللغوي والعرفي. نعم، قد منحتها بعض الروايات مجموعة من الأبعاد التي عمّقت دلالتها، من قبيل كون زيارته عليه السلام حضوراً في ساحة القرب الإلهي، ومشاركةً فاعلة في أحداث واقعة كربلاء، ونحو ذلك.

أمّا الجهة الثانية التي حملت عنوان: (آداب الزيارة) فقد استعرض الباحث فيها (الآداب الظاهرية) لها كالصيام، والطهارة من الحدَث والخبَث، وضرورة كون الزائر

أشعث أغبر، ونحو ذلك. والنوع الآخر هو (الآداب المعنوية): كضرورة حضور القلب أثناء الزيارة، والخشوع والخضوع، والندب والتوبة.

كما اشتمل المقال في نهايته على خلاصة للنتائج التي تمّ التوصل إليها في هذا البحث.

The Ziyara of Imam al-Husayn (PBUH)

– A Study into the Legal and Customary Concept of the Ziyara and its Ethics

Dr. Shaykh Asad al-Salman

This article consists of an introduction followed by two topics. The introduction deals with the role of making Ziyara to the tombs in general, and to Imam al-Husayn (PBUH) in particular, in creating a state of spiritual extension between the visitor and the visited Imam. This extension creates a connection between this world and the other metaphysical world for the visitor, which in itself benefits the visitor by shielding him from becoming deviated. It also makes the visitor experience the atmosphere of the blessed uprising of Imam al-Husayn (PBUH) to its fullest.

The first topic deals with *The Customary and Legal Concept of the Ziyara of Imam al-Husayn (PBUH)*. The researcher finds that the inclination toward the visited while turning away from others – which summarizes the views of the linguists on the concept of Ziyara – is preserved in the customary meaning of the Ziyara (visit) to Imam al-Husayn (PBUH). He also finds that this term in the customary meaning contains the concept of spiritual connectivity between the Shiite and his Imam, and the perception of what the owner of the blessed grave felt of oppression and hardships.

The researcher then defines the legal meaning of the Ziyara, mentioning that it does not differ much from the linguistic and customary meaning, regardless of it being studied on a Quranic basis or from the narrations. Nonetheless, some narrations do add some dimensions that

deepen its semantics, such as, that the Ziyara of the Imam (PBUH) represents the presence in the near court of the Divine, and the effective participation at the Event of Karbala, etc.

The second topic is dedicated to *The Ethics of Ziyara* where the researcher mentions the *Outer Ethics,* such as fasting, being in a state of physical and ritual purity, etc. The other type of ethics was the *Inner Ethics*, manifested in the necessity of being wholeheartedly present during the Ziyara, and in a state of reverence, submission, mourning, and repentance.

Then follows a conclusion containing a summary of the results reached during this research.

التجليات العَقدية في الإمام الحسين عليه السلام

الشيخ حيدر العريضي

تطرّق الكاتب في هذا المقال إلى مقدّمة ذكر فيها أنّ الإسلام أَوْلى الجانب الروحي للإنسان عنايةً خاصّة تفوق عنايته بالجانب المادّي، مبيِّناً أنّ الجانب الروحي من مصاديق هذه العناية القُدسية التي أضفاها الإسلام على رموزه وشعائره، من قبيل حثّه على زيارة مراقد الأولياء والصالحين والشهداء؛ وذلك نظراً لكونهم أحياءً بحياة الروح الزاكية ولهم حقّ الوفاء وجميل الثناء.

وبعد هذه المقدّمة تطرّق الكاتب إلى تمهيد وثلاثة مطالب رئيسة.

بيّن في التمهيد المراد من مفهومي التجلّي والزيارة، ووقف بعد ذلك على شرعية زيارة مراقد المعصومين والأولياء الصالحين، من خلال الاستناد إلى جملة من النصوص المروية عن النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته البررة عليهم السلام، مختتماً كلامه في هذا التمهيد ببيان جملة من الثمرات المترتبة على الزيارة المشار إليها.

أمّا المطلب الأوّل فقد اختصّ ببيان أنّ عقيدة التوحيد تتجلّى في زيارة الإمام الحسين عليه السلام، من خلال ما تشتمل عليه الزيارة من البسملة وحمد الله وثنائه وتنزيهه، وصولاً إلى الشهادة الصريحة بتوحيده عزّ وجلّ.

وأمّا المطلب الثاني فقد اختصّ الحديث فيه عن تجلّي أصل النبوّة، الذي يُشاهَد ـ بحسب ما أفاده الكاتب ـ بصورة واضحة في فواتح نصوص الزيارة المباركة التي تلقّن الزائرَ الاعترافَ بحقيقة مقام الأنبياء والتصديق برسالاتهم.

ومن الأُمور المهمّة التي تمّ التطرّق إليها في هذا المطلب هو منصب الخلافة الذي عدّه الكاتب من ملازمات مقام النبوّة، منطلقاً في بحثه حول هذا الأصل العقدي من النصّ الذي ورد فيه الحديث عن وراثة الإمام الحسين عليه السلام لجملة من الأنبياء والمرسلين عليهم السلام.

أمّا المطلب الثالث والأخير فقد خصّه الكاتب بعقيدة المعاد، مستلهماً هذه العقيدة من الظلامة التي لحقت بالإمام الحسين عليه السلام جرّاء وقوفه ضدّ الظلم والانحراف، فالإيمان بالحساب الأُخروي هو الذي يُخفِّف من وطأة هذه المأساة على نفوس محبّي أهل البيت عليهم السلام، يُضاف إلى ذلك ما استعرضه الكاتب من نصوص في الزيارات تضمّنت الدعاء على الظالمين باللعن والطرد ومضاعفة العذاب.

وفي نهاية المقال ذكر الكاتب خاتمة لخّص فيها مجريات بحثه.

The Doctrinal Manifestations in Imam al-Husayn (PBUH)

Shaykh Haidar al-Aridhi

The writer mentions in the introduction of the article that Islam attaches attention to the spiritual aspect of man much more than it does to the materialistic aspect. He further elaborates that Imam al-Husayn (PBUH) was a manifestation of this sacred attention Islam attached both to its figures and to the ceremonies related to them. Islam does so, by encouraging the believers to visit the tombs of the Guardians, righteous people, and the martyrs as they are regarded alive, making them worthy of loyalty and the best of appraisal.

After this preface, the writer presents an introduction followed by three topics.

In the introduction, he provides the meaning behind *Tajalli* (manifestation) and Ziyara, thereafter he discusses the legality of visiting the tombs of the Infallibles (PBUT) and the noble Guardians. For this matter, he employs a series of texts narrated from the Prophet (PBUH&HF) and his household (PBUT). He then ends the introduction by mentioning some of the resulting benefits from the mentioned Ziyara.

The first *subtopic* mentions that the belief of monotheism is manifested in the the text of the Ziyara of Imam al-Husayn (PBUH). The Ziyara contains the Basmala, praising, and extolment of Allah, all the way to the explicit testimony on His Oneness (glorified and sublime be He).

The second topic was related to the manifestation of the fundament of the prophethood, which is visible – according to the writer – in the openings of the blessed Ziyara. These openings teach the visitor to recognize the status of the Prophets to be the truth and to believe in their messages.

Among the important subjects discussed in this topic is the position of the caliphate that the writer considers to be among the innate matters to the position of the Prophethood. He examines this basic belief in the texts that mention Imam al-Husayn (PBUH) inheriting a series of Prophets and Messengers (PBUT).

The third and last topic was dedicated to the belief in the Day of Resurrection. He draws inspiration from the oppression suffered by Imam al-Husayn (PBUH) as he stood against injustice and deviation. As the belief in the afterlife judgment will mitigate the impact of the tragedy for the lovers of the Household (PBUT), that, and the texts from the Ziyaras containing supplication against the oppressors. They indicate that these will become cursed and banished [from the mercy of God] and experience punishment manifold.

At the end of the article, the writer presents his conclusion containing a summary of the research.

الاعتبار السنَديّ لزيارات الناحية المقدّسة

[القسم الأوّل]

محمد إحساني فر لنكرودي

ترجمة: د. الشيخ ميثم الربيعي

يُعدّ هذا البحث دراسة تحليلية سندية لنصوص زيارات الناحية المقدّسة، حيث ذكر الباحث أنّ هذه الزيارات تُعدّ من الزيارات المعروفة لسيّد الشهداء عليه السلام، ومن الآثار القديمة التي تتفرّد أحياناً ببعض الوثائق المرتبطة بتاريخ كربلاء الحسيني، وتقوم بتصوير العديد من الخصائص، والكشف عن عدد من الإبهامات التاريخية المتعلّقة بملحمة عاشوراء الخالدة، إضافة إلى كونها تتضمّن عدداً كبيراً من أسماء الشهداء في كربلاء؛ الأمر الذي يدعو إلى التعاطي معها بصفتها كنزاً معنوياً وميراثاً ثقافياً في تاريخ الشيعة.

وقد بيّن الباحث أنّ ما يُعرف بزيارة الناحية يتمّ إسناده إلى (الناحية المقدّسة) بثلاثة نصوص، وإن كانت الزيارة الثانية هي المشهورة بهذا الاسم، وهذه الزيارات هي: الزيارة الأُولى (زيارة الشهداء)، الزيارة الثانية (الزيارة المعروفة بالناحية)، الزيارة الثالثة المنقولة عن السيّد المرتضى رحمه الله.

وقد تناول الكاتب في هذا القسم الزيارة الأُولى، وذكر لها أربعة مصادر وثلاثة أسانيد، وقام بتحليل تلك الأسانيد، وقد ركّز على كتاب المزار الكبير واعتبار رواته؛ وكانت نتيجة بحثه السندي أنّ هذه الزيارة من الناحية السندية على وفق القاعدة الرجالية في التوثيقات العامة لرواة المزار لابن المشهدي ورواياته، فإذا كان ثمّة شخص يشكّك في المبنى الرجالي المذكور، فإنّ هذا السند يُعدّ حسناً على الأقلّ؛ نظراً إلى التحقيق الخاص عن رواة السند، فإنّ كلّ شخص من الرواة إمّا ثقّة أو يتمتّع بالمدح والتجليل.

ثمّ ذكر الكاتب بعد ذلك سلسلة من الموضوعات استكمالاً لبحثه.

The Narrator Chain in the Ziyaras of al-Nahiyya al-Muqadassa
– Part One

Muhammad Ehsani Farlangaroudi
Translated into Arabic: Dr. Shaykh Maytham al-Rubaiye

The article is an analytical study of the narrator chains of the Ziyaras of al-Nahiyya al-Muqaddasa. The researcher mentions that these Ziyaras are regarded among the more famous Ziyaras of the Master of the Martyrs (PBUH). They are also considered a heritage that delves into the history of Imam al-Husayn (PBUH) and Karbala and portrays some of its characteristics. Furthermore, the Ziyaras uncover some of the historic puzzles related to the eternal fierce battle of Karbala while containing some of the names of the martyrs. These factors make the Ziyaras a spiritual treasure and cultural heritage on the history of Shiites.

The researcher mentions that the Ziyaras of al-Nahiyya al-Muqaddasa are three Ziyaras being ascribed to the "*Holy Area*" (al-Nahiyya al-Muqaddasa), even though the second Ziyara is more formally known by that name. These three are: *The Ziyara of the Martyrs*, the Ziyara known as *the Ziyara of al-Nahiyya al-Muqaddasa*, and the Ziyara reported by al-Sharif al-Murtadha (may Allah be pleased with him).

In this study, the researcher addresses the first Ziyara, listing four sources and three different narrator chains which he analyses. In his analysis, he focuses on the book *al-Mazar* and the authenticity of its narrators. The results of his research on the narrator chain are that the Ziyara's narrator chain in Ibn al-Mashhadi's book *al-Mazar* can be authenticated following the Rijali authentication rule, *General Authentications of the Narrators.*

He furthermore mentions, that if anyone doubts the mentioned Rijali opinion, it would be sufficient to mention that the narrator chain's reliability is classified as *Good* (Hasan). This classification is based on the special scrutiny of the narrators that showed, that every narrator either was ruled as reliable or has been commended and praised.

The writer then mentions a series of subjects completing his study.

الزيارة في دائرة المعارف الإسلامية

القسم الأوّل

د. يوسف وليد مرعي

ترجمة: الشيخ حيدر علي البهادلي

اشتمل هذا المقال في بدايته على مجموعة عناوين كانت مهمّتها إلقاء الضوء على تاريخ الزيارة في العديد من البلدان الإسلامية. وقد اختصّ هذا القسم بالعنوان الأوّل منها، وهو: ([الزيارة] في الأراضي العربية الوسطى والشرقية خلال فترة ما قبل العصر الحديث).

وقد ذكر الباحث في المقام أنّ المصادر العربية والعبرية في العصور الوسطى كثيراً ما كانت تُشير إلى قيام اليهود والمسيحيين بأداء الزيارة إلى مقابر الأشخاص المقدّسين ومزاراتهم، وتشير أيضاً إلى قلق النبيّ محمدﷺ من اتّباع المسلمين للممارسات الوثنية والشركية في هذا المجال.

ثمّ يذكر تحت هذا العنوان مجموعة من العناوين الفرعية، من قبيل: (الزيارة الشيعية في الأراضي العربية)، مبيّناً أنّ الزيارة في المقام تمتّعت باهتمام ومزايا وثواب مماثل للحجّ الواجب.

والعنوان الآخر هو: (معارضة الزيارة)، معارضة تبلورت بعد تأسيس المذهب الحنبلي الفقهي في العراق، إذ يؤكّد أتباعه على كون زيارة المقابر بدعة باستثناء قراءة سورة الفاتحة والدعاء للموتى والتأمّل في الموت والآخرة. وكان من أبرز هؤلاء المعترضين ابن تيمية الحرّاني.

أمّا العنوان الثالث: (تأكيد الزيارة) فنجدّه يذكر تحته دفاع أبي حامد الغزالي عن الزيارة، وإثباته وجود الأولياء وجواز زيارة جميع القبور.

وتحت عنوان: (مؤلّفات حول الزيارة) يسعى الكاتب إلى تبيين طبيعة هذه

المؤلّفات وما تعكسه من انفعالات وتقاليد موروثة من العصر الإسلامي المبكر، مضافاً إلى إشارتها إلى تنوّع طقوس الزيارة.

وأخيراً وتحت عنوان: (كتب دليل الزيارة الشيعية) يستعرض المقال مجموعة المؤلّفات التي بحثت هذا الموضوع، بدءاً بكتاب (الزيارات) للحسن بن علي بن فضّال التيملي الكوفي، وانتهاءً بأحد أعمال الصوفي الدمشقي عبد الغني النابلسي، الذي هو بعنوان: (الحضرة الأُنسية في الرحلة القدسية). هذا وقد توزّعت هذه المؤلّفات بين العراق ومصر وبلاد الشام.

Ziyara in the Encyclopaedia of Islam– Part One

Dr. J.W. Merri
Translated into Arabic by Shaykh Haidar al-Bahadeli

The first part of this article contains a list of the topics the article addresses. All topics, that will shed light on the history of Ziyara in different Islamic countries. This first part of the article was regarding the first topic, *Ziyara in the Central and Eastern Arab Lands During the Pre-Modern Period.*

The researcher mentions that the Arabic and Hebraic sources from the middle ages mention that Jews and Christians would engage in making pilgrimage (Ziyara) to the tombs and graves of the holy persons. The sources also mention Prophet Muhammad's concerns over the Muslims adopting pagan and polytheistic practices

Under this topic, he mentions several subtopics, the first being *Shi'i Ziyara in Arab Lands* where he mentions that this kind of Ziyara enjoyed the same status and qualities as the obligatory Hajj pilgrimage.

The second subtopic was regarding *Opposition to Ziyara* addressing the opposition that came into life after the establishment of the Hanbali jurisprudent sect in Iraq. Its followers emphasize that the pilgrimage to the tombs of the dead is a Bidaa, only exempting reciting Sura al-Fatiha, making supplication for the dead, and contemplating over death and the afterlife. Amongst the most prominent figures of this movement was Ibn Taymiyya al-Harani.

At the third subtopic, *Affirming the Ziyara*, the researcher mentions Abu Hamed al-Ghazali's defense of Ziyara, his proof of the existence of Saints (Awliya), and the permissibility of making Ziyara to all graves.

At the fourth subtopic titled, *Pilgrimage Literature*, the writer attempts to presents this literature and their reactions and inherited traditions from the early Islamic period, and its mentioning the diversity of the Ziyara ceremonies.

In the end, follows the final *sup-topic Shi'i Pilgrimage Guides* mentioning a series of works writing on this subject. Beginning with *al-Ziyarat* by al-Hasan Bin Ali Bin Fadhal al-Taymuli al-Kufi, all the way to the works of the Damascene Sufi Abdul Ghani al-Nabulsi, titled *al-Hadhra al-Unsiyya fi al-Rehla al-Qudsiya*. These works originate from Iraq, Egypt, and the Levant.

الأبعاد الدلالية والرمزية لزيارة الإمام الحسين عليه السلام

د. الشيخ عبد المجيد فرج الله

كان هدف الباحث في هذا المقال هو التركيز البحثي على الأبعاد الدلالية الواسعة، والإشارات الرمزية المعمّقة، المستشفّة من زيارة الإمام الحسين عليه السلام، سواء اقتُصر في فهم علم الدلالة على دراسة معاني الكلمات، كما ذهب إليه (بيار غيرو)، أو توسّع في فهمه ليكون البحث التطبيقي في معاني الكلمات، وأجزاء الجُمل، والجُمَل، باعتماد نظرية معينة لتفسير المعنى، كما يذهب إليه (يانسن)، أو الاستفادة من دلالية اللفظ والكلمة، كما يرى (إبراهيم أنيس)، ومعها دلالية السياق والأُسلوب، كما يشير (محمود السعران).

وقد ذكر الباحث أنّ هذا البحث يأخذنا إلى دراسة شاملة، قد لا يكفي أن تكون مختصَرة في مجلّد واحد، لكنّنا سنشير هنا إلى أهم نقاط الالتقاط المعرفي، والأخذ الدلالي، والفهم الرمزي لموضوعة زيارة الإمام الحسين عليه السلام، ثمّ نربطها ربطاً عميقاً بمساحة من الفكر واسعة، تنتمي إلى فهم الإسلام، وتثقيف الإيمان، وفتح الدين للذهنية المسلمة المؤمنة الواعية.

وقد أدرج الباحث عناوين متعددة تحدّث فيها عن تلك الدلالات والإشارات الرمزيّة وهي: (الزيارة الحسينية والثقافة القرآنية)، (ذكريات يمجدّها القرآن الكريم)، (الزائر الحسيني والمنحى القرآني لأخذ العبرة)، (المنحى الرمزي في أخذ العبرة والوصول إلى الهداية)، (الأحاديث الشريفة والتثقيف الرسالي على الزيارة)، (أعمال وممارسات فيها إثمار الزيارة).

The Semantic and Symbolic Dimensions in the Ziyara of Imam al-Husayn (PBUH)

Dr. Shaykh Abdul Majid Farajullah

The researcher's goal in this article was to focus research on the broad semantic dimensions and deep symbolic signs deducted from the Ziyara of Imam al-Husayn (PBUH). This was done in disregard to approaching the semantic science as one that revolves around studying the meaning of the words – as Pierre Gero believed. Or expanding the fields of semantics to include the different parts of a sentence and the sentences themselves by adopting a certain theory to interpret the meaning as Janssen believed. Or by using the semantics of the expression and term as believed by Ibrahim Anis, or by including the semantics of the syntax and style also, as believed by Mahmoud al-Saran.

The researcher mentions that this study takes us to a comprehensive study, which might require more than a book to cover. However, the most important points of cognitive and semantic capture and symbolic understanding of the topic of the Ziyara of Imam al-Husayn (PBUH) will be referred to in this study. These points will be deeply and firmly connected to the understanding of Islam, the culture of belief, and other such matters.

The researcher included several subtopics where he spoke of the semantics and symbolic signs. The topics were as follows: *(Visiting al-Husayn and the Quranic Culture), (Recollections Extolled by the Holy Quran), (The Visitor of al-Husayn and the Quranic Way of Taking a Lesson), (The Symbolic Way of Taking a Lesson and Being Guided), (Noble Narrations and Apostolic Education on the Ziyara), (Practices that Benefits the Ziyara).*

فلسفة التأكيد على زيارة الإمام الحسين عليه السلام في المناسبات الدينية

الشيخ عبد الرزاق الندّاوي

تطرّق الباحث في مقدّمة المقال إلى ذكر المناسبات الدينية التي يُزار بها الإمام الحسين عليه السلام، فذكر تسع مناسبات، هي: زيارة عاشوراء، وزيارة الأربعين، وزيارة الأوّل من رجب، والنصف منه، والنصف من شعبان، وزيارة ليالي القدر، والعيدين، ويوم عرفة، وليلة الجمعة.

بعد ذلك تطرّق إلى فلسفة التأكيد على الزيارة، فذكر أنّ هناك عدّة دوافع لهذا التأكيد، وهي كالتالي:

١ـ دوافع أُخروية، والهدف منها ربط الإنسان بالآخرة.

٢ـ دوافع عاطفية، والهدف منها إضفاء بُعد حسّي على إيمان الزائر وعقيدته بالإمام الحسين عليه السلام.

٣ـ دوافع تعبوية، وأنّ الزيارة من العبادات الجماعية التي تشدّ عرى العلاقة بين أبناء الأُمّة، وتزيل الفوارق.

٤ـ دوافع معنوية، فقد ورد أنّ مرقد الإمام الحسين عليه السلام من مظانّ استجابة الدعاء، ونيل الشفاعة.

٥ـ دوافع اجتماعية، وأنّ الزيارة من الممارسات التي تنسجم مع سيرة المجتمعات في تخليد رموزها وقادتها؛ الأمر الذي ندبت إليه الشريعة أيضاً.

٦ـ دوافع تربوية، فإنّ الزائر بوقوفه على القبر الشريف، وقراءة نصوص الزيارة، يستلهم الدروس والعبر التي جسّدها سيّد الشهداء في نهضته المباركة.

وفي نهاية المطاف تناول الباحث مسألة تكرار الزيارة في مناسبات دينية مختلفة، مبيِّناً أنّ فلسفة ذلك هي ترسيخ القيم والمبادئ التي أرادها سيّد الشهداء عليه السلام في نفس الزائر، والتي تضمّنتها نصوص الزيارة.

The Philosophy of Emphasizing Conducting Ziyara at the Religious Commemorations

Shaykh Abdul Razaq al-Nadawi

The researcher mentions at the beginning of the article the religious commemorations where people visit Imam al-Husayn (PBUH). He lists nine events:

The visits during Ashura, Arbaeen, the first of the month Rajab, the middle of the same month, and the middle of the month of Shabaan, the Nights of Qadr, the two Eids, the Day of Arafa, and the night of Friday.

The writer then addresses the philosophy of emphasizing conducting the Ziyara, where he lists the reasons to be:

1. Reasons related to the Afterlife, where the objective is to connect people to the Afterlife.
2. Emotional reasons where the objective is to add an emotional dimension to the belief and faith of the visitor in Imam al-Husayn (PBUH).
3. Reasons related to mobilization where people are gathered for collective worship at the Ziyara, which strengthens the ties between the Muslim communities and eliminates differences.
4. Spiritual reasons, as it has been narrated that the tomb of Imam al-Husayn (PBUH) is one of the places strongly thought to be where supplications are heard and his interception granted.
5. Social reasons, as the Ziyara is among the practices that go well with the history of the communities in eternalizing its symbols and leaders, something that Islam also supports.

6. Educational reasons, as the visitor harvests the lessons and teachings of Imam al-Husayn (PBUH) and his blessed uprising, from standing in front of the holy grave and reciting the text of the Ziyara.

At the end of the article, the researcher addresses the subject of repeating the Ziyara at different religious events. He mentions that the object of the philosophy of this practice is, to emphasize the values and principles that the Master of the Martyrs (PBUH) strived for, and which the texts of the Ziyara mention.

البُعد السندي والدلالي في زيارة الناحية المقدّسة

د. السيد زين العابدين المقدّس الغريفي

بدايةً تطرّق الباحث إلى بيان مفردات البحث، وذكر أنّ اصطلاح (الناحية المقدّسة) مختصّ بالشيعة الإمامية، ويُراد منه الإمام الحجّة بن الحسن عجل الله تعالى فرجه الشريف.

ثمّ قسّم المقال على أربعة مطالب، وهي كالتالي:

المطلب الأوّل: مصادر الزيارة وقيمتها العلمية، مبيِّناً أنّ مصادر زيارة الناحية المقدّسة على قسمين، الأوّل: ما لم يسند نصّ الزيارة إلى المعصوم، وهو ما ذهب إليه العلّامة المجلسي، كما هو ظاهر كلام السيد ابن طاووس، والثاني: ما نسب نصّ الزيارة إلى الناحية المقدّسة، وهو ما ذكره ابن المشهدي.

المطلب الثاني: البحث السندي، فذكر الباحث ثلاث محاولات لتصحيح سند الزيارة، وبيّن أنّ جميعها لا تصلح لذلك، كما بيّن أن ضعف السند لا يمنع من قراءة الزيارة تمسّكاً بالعمومات والإطلاقات القاضية بجواز قراءة جميع الأدعية والزيارات ما لم تتضمّن مضموناً مخالفاً للكتاب والسنّة.

المطلب الثالث: المضمون العامّ للزيارة، وهنا تطرّق الباحث إلى أهمّ الأُمور التي تضمّنتها الزيارة، ومنها: ذكر الغاية من خروج الإمام الحسين عليه السلام، وسلوك الإمام مع أعدائه، والآثار التكوينية المترتّبة على مقتل الإمام الحسين عليه السلام، وفضل البكاء عليه عليه السلام.

وفي المطلب الرابع والأخير تناول الباحث أهمّ الإشكالات الواردة على متن الزيارة، منها: ذبح الإمام الحسين عليه السلام على يد الشمر مع أنّ ذلك غير ثابت تأريخياً، وخروج نساء بيت النبوّة حاسرات بلا حجاب، وأكل السباع للأجساد الطاهرة،

ورضّ صدر الإمام الحسين عليه السلام وسحقه بالخيول قبل استشهاده. ثمّ ناقش جميع تلك الإشكالات وبيّن أنّها قابلة للدفع بتأويلها وفق ما يُناسب العقيدة السليمة والأخبار الصحيحة.

The Dimensions of the Chain of Narrators and the Semantics in Ziyarat al-Nahiyya al-Muqaddasa

Dr. Sayyid Zayn al-Abideen al-Muqaddas al-Ghurayfi

In the beginning, the researcher mentions the key terms of the research, mentioning that the terminological phrase *al-Nahiyya al-Muqaddasa* exists only within the Shiite domain, and refers to Imam al-Mahdi (may Allah hasten his reappearance). The researcher then divides the article into four topics:

The first topic: *The references of the Ziyara and their scientific value*. The researcher elaborates that the references of the Ziyara can be divided into two groups. One who does not attribute the text of the Ziyara to the infallible – an opinion adopted by Allamah al-Majlisi as evident by the words of Sayyid Ibn Tawoos. And one that does attribute the text of the Ziyara to *the al-Nahiyya al-Muqaddasa* (i.e., Imam al-Mahdi) – which is the opinion of Ibn al-Mashhadi.

The second topic: *Examining the chain of narrators*. The researcher mentions three attempts to authenticate the chain of narrators, concluding that they all fail to do so. He also emphasizes that the weakness of the chain does not hinder one from reciting the Ziyara based on the rule of the general evidence on the permissibility of reciting all supplications and Ziyaras, as long as its content does not contradict the Holy Quran or the Prophetic Tradition.

The third topic: *The general message of the Ziyara*. In this part of the article, the researcher addresses the most important content of the Ziyara. Such as: mentioning the goal of the uprising of Imam al-Husayn (PBUH), the ethics of Imam al-Husayn (PBUH) with his enemies, and the forma-

tive effects taking place due to the killing of Imam al-Husayn (PBUH), and the preference of weeping over him (PBUH).

At the fourth and last topic, the researcher addresses the most important problems ascribed to the text of the Ziyara. Such as the beheading of Imam al-Husayn (PBUH) by al-Shimr – even though it has not been historically proven –, the appearance of the ladies of the House of the Prophet bareheaded without any veil, and the predators devouring the holy bodies. In addition to the horses stamping and crushing the chest of Imam al-Husayn (PBUH) before his martyrdom. The researcher discusses all these problems, mentioning that these can be solved by making interpretation that is in accordance with the proper beliefs and authentic reports.

التوحيد في الزيارات الحسينية من منظار لغوي

م. م. حسن جميل الربيعي

المقال عبارة عن دراسة لغوية لمفهوم التوحيد الوارد في نصوص زيارات الإمام الحسين عليه السلام.

بدايةً تطرّق الباحث إلى أهمّية تراث أهل البيت عليهم السلام، ومنه نصوص زيارات الإمام الحسين عليه السلام، في رسم الطريق الصحيح الذي يُوصل السالك إلى الله تعالى.

بعد ذلك أورد مجموعة من نصوص الزيارات التي تناولت مفهوم التوحيد؛ ليسلِّط الضوء فيها على الجنبة اللغوية، من خلال ذكر بعض الصياغات اللغوية، وبيان دلالاتها على التوحيد:

منها: استعمال الإفراد اللفظي الذي يدلّ على أنّه تعالى إله واحد لا شريك له، وأنّ الزائر لا يجوز أن يذكر نصّاً يعظِّم فيه الله تعالى من خلال الجمع أو التثنية.

ومنها: الوصف باسم الفاعل، فقد وُصف الله تعالى بهذه الصيغة في الزيارات المباركة للدلالة على أنّ كلّ شيء بيده تبارك وتعالى.

ومنها: الوصف باسم الموصول، وقد وردت هذه الصيغة في الزيارات لبيان مقامات الباري وصفاته وأفعاله.

وإلى غير ذلك من الصياغات، كالتوكيد، والنداء، والتكرار، والمصاحبة، التي تدلّ جميعها على معانٍ عميقة في التوحيد الإلهي.

وفي الختام أكّد الباحث أنّ توحيد الله تبارك وتعالى يتجلّى صريحاً في كلّ نصّ من نصوص الزيارات، وأنّ هذه الوسائل اللغوية مظهرة له وباب من أبوابه، وبهذا المعنى العميق يمكن فهم كيف أنّ الزيارة تقرِّب الزائر إلى الله تعالى.

Monotheism in the Husayni Ziyaras from a Linguistic Perspective

Hasan Jamil al-Rubayie

The article is a linguistic study of the concept of monotheism as expressed in the texts of Imam al-Husayn's Ziyara. Initially, the researcher touches on the importance of the heritage of the Household (PBUT), including the texts of the Ziyaras of Imam al-Husayn (PBUH), in charting the correct path that leads to Allah, the Exalted.

He then lists a series of texts from the Ziyaras that deal with the concept of monotheism highlighting the linguistic aspect. He does so by mentioning some linguistic formulations and their implications on monotheism.

These included the use of singular nouns, which indicates that He, the Exalted, is one God with no partner and that a visitor is not allowed to use texts that glorifies Allah by addressing Him in a plural form. In addition to the description of Allah using agent nouns, as He has been addressed with this form in the blessed Ziyaras to show that everything is in His hand, exalted and blessed is He. Moreover so, is the description using a relative pronoun. This pronoun has been mentioned in the Ziyaras to depict the status of the Almighty, His qualities, and actions. In addition to other linguistic tools such as emphasizers, vocative cases, etc., which imply profound meanings in monotheism.

At the conclusion, the researcher confirms that the unification of Allah, exalted and blessed is He, is explicitly manifested in all the Ziyara texts, adding that these linguistic means portray Him, and are considered a path toward Him. This deeper connotation explains why Ziyara makes the visitor closer to Allah, the Exalted.

الدعاء في زيارة عاشوراء

قراءة في ضوء الأُسلوبية الصوتية

القسم الأوّل

م. م. أحمد موفّق مهدي

المقال عبارة عن دراسة للأداء الأُسلوبي في ضوء المستوى الصوتي للدعاء في زيارة عاشوراء (المشهورة وغير المشهورة)، فقد حاول الباحث ـ في هذا القسم من المقال ـ تطبيق الأُسلوبية الصوتية لهذه النصوص من خلال بيان عناصر التوازي، والتلاؤم الصوتي، على أمل أن يأتي البحث عن بقية العناصر في القسم الثاني إنّ شاء الله.

وقد استهلّ الباحث بحثه بمقدّمة وتمهيد، ومن ثمّ ألحقهما بمبحثين وخاتمة. تطرّق في المقدّمة إلى أهمّية البحث في هذا الموضوع، وذلك إيماناً منه بأنّ لكلّ نصّ بصمته الأُسلوبية في مستويات لغته ولا سيما المستوى الصوتي، وهو أهمّ ما يميّز لغة المنشِئ على الإطلاق.

ثمّ تلى ذلك تمهيد تطرّق فيه الباحث إلى التعريف بالأُسلوبية الصوتية، مع بيان الفرق بين الأُسلوب والأُسلوبية، وبيان مستويات المنهج الأُسلوبي المتمثّلة بالمستوى الصوتي والتركيبي والدلالي.

ثمّ تمّ تقسيم البحث على قسمين، تناول الأوّل: التلاؤم الصوتي، وقد جاء البحث فيه على مستويين: على مستوى المفردة، وعلى مستوى التركيب، وقد عرّفه بأنّه: حُسن الكلام في السمع، وسهولته في اللفظ، ووقع المعنى في القلب، ويتمّ هذا بعيداً عن وجود التنافر في الأصوات أو القرب الشديد، الذي يجعل من اتحاد الأصوات ذات طبيعة متفاوتة في البناء الصوتي للكلمة أو مجموعة من الكلمات داخل النصّ الأدبي.

وجاء الكلام في المبحث الثاني عن التوازي الإيقاعي، الذي يعني: عبارة عن

تماثل أو تعادل المباني أو المعاني في سطور متطابقة الكلمات أو العبارات القائمة على الازدواج الفنّي. وقد أكّد الباحث اشتمال مقاطع الدعاء في زيارة عاشوراء على تلاؤم صوتي وتوازٍ إيقاعي، يُظهر براعة أُسلوب منشئ النصّ، ومتانته، وقوّة منطقه.

Supplications in the Ziyara of Ashura – A Study in Light of the Phonostylistics: Part One

Ahmad Muwaffaq Mahdi

The article represents a study of the stylistic performance of the phonetic level of the supplications present in the Ziyara of Ashura (the popular one and the lesser-known one). The researcher attempts – in part one of this study – to implement the phonostylistics of these texts by evaluating two different factors; phonetic parallelism and compatibility. The second part of this study will address the remaining factors by the will of Allah.

The researcher begins his research with an introduction and preface followed by two topics and a conclusion. In the introduction, he mentions the importance of this study, believing that every text has its own stylistics concerning the linguistic and phonetic level, making the latter the strongest identificational factor of the sender's language.

Then follows a prelude in which the researcher defines the phonostylistics and presents the difference between method and stylistics, and the levels of the stylistic approach represented by the phonetic, syntactic, and semantic levels.

Then he divides the research into two topics, the first regarding the phonetic compatibility both on a terminological and syntactical level. He defines phonetic compatibility to be *"words pleasant to hear and easy to pronounce, whose meaning has its impact on the heart.*" This is achieved by avoiding dissonance or extreme similarity between the

sounds, which turns the unity of the sounds into a nature different in the phonetic structure of the word or a group of words in a literary text.

The second topic deals with vocal parallelism, which is presented as the equivalence of structures or meanings in line with identical words or expressions based on technical duality. The researcher emphasizes that the sections containing supplication in the Ziyara of Ashura are phonetically parallel and rhythmically compatible. These factors display the ingenuity and strength of the author's approach, and depicts the capacity of his language.

أنماط الصورة الذهنية في المشهد الحسيني
وأثرها في تشكيل الصورة السمعية

د. إسلام فاروق عيسى

المقال عبارة عن دراسة أدبية بلاغية، تسلِّط الباحثة فيه الضوء على مجموعة من النصوص المرتبطة بالمشهد الحسيني، مستدعيةً من خلالها مجموعة من الصور الذهنية؛ لتحوّل دوالها الذهنية إلى دوال سمعية وفق الطبيعة التصويرية للمشهد.

بعد تمهيد في مفهوم الصورة الذهنية وأنماطها، ارتأت الباحثة النظر في صور المشهد الحسيني على مستويين: الأوّل: على مستوى الأدب، والثاني: على مستوى الخبر.

أمّا على مستوى الأدب فقد قامت الباحثة باختيار مجموعة من الأبيات الشعرية التي تميّزت بأبعادها الصوتية والتخييلية في تصوير مشاهد الطفّ، وذكرت لذلك نمطين من أنماط الصورة الذهنية، وهما: الصورة التخييلية، والصورة الوهمية؛ لتخلص منهما إلى صورة سمعية نقلها الشاعر عبر الخيال.

وأمّا على مستوى الخبر، فقد اعتمدت مجموعة من الوقائع التي سجّلها التاريخ، حقيقة كانت أو خارقة للمألوف البشري؛ لتستجلي منها بعض الصور الذهنية وما حملته في طيّاتها من صور سمعية ذات دلالات مختلفة، وذكرت لذلك نمطين من أنماط الصورة الذهنية، وهما: الصورة الحقيقية، والصورة الميثولوجية.

وقد توخّت الباحثة في جميع ذلك التركيز على جمالية المنقول؛ معتمدةً مجموعة من الاختيارات النصّية التي يُتمكّن من سماع جمالها الصوتي، فضلاً عن رؤية صورها البليغة عبر ما يستحضره الذهن.

The Styles of Mental Images in the Husayni Arena and its Effects in Creating the Audible Image

Dr. Islam Farouq Isa

The article is a rhetorical literal study, where the researcher focuses on a group of texts related to the Husayni arena. She brings forth a series of mental images, whose mental signals she changes into audible signals, in accordance with the pictorial nature of the arena..

After an introduction about audible images and their styles, the researcher chooses to investigate the audible images of the Husayni arena on two levels, a literary level, and a narrative level.

On the literary level, the researcher chooses a group of poetic verses, unique in their audible and imaginative dimension in portraying the episodes of al-Taff. In this regard, she mentions two types of mental images, the first is imaginative, and the second illusive. Thereafter she addresses the audible image that the poet conveys through imagination.

On the narrative level, she relies on a series of events recorded in history – regardless of them being real or bizarre – to extract some mental images together with some audible images of different semantics. She mentions two types of mental images; the real image and the mythological image.

Throughout this study, the researcher focuses on the beauty of the conveyed message relying upon a group of text, whose beautiful sound can be heard, and eloquent images recalled.

إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي

الإصلاح الحسيني

مجلة فصلية علمية تعنى بالنهضة الحسينية وآفاقها الفكرية